توضيح المقاصد وتصحيح القواعد
في شرح
قصيدة الإمام ابن القيم
الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

تأليف
أحمد بن ابراهيم بن عيسى

الجزء الأول

المكتب الإسلامي

٢١٤

توضيح المقاصد وتصحيح القواعد
في شرح
قصيدة الإمام ابن القيم
الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

تأليف

أحمد بن ابراهيم بن عيسى

٥٢٧٠٦
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
30120000203768
المكتبة المركزية

الجزء الأول

المكتب الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

المكتب الإسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً: اسلاميا
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً: اسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد: فهذا كتاب

«شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»

للشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى [1]. يظهر إلى عالم المطبوعات لأول مرة في زمن ضلت فيه العقول، وتحكمت الأهواء، واختلت المقاييس، وبعُد الناس عن النمير الصافي، والسلسل العذب الذي هو كتاب الله وسنة رسوله، وأصبح المؤمنون بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم ويبصرهم الجادة المستقيمة والمنهج الصحيح الذي كان عليه السلف الصالح.

ولعل هذا الكتاب يفي بالغرض المقصود ويسد هذا الفراغ ويبصر الناس بالصراط السوي.

وموضوع الكتاب كله - كما ذكر الشارح رحمه الله - المحاكمة بين الطوائف، وإثبات صفات الباري سبحانه وتعالى رغم كل مخالف. وطريقته أنه يسرد الأبيات التي تتعلق بموضوع معين، ثم يشرحها بأدلة من الكتاب والسنة،

(١) انظر ترجمته الصفحة (١٧).

وأقوال أهل السنة والجماعة، وآراء الأئمة في إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله، ويرد على المخالفين من أهل البدع والضلالة كالاتحادية، والجهمية، والمعطلة الذين تأثروا بعقيدة المتفلسفين وأهل الكلام المذموم، ويدعم عقيدة أهل التوحيد من سلف الأمة وكبار الأئمة الذين هم وسط بين الافراط والتفريط والغلو والتقصير.

وكل عَلَمَ يذكره ابن القيم في قصيدته يترجمه الشارح ويذكر عقيدته ومؤلفاته وكلام العلماء الأثبات فيه. فيحذر من الاتحاديين ـ أهل وحدة الوجود ـ والجهميين، والمعطلين، ويثني على العلماء من أهل السنة والجماعة الذين ثبتوا على العقيدة الصحيحة بالرغم مما لاقوا في سبيلها من المحن والابتلاء، كالامام أحمد بن حنبل، والامام محمد بن اسماعيل البخاري صاحب «الصحيح» والشارح ينقل في هذا الكتاب عن العلماء الأثبات الموثوقين، وأكثر ما ينقل من كتب الناظم العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى، كـ «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» و«إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان» و«بدائع الفوائد» و «جلاء الأفهام» و«مدارج السالكين في شرح منازل السائرين» وغيرها.

وكذلك ينقل من كتب شيخ الناظم، شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، كـ «الايمان» و«منهاج السنة النبوية» و «العقل والنقل» و «الفرقان» و «شرح حديث النزول» و«شرح عقيدة الاصبهاني» وغيرها.

وكذلك ينقل عن غير هذين الامامين من العلماء الأعلام مثل الفقيه الكبير، موفق الدين ابن قدامة المقدسي، والحافظ الذهبي، والحافظ ابن حجر العسقلاني، والحافظ السخاوي وغيرهم.

وفي ترجمته للرجال أكثر ما ينقل عن «تاريخ الطبري» و «الميزان» و «تاريخ الاسلام» للذهبي.

وقد سرد الشارح رحمه الله في كتابه هذا، أقوال العلماء الأعلام الذين

ردوا على الاتحاديين، كالعز ابن عبد السلام، والقسطلاني، وابن حجر العسقلاني، والسخاوي وغيرهم، وكلهم على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله.

وقد تعرَّض الشارح لمسألتين خطيرتين جالت فيهما أَقلام العلماء الأعلام.

أولاهما: خبر الآحاد: هل يفيد العلم، أو لا؟ وقد نقل عن كتاب «الصواعق المرسلة» لابن القيم عشرين دليلاً قوياً بأسلوب واضح جلي، أثبت فيها أَن خبر الآحاد يفيد العلم.

وثانيهما: اثبات الفوقية لله تعالى، وقد سرد أَكثر من عشرين فصلاً لاثبات الفوقية لله تعالى من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، كما هي عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم، وفي هذه الفصول آيات وأَحاديث وأقوال للسلف الصالح تتعلق بالموضوع.

هذا وقد اعتمدنا في طبعتنا هذه على نسخة خطية يقول عنها أستاذنا ابن مانع: إنها نقلت عن خط المؤلف رحمه الله، وهي مقروءة لا بأس بها، إلا أن فيها أَخطاء غير قليلة، وبياضاً في عدة أماكن، مما اضطرنا إلى الرجوع في الغالب إلى المصادر التي أخذ عنها الشارح ونقل منها.

ولم نأل جهداً في تصحيح الأخطاء، واستدراك النقص، وإثبات الصواب، وتخريج كثير من الأحاديث، وخاصة ما سكت عنه الشارح، أو أورده وحسنه وكان لعلماء الحديث فيه كلام، وشرح الكلمات اللغوية الغامضة، والتعليق على ما يظن أن الشارح قد وهم فيه.

وما كان على هامش النسخة من تعليقات أستاذنا ابن مانع فقد أَثبتناه مذيلاً بذكر اسمه صريحاً.

وقد كان في النظم بعض الأخطاء استدركناها من نسخة خطية ثانية قدمها لنا أستاذنا الشيخ محمد بن مانع جزاه الله خيراً.

ثم يسر الله لي الرجوع الى أكثر من مخطوط كما قمت بطبع عدد من الكتب الأخرى المتعلق بالموضوع

وكان الذي شجع على طبعه للمرة الأولى العالم الجليل الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني حاكم قطر رحمه الله تعالى.

وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دمشق/ ٢٥ ربيع الآخر سنة ١٣٨٢هـ.

/ ٢٤ ايلول سنة ١٩٦٢م.

زهير الشاويش

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة الناظم العلامة ابن القيم[1]

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذه ترجمة الشيخ الإمام العالم العلامة الحبر البحر؛ شيخ الإسلام والمسلمين، القائم ببيان الحق ونصرة الدين، الذي نصر الله به السنة، وعظمت به المنة، فأعاد وجه الحق مبتهجاً وسيماً، وطريق الإسلام واضحاً مستقيماً، بعدما كان عابساً ودارساً ومظلماً وطامساً ـ شمس الدين أبي عبدالله، محمد بن أبي بكر بن القيم رحمه الله تعالى، وجزاه عن الإسلام خير الجزاء، وجعل نصيبه من الجنان موفر الأجزاء، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

فصل في ذكر نسبه

هو العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي الفقيه الأصولي المفسر النحوي العارف شمس الدين أبو عبدالله ابن

(١) لعالم لم يذكر اسمه نقلها عن مخطوطة قديمة أستاذنا العلامة الشيخ محمد بن مانع.

القيم، كذا قال ابن رجب في «طبقاته» ونقله عنه الداوردي في «طبقات المفسرين».

فصل في مولده وطلبه للعلم

ولد رحمه الله في سابع صفر من سنة إحدى وسبعين وستمائة، كذا قال الداوردي، وسمع من شهاب الدين النابلسي، وأبي الحجاج المزي، والشهاب العابد، والقاضي تقي الدين سليمان بن حمزة، وأبي بكر بن عبد الدائم، وأبي نصر الشيرازي، وعيسى المطعم، وفاطمة بنت جوهر، وجماعة، وتفقه في المذهب على أبي العباس ابن تيمية، والمجد الحراني(١) وبرع وأفتى، ولازم الشيخ أبا العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى، وأخذ عنه، وانتفع وتخرج به، وتفنن في علوم الإسلام، وقرأ العربية على أبي الفتح، والمجد التونسي، وقرأ في الأصول على شيخ الإسلام ابن تيمية، والصفي الهندي.

فصل في ثناء العلماء عليه

قال ابن رجب: كان عالماً بالتفسير، لا يجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيهما المنتهى، وبالحديث ومعانيه، وبفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، والعربية، وله فيها اليد الطولى، وبعلم الكلام، وغير ذلك، وعالم بعلم السلوك، وكلام أهل التصرف، وإشاراتهم، ودقائقهم. له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى، وكان ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وله لهج بالذكر، وشغف بالمحبة والإنابة والافتقار إلى الله، والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة

---

(١) لعله خطأ، لأن ابن القيم لم يدرك المجد الحراني، فإن المجد وهو جد شيخ الاسلام ابن تيمية توفي سنة (٦٥٢) بينما ابن القيم ولد سنة (٦٩١) - زهير -

وحقائق الإيمان منه، وليس هو بالمعصوم، لكن لم أر في معناه مثله. قلت: الأمر كما قال الشيخ زين الدين بن رجب رحمه الله، فلا أعلم بعد الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى أعلم منه في سائر الطوائف، وهذه آثاره تنبيك عن أخباره، فمن نظر في تصانيفه بعين الأنصاف علم مقداره، وأنه أعلم أهل زمانه.

وقال القاضي برهان الدين الزرعي رحمه الله: ما تحت أديم السماء أوسع منه علماً.

وقال الذهبي في «المختصر»: عني بالحديث ومتونه وبعض رجاله، وكان يشتغل بالفقه ويجيد تقريره وفي النحو ويدريه، وفي الأصلين. وقد حبس مدة لانكاره شد الرحال إلى قبر الخليل، وتصدر للاشتغال ونشر العلم.

وقال ابن رجب: قد امتحن وأوذي مرات، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفرداً عنه إلى ما بعد موت الشيخ، وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ففتح عليه من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط بذلك على الكلام في علوم أهل المعارف، والدخول في غوامضهم، وتصانيفه ممتلئة بذلك، وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه. ولازمت[1] مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وسمعت عليه قصيدته الطويلة في السنة[2]، وأشياء من تصانيفه، وغيرها، وأخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه، وإلى أن مات، وانتفعوا به، وكان الفضلاء يعظمونه، ويتتلمذون له. كابن عبد الهادي وغيره.

(وقال القاضي برهان الدين): ودرس بالصدرية، وأمّ بالجوزية مدة طويلة، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة.

---

(١) القائل ابن رجب الحنبلي.

(٢) وهي «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية».

وصنف تصانيف كثيرة جداً في أنواع العلوم، وكان شديد المحبة للعلم، وكتابته، ومطالعته، وتصنيفه، واقتنى من الكتب ما لا يحصل لغيره.

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير: كان ملازماً للاشتغال ليلاً ونهاراً، كثير الصلاة والتلاوة، حسن الخلق، كثير التودد، لا يحسد ولا يحقد، ثم قال: لا أعرف في زماننا أكثر عبادة منه، فكان يطيل الصلاة جداً، ويمد ركوعها وسجودها... إلى أن قال: وكان يقصد للافتاء بمسألة الطلاق، حتى جرى له بسببها ما يطول بسطه مع ابن السبكي وغيره، وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار، ويقول: هذه غذاي لو لم أقعدها سقطت قواي.

قلت: وهذا أيضاً مذكور عن شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. وكان يجمع الكتب كثيراً حتى كان أولاده يبيعون بعد موته منها دهراً طويلاً سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم.

وقال ابن حجر[1]: كان جريء الجنان، واسع العلم، عارفاً بالخلاف، ومذاهب السلف، وغلب عليه حب ابن تيمية، حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ذلك، وهو الذي هذب كتبه، ونشر علمه، وكان له حظ عند الامراء المصريين، واعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أُهين، وطيف به على (جمل) مضروباً بالدرة، فلما مات أفرج عنه، وامتحن مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية، وكان ينال من علماء عصره، وينالون منه، كذا قال[1]. فأما قوله[1]: وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ذلك، فانهما رحمهما الله كانا إمامين مجتهدين مطلقين، فكثيراً ما يتوافقان في الاجتهاد من غير أن يقصد مجرد الإنتصار لابن تيمية رحمه الله، لوضوح النص عندهما في ذلك، فرحمة الله عليهما. وقال:

---

(١) أي ابن حجر الهيتمي.

وجرت له محن مع القضاة منها في ربيع الأول طلبه السبكي بسبب فتواه بجواز المسابقة بغير محلل، وآل الأمر إلى أن رجع عما كان يفتي فيه في ذلك.

وقال السخاوي رحمه الله: العلامة الحجة، المتقدم في سعة العلم، ومعرفة الخلاف، وقوة الجنان، رئيس أصحاب ابن تيمية، بل هو حسنة من حسناته، والمجمع عليه بين المخالف والموالف، وصاحب التصانيف السائرة، والمحاسن الجمة، انتفع به الأئمة، ودرس بأماكن.

فصل في ذكر تصانيفه

قد صنَّف رحمه الله تصانيف كثيرة جداً في أَنواع العلوم. وكان شديد المحبة للعلم، فمن تصانيفه كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» أَربع مجلدات، وهو كتاب عديم النظير، وكتاب «زاد المسافرين إلى منازل السعداء في هدي خاتم الأنبياء» مجلد، كتاب «تهذيب سنن أَبي داود» وإيضاح مشكلاته والكلام على ما فيه من الأحاديث المعلولة، كتاب «مراحل السائرين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»[1] مجلدان، وهو كتاب جليل القدر، كتاب «عقد محكم الأحباء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع إلى رب السماء» مجلد ضخم، كتاب «شرح أسماء الكتاب العزيز» مجلد ضخم، كتاب «جلاء الأفهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الأنام» وبيان حديثها وعللها مجلد، كتاب «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» كتاب «التعليق على الأحكام» كتاب «بيان الدليل على استغناء المسابقة على التحليل» كتاب «نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول» مجلد، كتاب «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» مجلد، كتاب «الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة» كتاب «اعلام الموقعين عن رب العالمين» ثلاث مجلدات، وهو كتاب عظيم النفع، كتاب «بدائع الفوائد» غالبها مسائل نحوية، وهو كتاب عجيب، كتاب «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجيه» وهو القصيدة النونية، كتاب «إغاثة اللهفان في مكائد الشيطان» وهو

---

(١) وهو المعروف بـ «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد واياك نستعين».

كتاب عجيب بديع، كتاب «إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان» كتاب «تحفة الودود في أحكام المولود» مجلد، كتاب «نزهة المشتاقين وروضة المحبين» مجلد، كتاب «الصلاة» مجلد، كتاب «رفع اليدين في الصلاة» مجلد، كتاب «الداء والدواء» مجلد، كتاب «مفتاح دار السعادة» مجلد ضخم، كتاب «اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو الفرقة الجهمية» كتاب «نكاح المحرم» مجلد، كتاب «تفضيل مكة على المدينة» مجلد، كتاب «الكبائر» مجلد، كتاب «حكم تارك الصلاة» مجلد، كتاب «نور المؤمن وحياته» مجلد «جوابات عابدي الصلبان وأن ما هم عليه دين الشيطان» كتاب «بطلان الكيماء من أربعين وجهاً» كتاب «حكم إغمام هلال رمضان» كتاب «التحريم فيما يحل ويحرم من لباس الحرير» كتاب «الفرق بين الخلة والمحبة» ومناظرة الخليل لقومه، مجلد «الوابل الصيب في الكلم الطيب» مجلد لطيف، كتاب «التحفة المكية» كتاب «الفتح القدسي» كتاب «شرح الأسماء الحسنى» كتاب «أمثال القرآن» كتاب «أقسام القرآن» مجلد، كتاب «الطاعون» مجلد لطيف، كتاب «الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم» مجلدان كتاب «المسائل الطرابلسية» ثلاث مجلدات، كتاب «القدر» مجلد، كتاب «الطرق الحكمية» مجلد «تفسير الفاتحة» «الرسالة الحلبية في الطريقة المحمدية» «معاني الأدوات والحروف» هذا ما ذكر ابن رجب، وابن حجر، والسيوطي، وزدت غير ذلك، وله رحمه الله تصانيف أخر غير ما ذكروا.

وله رحمه الله نظم كثير، فمن ذلك قوله:

بني أبي بكر كثير ذنوبه   فليس على ما نال من عرضه إثم
بني أبي بكر غدا متصدراً   يعلم علماً وهو ليس له علم
بني أبي بكر جهول بنفسه   جهول بأمر الله أنى له العلم
بني أبي بكر يروم ترقياً   إلى جنة المأوى وليس له عزم
بني أبي بكر لقد خاب سعيه   إذا لم يكن في الصالحات له سهم
بني أبي بكر كما قال ربه   هلوع كنود وصفه الجهل والظلم

بني أبي بكر وأمثاله غدت بفتواهم هذي الخليقة تأتم
وليس لهم في العلم باع ولا التقى ولا الزهد والدنيا لديهم هي الهم
بني أبي بكر يرى الغنم في الذي يزول ويفنى والذي تركه غنم
بني أبي بكر غدا متمنياً وصال المعالي والذنوب له هم

وأَنشد رحمه الله في «شرح المنازل»[1] والظاهر أنها له رحمة الله عليه تعالى ورضوانه.

فيا حسرات ما إلى رد مثلها سبيل ولو ردت لهان التحسر
هي الشهوات اللائي كانت تحولت إلى حسرات حين عز التصبر
فلو أنها ردت بصبر وقوة تحولت اللذات وذو اللب يبصر

وقال أيضاً:

لولا التعلل بالرجا لتعطلت نفس المحب صبابة وتشوقا
ولقد يكاد يذهب منه قلبه مما يقاسي حسرة وتحرقا
حتى إذا روح الرجاء أصابه سكن الحريق إذا تعلل باللقا

وقال أيضاً:

فما كل عين بالحبيب قريرة ولا كل من نودي يجيب المناديا
ومن لا يجب داعي هداك فخله يجب كل من أضحى إلى الغي داعيا
وقل للعيون العشي إياك أن تري سنا الشمس فاستغشي ظلام اللياليا
وسامح نفوساً لم تحبها لحبهم ودعها وما اختارت ولا تك جافيا
وقل للذي قد غاب يكفي عقوبة مغيبك عن ذا الشأن لو كنت داعيا
ووالله لو أَضحى نصيبك وافراً رجمت عدواً حاسداً لك قاليا
فيا محنة الحسناء تهدى إلى امرىء ضرير وعنين من الوجد خاليا
إذا ظلمة الليل انجلت بضيائها تعود لعينيه ظلام كما هيا

---

(١) هو منازل السائرين «ومتنه للامام الهروي».

فضن بها أن كنت تعرف قدرها ... إلى أن ترى كفءاً أتاك مواتيا
وأدلج ولا تخش الظلام فإنه ... سيكفيك وجه الحب في الليل هاديا
وعدها بروح الوصل تعطيك سيرها ... كما شئت واستبق العظام البواليا
وأقدم فإما منية أو منيه ... تريحك من عيش به لست راضيا
فما ثم إلا الوصل أو تلف بها ... وحسبك فوزاً ذاك أن كنت واعيا
أما سئمت من عيشها نفس واله ... تبيت بنار البعد تلقى المكاويا
أما موته فيهم حياة وذلة ... هو العز والتوفيق ما زال غاليا

وله رحمه الله من قصيدة

يا راميا بسهام اللحظ مجتهداً ... أنت القتيل بما ترمي فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له ... توقه إنه يرتد بالعطب
ترجو الشفاء بأحداق بها مرض ... فهل سمعت ببرء جاء من عطب
وواهباً عمره في مثل ذا سفهاً ... لو كنت تعرف قدر العمر لم تهب
غبنت والله غبناً فاحشاً فلو اسـ ... ـترجعت ذا العقد لم تغبن ولم تخب
كم ذا التخلف والدنيا قد ارتحلت ... ورسل ربك قد وافتك في الطلب
وأسر في غمرات الليل مهتدياً ... بنفحة الطيب لا بالنار والحطب
وعاد كل أخي جبن ومعجزة ... وحارب النفس لا تلقيك في الحرب
وخذ لنفسك نوراً تستضيء به ... يوم اقتسام (ضيا) الأنوار بالرتب
فالجسر ذو ظلمات ليس تقطعه ... إلا بنور ينجي العبد من كرب

وله رحمه الله غير ذلك.

فصل في ذكر وفاته رحمة الله تعالى عليه ورضوانه.

توفي رحمه الله تعالى وقت عشاء الآخرة ليلة الخميس ثالث عشر رجب سنة ٧٥١ إحدى وخمسين وسبعمائة، وصلي عليه من الغد بالجامع (الأموي)

عقب الظهر، ثم بجامع جراح، ودفن بمقبرة باب الصغير[1]، وشيعه خلق كثير، ورويت له منامات حسنة كثيرة رضي الله عنه. وكان قد رأى قبل موته شيخه الشيخ تقي الدين رحمه الله في النوم، فسأله عن منزلته، فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر، ثم قال له: وأنت كدت تلحق بنا، لكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة رحمه الله، وهذا ما تيسر جمعه من ترجمة هذا الحبر الإمام، أحد أئمة الاسلام، ومصابيح الظلام، وأتباع خاتم الرسل الكرام، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

---

(١) وقبره على يسار الداخل للمقبرة من بابها الأول تجاه المدرسة الصابونية. وقد أُدخل مقدار ثلاثة أمتار في التوسعة الأخيرة للباب.

[illegible]

أمـا مـوتـه فـيـهـم حـيـاة وذلـة [illegible]

ولـه رحمه الله من قصيدة

يـا راميـا بسهـام اللحظ مجتهـدا
أنت القتيـل بما تـرمي فـلا تصب

وبـاعث الـطرف يـرتـاد الشفـاء لـه
تـوقـه إنـه يـرتـد بـالـعـطب

تـرجو الشفـاء بـأحداق بهـا مـرض
فهـل سـمعت بـبرء جـاء من عطب

وواهبـاً عمـره في مثـل ذا سفهـا
لـو كنت تعرف قـدر العمر لم تهب

غبنت والله غبـنـاً فـاحشـاً فلو اسـ
ـترجعت ذا العقـد لم تغبن ولم تخب

كم ذا التخلف والـدنيـا قـد ارتحلت
ورسـل ربك قـد وافتك في الـطلب

وأسـر في غمـرات الليـل مهتـديـا
بنفحـة الـطيب لا بـالنـار والحـطب

وعـاد كـل أخي جبن ومعـجـزة
وحـارب النفس لا تلقيك في الحرب

وخـذ لنفسك نـورا تستضيء بـه
يـوم اقتسام (ضيـا) الأنـوار بـالرتب

فـالجسـر ذو ظلمـات ليس تقطعـه
إلا بنـور ينجي العبـد من كـرب

ولـه رحمه الله غير ذلك.

فصل في ذكر وفاته رحمة الله تعالى عليه ورضوانه

توفي رحمه الله تعالى وقت عشاء الآخرة ليلة الخميس ثالث عشر رجب سنة ٧٥١ إحدى وخمسين وسبعمائة، وصلي عليه من الغد بالجامع [illegible]

ترجمة الشارح

بقلم العلامة الشيخ محمد بن مانع

هو الشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى، من أهالي شقر من بلاد الوشم. ولد هناك، وتلقى العلم عن أكابر مشايخ عصره، كالعلامة الشيخ عبد الرحمن ابن حسن، وابنه الشيخ عبد اللطيف، والشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبي بطين، وغيرهم، ثم إنه ارتحل إلى الحجاز وسكن مكة المكرمة، وجعل يتعاطى التجارة بين جدة ومكة، واتصل بالشيخ عبد القادر التلمساني، وقد كان أشعرياً، فما زال يناظره حتى التحق بمذهب أهل السنة، ودخل فيه على علم ومعرفة وبصيرة، وصار داعياً إلى مذهب السلف، وممن استجاب لدعوة التلمساني السلفي الشهير الشيخ محمد نصيف العالم المشهور، ولم يزل هذان الرجلان يدعوان إلى مذهب أهل الحق، ويردان على أهل الباطل، حتى انتشر بهما مذهب أَهل السنة، وقد طبعا عدة كتب في ذلك، ولما كانت قصيدة الإمام ابن القيم من أجمع كتب أهل السنة والجماعة في بيان الأقوال والمذاهب في النحل والعقائد، وتأييد مذهب السلف الصالح والرد على أهل المذاهب الباطلة، ولكنها لطولها وغزارة علمها لم يسبق لها شرح يفيد المطلعين عليها، وقد كتب أحد علماء نجد إلى العلامة الشيخ صديق لعله يشرحها، ولكنه لم يفعل، وقد تصدى لشرحها العلامة الشيخ أحمد بن عيسى بشرح بيّن فيه مقاصدها، ووضح فيه قواعدها، وله غيره من المؤلفات، مما هو معروف مشهور، وقد اتصل بالشريف عون الرفيق، وصارت له عنده كلمة مسموعة، لذلك أشار عليه بهدم القبور المبنية على معصية الله، فهدمت بمكة، وجدة،

والطائف، ولم يزل على سيرته السلفية، وطريقته المحمدية إلى أن توفاه الله سنة ١٣٢٩هـ بالمجمعة، وكنت إذ ذاك في عنيزة، وصلينا عليه بعد صلاة الجمعة صلاة الغائب رحمه الله تعالى.

شرح
قصيدة الإمام ابن القيّم

والطائف، ولم يزل على سيرته السلفية، وطريقته المحمدية إلى أن توفاه الله سنة ١٣٢٩هـ بالمجمعة، وكنت إذ ذاك في عنيزة، وصلينا عليه بعد صلاة الجمعة صلاة الغائب رحمه الله تعالى.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَبِهِ نَسۡتَعِينُ

رب يسر وأعن يا كريم

حمداً لك اللهم على ما منحت من الإلهام ، وفتحت من الأفهام ، وأزحت من الشكوك والأوهام ، ولطفت بنا في ركوب أعناق الكلام عن موجبات التوبيخ والملام ، وأوردتنا من مناهل كتابك الهدى وسنة رسولك المصطفى منهلاً يشفي الأوام ويبرىء العلل والأسقام ، وأوضحت لنا في ظلمات الفلسفة نوراً نستضيء به في حنادس ذلك الظلام ، وحفظتنا من خيالات المتصوفة ، وشطحاتهم الفظيعة ودعاويهم الطويلة العريضة التي هي كسراب بقيعة ، فعياذاً بك اللهم من تلك المقالات ، ولياذاً بك يامن لا نأمن تلك الضلالات التي هي رمد جفن الدين ، وكمد نفوس المهتدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة يمسي بها العمل الصالح مرفوعاً ، ويضحي بها الزلل الفاضح موضوعاً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله إلى الحق هادياً ، وبشيراً ، ونزل عليه الفرقان ، ليكون للعالمين نذيراً . فهداهم به إلى الحق ، وهم في ضلال مبين ، وسلك بهم مسلك الهداية حتى أتاهم اليقين ، ﷺ وعلى آله البررة ، وصحبه الخيره ، مصابيح الأمم ، ومفاتيح الكرم ، وخلفاء الدين ، وحلفاء اليقين ، الذين بلغوا من محاسن الفضائل الغاية ، ووصلوا من مكارم الفواضل نهاية النهاية ، وعلى من تبعهم بإحسان ، صلاة وسلاماً دائمين ماتناوب النيران ، وتعاقب الملوان[1] .

وبعد فإن المنظومة المشهورة في الطريقة السنية ، والعقيدة الحنيفية ،

---

(١) الملوان : الليل والنهار .

المسماة بـ « الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية » لم ينسج ناسج على منوالها ، ولم تسمح الدهور بشكلها وامثالها ، نظم الشيخ الإمام ، والعمدة القدوة الهمام ، شيخ الإسلام والمسلمين ، القائم ببيان الحق ، وناصر الدين ، العابد الناسك ، الورع الزاهد ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد المعروف بـ: ابن قيم الجوزية ، أسكنه الله الغرف العلية ، ولكنها من عهد مؤلفها ، وهي عروس لم يمط لثامها ، وخود بكر لم يفتض ختامها ، وليس يخفى ما تضمنته من أصول الفصول ، واشتملت عليه من قواعـــد العقائد التي هي الحاصل والمحصول ، واحتوت عليه من الرد على أهل البدع والضلالة ، والاقوال الباطلة المحالة ، والمحدثات المضلة المخذولة ، والخزعبيلات المرذولة ، كالوجودية والجهمية ، والمعتزلة والرافضة ، والحرورية والكلابية ، والمرجئة والمجبرة ، وغيرهم من هل الضلالات ، والاقوال المحالات ، وقمع أباطيلهم ، وردع أضاليلهم بالحجج الظاهرة ، والبراهين الباهرة من صحيح المنقول ، وصريح المعقول .

وموضوعها : المحاكمة بين الطوائف ، واثبات صفات البارىء سبحانه على رغم كل مخالف ، ولما كنت قد نبغت في هذه الفنون قديماً ، وصبغت بها أديماً ، وكنت للكتب وأرباب العلوم سميراً ونديماً ، وبرعت في تلك العلوم ، وكرعت من رحيقها المختوم ؛ عن لي أن أضع عليها شرحاً ، يفتح مغلقها ، ويقيد مطلقها ، ويكحل جفونها ، ويسهل حزونها ، وذلك مع تراكم الاشغال ، وتبلبل الافكار والبال ، وعدم معين في هـــذه الأمور الثقال ، ونزارة من يستدل به في مثل هذه المطالب العالية التي تقصر فيها الخطا ، ويتيه في مطاويها القطا ، وعدم شرح لها يستضاء بنبراسه في دياجي المشكلات ، ويبنى على أساسه في الأمور المعضلات . ومع ذلك فإن تحرير هذا الشرح في حال غيبتي عن كتبي التي هي رأس مالي وعيابي إلا أن الله

سبحانه بفضله أعان ، وأمد بأسباب لم تخطر على الأذهان [١] .

فدونك شرحاً يشرح الصدور ، وتضيء من غضونه شموس وبدور ، وتتحلى بجواهره اللبات والنحور ، فهو كتاب جمع فأوعى ، وحوى من كل شيء جنساً ونوعاً ، ومع ذلك لم أوثر الإطالة خوفاً من السآمة والملالة ، وهذا حين الشروع في المقصود مستعيناً بالملك المعبود فأقول وبالله أحول وأصول .

فصل في ترجمة الناظم

في ذكر ترجمة الناظم رحمه الله تعالى : هو العلامة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ، ثم الدمشقي ، الفقيه المفسر النحوي الأصولي المتكلم الشهير بـ : ابن قيم الجوزية . قال في «الشذرات» بل هو المجتهد المطلق . قال الحافظ ابن رجب في « طبقات الحنابلة » في ترجمته : ولد شيخنا سنة ٦٩١ ، ولازم الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وأخذ عنه ، وتفنن في كافة علوم الإسلام ، وكان عارفاً في التفسير لايجارى فيه ، وبأصول الدين ، واليه المنتهى فيها ، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه ، لا يلحق في ذلك ، وبالفقه والأصول والعربية ، وله فيها اليد الطولى ، وبعلم الكلام والتصوف ، وحبس مدة لإنكار شد الرحيل إلى قبر الخليل ، وكان ذا عبادة وتهجد ، وطول صلاة إلى الغاية القصوى ، لم أشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الايمان وليس هو بالمعصوم ، ولكن لم أر في معناه مثله . وقد امتحن وأوذي مرات ، وحبس مع شيخه شيخ

---

(١) قال استاذنا ابن مانع : هذا تعديل لنفسه وتزكية لها سبقه إلى نفس هذا اللفظ صاحب « القاموس »

الإسلام تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفرداً عنه ، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ ، وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر ، ففتح عليه من ذلك خير كثير ، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف ، والخوض في غوامضهم ، وتصانيفه ممتلئة بذلك ، وحج مرات كثيرة ، وجاور بمكة ، وكان أهل مكة يتعجبون من كثرة طوافه وعبادته ، وسمعت عليه قصيدته النونية في السنة ، وأشياء من تصانيفه غيرها وأخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه وإلى أن مات ، وانتفعوا به . قال القاضي برهان الدين الزرعي : ماتحت أديم السماء أوسع علماً منه [١]. ودرس بالصدرية ، وأم بالجوزية ، وكتب بخطه مالا يوصف كثرة ، وصنف تصانيف كثيرة جداً في انواع العلوم ، وحصل له من الكتب ما لم يحصل لغيره .

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير في « تاريخه » محمد بن أبي بكر ابن أيوب الزرعي إمام الجوزية وابن قيمها ، سمع الحديث ، واشتغل بالعلم ، فبرع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير والحديث ، والأصلين . ولما عاد الشيخ تقي الدين من الديار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة لازمه إلى أن مات ، فأخذ عنه علماً جماً مع ما سلف له من الاشتغال ، فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً و كثرة الصلوات والابتهال . وكان حسن القراءة والخلق مع كثرة التودد ، لا يحسد أحداً ، ولا يؤذيه ولا يستغيبه ، ولا يحقد على أحد ، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير ، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً ، واقتنى من الكتب مالا يتهيأ لغيره ، تحصيل عشره من كتب السلف والخلف ، وبالجملة فقد كان قليل النظير بل عديم النظير ، في مجموعه وأموره وأحواله ، والغالب عليه

---

(١) الظاهر أن هذا من الغلو الذي لايرضى به ابن القيم . « ابن مانع »

الخير ، والأخلاق الصالحة ، وكان متصدياً للافتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وجرت له بسببها فصول يطول شرحها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره . وقد كانت جنازته حافلة ، وشهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة ، وتزاحم الناس على نعشه ، وكمل له من العمر ستون سنة رحمه الله تعالى . وقال : غيره في ترجمته ولد في سنة ٦٩١ ، وسمع على جماعة كثيرين مثل سليمان ابن حمزة الحاكم ، وابي بكر ابن عبد الدائم ، وعيسى المطعم وأبي نصر محمد بن كمال الدين الشيرازي وابن مكتوم والبهاء بن عساكر ، وعلاء الدين الكندي الوداعي ، ومحمد بن أبي الفتح البعلي ، ثم قرأ على الشيخ مجد الدين التونسي قطعة من «المغرب» .

وأما الفقه فأخذه عن جماعة منهم الشيخ اسماعيل بن محمد الحراني قرأ عليه « مختصر » أبي القاسم الخرقي « والمقنع » لابن قدامة ومنهم ابن أبي الفتح البعلي ، ومنهم الشيخ الامام العلامة تقي الدين بن تيمية قرأ عليه قطعة من « المحرر » تأليف جده وأخوه الشيخ شرف الدين ، وأخذ الفرائض أولاً عن والده ، ثم على الشيخ تقي الدين بن تيمية .

وأما الأصول فأخذها عن جماعة منهم الشيخ صفي الدين الهندي ، واسماعيل بن محمد قرأ عليه أكثر « الروضة » لابن قدامة ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية قرأ عليه قطعة من «المحصول» ومن كتاب « الإحكام » للسيف الآمدي . وقرأ أصول الدين على الشيخ صفي الدين الهندي مثل « الأربعين » و «المحصل» وقرأ على شيخ الاسلام ابن تيمية كثيراً من تصانيفه ، واشتغل كثيراً ، وناظر واجتهد ، وأكب على الطلب وصنف ، وصار من الأئمة الكبار في علم التفسير والحديث والأصول فقهاً وكلاماً والفروع ، ولم يخلف الشيخ تقي الدين بن تيمية مثله .

ومن مصنفاته: «تهذيب سنن ابي داود» وايضاح مشكلاته، والكلام على مافيه من الاحاديث المعلولة مجلد. كتاب «سفر الهجرتين وباب السعادتين» مجلد ضخم. كتاب «مراحل السائرين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين[١]» مجلدان وهو شرح «منازل السائرين» لشيخ الاسلام الأنصاري كتاب جليل القدر. كتاب «عقد محكم الإخاء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع الى رب السماء» مجلد ضخم. كتاب «شرح اسماء الكتاب العزيز» مجلد. كتاب «زاد المسافرين الى منازل السعداء في هدي خاتم الانبياء» كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» أربع مجلدات وهو كتاب عظيم جداً. كتاب «جلاء الأفهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الانام» وبيان أحاديثها وعللها مجلد كتاب «بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل» كتاب «نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول» مجلد. كتاب «اعلام الموقعين عن رب العالمين» ثلاث مجلدات. كتاب «بدائع الفوائد» مجلدان «الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية» وهي القصيدة النونية في السنة مجلد. كتاب «الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة» في مجلدات. كتاب «حادي الأرواح الى بلاد الافراح» وهو كتاب صفة الجنة مجلد كتاب «نزهة المشتاقين وروضة المحبين» مجلد كتاب «الداء والدواء» مجلد. كتاب «تحفة المودود في احكام المولود» مجلد. كتاب «مفتاح دار السعادة» مجلد ضخم. كتاب «اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو الفرقة الجهمية» مجلد «رفع اليدين في الصلاة» مجلد «نكاح المحرم» مجلد «تفضيل مكة على المدينة» مجلد «فضل العلم» مجلد «عدة الصابرين» مجلد كتاب «الكبائر» مجلد «حكم تارك الصلاة» مجلد. كتاب «نور المؤمن وحياته» مجلد كتاب «إغمام هلال رمضان» «التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير» «جوابات عابدي الصلبان وأن ماهم عليه من دين

---

(١) المشهور بين العلماء أن اسمه «مدارج السالكين».

الشيطان» «بطلان الكيمياء من اربعين وجهاً» مجلد «الفرق بين الخلة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه» مجلد «الكلم الطيب والعمل الصالح» مجلد لطيف «الفتح القدسي» «التحفة المكية» كتاب «امثال القرآن» «شرح الأسماء الحسنى» «أيمان القرآن» «المسائل الطرابلسية» ثلاث مجلدات «الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم» مجلدان. كتاب «الطاعون» مجلد لطيف. توفي رحمه الله تعالى وقت عشاء الآخرة ليلة الخميس ثالث عشرين رجب سنة احدى وخمسين وسبعمائة، وصلي عليه من الغد بالجامع عقب الظهر، ثم بجامع جراح، ودفن بمقبرة الباب الصغير، وشيعه خلق كثير، ورويت له منامات كثيرة حسنة رضي الله عنه. وكان قد رأى قبل موته بمدة الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى في النوم، وسأله عن منزلته فاشار الى علوها فوق بعض الأكابر، ثم قال: وانت كدت تلحق بنا، ولكن انت الآن في طبقة ابن خزيمة.

ثم قال ابن رجب: قرىء على شيخنا الامام العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب وانا أسمع هذه القصيدة من نظمه في أول كتاب صفة الجنة وذكر بعض الميمية المشهورة. وقال الحافظ السخاوي في حقه: العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم، ومعرفة الخلاف، وقوة الجنان، المجمع عليه بين الموافق والمخالف، وصاحب التصانيف السائرة، والمحاسن الجمة.

قوله بسم الله الرحمن الرحيم :

ابتدأ الناظم رحمه الله تعالى بـ« بسم الله الرحمن الرحيم » اقتداء بالكتاب العزيز وتأسيا بالنبي ، ﷺ ؛ في مكاتباته للملوك وغيرهم . وامتثالا لقوله ﷺ « كل أمر ذي بال لايبدأ فيه بـ : بسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع » رواه عبد القادر الرهاوي في « الاربعين البلدانية » و كذا الخطيب من حديث ابي هريرة رضي الله عنه [١]. ومعنى ذي بال ، أي : حال شريف يحتفل له ، ويهتم به ، وبين يدي كل الامور المهمة ،

وقوله : اقطع أي : ناقص البركة ، وقد يكون غير معتد به وروى أبو داود من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ ، « كل كلام لايبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم » اسناده صحيح [٢].

تنبيه : اختلف العلماء فيما اذا كان الكتاب كله شعرا فجاء عن الشعبي رحمه الله منع ذلك ، وعن الزهري رحمه الله قال : مضت السنة أن لايكتب في الشعر « بسم الله الرحمن الرحيم » وعن سعيد بن جبير رحمه الله : جواز ذلك ، وتابعه على ذلك الجمهور .

---

(١) قال النووي في « الاذكار » بعد سياق هذا الحديث روينا هذه الالفاظ في الاربعين للرهاوي وهو حديث حسن وقد روي موصولا ومرسلا ، قال: ورواية الموصول جيدة الاسناد.

(٢) قال السندي : قد حسن هذا الحديث ابن الصلاح والنووي وقال ابن حجر: اختلف في وصله وارساله ورجح الدارقطني ارساله . واخرجه ابن ماجه والحاكم وابن حبان . ورجال اسناده ثقات سوى قرة بن عبد الرحمن فان الحافظ قال عنه في « التقريب » : صدوق له مناكير .

وقال الخطيب : وهو المختار انتهى . ولا سيما ان كان المنظوم من نفائس العلوم . قال بعض العلماء : الراجح عند الجمهور طلب البسملة في ابتداء الشعر مالم يكن محرماً او مكروهاً ، قال : واما ماتعلق بالعلوم فمحل اتفاق .

قوله : بسم الله ؛ اي : باسم مسمى هذا اللفظ الاعظم ، الموصوف بأوصاف الكمال ، فالباء متعلقة بمحذوف ، وتقديره فعلاً خاصاً مؤخراً أولى من تقديره اسماً عاماً متقدماً أما أولوية كونه فعلا فلأنه الاصل في العمل وحينئذ فمحل الجار والمجرور النصب على المفعولية بالفعل المقدر واما أولوية كونه خاصاً فلأنه أدل على المطلوب فتقدير أ ألف عند التأليف أولى من ابتدائي ، وكذا عند القراءة ، ونحو ذلك ، فيقدر عند كل أمر ماينا سبه . واما أولوية تقديره مؤخراً فلأمرين أحدهما : الاهتمام بالابتداء باسم الله تعالى لفظاً وتقديراً ، لانه تعالى يقدم ذاتاً فقدم ذكراً ، ليوافق الاسم المسمى .

والثاني : لافادة التخصيص ، كما في قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) . لايقال : الاولى ملاحظة قوله تعالى (اقرأ باسم ربك) لانا نقول : المطلوب الأهم ، ثم القراءة ، لانها أول مانزل عليه ﷺ واول ماطرق المسامع الشريفة من الوحي ، فكان الانسب تقديم القراءة لمزيد الاعتناء بها والاهتمام والله أعلم .

فائدة : الاسم في المخلوق غير المسمى وفي حق الخالق تعالى لا غير ولا عين[1] . قال الامام المحقق ناظم هذه المنظومة في كتابه « بدائع الفوائد » : اسماء الله الحسنى في القرآن من كلامه تعالى ، وكلامه غير مخلوق ولايقال : هي غيره ، ولا هي هو . وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون : اسماؤه غيره وهي مخلوقة انتهى .

و« الله » علم على ربنا سبحانه . قال الكسائي والفراء : أصله الاله حذفوا

---

(١) قوله : لا غير ولا عين يخالف ما استدل به من كلام ابن القيم حيث قال : لا يقال : هي غيره ولا هي هو . « ابن مانع »

الهمزة وادغموا اللام فصارتا لاماً واحدة مشددة مفخمة . قال الناظم في «بدائع الفوائد» زعم السهيلي وشيخه ابن العربي أن اسم الله غير مشتق ، لان الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها ، واسمه سبحانه قديم لا مادة له ، فيستحيل الاشتقاق . ولا ريب أنه ان اريد بالاشتقاق هـذا المعنى فهو باطل ، ولكن من قال بالاشتقاق لم يرد هذا المعنى ، ولا ألم بقلبه ، وانما اراد انه دال على صفة له تعالى وهي الالهية كسائر أسمائه الحسنى من العليم والقدير فانها مشتقة من مصادرها بلا ريب ، وهي قديمة ، والقديم لا مادة له ، فما كان جوابكم عن هذه الاسماء كان جواب من قال بالاشتقاق في الله تعالى ، ثم الجواب عن الجميع أنا لا نعني بالاشتقاق الا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله ، وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلاً وفرعاً ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر ، وانما هو باعتبار أن احدهما متضمن للآخر وزيادة ، فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاقاً مادياً ، وانما هو اشتقاق تلازم يسمى المتضمن فيه بالكسر مشتقاً ، والمتضمن بالفتح مشتقاً منه ، ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى . انتهى . وقال أبو جعفر بن جرير : «الله» أصله الاله أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم ، واللام الزائدة ، وهي ساكنة فأدغمت في الاخرى فصارتا في اللفظ لاماً واحدة مشددة . انتهى .

وأما تأويل الله فانه على ماروي لنا عن عبد الله بن عباس قال : هوالذي يألهه كل شيء ، ويعبده كل خلق ، وساق بسنده عن الضحاك عن عبد الله ابن عباس قال : الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين . فان قال لنا قائل وما دل على أن الألوهية هي العبادة ، وأن الإله هو المعبود ، وأن له

أصلاً في فعل ويفعل وذكر بيت رؤبة بن العجاج

لله در الغانيات المده　　سبحن واسترجعن من تاله

يعني من تعبدي، وطلبي الله بعملي[١] . ولا شك أن التأله التفعل من أله يأله وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بـ فعل يفعل بغير زيادة . وذلك ماحدثنا به سفيان بن وكيع وساق السند إلى ابن عباس أنه قرأ (ويذرك وإلاهتك) الاعراف ١٢٧ قال : عبادتك ويقول: إنه كان يعبد ولا يعبد ، وذكر مثله عن مجاهد فقد تبين قول ابن عباس ومجاهد أن أله عبد ، وأن الإلهة مصدره ، وساق حديثاً عن أبي سعيد مرفوعاً أن عيسى أسلمته أمه الى الكتاب ليعلمه فقال المعلم : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال عيسى : أتدري ما الله؟ الله إله الآلهة .

الرحمن الرحيم

اسمان مشتقان من رحم بجعله لازماً بنقله الى باب فعل بضم العين ، وبتنزيله منزلة اللازم ، إذ هما صفتان مشبهتان ، وهي لا تشتق من متعد . والرحمن أبلغ من الرحيم ، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالباً ، كما في قطع وقطّع ، ومن غير الغالب قد يفيد ناقص البناء ما لا يفيد زائده من المبالغة كحذر وحاذر ، فان « حذر » أبلغ من « حاذر » . فالرحمن صفة في الأصل بمعنى كثير الرحمة جداً ، ثم غلب على البالغ في الرحمة غايتها ، وهو الله ، والرحيم ذو الرحمة الكثيرة .

قال الناظم في « بدائع الفوائد » : أسماء الرب تعالى أسماء ونعوت فانها دالة على صفات كماله ، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية ، فالرحمن اسمه

---

(١) في الأصل وطلب الله بعمل .

تعالى ووصفه لا ينافي اسميته ووصفيته، فمن حيث هو صفة جرى تابعاً على اسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع، يعني كقوله تعالى (الرحمن علم القرآن) الرحمن: ١ (الرحمن على العرش استوى) طه ٥: (أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) الملك: ٢٠ وهذا شأن الاسم العلم. ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى حسن مجيئه منفرداً غير تابع كمجيء اسمه الله كذلك، وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمن كاسم الله فإنه دال على صفة الألوهية ولم يجيء قط تابعاً لغيره بل متبوعاً، بخلاف العليم والقدير، والسميع والبصير، ولهذا لا تجيء هذه ونحوها مفردة بل تابعة.

قال رحمه الله: وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى بديع، وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، وكأن الأول الوصف، والثاني الفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، أي: صفة ذات له سبحانه، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته؛ أي: صفة فعل له سبحانه، فإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى (وكان بالمؤمنين رحيما) الأحزاب: ٤٣ (إنه بهم رؤوف رحيم) سورة التوبة: ١١٧ ولم يجيء قط رحمن بهم فعلمت أن رحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته. قال رحمه الله: وهذه النكتة لا تكاد تجدها في كتاب، وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم تنجل لك صورتها. انتهى.

ورحمة الله تعالى جل شأنه، وتعالى سلطانه صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضي التفضل والإنعام. وأما تفسيرها برقة في القلب، تقتضي التفضل فالتفضل غايتها، فيراد منها غايتها، كما يقوله من يقوله من المتكلمة كالزمخشري في «كشافه» وغيره من النظار فهذا إنما يليق برحمة المخلوق لا برحمة الخالق تعالى وتقدس، وبينهما بون، ونظير ذلك «العلم» فإن حقيقة علمه تعالى القائمة به ليست مثل الحقيقة القائمة بالمخلوق، بل نفس الارادة التي يرد بعضهم الرحمة

إنما هي في حقه تعالى مخالفة لارادة المخلوق ، إذ هي في المخلوق ميل القلب إلى الفعل أو الترك ، والله منزه عن ذلك. وكذلك رد الزمخشري لها في حقه تعالى إلى الفعل بمعنى الانعام والتفضل ، فإن فعل العبد الاختياري إنما يكون لجلب نفع للفاعل ، أو دفع ضرر عنه ؛ ولا كذلك فعله تعالى ، فما فر منه أهل التأويل موجود في ما فروا إليه من المحذور ، وبهذا ظهر أنه لا حاجة إلى دعوى المجاز في رحمته تعالى فانه خلاف الاصل ، وهو إنما يصار إليه عند تعذر حمل الكلام على الحقيقة ، ولا تعذر هنا كما لا يخفى. وأيضاً معيار المجاز صحة نفيه ، كما إذا قيل : زيد أسد أو بحر أو قمر ، لشجاعته أو كرمه أو حسنه ، فانه يصح أن تقول : زيد ليس بأسد ، أو ليس ببحر ، أو ليس بقمر ، وهذا مما لا خلاف فيه بينهم ، ولا يصح أن يقال : الله ليس برحيم ، فلو كانت الرحمة مجازاً في حقه تعالى لصح ذلك. ولا ريب أن الرحمة صفة كمال ، وسائر الكتب السماوية مملوءة بذكرها ، واطلاقها عليه تعالى ، ومن العجب أن تكون هذه الصفة العظيمة حقيقة في حق المخلوق مجاز في حق الخالق.

والحاصل أن الصفة تارة تعتبر من حيث هي هي ، وتارة تعتبر من حيث قيامها به تعالى ، وتارة من حيث قيامها بغيره تعالى ، وليست الاعتبارات متماثلة ، إذ ليس كمثله شيء لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، والكلام على الصفات فرع عن الكلام في الذات ، كما أنا نثبت ذاتاً ليست كالذوات فلنثبت رحمة ليست كرحمة المخلوق كما اشار إلى ذلك وقرره ونبه عليه وحرره الناظم في « بدائع الفوائد ».

قوله(١) : الحمد لله الذي شهدت له بربوبيته جميع مخلوقاته ، وأقرت له بالعبودية جميع مصنوعاته ، وادت له الشهادة جميع الكائنات أنه الله الذي لا إله الا هو بما أودعها من لطيف صنعه ، وبديع آياته ، وسبحان الله

(١) الشارح لم يشرح جميع ماذكر هنا من هذه الجمل العظيمة ، وذلك — والله أعلم — خوفاً من التطويل. « ابن مانع »

وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشـــه، ومداد كلماته، ولا إله إلا الله الأحد الصمد الذي لا شريك له في ربوبيته، ولا شبيه له في أفعاله، ولا في صفاته، ولا في ذاته، والله أكبر عدد ما أحاط به علمه، وجرى به قلمه، ونفذ فيه حكمه من جميع برياته، ولا حول ولا قوة إلا بالله، تفويض عبد لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، بل هو بالله وإلى الله في مبادىء أمره ونهاياته.

الحمد لغة: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل، وعرفاً: فعل ينبىء عن تعظيم المنعم على الحامد وغيره والشكر لغة: هو الحمد اصطلاحاً، وعرفاً: صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله. فبين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه يجتمعان فيما إذا كان باللسان في مقابلة نعمة، وينفرد الحمد فيما إذا كان باللسان، لا في مقابلة نعمة، وينفرد الشكر فيما إذا كان بغير اللسان في مقابلة نعمة. واختار الجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبوت على الجملة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث، لأنه مع كونه على نسق الكتاب العظيم أليق بالمقام، وتفاؤلاً بذلك. وهي وإن كانت خبرية لفظاً فهي إنشائية معنى. «وأل» في الحمد للاستغراق أو الجنس أو العهد، أي: كل الحمد مستحق، أو جنسه مختص ومملوك لله. وعلامة «أل» الاستغراقية أن يخلفها كل ونحوها. و «أل» الجنسية إذا تعقبتها لام الاختصاص كان المعنى جنس الحمد مختص ومملوك له تعالى فتفيد ما أفادته أل الاستغراقية ضمناً، وإن كانت «أل» للعهد فالمعهود ثناء الله على نفسه، وثناء ملائكته ورسله وأنبيائه وخواص خلقه، ولا نظر لغير ثنائهم. و «اللام» في لله للملك والاستحقاق أو الاختصاص. ولما ابتدأ بالبسملة ابتداء حقيقياً، وهو الاتيان بها قبل كل شيء؛ أعقبها

بالحمدلة ابتداء إضافياً ، أي : بالنسبة لما بعدها ، وهو ما يقدم على الشروع في المقصود في الذات جمعاً بين حديثي البسملة والحمدلة ، ولم يعكس لموافقة الكتاب العزيز ، فإن الصحابة افتتحوا كتابته في الإمام الكبير بالتسمية ، والحمدلة تلوها ، وتبعهم جميع من كتب المصحف بعدهم في جميع الأمصار سواء في ذلك من يقول : بأن البسملة آية ، ومن لا يقول ذلك فكان أولى .

قوله : **شهدت له بربوبيته جميع مخلوقاته الخ .**

المخلوق : هو المصنوع ومعنى شهادة المخلوقات بربوبيته سبحانه : أن العقل الصريح يقطع بأن المخلوق لا بد له من خالق ، والمصنوع لا بد له من صانع ، والحادث لا بد له من محدث لاستحالة حدوث الحادث بنفسه كما قال تعالى (أم خلقوا من غير شيءأم هم الخالقون)الطور: ٣٥ يقول سبحانه : أحدثو من غير محدث أم هم أحدثوا أنفسهم؟ ، ومعلوم أن المحدث لا يوجد بنفسه ، وطريق العلم بذلك أن يقال : الموجود إما حادث ، وإما قديم ، والحادث لا بد له من قديم فيلزم ثبوت القديم على كل حال ، وذلك أن الفقر والحاجة لكل حادث وممكن وصف لازم لهما فهي مفتقرة إليه دائماً ، حال الحدوث ، وحال البقاء ، ومن زعم من أهل الكلام أن افتقارهما إليه في حال الحدوث فقط كما يقوله من يقوله من المعتزلة وغيرهم ، أو في حال البقاء فقط كما يقوله من يقوله من المتفلسفة القائلين بمساوات العالم له وكلا القولين خطأ كما قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في « شرح عقيدة شمس الدين الأصبهاني » فالإمكان والحدوث متلازمان فكل محدث ممكن ، وكل ممكن محدث ، والفقر ملازم لهما ، فلا تزال مفتقرة إليه لا تستغني عنه لحظة عين ، وهو الصمد الذي يصمد إليه جميع المخلوقات ، ولا يصمد هو إلى شيء ، بل هو سبحانه

الغني بنفسه ، المغني لما سواه وله رحمه الله في هذا المعنى .

والفقر لي وصف ذات لازم أبداً كما الغنى أبداً وصف له ذاتي

قال ابن المعتز :

فيا عجباً كيف يعصى الالـ ـه أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة وتسكينة أبداً شاهد

وفي كل شيء آية تدل على أنه واحد

وسئل أبو نواس عن وجود الصانع فأنشد

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين ناظرات بأحداق هي الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

قوله : **وأدت له الشهادة جميع الكائنات الخ** .. في هذه البراعة الإشارة إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وسيأتي بسط الكلام على ذلك في توحيد الأنبياء والمرسلين .

قوله : الكائنات قال في « القاموس » الكون الحدث كالكينونة ، والكائنة كالحادثة وكونه الله : خلقه والله الأشياء أوجدها .

قوله : **وسبحان الله الخ**.. سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه ، وانتصابه بفعل متروك إظهاره .

قوله : **ولا حول ولا قوة الا بالله** ؛ أي : لا تحول من حال الى حال ، ولا قدرة على ذلك إلا بالله ، وقيل : لا حول عن معصية الله إلا بمعونة الله ، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله ، والمعنى الأول أجمع وأشمل .

قوله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا صاحبة له ، ولا ولد له ، ولا والد له ، ولا كفء له ، الذي هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه أحد من جميع برياته . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه ، وخيرته من بريته ، وسفيره بينه وبين عباده ، وحجته على خلقه ، أرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه ، وسراجاً منيراً ، أرسله على حين فترة من الرسل ، وطموس من السبل ، ودروس من الكتب والكفر قد اضطرمت ناره ، وتطايرت في الآفاق شراره ، وقد استوجب أهل الأرض أن يحل بهم العقاب ، وقد نظر الجبار تبارك وتعالى إليهم فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقد استند كل قوم إلى ظُلم آرائهم ، وحكموا على الله سبحانه بمقالاتهم الباطلة وأهوائهم ، وليل الكفر مدلهم ظلامه ، شديد قتامه ، وسبل الحق عافية آثارها ، مطموسة أعلامها ، ففلق الله سبحانه بمحمد ﷺ صبح الإيمان فأضاء حتى ملأ الآفاق نوراً وأطلع به شمس الرسالة في حنادس الظلم سراجاً منيراً ، فهدى الله به من الضلالة ، وعلّم به من الجهالة ، وبصّر به من العمى ، وأرشد به من الغي ، وكثّر به بعد القلة ، وأعز به بعد الذلة ، وأغنى به بعد العيلة ، واستنقذ به من الهلكة ، وفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، فبلغ الرسالة ، ودى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه ، وشرح الله له صدره ، ورفع له ذكره ، ووضع عنه وزره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، وأقسم بحياته في كتابه المبين ، وقرن اسمه باسمه ، فإذا ذكر ذكر معه ، كما في الخطب والتشهد والتأذين ، فلا يصح لأحد خطبة ولا تشهد ولا أذان ولا صلاة حتى يشهد أنه عبده ورسوله شهادة اليقين ، فصلى الله

وملائكته وأنبياؤه ورسله وجميع خلقه عليه كما عرفنا بالله ، وهدانا إليه ، وسلم تسليما كثيراً .

أي : أخبر أني قاطع بالوحدانية . قوله : وسفيره قال في « القاموس» وسفره تسفيراً : أرسله إلى السفر . قوله : وطموس من السبل. الطموس : الدروس والإمحاء، يطمس ويطمِس طمساً محوته ، والشيء استأصلت أثره، ومنه «فإذا النجوم طمست »المرسلات: ٨ قاله في «القاموس» قوله : قتامه القتام كسحاب : الغبار . قاله في « القاموس » قوله : عافية آثارها . قال في « القاموس » عفا شعر البعير : كثر وطال فغطى وبره ، وقد عفيته وأعفيته .

قوله : حنادس الظلم . قال في « القاموس الحندس بالكسر : الليل المظلم والظلمة ، جمع حنادس ، وتحندس الليل أظلم . قوله : الصغار . قال في « القاموس »صغر ككرم وفرح صغارة صغراً كعنب ، وكذا صغاراً وصغارة بفتحها ، وصغراً وصغراناً بضمها ، وأصغره : جعله صاغراً . انتهى . قوله : وقرن اسمه باسمه الخ قوله: كما في الخطب والتشهد والتأذين هذا ظاهر ، وهذا كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

أغر عليه للنبوة خاتم   من الله ميمون يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه   إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله   فذو العرش محمود وهذا محمد

قوله : فصلى الله وملائكته الخ . الصلاة من الله تعالى : الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفار ، ومن غيرهم التضرع والدعاء بخير . هذا هو المشهور، والجاري على ألسنة الجمهور ، ولم يرتض هذا الناظم في كتابه «جلاء الأفهام» و « بدائع الفوائد » وغيرهما ، ورده من وجوه ، منها أن الله تعالى غاير

بينهما في قوله تعالى: (صلوات من ربهم ورحمة) البقرة: ١٥٧ الثاني ان سؤال الرحمة يشرع لكل مسلم، والصـلاة تختص بالنبي ﷺ واله فهي حق له ولآله، ولهذا المعنى منع كثير من العلماء الصلاة على معين غيره يعني: وغير سائر الأنبياء والملائكة، ولم يمنع أحد من الترحم على معين من المسلمين. الثالث أن رحمة الله عامة، وسعت كل شيء، وصلاته خاصة لخواص عباده. وقولهم الصلاة من العباد بمعنى الدعاء، مشكل أيضاً من وجوه أحدها: أن الدعاء يكون بالخير والشر، والصلاة لا تكون إلا في الخير. الثاني: أن دعوت يعدى باللام، وصليت لا يتعدى إلا بـ «على»، و «دعاء» المعدى بـ «على» ليس بمعنى صلى، وهذا يدل على أن الصلاة ليست بمعنى الدعاء. الثالث: أن فعل الدعاء يقتضي مدعواً ومدعواً له، تقول: دعوت الله لك بخير، وفعل الصلاة لا يقتضي ذلك، لا تقول. صليت الله عليك ولا لك، فدل على أنه ليس بمعناه، فأي تباين أظهر من هذا. قال. ولكن التقليد يعمي عن ادراك الحقائق، فإياك والإخلاد الى أرضه. قال. في «البدائع» ورأيت لابي القاسم السهيلي رحمه الله تعالى كلاماً حسناً في اشتقاق الصلاة، فذكر ما ملخصه أن معنى اللفظة حيث تصرفت ترجع الى الحنو والعطف، الا أن ذلك يكون محسوساً ومعقولاً، فالمحسوس منه صفات الاجسام، والمعقول صفة ذي الجلال والاكرام، وهذا المعنى كثير موجود في الصفات والكثير يكون صفة للمحسوسات، وصفة للمعقولات، وهو من أسماء الرب تعالى وتقدس عن مشـابهة الأجسام، وصفات الأنام، فما يضاف إليه تعالى من هذه المعاني معقولة غير محسوسة، فإذا ثبت هذا فالصلاة كما قلنا حنو وعطف من قولك: صليت؛ أي حنيت صلاك وعطفته، فأخلق بأن تكون الرحمة كما سمي

عطفاً وحنواً ، تقول : اللهم اعطف علينا ؛ أي : ارحمنا . قال الشاعر :

وما زلت في ليني له وتعطفي عليه كما تحنو على الولد الأم

وأما رحمة العباد فرقة في القلب إذا وجدها الراحم من نفسه ؛ انعطف على المرحوم ، واثنى عليه . ورحمة الله للعباد جود وفضل ، فإذا صلى عليه فقد أَفضل عليه ، وأنعم ، وهذه الأفعال إذا كانت من الله ومن العباد ، فهي متعدية بـ« على » ، مخصوصة بالخير ، لا تخرج عنه الى غيره ، فرجعت كلها الى معنى واحد ، إلا أنها في معنى الدعاء . والرحمة صلاة معقولة ؛ أي : انحناء معقول غير محسوس ، ثم هو من العبد الدعاء ، لأنه لا يقدر على أكثر منه ، وثمرته من الله الإحسان والانعام . فلم تختلف الصلاة في معناها ، وإنما اختلفت ثمرتها الصادرة عنها ، والصلاة التي هي الركوع والسجود انحناء محسوس ، فام يختلف المعنى فيها إلا من جهة المعقول . وليس ذلك باختلاف في الحقيقة ، ولذلك تعدت كلها بـ« على » ، واتفقت في اللفظ المشتق من الصلاة ، ولم يجز صليت على العدو ؛ أي : دعوت عليه ، فقد صار بمعنى الصلاة أرق وأبلغ من معنى الرحمة ، وإن كان راجعاً إليه ، إذ ليس كل راحم ينحني على المرحوم ، ويتعطف عليه من شدة الرحمة انتهى . قوله : وسلم السلام بمعنى التحية والسلامة من النقائص والرذائل ، وفي « المطلع » قال الأزهري في قولك : السلام عليك قولان أحدهما : اسم السلام ، ومعناه اسم الله عليك ، ومنه قول لبيد

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

والثاني سلم الله عليك تسليماً وسلاماً ، ومن سلم الله عليه سلم من الآفات كلها . قال الحافظ ابن الجزري في مفتاح « الحصن » واما الجمع بين الصلاة والسلام فهو الأولى والأكمل والأفضل ، لقوله تعالى (صلوا عليه وسلموا تسليماً) الأحزاب : ٥٦

ولو اقتصر على أحدهما جاز من غير كراهة ، فقد جرى عليه جمع ، منهم مسلم في « صحيحه » خلافاً للشافعية. وفي كلام بعضهم : لا أعلم أحداً نص على الكراهة حتى إن الإمام الشافعي نفسه اقتصر على الصلاة دون التسليم في خطبة « الرسالة » . والله أعلم.

قوله : وقد نصر الجبار تبارك وتعالى الخ يشير الى حديث عياض بن حمار المجاشعي الذي رواه مسلم في « صحيحه » أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا ، كل مال نحلته عبادي حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ... الحديث .

أما بعد فإن الله جل ثناؤه ، وتقدست اسماؤه إذا اراد أن يكرم عبده بمعرفته ، ويجمع قلبه على محبته ، شرح صدره لقبول صفاته العلى ، وتلقيها من مشكاة الوحي ، فاذا ورد عليه شيء منها قابله بالقبول ، وتلقاه بالرضى والتسليم وأذعن له بالانقياد ، فاستنار به قلبه ، واتسع له صدره ، وأمتلأ به سروراً ومحبة ، فعلم أنه تعريف من تعريفات الله تعالى تعرف به إليه على لسان رسوله ، فأنزل تلك الصفة من قلبه منزلة الغداء اعظم ما كان اليه فاقة ، ومنزلة الشفاء أشد ما كان اليه حاجة ، فاشتد بها فرحه ، وعظم بها غناؤه ، وقويت بها معرفته ، واطمأنت إليها نفسه ، وسكن إليها قلبه ، فجال من المعرفة في ميادينها ، وأسام عين بصيرته في رياضها وبساتينها ، لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه ، ولا معلوم أعظم وأجل ممن هذه صفته ، وهو ذو الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وان شرفه أيضاً

بحسب الحاجة إليه، وليست حاجة الأرواح قط الى شيء أعظم منها الى معرفة بارئها وفاطرها، ومحبته وذكره، والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه، والزلفى عنده، ولا سبيل إلى هذا الا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلم؛ كان بالله أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر؛ كان بالله أجهل، وإليه أكره، ومنه أبعد. والله ينزل العبد من نفسه حيث ينزله العبد من نفسه، فمن كان لذكر أسمائه وصفاته مبغضاً، وعنها نافراً ومنفراً؛ فالله له أشد بغضاً، وعنه أعظم إعراضاً، وله أكبر مقتاً حتى تعود القلوب إلى قلبين: قلب ذكر الأسماء والصفات قوته وحياته، ونعيمه وقرة عينه، لو فارقه ذكرها طرفة عين، ومحبتها لحظات لا ستغاث: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فلسان حاله يقول:

يراد من القلب نسيانكم ... وتأبى الطباع على الناقل(١)

ويقول:

وإذا تقاضيت الفؤاد تناسياً ... ألفيت أحشائي بذاك شحاحا

ويقول:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ... ونترك الذكر أحياناً فننتكس

ومن المحال أن يذكر القلب من هو محارب لصفاته، نافر من سماعها، معرض بكليته عنها، زاعم أن السلامة في ذلك، كلا والله، إن هو إلا الجهالة والخذلان والإعراض عن العزيز الرحيم، فليس القلب الصحيح قط إلى شيء أشوق منه إلى معرفة ربه تعالى وصفاته، وأفعاله وأسمائه، ولا أفرح بشيء قط كفرحه بذلك، وكفى بالعبد عمى وخذلاناً أن يضرب على قلبه

(١) قوله يراد من القلب نسيانكم الخ هذا البيت للمتني من قصيدة. والطباع بالكسر: السجية التي جبل عليها الانسان، والطباع ماركب فينا من المطعم والمشرب وغير ذلك من الأخلاق التي لا تزايلنا كالطابع كصاحب قاله في «القاموس».

سرادق الإعراض عنها والنفرة والتنفير ، والاشتغال بما لو كان حقاً لم ينفع إلا بعد معرفة الله ، والإيمان به وبصفاته وأسمائه . والقلب الثاني : قلب مضروب بسياط الجهالة فهو عن معرفة ربه ومحبته مصدود ، وطريق معرفة أسمائه وصفاته كما انزلت عليه مسدود ، وقد قمش شبهاً من الكلام الباطل ، وارتوى من ماء آجن غير طائل ، تعج منـــه آيات الصفات وأحاديثها إلى الله عجيجاً ، وتضج منه إلى منزلها ضجيجاً مما يسومها تحريفاً وتعطيلاً ، ويؤول معانيها تحريفاً وتبديلاً ، قد أعد [١] لدفعها أنواعاً من العدد ، وهيأ لردها ضروباً من القوانين . قوله من القوانين . القانون : مقياس كل شيء ، جمعه قوانين. قاله في « القـــاموس » . وإذا دعي إلى تحكيمها أبى واستكبر وقال : تلك أدلة لفظية لا تفيد شيئاً من اليقين ، قد أعد التأويل جنة يتترس بها من مواقع سهام السنة والقرآن ، وجعل إثبات صفات ذي الجلال تجسيما وتشبيهاً ، يصد به القلوب عن طريق العلم والإيمان ، مزجي البضاعة . قوله : مزجي البضاعة قال في « القاموس » : وبضاعة مزجاة ، أي : قليلة . من العلم النافع الموروث عن خاتم الرسل والأنبياء ، لكنه مليء بالشكوك والشبه ، والجـــدال والمراء . قوله : الجدال والمراء. قال ابن الأثير في « النهـــاية » في معنى حديث ما اوتي قوم الجدل إلا ضلوا » [٢] : الجدل مقابلة الحجة بالحجة ، والمجادلة المناظرة والمخاصمة ، والمراد به في الحديث الجدل على الباطل ، وطلب

---

(١) أعد بفتح الهمزة وتشديد الدال ، أي : هيأ .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٥/٢٥٦) عن ابي أمامة بلفظ « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » ثم قرأ (ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) وقد رواه الترمذي وابن ماجه وابن جرير . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

المغالبة، وأما الجدل لإظهار الحق فإن ذلك محمود ، لقوله تعالى : (وجادلهم بالتي هي أحسن) انتهى . وفي « مختصر الصحاح » للقرطبي جدل بالكسر جدلاً أحكم الخصومة ، وجادله مجادلة وجدالاً خاصمه انتهى . والمراء : الجدال والمخاصمة . قال القرطبي في « مختصر الصحاح » ماريته أماريه مراء : جادلته . انتهى . وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » من المراء والجدال ، وهو المخاصمة والمحاججة وطلب القهر بالغلبة ، والترهيب في تركه للمحق والمبطل . انتهى . فعلمنا أن الجدال والمراء مترادفان ، وأن العطف فيهما عطف المترادفين . انتهى . ـ خلع عليه الكلام الباطل خلعة الجهل والتجهيل ، فهو يتعثر بأذيال التكفير لأهل الحديث ، والتبديع لهم والتضليل ، قد طاف على أبواب الآراء والمذاهب ، يتكفف أربابها ، فانثنى بأخسر المواهب والمطالب ، عدل عن الأبواب العالية الكفيلة بنهاية المراد ، وغاية الاحسان ، فابتلي بالوقوف على الأبواب السافلة المليئة بالخيبة والحرمان ، وقد لبس حلة منسوجة من الجهل والتقليد ، والشبهة والعناد ، فإذا بذلت له النصيحة ، ودعي إلى الحق ، أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد فما أعظم المصيبة بهذا وأمثاله على الايمان . وما أشد الجناية به على السنة والقرآن ، وما أحب جهاده بالقلب واليد واللسان إلى الرحمن ، وما أثقل أجر ذلك الجهاد في الميزان ، والجهاد بالحجة واللسان مقدم على الجهاد بالسيف والسنان ، ولهذا أمر به تعالى في السور المكية حيث لا جهاد باليد إنذاراً وتعذيراً ، فقال تعالى (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً) الفرقان : ٥٢ وأمر تعالى بجهاد المنافقين ، والغلظة عليهم مع كونهم بين أظهر المسلمين في المقام والمسير ، فقال تعالى : (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم

جهنم وبئس المصير﴾التوبة: ٧٣ فالجهاد بالعلم والحجة جهاد أنبيائه ورسله وخاصته من عباده المخصوصين بالهداية والتوفيق" والاتفاق، و«من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق». وكفى بالعبد عمى وخذلانا أن يرى عساكر الايمان، وجنود السنة والقرآن، وقد لبسوا للحرب لأمته، وأعدوا له عدته، وأخذوا مصافهم، ووقفوا مواقفهم، وقد حمي الوطيس، ودارت رحى الحرب، واشتد القتال، وتنادت الأقران: النزال النزال، وهو في الملجأ والمغارات، والمدخل مع الخوالف كمين، وإذا ساعد القدر، وعزم على الخروج، قعد على التل مع الناظرين، ينظر لمن الدائرة ليكون إليهم من المتحيزين، ثم يأتيهم وهو يقسم بالله جهد أيمانه إني كنت معكم، وكنت أتمنى أن تكونوا انتم الغالبين. فحقيق بمن لنفسه عنده قدر وقيمة أن لا يبيعها بأبخس الأثمان، وأن لا يعرضها غداً بين يدي الله ورسوله لمواقف الخزي والهوان، وأن يثبت قدميه في صفوف أهل العلم والإيمان، وأن لا يتحيز الى مقالة سوى ما جاء في السنة والقرآن، فكأن قد كشف الغطاء، وانجلى الغبار، وأبان عن وجوه أهل السنة مسفرة ضاحكة مستبشرة، وعن وجوه أهل البدعة عليها غبرة ترهقها قترة، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة، والفرقة الضالة، فوالله لمفارقة أهل الاهواء والبدع في هـــذه الدار أسهل من مرافقتهم إذا قيل (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) الصافات: ٢٢ قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وبعده الإمام أحمد: أزواجهم: أشباههم ونظراؤهم، قال تعالى (وإذا النفوس زوجت) التكوير: ٧ قالوا: فيجعل صاحب الحق مع نظيره في درجته، وصاحب الباطل مع نظيره في درجته، هنالك والله يعض الظالم على يديه إذا حصلت له حقيقة ما كان في هذه الدار عليه، «يقول: ياليتني اتخذت

مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتخـذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا الفرقان: ٢٧-٢٩. شرع الناظم رحمه الله تعالى في حكاية مناظرة حصلت بينه وبين بعض المعطلة فقال:

فصل

وكان من قدر الله وقضائه أن جمع مجلس المذاكرة بين مثبت للصفات والعلو، وبين معطل لذلك، فاستطعم المعطل المثبت الحديث استطعام غير جائع اليه، ولكن غرضه عرض بضاعته عليه، فقال له: ما تقول في القرآن ومسألة الاستواء؟ فقال المثبت: نقول فيها ما قاله ربنا تبارك وتعالى، وما قاله نبينا ﷺ، نصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل. بل نثبت له سبحانه ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وننفي عنه النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات، إثباتا بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ماوصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ماوصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيهاً، فالمشبه يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً، والموحد يعبد إلهاً واحداً صمداً (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى: ١١. والكلام في الصفات كالكلام في الذات، فكما أنا نثبت ذاتاً لا تشبه الذوات، فكذلك نقول في صفاته: إنها لا تشبه الصفات، فليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فلا تشبه صفات الله بصفات المخلوقين، ولا نزيل عنه سبحانه صفة من صفاته لأجل شناعة

المشنعين وتلقيب المفترين ، كما أنا لا نبغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتسمية الروافض لنا نواصب ، ولا نكذب بقدر الله ، ولا نجحد كمال مشيئته وقدرته ، لتسمية القدرية لنا مجبرة ، فلا نجحد صفات ربنا تبارك وتعالى ، لتسمية الجهمية والمعتزلة لنا مجسمة مشبهة حشوية ، ورحمة الله على القائل :

فان كان تجسيماً ثبوت صفاته فاني بحمد الله لها مثبت

الى ...

فان كان تجسيماً ثبوت صفاته لديكم فاني اليوم عبد مجسم

ورضي الله عن الشافعي حيث قال :

ان كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

وقدس الله روح القائل وهو شيخ الاسلام ابن تيمية إذ يقول:

ان كان نصبا حب صحب محمد فليشهد الثقلان أني ناصبي

فصل

وأما القرآن فاني أقول : إن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ، تكلم الله به صدقاً ، وسمعه منه جبريل حقاً ، وبلغه محمداً صلى الله عليه وسلم وحياً ، وان (كهيعص) و (حم عسق) و (الٓر) و (ق) و (ن) عين كلام الله حقيقة ، وإن الله تكلم بالقرآن العربي الذي سمعه الصحابة من النبي ﷺ ، وإن جميعه كلام الله ، وليس قول البشر ، ومن قال : انه قول البشر فقد كفر ، والله يصليه

سقر ، ومن قال : ليس لله بيننا في الأرض كلام ، فقد جحد رسالة محمد ﷺ ، فان الله بعثه ليبلغ عنه كلامه ، والرسول إنما يبلغ كلام مرسله ، فاذا انتفى كلام المرسل انتفت رسالة الرسول. ونقول : ان الله فوق سمواته ، مستو على عرشه ، بائن من خلقه ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، وانه تعالى إليه يصعد الكلم الطيب ، وتعرج الملائكة والروح اليه ، وإنه يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه ، وان المسيح رفع بذاته الى الله وإن رسول الله ﷺ عرج به الى الله حقيقة ، وإن ارواح المؤمنين تصعد الى الله عند الوفاة ، فتعرض عليه ، وتقف بين يديه ، وانه تعالى هو القاهر فوق عباده ، وهو العلي الأعلى ، وان المؤمنين والملائكة المقربين يخافون ربهم من فوقهم ، وإن أيدي السائلين ترفع اليه وحوائجهم تعرض عليه ، فانه سبحانه هو العلي الأعلى بكل اعتبار . فلما سمع المعطل منه ذلك ، أمسك ثم أسرها في نفسه ، وخلي بشياطينه وبني جنسه ، وأوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً وأصناف المكر والاحتيال ، وراموا أمراً يستحمدون به الى نظرائهم من أهل البدع والضلال ، وعقدوا مجلساً بيتوا في سماء يومه مالا يرضاه الله من القول ، والله بما يعملون محيط ، وأتوا في مجلسهم بما قدروا عليه من الهذيان واللغط والتخليط ، وراموا استدعاء المثبت الى مجلسهم الذي عقدوه ، ليجعلوا نزله عند قدومه عليهم مالفقوه من المكر وتمموه ، فحبس الله سبحانه عن أيديهم وألسنتهم فلم يتجاسروا عليه ، ورد الله كيدهم في نحورهم فلم يصلوا بالسوء اليه ، وخذلهم المطاع فمزقوا ما كتبوه من المحاضر ، وقلب الله قلوب أوليائه وجنده عليهم من كل باد وحاضر ، وأخرج الناس لهم من المخبآت كمائنها قوله المخبات. خبأه كمنعه ستره كخبأه واختبأه ، قاله في «القاموس» قوله ، كمائنها قال في «القاموس»

كمن له كنصر وسمع كموناً : استخفى وأكمنته . والكمين كأمير القوم يكمنون في الحرب

ـ ومن الجوائف والمنقلات ـ قوله : ومن الجوائف هي جمع جائفة ، وهي طعنة تبلغ الجوف . قوله : ومن المنقلات ، جمع منقلة ، وهي ماتوضح العظم وتهشمه وتنقل عظامه دفائنها . وقوى الله جأش عقد المثبت ، وثبت قلبه ولسانه ، وشيد بالسنة المحمدية بنيانه ، فسعى في عقد مجلس بينه وبين خصومه عند السلطان ، وحكم على نفسه كتب شيوخ القوم السالفين وأئمتهم المتقدمين ، وأنه لايستنصر من أهل مذهبه بكتاب ولا إنسان ، وأنه جعل بينه وبينكم أقوال من قلدتموه ، ونصوص من على غيره من الأئمة قدمتموه ، وصرخ المثبت بذلك بين ظهرانيهم حتى بلغه دانيهم لقاصيهم ، فلم يذعنوا لذلك ، واستعفوا من عقده ، فطالبهم المثبت بواحدة من خلال ثلاث : مناظرة في مجلس عالم على شريطة العلم والانصاف ، تحضر فيه النصوص النبوية ، والآثار السلفية ، و كتب أئمتكم المتقدمين من أهل العلم والدين . فقيل لهم : لا مراكب لكم تسابقون بها في هذا الميدان ، وما لكم بمقاومة فرسانه يدان . فدعاهم إلى مكاتبته فيما يدعون إليه ، فإن كان حقاً قبله وشكركم عليه ، وإن كان غير ذلك سمعتم جواب المثبت وتبين لكم حقيقة ما لديه ، فأبوا ذلك أشد الإباء واستعفوا غاية الاستعفاء ، فدعاهم إلى القيام بين الركن والمقام قياماً في موقف الابتهال حاسري الرؤوس ، نسأل الله أن ينزل بأسه بأهل البدع والضلال ، وظن المثبت ـ والله ـ أن القوم يجيبونه إلى هذا ، فوطن نفسه عليه غاية التوطين ، وبات يحاسب نفسه ، ويعرض ما يثبته وينفيه عن كلام رب العالمين ، وعلى سنة خاتم الأنبياء والمرسلين . ويتجرد من كل هوى يخالف الوحي المبين ، ويهوي بصاحبه إلى أسفل سافلين ، فلم يجيبوا إلى ذلك أيضاً ، وأتوا من

الاعتذار بما دله على أن القوم ليسوا من أولي الأيدي والأبصار ، فحينئذ شمر المثبت عن ساق عزمه ، وعقد لله مجلساً بينه وبين خصمه ، يشهده القريب والبعيد ، ويقف على مضمونه الذكي والبليد ، وجعله عقد مجلس التحكيم بين المعطل الجاحد ، والمثبت المرمي بالتجسيم ، وقد خاصم في هذا المجلس بالله ، وحاكم إليه ، وبرىء إلى الله من كل هوى وبدعة وضلالة ، وتحيز إلى فئة غير رسول الله ﷺ وما كان أصحابه عليه . والله سبحانه هو المسؤول أن لا يكله إلى نفسه ، ولا إلى شيء مما لديه ، وأن يوفقه في جميع حالاته لما يحبه ويرضاه ، فإن أزمة الأمور بيديه ، وهو يرغب إلى من يقف على هذه الحكومة أن يقوم لله قيام متجرد عن هواه ، قاصد لرضى مولاه ، ثم يقرؤها متفكراً ، ويعيدها ويبديها متدبراً ، ثم يحكم فيها بما يرضي الله ورسوله وعباده المؤمنين ، ولا يقابلها بالسب والشتم كفعل الجاهلين والمعاندين (١) فإن رأى حقاً قبله وشكر عليه ، وإن رأى باطلا رده على قائله ، وأهدى الصواب اليه ، فان الحق لله ورسوله ، والقصد أن تكون كلمة السنة هي العليا جهاداً في الله وفي سبيله ، والله عند لسان كل قائل وقلبه ، وهو المطلع على نيته وكسبه ، وما كان اهل التعطيل أولياءه ، إن أولياؤه الا المتقون المؤمنون المصدقون ،«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعلمون» التوبة : ١٠٥ .

---

(١) قابلها أبو الحسن السبكي بالشتم واللعن برسالة زعم انه رد بها على النونية، ومن قرأها ظهر له جهل السبكي وجراءته على أهل العلم بما لايرضي الله .

(ابن مانع)

فصـــل

وهذه امثال حسان مضروبة للمعطل والمشبه والموحد ، ذكرتها قبـــل الشروع في المقصود ، فان ضرب الأمثال مما يأنس به العقل لتقريبهـــا المعقول من المشهود ، وقد قال تعالى وكلامه المشتمل على اعظم الحجج وقواطع البراهين (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون). العنكبوت ٤٣ وقد اشتمل منها على بضعة وأربعين مثلا ، وكان بعض السلف اذاقرأمثلا لم يفهمه يشتد بكاؤه ويقول لست من العالمين . وسنفرد لها ان شاء الله كتاباً مستقلا متضمناً لأسرارها ومعانيها وما تضمنه من كنوز العلم وحقائق الايمان ، وبالله المستعان وعليه التكلان (١).

المثل الاول ثياب المعطل ملطخة بعذرة التحريف وشرابه متغير بنجاسة التعطيل وثياب المشبه مضمخة بدم التشبيه وشرابه متغير بدم التمثيل . والموحد طاهر الثوب والقلب والبدن ، يخرج شرابه من بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين .

المثل الثاني : شجرة المعطل مغروسة على شفا جرف هار ، وشـــجرة المشبه قد اجتثت من فرق الارض مالها من قرار ، وشجرة الموحد اصلهـا ثابت وفرعها في السماء ، تؤ‌تي اكلها كل حين باذن ربها ويضــرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون .

المثل الثالث : شجرة المعطل شجرة الزقوم ، فالحلوق السليمة لاتبلعها ،

---

(١) قد وفقه الله لوفاء بوعده فألف فيها مجلداً متوسطاً . « ابن مانع »

وشجرة المشبه شجرة الحنظل فالنفوس المستقيمة لاتتبعها ، وشجرة الموحد طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها .

المثل الرابع : المعطل قد أعد قلبه لوقاية الحر والبرد كبيت العنكبوت والمشبه قد خسف بعقله ، فهو يتجلجل في أرض التشبيه الى اليهموت ، وقلب الموحد يطوف حول العرش ناظراً الى الحي الذي لايموت .

المثل الخامس : مصباح المعطل قد عصفت عليه أهوية التعطيل ، فطفىء وما أنار ، ومصباح المشبه قد غرقت فتيلته في عكر التشبيه ، فلا تقتبس منه الأنوار . العكر بفتحتين : دردي الزيت [١] وغيره ، وقد عكرت المسرجة من باب طرب : اجتمع فيها الدردي ، وعكر الشراب والماء والدهن آخره وخاثره ، وقد عكر فهو عكر ، وأعكره غيره وعكره تعكيراً : جعل فيه العكر . قاله في « مختار الصحاح » ومصباح الموحد يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيىء ولو لم تمسسه نار .

المثل السادس : قلب المعطل متعلق بالعدم ، فهو أحقر الحقير ، وقلب المشبه عابد للصنم الذي قد نحت بالتصوير والتقدير ، والموحد قلبه متعبد لمن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

المثل السابع : نقود المعطل كلها زيوف فلا تروج علينا ، وبضاعة المشبه كاسدة فلا تنفق لدينا ، وتجارة الموحد ينادى عليها يوم العرض على رؤوس الأشهاد هـذه بضاعتنا ردت الينا .

المثل الثامن : المعطل كنافخ الكير ، إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة . والمشبه كبائع الخمر ، إما أن يسكرك ، وإما أن ينجسك ، والموحد كبائع المسك ، إما أن يحذيك ، وإما أن يبيعك ، وإما أن تجد منه رائحة طيبة .

---

(١) دردي الزيت وغيره : مايبقى في أسفله : « مختار » (ابن مانع)

المثل التاسع : المعطل قد تخلف عن سفينة النجاة ولم يركبها فأدركه الطوفان ، والمشبه قد انكسرت به في اللجة ، فهو يشاهد الغرق بالعيان ، والموحد قد ركب سفينة نوح وقد صاح به الربان : اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم .

المثل العاشر : منهل المعطل كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، فرجع خاسئاً حسيراً ، ومشرب المشبه من ماء قد تغير طعمه ولونه وريحه بالنجاسة تغييراً ، ومشرب الموحد من كأس كان مزاجها كافوراً عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً .

وقد سميتها : بـ «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» وهذا حين الشروع في المحاكمة ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قوله : (أما بعد) اي أما بعد ماذكر من حمد الله والصلاة والسلام على رسوله (أما) نائبة عن (مهما) ولتضمنها معنى الشرط لزمت الفاء في جوابها. و (بعد) من الظروف المبنية مالم تضف لفظاً ومعنى ، أو ينوى ثبوت لفظ المضاف إليها ، أو تقطع عن الإضافة رأساً ، فتعرب حينئذ في الثلاثة وإن حذف المضاف إليها ونوي ثبوت معناه بنيت على الضم ، وهذه الكلمة يؤتى بها للانتقال من اسلوب إلى غيره ، أي بعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

ويستحب الإتيان بها في الخطب والمكاتبات ، لأن النبي ﷺ كان يأتي بها في خطبه ومكاتباته للملوك وغيرهم .

واختلف في أول من نطق بها ، فقيل : داود عليه السلام . وعن الشعبي : أنها فصل الخطاب الذي أوتيه ، لأنها تفصل بين المقدمات والمقاصد . وقيل : أول من نطق بها يعقوب . وقيل . أيوب . وقيل . سليمان ، عليهم السلام .

وقيل : قس بن ساعدة الأيادي . وقيل : كعب بن لؤي . وقيل : يعرب بن قحطان ، والقول الأول وهو أن أول من نطق بها داود عليه السلام أشبه ، كما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره .

قوله فإن الله جل ثناؤه الخ . الفاء في جواب (أما) النائبة عن (مهما) لتضمنها معنى الشرط .

قوله : قد قمش . قال في « القاموس » . القمش جمع القماش ، وهو ما على وجه الأرض من فتات الأشياء حتى يقال لرذالة الناس قماش . وما أعطاني إلا قماشاً ؛ أي : أردأ ما وجده

قوله : آجن . الآجن الماء المتغير الطعم واللون ، أجن كضرب وفرح ونصر أجناً وأجناً وأجوناً . قاله في « القاموس » .

قوله : تعج منه آيات الصفات الخ . قال في « القاموس » : عج يعج ويعج كيمل عجاً وعجيجا : صاح ورفع صوته .

قوله : وتضج الخ . قال في « القاموس » : أضج[1] القوم اضجاجا : صاحوا وأجلبوا ، فإذا جزعوا وغلبوا ، فضجوا يضجون ضجيجاً .

قوله : الوطيس . الوطيس هو التنور والآن حمي الوطيس ، أي اشتد الحرب ، قاله في « القاموس » .

قوله : جنة . الجنة بالضم . قال في « القاموس » جنه الليل ، وعليه جناً وجنوناً ، وأجنه : ستره ، وكل ما ستر عنك فقد جن عنك . وأجن عنه واستجن : استتر .

قوله : جأش المثبت . قال في « القاموس » : الجأش رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع ونفس الانسان ، وقد لا يهمز جمع جؤوش .

قوله : في مواقف الابتهال . قال ابن هشام في « تهذيب السيرة » : نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين : ندعو باللعنة . قال أعشى بني قيس بن ثعلبة :

---

(١) في الأصل : اضج ، وهو خطأ ، والتصويب من « القاموس » .

لا تعقدن[1] وقد أكلتها حطبا ‏ ‏ نعوذ من شرها يوماً ونبتهل

يقول : ندعو باللعنة . وتقول العرب : بهل الله فلاناً ؛ أي : لعنه ، وعليه بهلة الله ؛ أي : لعنة الله . ويقال : بهله الله ؛ أي : لعنه ، ونبتهل أيضاً : نجتهد في الدعاء . انتهى .

وأما حكم المباهلة ، فقد كتب بعض العلماء رسالة في شروطها المستنبطة من الكتاب ، والسنة ، والآثار ، وكلام الأئمة . وحاصل كلامه فيها أنها لا تجوز إلا في أمر مهم شرعاً وقع فيه اشتباه وعناد لا يتيسر دفعه إلا بالمباهلة ، فيشترط كونها بعد إقامة الحجة والسعي في ازالة الشبهة ، وتقديم النصح والإنذار وعدم نفع ذلك ، ومساس الضرورة اليها . انتهى .

وهذا حين الشروع في شرح « النظم » فأقول والله الموفق : بحر هذه المنظومة المباركة هو الكامل ، وهو مبني من ستة أجزاء :

متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

حكم المحبة ثابت الأركان ‏ ‏ ما للصدود بفسخ ذاك يدان

إني وقاضي الحس نفذ حكمها ‏ ‏ فلذا أقر بذلك الخصمان

وأتت شهود الوصل تشهد أنه ‏ ‏ حقاً جرى في مجلس الاحسان

فتأكد الحكم العزيز فلم تجد ‏ ‏ فسخ الوشاة اليه من سلطان

ولأجل ذا حكم العذول تداعت الـ ‏ ‏ أركان منه فخر للأذقان

وأتى الوشاة فصادفوا الحكم الذي ‏ ‏ حكموا به متيقن البطلان

---

(١) في الأصل : لاتبعدا ، والتصويب من سيرة ابن هشام » .

ماصادف الحكم المحل ولا هو اسـ　　توفى الشروط فصار ذا بطلان

فلذاك قاضي الحسن أثبت محضراً　　بفساد حكم الهجر والسلوان

وحكى لك الحكم المحال ونقضه　　فاسمع إذاً يا من له أذنان

حكم الوشاة بغير ما برهان　　ان المحبة والصدود لدان

والله ما هـذا بحكم مقسط　　اين الغرام وصد ذي هجران

شتان بين الحالتين فإن ترد　　جمعاً فما الضدان يجتمعـان

افتتح الناظم رحمه الله هذه المنظومة بشيء من النسيب ، وهو والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد ، وأما الغزل فهو إلف النساء والتخلق بما وافقهن. وليس مما ذكر في شيء ، فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ ، وقد نبـه على ذلك قدامة[1] وأوضحه في كتابه « نقد الشعر » .

قوله : حكم المحبة ثابت الأركان ، ركن الشيء : جانبه الأقوى ؛ أي : ولثبوت أركانه وشدتها لا يطيق الصدود فسخه .

قوله : إني وقاضي الحسن ؛ أي : كيف يقدر الصدود على فسخه وقد ثبت وتوطدت أركانه ، وذلك ان قاضي الحسن نفذ حكمها ؛ أي نفذ حكم المحبة . وفي بعض النسخ « نفذ حكمه » والمعنى واحد . وفي قوله . قاضي الحسن ، وهو الجمال : استعارة ، وذلك أنه شبه الحسن في قوتـه وسلطنته على المحبوب وقهره له بسلطنة القاضي الحسي ، وقهره للخصوم ونفاذ حكمه ، فكذلك حسن هذه المحبوبة حكم على محبها بالمحبة[2] وفي قوله .

---

(١) هو قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي ، كاتب يضرب المثل في البلاغة

(٢) اعلم أن المصنف رحمه الله تعالى شرح هذه الابيات التي افتتح ابن القيم بها النونية شرحاً إذا تأمله طالب العلم وجده غير مستقيم وبعيداً عن مقاصد ابن القيم ، وللعلامة الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن شرح لأول هذا النظم ذكر فيه ان قاضي الحسن هو العقل ، لأن أهل السنة يقولون بالتحسين والتقبيح العقليين ثم بنى شرحه على ذلك وهو شرح يقبله العقل ويليق بمقام الناظم رحم الله الجميع ، (ابن مانع)

حكم المحبة الخ . براعة الاستهلال ، وهو ان يكون الابتداء مناسباً للمقصود، لأن المنظومة المذكورة في المحاكمة بين الطوائف .

قوله : فلذا أقر بذلك الخصمان ؛ اي : لما حكم قاضي الحسن بالمحبة أقر الخصمان بها .

قوله : وأتت شهود الوصل الخ ؛ اي : لما حصل وصل هذه المحبوبة وشهدت به الشهود ؛ تأكد الحكم فلم يبق سبيل للوشاة إلى فسخه ، وهذا معنى قوله ، فتأكد الحكم العزيز .

وقوله : فسخ الوشاة هذا من الكلام المقلوب ، والمعنى : لم تجد الوشاة إلى فسخه من سلطان ، هذا إن كان لفظ تجد بالتاء ، وإن كان اللفظ يجد بالتحتيه ، فهو ظاهر ، وفسخ فاعل يجد ، وفسخ مضاف ، والوشاة مضاف إليه .

قوله : ولأجل ذا حكم العذول تداعت الأركان منه الخ ؛ اي : لما شهدت شهود الوصل بثبوت حكم المحبة ، خر حكم العذول وسقطت أركانه .

وقوله : وأتى الوشاة فصادفوا الخ ، اي : لما أتى الوشاة صادفوا حكمهم باطلاً ، وهو ما ذكره بقوله . حكم الوشاة الخ ؛ اي : حكم الوشاة أن المحبة والصدود لدان ؛ اي : سواء ،وذلك حكم جائر ليس بمقسط واشار إلى ذلك بقوله : أين الغرام ، وهو شدة المحبة والصدود ؛ اي : ليسا بسواء .

قوله : فلذاك قاضي الحسن أثبت محضراً الخ . أي إن قاضي الحسن أثبت محضراً بفساد حكم الهجر والسلوان . والمحضر : السجل والمشهد، قاله في «القاموس» ؛ اي : لما حصل الوصال ،حكم قاضي الحسن بفساد حكم الهجر والسلوان .

قوله : شتان بين الحالتين الخ . أي افترقت الحالتان ، وشتان بينهما .

قوله : الصدود . هو اسم مصدر ، صد يصد صدوداً . قال في « مختار الصحاح[١] » : صد يصد بضم الصاد صدوداً : أعرض عنه ، وصده عن الأمر : منعه وصرفه (عنه) ، من باب رد . انتهى .

قوله : يدان . المراد باليد هنا القدرة ، تسمية للشيء بسببه ، لأن القدرة هي تحرك اليد . يقال : فلان له يد في كذا وكذا ، ومنه قول زياد لمعاوية : إني قد أمسكت العراق بإحدى يدي ، والاخرى فارغة .

قوله : الوشاة . جمع واش . يقال : وشى كلامه ، أي : كذب ، ووشى به الى السلطان وشاية ، أي : سعى « مختار الصحاح » قال العيني : الوشاة جمع واش من وشى به يشي وشاية ، اذا نم عليه وسعى به ، فهو واش .

قوله : لدان . اللدة كعدة : الترب ، جمع لدات ، قاله في « القاموس » والترب بالكسر : اللدة والسن ومن ولد معك ، قاله في « القاموس » .

قوله : والله ما هذا بحكم مقسط . القسط بالكسر : العدل . تقول منه أقسط الرجل فهو مقسط ، ومنه قوله تعالى : (إن الله يحب المقسطين) الحجرات : ٩ ، أي : ما هذا بحكم عادل .

قوله : الغرام . الغرام : هو الحب اللازم للقلب الذي لا يفارقه ، بل يلازمه كملازمة الغريم لغريمه . ومنه سمي عذاب النار : غراماً للزومه لأهله وعدم مفارقته لهم . قال الله تعالى : (إن عذابها كان غراما) الفرقان : ٦٥

قوله : فما الضدان . الضدان هما اللذان لا يجتمعان ، وقد يرتفعان كالسواد والبياض[٢] .

قال الناظم :

يا والهاً هانت عليه نفسه إذ باعها غبناً بكل هوان

أتبيع من تهواه نفسك طائعاً بالصد والتعذيب والهجران

---

(١) في الاصل « مختصر الصحاح » . وما أثبتناه هو الصواب ، وكذلك سيذكره المؤلف بعد قليل باسم الذي سماه به مؤلفه .

(٢) الضدان لا يجتمعان وقد يرتفعان كالمثال الذي ذكره .

أجهلت أوصاف المبيع وقدره ... ام كنت ذا جهل بذي الأثمان
واهاً لقلب لا يفارق طيره الـ ... أغصان قائمة على الكثبان
ويظل يسجع فوقها ولغيره ... منها الثمار وكل قطف دان
ويبيت يبكي والمواصل ضاحك ... ويظل يشكو وهو ذو هجران
هذا ولو أن الجمال معلق ... بالنجم همّ اليه بالطيران
لله زائرة بليل لم تخف ... عسس الامير ومرصد السجان
قطعت بلاد الشام ثم تيممت ... من أرض طيبة مطلع الايمان
وأتت على وادي العقيق فجاوزت ... ميقاته حلاً بلا نكران
وأتت على وادي الأراك ولم يكن ... قصداً لها فألاً بأن ستراني
وأتت على عرفات ثم محسر ... ومنى فكم نحرته من قربان
وأتت على الجمرات ثم تيممت ... ذات الستور وربة الاركان
هذا وما طافت ولا استلمت ولا ... رمت الجمار ولا سعت لقران
ورقت على أعلى الصفا فتيممت ... داراً هنالك للمحب العاني
أترى الدليل أعارها أثوابه ... والريح أعطتها من الخفقان
والله لو أن الدليل مكانها ... ما كان ذلك منه في إمكان
هذا ولو سارت مسير الريح ما ... وصلت به ليلا الى نعمان
سارت وكان دليلها في سيرها ... سعد السعود وليس بالدبران

وردت جفار الدمع وهي غزيرة فلذاك ما احتاجت ورود الضان
وعلت على متن الهوى وتزودت ذكرى الحبيب ووصلة المتدان

قوله : واهاً هي كلمة يقولها المتعجب . قال الجوهري : اذا تعجبت من طيب الشيء قلت : واهاً له ، ما أطيبه ، وكذلك في التفجيع واهاً وواه أيضاً انتهى .

قوله : لا يفارق طيره الاغصان . المراد بالاغصان : القدود ، كقوله :

أأغصان بان ما أرى أم شمائل

قوله : قائمة على الكثبان ، أي الأرداف ، لأن ذلك يسمى الكثيب والنقا (١) واعلم أن للشعر ألفاظاً صارت بينهم حقائق عرفية ، وان كانت في الأصل مجازاً لكثرة دورانها في كلامهم ، وتعاطيهم استعمالاتها ، لأنهم ألفوا ذلك من تداولها وتكرارها على مسامعهم ، فمن ذلك الغصن إذا أطلقوه فهموا منه القوام ، والكثيب ، إذا أطلقوه فهموا منه الردف ، والورد ، إذا اطلقوه فهموا منه الوجه ، والأقاح إذا أطلقوه فهموا منه الثغر ، والراح إذا أطلقوه فهموا منه الريق ، والنرجس إذا أطلقوه فهموا منه العيون ، وكذا السيف والسهم والسحر والبنفسج والريحان ، العذار ، كل هذه انتقلت عن وضعها الاصلي وصارت حقائق عرفية نقلها الاصطلاح.

قوله: يسجع. قال في « مختار الصحاح » السجع : الكلام المقفى ، وجمعه أسجاع وأساجيع ، وقد سجع الرجل من باب قطع ، وسجع أيضاً تسجيعاً ، وكلام مسجع وأساجيع ، وسجعت الحمامة : هدرت ، وسجعت الناقة : مدت حنينها على جهة واحدة . انتهى .

---

(١) قوله الأرداف الى آخره ما أبرد هذا التفسير وابعده عن مقاصد ابن القيم وأي فائدة بذلك، وبمطالعة ما كتبه الشيخ عبداللطيف يعرف مقصد ابن القيم (ابن مانع)

قوله: لله زائرة بليل الخ. قولهم: لله فلان. أصله: لله در فلان بفتح الدال، وهو اللبن، فيحتمل أنه كناية عن فعل الممدوح، أو يراد به لبن ارتضاعه، أي: ما أعجب هذا اللبن الذي نشأ به مثل هذا المولود الكامل في هذه الصفة، وعلى كل حال فاضافته لله للتعظيم، لأنه منشىء العجائب.

قوله: عسس الأمير. قال في «مختار الصحاح»: عس من باب رد: طاف بالليل، وعسساً أيضاً وهو نفض الليل عن أهل الريبة، فهو عاس، وقوم عسس كخادم وخدم، وطالب وطلب، وأعتس، مثل عس. انتهى.

قوله: من أرض طيبة، هي المدينة المنورة.

قوله: وادي العقيق. قال الشيخ محمد طاهر الفتني في «مجمع البحار»: هو وادٍ من أودية المدينة، وورد أنه واد مبارك، ومنه أتاني آت بالعقيق، والآتي جبريل، وورد أن العقيق ميقات أهل العراق، وهو موضع قريب من ذات عرق، وهو اسم مواضع كثيرة، وكل موضع شققته من الارض فهو عقيق. انتهى. وفي «منسك شيخ الاسلام» أن ذا الحليفة يسمى وادي العقيق.

وأتت على وادي الأراك ولم يكن   قصداً لها فألاً بأن ستراني

الأراك كالإرك بالكسر: شجر من الحمض يستاك به وإبل أراكية ترعاه، قاله في «القاموس» أي: إن هذه العروس أتت على وادي الاراك، وليس هو طريقاً لها؛ ولكن فعلت ذلك تفاؤلاً[1] بأن ترى محبها.

قوله: سارت وكان دليلها في سيرها الخ. قال العلامة العيني في «شرح الشواهد الكبرى» في شرح قول الشاعر:

---

(١) قوله فعلت ذلك تفاؤلاً، فيه نظر، فان التفاؤل ليس مقصوداً لها، ولكنها أتته من غير قصد له، فحصل التفاؤل.

إذا دبران منك يوماً لقيتـــه أؤمل أن ألقاك غدواً بأسعد

قال : دبران: علم على الكوكب الذي بدبر الثريا ، وهو خمسة كواكب في الثور . يقال انها سنامه . الى أن قال : والحاصل ان ذكر الدبران التي هي علم للكواكب الخمسة ، وكنى بها عن الإدبار الذي هو ضد الإقبال والسعد ، وذكر الأسعد التي هي سعود النجوم ، وكنى بها عن السعد الذي هو ضد النحس ؛ والمعنى اذا رأيت منك ادباراً يوماً - يعني شيئاً أكرهه - ؛ فلا أقطع رجائي منك ؛ ولكن أؤمل حصول خيرك من بعد ذلك ؛ بأن ألقاك في سعد وإقبال . انتهى . أي لأن هذه العروس جاءت من الشام ؛ والجائي من الشام يتيمم جهة مطلع سعد السعود ، لأنه في جهة الجنوب ، ولو استدل بالدبران لما اهتدى . ويحتمل أن مراد الناظم التفاؤل باسم سعد السعود (١) ، لأن النبي ﷺ « كان يعجبه الفأل »(٢) وكان يقول : « إذا بعثتم إلي بريداً فابعثوه حسن الاسم حسن الوجه »(٣) او كما قال . قال الناظم رحمه الله تعالى :

وعدت بزورتها فأوفت بالذي وعدت وكان بملتقى الأجفان

لم يفجأ المشتاق الا وهي دا خلة الستور بغير ما استئذان

قالت وقد كشفت نقاب الحسن ما بالصبر لي عن ان أراك يدان

فتحدثت عندي حديثاً خلته صدقاً وقد كذبت به العينان

فعجبت منه وقلت من فرحي به طمعاً ولكن المنـــام دهاني

ان كنت كاذبة الذي حدثتني فعليك إثم الكاذب الفتان

جهم بن صفوان وشيعته الالى جحدوا صفات الخالق الديان

(ابن مانع)

(١) الذي ذكره العلماء أن الفأل لا يقصد .

(٢) أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة ، والحاكم عن عائشة بلفظ : « كان يعجبه الفأل الحسن » وقد حسن الحافظ ابن حجر في « الفتح » اسناده . وروى الشيخان : « لا طيرة وخيرها الفأل . قالوا : وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » .

(٣) أورده الحافظ السيوطي في « الجامع الصغير » ورمز له بالضعف .

قوله : وعدت بزورتها فأوفت بالذي الخ ؛ أي : أنها وعدت بالزيارة فأوفت بها في المنام ، ولهذا قال : وكان بملتقى الاجفان . وكما قال قبل ذلك : لله زائرة بليل . قوله : نقاب. قال في « القاموس » بالكسر : الرجل العلامة[١] ، وماتنتقب به المرأة والطريق في الغلظ . قوله : إن كنت كاذبة الذي حدثتني الخ .. هذا يسمى حسن التخلص عند أهل البديع . قوله : جهم ابن صفوان . هو على ما قال الذهبي في «الميزان» : جهم بن صفوان ابو محرز السمرقندي الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، هلك في زمان التابعين ، وما علمته روى شيئاً ، لكنه زرع شراً عظيما . وقال البخاري في « رسالة خلق أفعال العباد » حدثني أبو جعفر قل حدثني يحيى بن أيوب ، قال : سمعت أبا نعيم البلخي ، قال : كان رجل من أهل مرو ، صديقاً لجهم ، ثم قطعه وجفاه فقيل له : لم جفوته ؟ فقال : احتملت منه ما لا يحتمل ، قرأت يوماً آية كذا وكذا ، أنسيها يحيى . فقال : ما كان أظرف محمداً ، فاحتملتها ؛ ثم قرأ سورة (طه) فلما قال : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ . قال : أما والله لو وجدت سبيلاً الى حككتها من المصاحف ؛ فاحتملتها ؛ ثم قرأ سورة (القصص) فلما انتهى الى ذكر موسى قال : ما هنا ذكر قصته في موضع ؛ فلم يتمها ؛ ثم رمى بالمصحف من حجر . برجليه ، فوثبت عليه حدثني أبو جعفر ، قال : سمعت يحي بن أيوب ، قال : كنا ذات يوم عند مروان بن معاوية الفزاري ، فسأله رجل عن حديث الرؤية ، فلم يحدث به قال : ان لم تحدثني به فأنت جهمي . فقال مروان : تقول لي جهمي ، وجهم مكث اربعين يوماً لا يعرف ربه وقال البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد » : بلغني أن جهماً كان يأخذ من الجعد بن درهم ، وكان خالد القسري أمير العراق خطب ، فقال : إني مضح بالجعد بن درهم ، لأنه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً ، ولم يكلم

(١) في الاصل : الرجل والعلامة، وهو خطأ التصويب من« القاموس » .

موسى تكليما . ونقل البخاري عن محمد بن مقاتل قال : قال عبد الله ابن المبارك :

ولا أقول بقول الجهم إن له قولاً يضارع أهل الشرك أحياناً

وعن عبد الله بن شوذب قال : ترك الجهم الصلاة اربعين يوماً على وجه الشك، وذكر الطبري في «تاريخه» في حوادث سنة ثمان[1] وعشرين (بعد المائة) أن الحارث بن سريج خرج على نصر بن سيار عامل خراسان لبني امية، وحاربه، والحارث حينئذ يدعو الى العمل بالكتاب والسنة، وكان جهم حينئذ كاتبه، ثم تراسلا بالصلح، وتراضيا بحكم مقاتل بن حيان والجهم، فاتفقا على أن الأمر يكون شورى حتى يتراضى أهل خراسان على أمير يحكم بينهم بالعدل فلم يقبل نصر ذلك، واستمر على محاربة الحارث إلى أن قتل الحارث في سنة ثمان وعشرين (بعد المائة) في خلافة مروان الحمار. فيقال : ان الجهم قتل في المعركة ومقاتل أسر ؛ فأمر نصر بن سيار سالم بن أحوز بقتله ؛ فادعى جهم الأمان فقال له سالم : لو كنت في بطني لشققته حتى أقتلك ؛ فقتله .

وأخرج ابن ابي حاتم من طريق محمد بن صالح مولى بني هاشم قال : قال سالم حين أخذه : يا جهم إني لست اقتلك لأنك قاتلتني ؛ أنت عندي أحقر من ذلك ؛ ولكني سمعتك تكلم بكلام، أعطيت الله عهداً أن لا أملكك إلا قتلتك ؛ فقتله . ومن طريق معتمر بن سليمان عن خلاد الطفاوي ؛ بلغ سالم ابن أحوز وكان على شرطة خراسان أن جهم بن صفوان ينكر ان الله كلم موسى تكليما ؛ فقتله . ومن طريق بكر بن معروف قال : رأيت سالم بن أحوز حين ضرب عنق جهم ؛ فاسود وجه جهم .

وأسند أبو القاسم اللالكائي في كتاب « السنة » له أن قتل جهم كان في سنة اثنتين وثلاثين ومائة والمعتمد ما ذكره الطبري أنه كان في سنة ثمان وعشرين (بعد المائة) .

---

(١) في الاصل : تسع ، وهو خطأ ، والتصويب من « تاريخ الطبري » .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق صالح بن احمد بن حنبل قال : قرأت كتاب داود بن هشام بن عبد الملك الى نصر بن سيار عامل خراسان : أما بعد فقد نجم قبلك رجل يقال له جهم من الدهرية ؛ فان ظفرت به فاقتله .

وقد ذكر الامام احمد رحمه الله بعض حال الجهم ؛ كما سيأتي في شرح قول الناظم . ولذلك لم يقر الجهم بالأرواح خارجة عن الأبدان .

وقال علي بن الحسن : سمعت ابن مصعب يقول : كفرت الجهمية في غير موضع من : كتاب الله قولهم : إن الجنة تفنى . وقال الله تعالى : (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) ص : ٥٤ فمن قال : انها تنفد فقد كفر . وقال (لا مقطوعة ولا ممنوعة) الواقعة : ٣٣ فمن قال : انها تنقطع فقد كفر. وقال بلغوا الجهمية أنهم كفار ؛ وأن نساءهم طوالق .

وقال زهير البابي[1] : سمعت سلام ابن أبي مطيع يقول : الجهمية كفار . وقال وكيع : أحدثوا هؤلاء المرجئة الجهمية والجهمية كفار. وقال ابن الأسود : سمعت ابن مهدي يقول ليحيى بن سعيد : لو أن جهمياً بيني وبينه قرابة مااستحللت من ميراثه شيئاً .

وقال يزيد بن هارون : الجهمي أضر من مائتي شيطان . قال أبو عبد الله : ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي أم صليت خلف اليهود والنصارى . ولا يسلم عليهم ؛ ولا يعادون ؛ ولا يناكحون ؛ ولا يشهدون ؛ ولا تؤكل ذبائحهم . وسئل وكيع عن مثنى الأنماطي فقال : كافر . وقال عبد الله بن داود لو كان لي على المثنى الانماطي سبيل لنزعت لسانه من قفاه ؛ وكان جهميا . وحذر يزيد بن هارون من الجهمية وقال : من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العباد فهو جهمي . وقال ضمرة بن ربيعة عن صدورة ؟ سمعت سليمان التيمي يقول : لو سئلت عن الله لقلت في السماء . فإن قال فأين عرشه قبل السماء ؟ لقلت : على الماء . فإن قال : فأين

(١) في الاصل : السخيباني وهو خطأ . والتصويب من « كتاب» «الرد على الجهمية».

كان عرشه قبل الماء ؟ قلت : لا اعلم . قال أبو عبدالله : وذلك لقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) البقرة : ٢٥٥ يعني : إلا بما بين .
وقال محمد بن يوسف : من قال : ان الله ليس على عرشه فهو كافر ، ومن زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر . وقيل لمحمد بن يوسف : ادركت الناس ، فهل سمعت أحداً يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال : الشيطان تكلم بهذا ؛ ومن تكلم في هذا والجهمي كافر . وقال ابن المبارك : لا نقول كما قال الجهمية : ان الله في الأرض ههنا . بل على العرش استوى وقيل له كيف نعرف ربنا ؟ قال : فوق سماواته على عرشه . وقال لرجل منهم : أبطنك خال منه ؟ فبهت الآخر . وقال سعيد بن عامر : الجهمية شر قولاً من اليهود والنصارى ؛ قد اجمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان على ان الله على العرش وقالوا هم؛ ليس على العرش . وقال حماد بن زيد القرآن ، كلام الله ؛ نزل به جبريل ، ما يحاولون الا انه ليس في السماء إله . وقال علي : ان الذين قالوا ان لله ولداً أكفر من الذين قالوا إن الله لايتكلم (١) .وقال : احذر من المريسي واصحابه ؛ فان كلامهم اشتمل على الزندقة ، وأنا كلمت استاذهم جهماً فلم يثبت لي أن في السماء إلهاً وقال الفضيل بن عياض : اذا قال لك الجهمي : انا أكفر برب يزول عن مكانه . فقل : انا أؤمن برب يفعل مايشاء .
وحدثني ابو جعفر ، قال . سمعت الحسن بن موسى الأشيب فنال منهم ، ثم قال : دخل رأس من رؤساء الزنادقة يقال له : شمعلة على المهدى فقال : دلني على اصحابك . فقال أصحابي اكثر من ذلك . فقال : دلني عليهم ، فقال : صنفان ممن ينتحل القبلة : الجهمية والقدرية . الجهمي اذا غلا قال ليس ثم شيء ، وأشار الأشيب الى السماء ، والقدري إذا غلا قال : هما اثنان ؛ خالق خير وخالق شر . فضرب عنقه وصلبه . قال وكيع : الرافضة شر من القدرية ، والحرورية شر منهما ؛ والجهمية شر هذه الأصناف ، قال الله : (وكلم الله موسى تكليما) النساء : ١٦٤ .

---

(١) لعل صواب الجملة : إن الذين قالوا إن الله لايتكلم أكفر من الذين قالوا إن لله ولداً . وإلا كان لهذا الكلام معنى هنا .

ويقولون : لم يتكلم . ويقولون : الايمان بالقلب : قال ابن عباس : لما كلم الله موسى كان النداء من السماء ،وكان الله في السماء وقال عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله على عرشه فوق سمواته ، وسمواته فوق ارضه مثل القبة . وقال ابن مسعود في قوله : ثم استوى على العرش . قال : العرش على الماء ، والله فوق العرش ، وهو يعلم ما انتم عليه . وقال قتادة في قوله : وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله قال : يعبد في السماء ، ويعبد في الأرض . وقال بعض أهل العلم : إن الجهمية هم المشبهة ، لأنهم شبهوا ربهم بالصنم والأصم والأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر انتهى . ملتقط من مواضع . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية الخ ماذكره في الحموية : (ثم أصل هذه المقالة إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال)[1] الصابئين ، فان أول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة في الاسلام هو الجعد بن درهم ،وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية اليه . وقيل : ان الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان ؛ وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي ؛ وأخذها طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ وكان الجعد بن درهم هذا فيما قيل من أهل حران ، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا اهل دين النمرود والكنعانيين الذين صنف بعض المتاخرين في سحرهم . وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حران . وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته ، وأخذها الجهم أيضاً فيما ذكره الامام احمد وغيره لما ناظر السمنية (عن) بعض فلاسفة الهند ، وهم الذين يجحدون من العلوم ماسوى الحسيات ؛ فهذه أسانيد جهم ترجع الى اليهود والصابئين والمشركين ، والفلاسفة الضالين ، إما عن الصائبين ؛ وإما من المشركين انتهى والمقصود

---

(١) مابين القوسين سقط في الأصل . واستدركناه من العقيدة الحموية الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية .

الكلام على قول الناظم رحمه الله تعالى جهم : بن صفوان وشيعته الألى ، والألى اسم موصول بمعنى الذين جحدوا صفات الخالق الديان. المعنى ان جهماً وشيعته جحدوا صفات الباريء سبحانه وتعالى عن قولهم ، والجهم هو أعظم الناس نفياً للصفات ، بل وللأسماء الحسنى، قوله من جنس قول الباطنية القرامطة ، حتى ذكروا عنه أنه لا يسمي الله شيئاً ، ولا غير ذلك من الأسماء التي يسمى بها المخلوق ؛ لأن ذلك بزعمه من التشبيه الممتنع ، وهذا قول القرامطة الباطنية . وحكي عنه أنه لا يسميه الا قادراً فاعلًا لأن العبد عنده ليس بقادر ولا فاعل ؛ إذ كان هو رأس المجبرة.

قال النّاظم رَحِمَهُ الله :

بل عطلوا منه السموات العلى ... والعرش أخلوه من الرحمن
ونفوا كلام الرب جل جلاله ... وقضوا له بالخلق والحدثان
قالوا وليس لربنا سمع ولا ... بصر ولا وجه فكيف يدان
وكذاك ليس لربنا من قدرة ... وإرادة أو رحمة وحنان
كلا ولا وصف يقوم به سوى ... ذات مجردة بغير معان
وحياته هي نفسه وكلامه ... هو غيره فاعجب لذا البهتان
وكذاك قالوا ماله من خلقه ... أحد يكون خليله النفسان
وخليله المحتاج عندهم ، وفي ... ذا الوصف يدخل عابدو الاوثان
فالكل مفتقر اليه لذاته ... في أسر قبضته ذليل عان
ولأجل ذا ضحى بجعد خالد القسري ... يوم ذبائح القربان
إذ قال ابراهيم ليس خليله ... كلا ولا موسى الكليم الدان

شكر الضحية كل صاحب سنة   لله درك من أخي قربان

قوله : وكلامه هو غيره . أي : ان كلامه مخلوق من جملة المخلوقات . لأن كلامه غيره ، وما كان غيره فهو مخلوق . قوله : وكذاك قالوا ماله من خلقه أحد الخ ؛ أي : ان الجهمية ينكرون الخلة والمحبة ؛ وإنما يثبتون الخلة بمعنى الفقر والحاجة ؛ فهم ينكرون أن الله سبحانه يحب أو يحب ؛ أي . فكل فقير لله ؛ فهو خليله بهذا المعنى ؛ ولهذا ألزمهم الناظم بهذا الالزام ؛ أي : ان الناس كلهم فقراء الى الله تعالى ؛ كما قال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) الآية فاطر : ١٥ . فيلزم على قول الجهمية أن جميع الخلق أخلاء الله ، حتى عابدو الأوثان والأصنام . قوله : كلا ولا وصف يقوم به الخ ؛ أي : إن الباري تعالى وتقدس عندهم لا يوصف الا بأنه الوجود المطلق ، والوجود المطلق إنما يكون في الأذهان لا في الأعيان . قوله : وحياته هي نفسه ؛ أي : ان الصفات ترجع الى مجرد الذات المقدسة ؛ فهذا حال الجهمية الأولين ؛ وهم الجهمية الذكور ؛ وأما الجهمية المتأخرون الذين سماهم شيخ الاسلام أبو اسماعيل الأنصاري صاحب « منازل السائرين » الجهمية الاناث ؛ فقد قال شيخ الاسلام المذكور في كتابه « ذم الكلام » باب في ذكر كلام الأشعرية . ولما نظر المبرزون من علماء هذه الامة وأهل الفهم من أهل السنة طوايا كلام الجهمية ، وما أودعته من رموز الفلاسفة ولم تقف منهم الا على التعطيل البحت ؛ وأن قطب مذهبهم ومنتهى عقيدتهم ما صرحت به رؤوس الزنادقة قبلهم ، أن الفلك دوار ؛ والسماء خالية ؛ وأن قولهم : إنه تعالى في كل موضع ؛ وفي كل شيء ما استثنوا جوف كلب ؛ ولا خنزير ؛ ولا حشاً فرار من الاثبات ؛ وذهاب عن التحقيق .

وان قولهم : سميع بلا سمع ؛ بصير بلا بصر ؛ عليم بلا علم ، قدير بلا قدرة ؛ إله بلا نفس ولا شخص ولا صورة ؛ ثم قالوا : لا حيـاة له ، ثم قالوا : لاشيء ، فانه لوكان شيئاً لأشبه الاشياء . حاموا[1] حول مقال رؤوس الزنادقة القدماء ، إذ قالوا : الباري لاصفة ؛ ولا لاصفة ، خافوا على قلوب ضعفى المسلمين وأهل الغفلة وقلة الفهم منهم ؛ إذ كان ظاهر تعلقهم بالقرآن ؛ وإن كان اعتصاماً به من السيف ؛ واجتناناً به منهم ؛ وإذ هم يرون التوحيد ؛ ويخاوضون المسلمين ؛ ويحملون الطيالســة ؛ فأفصحوا بمعانيهم ؛ وصاحوا بسوء ضمائرهم ؛ ونادوا على خبايا نكثهم ؛ فيا طول مالقوا في ايامهم من سيوف الخلفاء ؛ وألسن العلمـاء ؛ وهجران الدهمـاء ؛ فقد شحنت كتاب تكفير الجهمية من مقالات علماء الاســلام فيهم ، ودأب الخلفاء فيهم ؛ ودق عامة أهل السنة عليهم ؛ واجماع المسلمين على اخراجهم من الملة ؛ ثقلت عليهم الوحشة وطالت عليهم الذله ؛ وأعيتهم الحيلة ؛ الا ان يظهروا الخلاف لأولاهم ؛ والرد عليهم ؛ ويصبغوا كلامهم صبغاً[2] يكون ألوح للأفهام ؛ وأنجع في العـوام من أساس أولهم ؛ ليجـدوا بذلك المساغ ؛ ويتخلصوا من خزي الشناعة ؛ فجاءت مخاريق تراءى للغبي بغير مافي الحشايا ؛ ينظر الناظر الفهم في جذورها ؛ فيرى مخ[3] الفلسفة يكسى لحاء السنة ؛ وعقد الجهمية ينحل ألقاب الحـكمة ؛ ويردون على اليهود قولهم : يد الله مغلولة ، فينكرون الغل ؛ وينكرون اليد ، فيكونون أسوأ حـالاً من اليهود ؛ لأن الله أثبت الصفـة ؛ ونفى العيب ؛ واليهود أثبتت الصفـــة ؛ وأثبتت العيب ؛ وهؤلاء نفوا الصفة ؛ كما نفوا العيب ؛ ويردون على النصارى في مقالهم في عيسى وأمه ؛ فيقولون . لايكون في المخلوق غير المخلوق ؛ فيبطلون القرآن ؛ فلا يخفى على ذوي الألباب أن كلام أولاهم وكلام أخراهم كخيط السحارة ؛ فاسمعوا يا أولي الألباب ، وانظروا ما فضـل هؤلاء على أولئك

---

(١) في الأصل : حاولو

(٢) في الاصل : ويصفوا كلامهم وصفاً . والتصحيح من « ذم الكلام وأهله » وهو من مخطوطات الظاهرية .

(٣) في الأصل : حدوها فيرمخ . والتصحيح من « ذم الكلام وأهله » .

أولئك قالوا قبح الله مقالتهم ؛ إن الله موجود بكل مكان ؛ وهؤلاء يقولون : ليس هو في مكان ؛ ولا يوصف بأين . وقد قال المبلغ عن الله لجارية معاوية بن الحكم : أين الله ؟ وقالوا : هو من فوق ؛ كما هو من تحت ؛ لا يدرى أين هو ؛ ولا يوصف بمكان ؛ وليس هو في السماء ؛ وليس هو في الأرض . وأنكروا ؛ أي : الجهة والحد . وقال : أولئك ليس له كلام ، إنما خلق كلاماً ، وهؤلاء يقولون : تكلم مرة فهو متكلم به منذ تكلم ؛ لم ينقطع الكلام ؛ ولا يوجد كلامه في موضع ليس هو به ، ثم قالوا ليس هو صوت ولا حروف ، وقالوا هذا زاج وورق ، وهذا صوف وخشب ، وهذا إنما قصد به النقش ، وأريد به النقر ، وهذا صوت القارىء أما ترى أن منه حسناً ومنه قبيحاً ، وهذا لفظه . اما تراه يجازى به ، حتى قال رأس من رؤوسهم ، أو يكون قرآن من لبد ، وقال آخر من خشب ، فراوغوا[1] فقالوا ، هذا حكاية عبر بها عن القرآن ، والله تكلم مرة ولا يتكلم بعد ذلك ثم قالوا : غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر ، وهذا من فخوخهم يصطادون به قلوب عوام اهل السنة ، وإنما اعتقادهم أن القرآن غير موجود ، لفظته الجهمية الذكور بمرة ، والاشعرية الاناث بعشر مرات ، وأولئك قالوا : لا صفة ، وهؤلاء يقولون : وجه ، كما يقال : وجه النهار ، ووجه الأمر ، ووجه الحديث ، وعين كعين المتاع ، وسمع كأذن الجدار ، وبصر ، كما يقال : جداراهما يتراءيان ، ويد كيد المنة والعطيه ، والأصابع ، كقولهم : خراسان بين اصبعي[2] الأمير ، والقدمان ، كقولهم : جعلت الخصومة تحت قدمي ، والقبضة ، كما قيل : فلان في قبضتي . أي ؛ انا أملك أمره . وقالوا : الكرسي العلم ، والعرش الملك ، والضحك الرضى ، والاستواء الاستيلاء ، والنزول القبول ، والهرولة مثله ، فشبهوا من وجه ، وأنكروا من وجه ، وخالفوا السلف ، وتعدوا الظاهر ، وردوا الأصل ،

---

(١) في الاصل : فراغوا . والتصحيح من «ذم الكلام وأهله» .

(٢) في الاصل : أصابع . والتصحيح — = = =

ولم يثبتوا شيئاً، ولم ينفوا موجوداً، ولم يفرقوا بين التفسير والعبارة: بالألسنة. فقالوا لا نفسرها، نجريها عربية كما وردت، وقد تأولوا تلك التأويلات الخبيثة، أرادوا بهذه المخرقة أن يكون عوام المسلمين أبعد غياباً وأعيا ذهاباً منها، ليكونوا أوحش عند ذكرها، وأشمس عند سماعها، وكذبوا، بل التفسير أن يقال: وجه، ثم يقال: كيف، وليس كيف في هذا الباب من مقال المسلمين. فأما العبارة فقد قال الله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة) المائدة: ٦٤ وإنما قالوا هم بالعبرانية، فحكاها عنهم بالعربية، وكان يكتب رسول الله ﷺ (كتابه) بالعربية فيها أسماء الله وصفاته، فيعبر بالألسنة عنها ويكتب إليه بالسريانية، فيعبر له زيد بن ثابت رضي الله عنه بالعربية، والله تعالى يدعى بكل لسان بأسمائه، فيجيب ويحلف بها، فيلزم وينشد فيجار ويوصف فيعرف، ثم قالوا. ليس ذات الرسول بحجة، وقالوا: ما هو بعد ما مات بمبلغ، فلا تلزم به[1] الحجة، فسقط من أقاويلهم ثلاثة أشياء، أن ليس في السماء رب، ولا في الروضة رسول، ولا في الأرض كتاب، كما سمعت يحيى بن عمار[2] يحكم به عليهم وإن كانوا[3] موهوها وورووا عنها واستوحشوا من تصريحها، فإن حقائقها لازمة لهم، وابطلوا التقليد، فكفروا آباءهم وأمهاتهم وأزواجهم وعوام المسلمين، وأوجبوا النظر في الكلام، واضطروا اليه (الدين) بزعمهم، فكفروا السلف (وقالت الطائفة منهم: الفرض لا يتكرر) فأبطلت الشرائع، وسموا الاثبات تشبيهاً، فعابوا القرآن وضللوا الرسول ﷺ فلا تكاد ترى منهم رجلاً ورعاً، ولا للشريعة معظماً، ولا للقرآن محترماً، ولا للحديث موقراً، سلبوا التقوى، ورقة القلب، وبركة التعبد، ووقار الخشوع، واستفضلوا الرسول، فانظر الى احدهم، فلا هو

---

(١) في الاصل: فيلزم. والتصحيح من «ذم الكلام».

(٢) يحيى بن عمار: هو الإمام الواعظ السجستاني نزيل هراة اثنى عليه في «الشذرات». مات سنة ٤٢٢ (ابن مانع)

(٣) في الاصل: كان. والتصحيح من «ذم الكلام».

طالب آثاره[١]، ولا متتبع أخباره، ولا مناضل عن سنته. ولا هو راغب في أسوته، يتقلب بمرتبة العلم وما عرف حديثاً واحداً، تراه يهزأ بالدين، ويضرب له الأمثال، ويتلعب بأهل السنة، ويخرجهم أصلاً من العلم، لا تنقر لهم عن بطانة إلا خانتك، ولا عن عقيدة الا أرابتك، ألبسوا ظلمة الهزء[٢]، وسلبوا هيبة الهدى، فتنبو عنهم الأعين، وتشمئز منهم القلوب انتهى. قوله: ولأجل ذا ضحى بجعد خالد القسري الخ. أي: ولأجل إنكار الخلة والكلام، ضحى خالد بن عبد الله القسري بالجعد بن درهم يوم الأضحى، ولهذا قال الناظم رحمه الله تعالى:

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان

وهو خالد بن عبد الله القسري بفتح القاف. قال: في «تهذيب الكمال» خالد بن عبد الله بن يزيد بن كرز بن عامر البجلي القسري أمير مكة للوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك، وأمير العراقين لهشام بن عبد الملك وقال البخاري: كان خالد بن عبد الله القسري البجلي اليماني بواسط، ثم قتل بالكوفة. وقال أبو المليح الرقي: سمعت خالد بن عبد الله يقول على المنبر: قد اجتمع من فيئكم هذا ألفا ألف، لم يظلم فيها مسلم ولا معاهد وقال عبد الرحمن بن أحمد بن زيد: ثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور، ثنا الاصمعي، قال: حدثنا عبد الله بن نوح قال: سمعت خالد بن عبد الله يقول: إني لأعشي كل ليلة تمراً وسويقاً ستة وثلاثين ألفاً. وقال الاصمعي: دخل أعرابي على خالد بن عبد الله فقال: إني قد أنشدت فيك بيتين، ولست أنشدهما الا بعشرة آلاف وخادم، فقال له خالد: قل، فأنشأ يقول:

لزمت نعم حتى كأنك لم تكن سمعت من الأشياء، شيئاً سوى نعم

---

(١) في الاصل: أثره، والتصحيح من «ذم الكلام وأهله».

(٢) في الاصل: ألبسوا ظلمة الهوى. والتصحيح من «ذم الكلام وأهله».

وأنكرت لاحتى كأنك لم تكن سمعت بها في سالف الدهر والامم

فقال خالد . ياغلام عشرة آلاف وخادم ، فحملها قال . ودخل عليه أعرابي فقال : إني قد قلت فيك شعراً ، وأنشأ يقول :

أخالد إني لم أزرك لحاجة سوى أنني عاف وأنت جواد

أخالد إن الحمد والأجر حاجتي فأيهما يأتي وأنت عماد

فقال له . سل يا أعرابي . قال : قد جعلت المسألة الي أصلح الله الأمير؟ مائة ألف درهم قال : أكثرت يا أعرابي . قال : أفأحطك أصلح الله الأمير . قال . نعم قال : حططتك سبعين ألفاً ، فقال له خالد : يا أعرابي ، ما أدري من أي أمريك أعجب ؟! فقال له : إنك لما جعلت المسألة لي سألتك على قدرك ، وما تستحقه في نفسك ، فلما سألتني أن أحطك حططتك على قدري وما أستأهله . فقال له خالد : والله يا أعرابي لاتغلبني ياغلام مائة ألف ، فدفعها اليه . قال خليفة : قتل خالد سنة ست وعشرين ومائة وهو ابن نحو ستين سنة انتهى مختصراً، وقد تقدمت ترجمة الجهم .

وأما الجعد فهو ابن درهم قال : بخلق القرآن ، وهو الذي كان ينسب اليه مروان الجعدي ، أصله من حران . ويقال : إنه من موالي بني مروان ، وسكن دمشق .

قال الحافظ ابن عساكر : وقد أخذ بدعته عن بيان بن سمعان ، وأخذها بيان عن طالوت بن أخت لبيد بن أعصم ، وزوج ابنته عن لبيد ابن أعصم الساحر لعنه الله ، وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان الجريري ، وقيل : الترمذي ، وأقام ببلخ ، وكان يصلي مع مقاتل بن سليمان في مسجده ويتناظران ، حتى نفي الى ترمذ ، ثم قتل بأصبهان . وقيل : بمرو ،

وقتله نائبها مسلم بن أحوز رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً ، وأخذ بشر المريسي عن الجهم ، وأخذ أحمد بن أبي دؤاد عن بشر . وأما الجعد فانه أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن ، فتطلبه بنو أمية فهرب منهم فسكن الكوفة ، فلقيه بها الجهم بن صفوان ، فتقلد عنه هذا القول ، ثم قتله خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى بالكوفة . وقد روى البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد » وابن أبي حاتم في كتاب « السنة » وغير واحد ممن صنف في كتب السنة ، كالطبراني ، وابن ابي عاصم ، وعبد الله بن أحمد، أن خالد بن عبد الله القسري خطب الناس في عيد أضحى. فقال : أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فاني مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً ، ثم نزل فذبحه في أصل المنبر . قال غير واحد من الأئمة : كان الجعد بن درهم من أهل الشام ، وهو مؤدب مروان الحمار ، ولهذا يقال له : مروان الجعدي نسبة إليه . وذكره الحافظ ابن عساكر في « التاريخ » وذكر أنه كان يتردد إلى وهب بن منبه ، وأنه كان كلما راح الى وهب يغتسل ويقول : إنه أجمع للعقل . وكان يسأل وهباً عن ماهية الله عز وجل. فقال له وهب يوماً : ويلك يا جعد أنقص المسألة إني لأظنك من الهالكين ، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً ما قلنا ذلك، وأن له عيناً ما قلنا ذلك . قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

والعبد عندهم فليس بفاعل ... بل فعله كتحرك الرجفان

وهبوب ريح أو تحرك نائم ... وتحرك الأشجار للميلان

والله يصليه على ماليس من ... أفعاله حر الحميم الآن

لكن يعاقبه على أفعاله　　فيه تعالى الله ذو الإحسان

والظلم عندهم المحال لذاته　　أنى ينزه عنه ذو السلطان

ويكون مدحاً ذلك التنزيه ما　　هذا بمعقول لذي الأذهان

أي . والعبد عند الجهمية ليس بفاعل ، بل هو مجبور على أفعاله ، ولذلك قال الناظم . بل فعله كتحرك الرجفان ، أو تحرك الأشجار عند عند هبوب الريح . وقوله . المحال لذاته ، وذلك كالجمع بين الضدين ، وجعل الجسم الواحد في مكانين . وأما المحال لغيره ، فهو كإيمان من علم الله تعالى أنه لا يؤمن ، وذلك لأن الله تعالى أنزل الكتب وبعث الرسل بطلب الايمان والاسلام من كل واحد ، وكلفهم ذلك ، وعلم أن بعضهم لا يؤمن . وفي الحديث القدسي حديث أبي ذرفي « صحيح مسلم » عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه قال . «ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي الخ» . وفيه مسألتان : إحداهما في الظلم الذي حرمه الله تعالى على نفسه ونفاه عن نفسه لقوله : (وما ظلمناهم) هود : ١٠١ . وقوله . (ولا يظلم ربك أحداً) الكهف . ٤٩ وقوله . (وما أنا بظلام للعبيد) ق:٢٩ وقوله (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) النساء : ٤٠ فان الناس تنازعوا في معنى هذا الظلم تنازعا صاروا فيه بين طرفين متباعدين ، ووسط بينهما ، وخيار الامور أوساطها ، وذلك بسبب البحث ومجامعته للشرع ، إذ الخوض في ذلك بغير علم تام أوجب ضلال عامة الامم ، ولهذا نهى النبي ﷺ أصحابه عن التنازع فيه ، فذهب المكذبون بالقدر القائلون بأن الله لم يخلق أفعال العباد ، ولم يرد أن يكون إلا ما أمر بأن يكون ، وغلاتهم المكذبون ، بتقدم علم الله وكتابه بما سيكون من أفعال العباد من المعتزلة وغيرهم إلى أن الظلم منه هو نظير

الظلم من الآدميين بعضهم لبعض ، وشبهوه ومثلوه بالأفعال: بأفعال عباده ، حتى كانوا ممثلة الأفعال ، وضربوا لله الأمثال ، ولم يجعلوا له المثل الأعلى ، بل أو جبوا عليه وحرموا ما رأوا أنه يجب على العباد ويحرم بقياســه على العباد، وإثبات الحكم في الأصل بالرأي ، وقالوا عن هـذا إذا أمر العبد ولم يعنه بجميع ما يقدر عليه من وجوه الإعانة كان ظالمــاً له ، فالتزموا أنه لايقدر على أن يهدي ضالاً كما قالوا : إنـه لايقدر أن يضل مهتدياً ، وقالوا عن هذا ، إذا أمر اثنين بأمر واحد وخص أحدهما باعانته على فعل المأمور كان ظالمــاً ، إلى أمثال ذلك من الأمور التي هي من باب الفضل والاحسان ، جعلوا تركه لها ظلماً ، وكذلك ظنوا أن التعذيب لمن قام به سبب استحقاق ذلك ، ومن لم يقم ، وان كان ذلك الاستحقاق قــد خلقه لحكمة أخرى عامة أو خاصة ، وهذا الموضع زلت فيه أقـدام وضلت فيه أفهام، فعارض هؤلاء آخرون من أهــل الكلام المثبتين للقدر ، فقالوا : ليس للظلم منه حقيقة يمكن وجودها ، بل هو من الامـور الممتنعة لذاتها فلايجوز أن يكون مقدوراً، ولا أن يقال : إنه تارك له باختياره ومشيئته ، وإنما هو من باب الجمع بين الضدين ، وجعل الجسم الواحد في مــكانين ، وقلب القديم محدثاً ، والمحدث قديماً ، وإلا فمهما قــدر وجوده في الذهن وكان وجوده ممكناً والله قادر ، فليس بظلم ، سواء فعله أو لم يفعله، وتلقي هــذا القول عن هذه الطوائف من أهل الاثبات من الفقهاء وأهل الحديث من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم ، وربما تعلقوا بظاهر أقــوال مأثورة ، كما روينا عن إياس بن معاوية أنه قال : ماناظرت أحداً بعقلي كله إلا القدرية. قلت لهم : ما الظلم ؟ قالوا أن تأخذ ما ليس لك ، أو تتصرف فيما ليس لك. قلت : فلله كل شي، وهـذا من إياس ليبـين أن التصرفات الواقعة في ملكه ، فلا يكون ظلماً بموجب حدهم ، وهذا لانزاع بين أهـل

الاثبات فيه ، فانهم متفقون مع الايمان بالقـدر على ان كل مافعله الله فهو عدل ، وفي حديث الكرب الذي رواه الامـام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسـول الله ﷺ : ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن. فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ،ناصيتي بيدك ،ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك ، اسـألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك : أو انزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجـلاء حزني ، وذهاب غمي وهمي ، إلا أذهب الله غمه وهمه ، وأبدله مكانه فرحاً » قالوا : يارسول الله أفلا نتعلمهن ؟ قال : «بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن » فقد بين ان كل قضائه في عبده عدل ، ولهذا يقال : كل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عـدل . ويقال : أطعتك بفضلك والمنـة لك ، وعصيتك بعدلك والحجة لك ، فأسألك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي ، الا ماغفرت لي. وهذه المناظرة من اياس كما قـال ربيعة بن عبد الرحمن لغيلان حين قال له غيلان : ناشدتك الله أترى الله يحب أن يعصى ؟ فقال : ناشدتك الله ، أترى الله يعصى قهراً ؟ فكأنما ألقمه حجراً فان ، فوله يجب ان يعصى ، لفظ فيه إجمال ، وقد لا يتأتى في المناظرة تفسير المجملات ، خوفاً من لدد الخصم ، فيؤتى بالواضحات فقال : أفتراه يعصى قهراً ؟ فان هذا إلزام له بالعجز الذي هو لازم القدرية ، ولمن هو شر منهم من الدهرية الفلاسفة وغيرهم ، فكذلك إياس رأى أن هذا الجواب المطابق لحدهم خاصم لهم ، ولم يدخل معهم في التفصيل الذي يطول . وبالجملة فقوله تعالى : (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) طه : ١١٢ قال أهل التفسير من السلف : لا يخـاف أن يظلم فيحمل عليه سيئات غيره ؛ ولا يهضم فينقص من حسناته ، ولا يجوز أن يكون هـذا الظلم هو شيء ممتنع غير مقدور عليه ، فيكون التقدير : ولا يخاف ماهو ممتنع لذاته خارج

عن الممكنات والمقدورات، فان مثل هذا إذا لم يكن وجوده ممكناً حتى تقولوا: انه غير مقدور، ولو أراده الخالق المثل، فكيف يعقل وجوده فضلاً عن ان يتصور خوفه حتى ينفى خوفه. ثم اي فائدة في نفي خوف هذا؛ وقد علم من سياق الكلام أن المقصود بيان أن هذا العامل المحسن يجزى على حسناته بلا ظلم ولا هضم، فعلم ان الظلم المنفي يتعلق بالجزاء كما ذكره أهل التفسير، وأن الله لا يجزيه الا بعمله.

المسألة الثانية: ان الناس لهم في افعال الله باعتبار مايصلح منه، ومايجوز منه، وما لا يجوز منه، ثلاثة اقوال طرفان ووسط، فالطرف الواحد طرف القدرية، وهم الذين حجروا عليه أن لا يفعل إلا ماظنوا بعقولهم أنه الجائز له، حتى وضعوا له شريعة التعديل والتجويز، فأوجبوا عليه بعقولهم اموراً كثيرة، وحرموا عليه بعقولهم أموراً كثيرة، لا بمعنى أن العقل آمر له وناه، فان هذا لايقوله عاقل، بل بمعنى أن تلك الأفعال علم بالعقل وجوبها وتحريمها، ولكن أدخلوا في ذلك من المنكرات مابنوه على تكذيبهم بالقدر، وتوابع ذلك، والطرف الثاني: طرف الغلاة في الرد عليهم، وهم الذين قالوا لاينزه الله عن فعل من الافعال، ولايعلم وجه امتناع فعل منه الا من جهة خبره أنه لا يفعله، المطابق لعلمه أنه لا يفعله، وهؤلاء منعوا حقيقة ما أخبر من أنه كتب على نفسه الرحمة، وحرم على نفسه الظلم. قال تعالى: (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) الأنعام: ٥٤ وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله لما قضى الخلق كتب على نفسه كتاباً، فهو موضوع عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي» أولم يعلم هؤلاء أن الخبر المجرد المطابق للعلم لا يبين وجه فعله وتركه، إذ الفعل يطابق المعلوم، فعلمه بأنه يفعل هذا وانه لا يفعل هذا ليس فيه تعارض، لأنه

كتب هذا على نفسه ، وحرم هذا على نفسه ، كما لو أخبر عن كائن من كان أنه يفعل كذا أو لا يفعل كذا ، لم يكن في هذا بيان لكونه محموداً ممدوحاً على فعل هذا وترك هذا ، ولا في ذلك ما يبين قيام المقتضي لهذا والمانع من هذا ، فان الخبر المحض كاشف عن المخبر عنه : ليس فيه بيان ما يدعو الى الفعل ولا الى الترك ، بخلاف قوله : كتب على نفسه الرحمة ، وحرم على نفسه الظلم ، فان التحريم مانع من الفعل وكتابته على نفسه داعية من الفعل ، وهذا بين واضح ، إذ ليس المراد بذلك مجرد كتابته أنه يفعل ، وهو كتابة التقدير ، كما ثبت في « الصحيح » «أنه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء» فانه قال : كتب على نفسه الرحمة . ولو أريد كتابة التقدير لكان قد كتب على نفسه الغضب كما كتب على نفسه الرحمة، إذ كان المراد مجرد الخبر عما سيكون ولكان قد حرم على نفسه كل مالم يفعله من الاحسان ، كما حرم الظلم ، ففرق بين فعله سبحانه ، وبين ما هو مفعول مخلوق له ، وليس في مخلوقه ما هو ظلم منه وان كان بالنسبة الى فاعله الذي هو الانسان هو ظلم ، كما أن أفعال الانسان هي بالنسبة إليه تكون سرقة وزناً وصلاة وصوماً ، والله تعالى خالقها بمشيئته ، وليس بالنسبة إليه كذلك ، إذ هذه الاحكام هي للفاعل الذي قام به هذا الفعل ، كما أن الصفات هي صفات للموصوف الذي قامت به ، لا للخالق الذي خلقها وجعلها صفات ، والله تعالى خالق كل صانع وصنعته ، كما جاء ذلك في الحديث . وهو خالق كل موصوف وصفته .

ثم صفات المخلوقات ليست صفات له ، كالألوان والطعوم والروائح ، لعدم قيام ذلك به ، وكذلك حركات المخلوقات ليست حركات له ، ولا أفعال له بهذا الاعتبار ، لكونها مفعولات هو خلقها . وبهذا الفرق تزول شبه كثيرة ، والأمر الذي كتبه على نفسه يستحق عليه الحمد والثناء ، وهو

مقدس عن ترك هـذا الذي لو تركه لكان تركه نقصاً ، وكذلك الامر الذي حرمه على نفسه يستحق الحمد والثناء على تركه ، وهو مقدس عن فعله الذي لو كان لأوجب نقصاً ، وهـذا بين ولله الحمد عند الذين أوتوا العلم والايمان ، وهو أيضاً مستقر في عموم المؤمنين ، ولكن القدرية شبهوا على الناس بشبههم ، فقابلهم من قابلهم بنوع من الكلام الباطل ، كالكلام الذي كان السلف والأئمة يذمونه ، وذلك أن المعتزلة قالوا : قد حصل الاتفاق على أن الله ليس بظالم ، كما دل عليه الكتاب والسنة . والظالم : من فعل الظلم ، كما أن العادل : من فعل العدل ، هـذا هو المعروف عند الناس من مسمى هذا الاسم سمعاً وعقلاً . قالوا : ولو كان الله خالقاً لأفعال العباد التي هي الظلم لكان ظالماً ، فعارضهم هؤلاء بأن قالوا : ليس الظالم من فعل الظلم ، بل الظالم من قام به الظلم . وقال بعضهم : الظالم من اكتسب الظلم وكان منهياً عنه . وقال بعضهم : الظالم من فعل محرماً عليه أو منهياً عنه . ومنهم من قال : من فعل الظلم لنفسه ، وهؤلاء يعنون أن يكون له ، والمحرم عليه غيره الذي يجب عليه طاعته . ولهـذا كان تصور الظلم منه ممتنعاً عندهم لذاته ، كامتناع أن يكون فوقه آمر له ومساو . ويمتنع عند الطائفتين أن يعود إلى الرب تعالى من أفعاله حكم لنفسه ، وهؤلاء لم يمكنهم أن ينازعوا أولئك في أن العادل من فعل العـدل ، بل سلموا ذلك لهم ، وإن نازعهم بعض الناس منازعة عنادية ، والذي يكشف تلبيس المعتزلة أن يقال لهم : الظالم والعادل الذي يعرفه الناس وان كان فاعـلا للظلم والعدل ، فذلك قائم به أيضاً ، ولا يعرف الناس من يسمى ظالماً ولم يقم به الفعل الذي صار به ظالماً ، بل لا يعرفون ظالمـاً إلا من قام به الفعل الذي فعله وبه صار ظالمـاً ، وان كان فعله متعلقاً بغيره وله مفعول منفصل عنه ، لكن لا يعرفون الظالم إلا بأن يكون قد قام به ذلك ، فكونه

أخذتم في حد الظالم أنه من فعل الظلم ، وعنيتم بذلك من فعله في غيره ، فهذا تلبيس وإفساد للشرع والعقل واللغة ، كما فعلتم في مسمى المتكلم حيث قلتم : هو من فعل الكلام ولو في غيره ، فجعلتم من أحدث كلاماً منفصلاً عنه قائماً بغيره متكلماً وان لم يقم به هو كلام أصلاً ، وهذا من أعظم البهتان والقرمطة والسفسطة ، ولهذا ألزمهم السلف أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه ، وكذلك أيضاً ما خلقه في الحيوانات ، ولا يفرق حينئذ بين نطق وأنطق ، وإنما قالت الجلود : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ، ولم تقل : نطق الله بذلك . ولهذا قال من قال من السلف ، كسليمان بن داود الهاشمي وغيره ، ما معناه : إنه على هذا يكون الكلام الذي خلق في فرعون حين قال (أنا ربكم الاعلى) النازعات : ٢٤ كالكلام الذي خلقه في الشجرة ، حتى قالت : (إنني أنا الله لا إله الا أنا) فإما أن يكون فرعون محقاً ، وإما أن تكون الشجرة كفرعون ، والى هذا المعنى تنحو الاتحادية من الجهمية ، وينشدون :

وكل كلام في الوجود كلامه   سواء علينا نثره ونظامه

والمقصود الكلام على قول الناظم رحمه الله تعالى : والعبد عندهم فليس بفاعل ؛ وسيأتي لهذا المقام زيادة بسط بحول الله تعالى في الكلام على قوله : وقضى بأن الله ليس بفاعل الخ .

فصل

وكذاك قالوا ماله من حكمة   هي غاية للأمر والاتقان

ما ثم غير مشيئة قد رجحت مثلاً على مثل بلا رجحان
هذا وما تلك المشيئة وصفه بل ذاتــه أو فعله قولان
وكلامه مذكان غيراً كان مخ لوقـاً له من جملة الاكوان
قالوا وإقرار العباد بأنـه خـلاقهم هو منتهى الإيمان
والناس في الايمان شيء واحد كالمشط عند تماثل الاسنان
فاسأل أبا جهل وشيعته ومن ولاهم من عابدي الاوثان
وسل اليهود وكل أقلف مشرك عبد المسيح مقبل الصلبان
واسأل ثمود وعاد بل سل قبلهم أعداء نوح أمـة الطوفان
واسأل أبا الجن اللعين اتعرف الـ خلاق أم أصبحت ذا نكران
واسأل شرار الخلق أعني أمة لوطية هم ناكحو الذكران
واسأل كذاك إمام كل معطل فرعون مع قارون مع هارون
هل كان فيهم منكر للخالق الـ رب العظيم مكون الاكوان
فليبشروا ما فيهم من كافر هم عند جهم كاملو الايمان

أي : إن الجهمية نفت الحكمة في خلقه تعالى ، فعندهم أنه لاحكمة في الأمر والنهي ، بل ما ثم الا الترجيح بمجرد المشيئة ، بل خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لمحض المشيئة وصرف الارادة ، وهـــذا قول جمهور من

يثبت القدر وينتسب الى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم ، وهو قول أبي الحسن الأشعري وأصحابه ، وهو قول كثير من نفـاة القياس في الفقه من الظاهرية ، كابن حزم وأمثاله .

قال شيخ الإسلام : لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان ، والأكثرون على التعليل والحكمة ، وهل هي منفصلة عن الرب لا تقوم به أو قائمة مع ثبوت الحكم المنفصل ؟ لهم فيه أيضاً قولان . وهل يتسلسل الحكم أولا يتسلسل ،أويتسلسل في المستقبل دون الماضي؟فيه أقوال. قال:احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل) البقرة : ١٤٣ وقوله: (كيلا يكون دولة) الحشر : ٧ وقوله : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم) البقرة : ١٤٣ ونظائرهـا ، ولانه تعالى حكيم شرع الأحكام لحكمة ومصلحة ، لقوله تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء : ١٠٧ والاجماع واقـع على اشتمال الأفعال على الحكم والمصالح جوازاً عند أهل السنة ، ووجوبا عند المعتزلة ، فيفعل مـا يريد بحكمته . وقد أطال الناظم رحمه الله في كتابه «شرح منازل السائرين» « ومفتاح دار السعادة » وغيرهمـا ، فما احتج بـه في « مفتاح دار السعادة » قوله تعالى : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) الجاثية : ٢١ فدل على أن هذا حكم بشيء يتنزه الله عنـه ، وأنكره من جهـة كونه أنه لا يكون ، ومن هذا إنكاره تعالى على من جوز أن يترك عباده سدى ، لايأمرهم ولا ينهاهم ، ولا يثيبهم ولا يعاقبهم ، وان هذا الحسبان باطل ، والله متعال عنه لمنافاته لحكمته ، فقال تعـالى : (أيحسب الانسان ان

---

(١) وهو المشهور بـ : « مدارج السالكين » .

يترك سدى) القيامة ٣٦ فأنكر سبحانه على من زعم أنه يترك سدى إنكار من جعل في العقل استقباح ذلك واستهجانه ، وانه لا يليق أن ينسب ذلك الى أحكم الحاكمين، ومثله قوله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله الا هو رب العرش الكريم) المؤمنون : ١١٥ فنزه نفسه سبحانه وباعدها عن هذا الحسبان وأنه متعال عنه ، فلا يليق به لقبحه ومنافاته الحكمة ، وهذا يدل على اثبات المعاد بالعقل ، كما يدل على اثباته بالسمع ثم انه رحمه الله بسط القول ووسع العبارة في أزيد من عشرة كراريس . وفي « منهاج السنة النبوية » لشيخ الاسلام قال : اجمع المسلمون على أن الله تعالى موصوف بالحكمة ، ولكن تنازعوا في تفسير ذلك فقالت طائفة : الحكمه ترجع إلى علمه بأفعال العباد وإيقاعها على الوجه الذي أراده ، ولم يثبتوا إلا العلم والارادة والقدرة . وقال الجمهور من أهل السنة وغيرهم : بل هو حكيم في خلقه وأمره ، والحكمة ليست مطلق المشيئة إذ لو كان كذلك لكان كل مريد حكيماً . ومعلوم أن الارادة تنقسم الى محمودة ومذمومة بل تتضمن تتضمن ما في خلقه وأمره من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة ، والقول باثبات هذه الحكمة ليس هو قول المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة فقط بل هو قول جماهير طوائف المسلمين من أهل التفسير والفقه والحديث والتصوف والكلام وغيرهم ، فأئمة الفقهاء متفقون على إثبات الحكمة والمصالح في احكامه الشرعية ، انما تنازع في ذلك طائفة من نفاة القدر[1] وغير نفاته ، وكذلك ما في خلقه من المنافع والحكم والمصالح لعباده معلوم ، واصحاب القول الأول كجهم بن صفوان ، وموافقيه كالاشعري ومن وافقه من الفقهاء من اصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم يقولون : ليس في القرآن لام في تعليل أفعال الله ، بل ليس فيه الا لام العاقبة . اما الجمهور فيقولون

---

(١) في الاصل القياس .

لام التعليل داخلة في أفعال الله واحكامه ، والقاضي ابو يعلى وابوا الحسن ابن الزعفراني (١) ونحوهما من اصحاب احمد وإن كانوا قد يقولون بالاول فهم يقولون بالثاني أيضاً في غير موضع ، وكذلك امثالهم من الفقهاء اصحاب مالك والشافعي وغيرهما . واما ابن عقيل في بعض المواضع ، والقاضي ابو حازم ابن القاضي ابي يعلى ، وابو الخطاب ، فيصرحون بالتعليل والحكمة في أفعال الله موافقة لمن قال ذلك من اهل النظر ، والحنفية هم من أهل السنة القائلين بالقدر ، وجمهورهم يقولون بالتعليل والمصالح ، والكرامية وامثالهم هم أيضاً من القائلين بالقدر والمثبتين لخلافة الخلفاء المفضلين لأبي بكر وعمر وعثمان وهم ايضاً يقولون بالتعليل والحكمة ، وكثير من أصحاب مالك والشافعي وأحمد يقولون بالتعليل والحكمة ، بل و بالتحسين والتقبيح العقليين كأبي بكر القفال وأبي علي ابن أبي هريرة ، وغيرهم من أصحاب الشافعي ، وأبي الحسن التميمي ، وأبي الخطاب من اصحاب أحمد انتهى كلامه : قوله : وكلامه مذ كان الخ . أي : إن كلام الله غيره عندهم وما كان غير الله فهو مخلوق بائن عنه خلقه الله في بعض الأجسام ، نحو ذلك الجسم ابتـــداء ولا يقوم عندهم بالله كلام بل ولا إرادة قول . وقد حقق الناظم رحمه الله تعالى ذلك بما يزيل اللبس والايهام ، فقال في كتابه « بدائع الفوائد اللفظ » : المؤلف من الزاى والياء والدال مثلاً له حقيقة متميزة متحصلة فاستحق ان يوضع له لفظ يدل عليه ، لأنه شيء موجود في اللسان مسموع الآذان ، فاللفظ المؤلف من همزة الوصل والسين والميم عبارة عن اللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال مثلا ، واللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال عبارة عن الشخص الموجود في الأعيان والأذهان ، وهو المسمى ، والمعنى واللفظ الدال عليه هو الاسم ، وهذا اللفظ أيضاً قد صار مسمى من حيث كان لفظ الهمزة والسين والميم عبارة عنه ، فقد بان لك أن الاسم في أصل الوضع ليس

(١) في الاصل : الزاغوفي .

هو المسمى ، ولهذا تقول : سميت هــذا الشخص بهذا الاسم ، كما تقول حليته بهذه الحلية ، فالحلية غير المحلى ، فكذلك الاسم غير المسمى . وقد صرح بذلك سيبويه ، وأخطأ من نسب إليه غير هذا ، وادعى أن مذهبه اتحادهما . قال الناظم : وما قال نحوي قط ولا عربي أن الاسم هو المسمي ويقولون : أجل مسمى ، ولا يقولون : أجــل اسم ، ويقولون : مسمى هذا الاسم كذا ، ولا يقول أحــد : اسم هذا الاسم كذا ، ويقولون : بسم الله ، ولا يقولون : بمسمى الله . وقال رسول الله ﷺ «إن لله تسعة وتسعين اسماً» ولا يصح أن يقال : تعسة وتسعون مسمى ، ونظائره كثيرة جداً . وقال : واذا ظهر الفرق بين الاسم والمسمى ، فبقي هنا التسمية ، وهي التي اغتر بها من قال باتحاد الاسم والمسمى . والتسمية عبارة عن فعل المسمى ، ووضعه الاسم المسمى ، كما أن التحلية عبارة عن فعل المحلي ، ووضعه الحلية على المحلى ، فهنا ثلاث حقائق : اسم ، ومسمى ، وتسمية . كحليــة ومحلى وتحلية . وعلامــة ، ومعــلم ، وتعليم . ولاسبيل إلى جعل اللفظين منها مترادفين على معنى واحــد ، لتباين حقائقها ، فاذا جعل الاسم هو المسمى بطل واحد من هذه الحقائق الثلاثــة ولا بد . فان قيل : ما شبهة من قال باتحادهمــا ؟ فالجواب : شبهته أشياء : منها أن الله تعالى هو وحده الخالق وما سواه مخلوق ، فلو كانت مخلوقة للزم أن لا يكون له اسم في الأزل ولا صفة ، لأن أسماءه صفات ، وهذا أعظم ما قاد متكلمي الاثبات إلى القول باتحادهما . والجواب عن كشف هذه الشبهة ، أن منشأ الغلط في هذا الباب من إطلاق ألفاظ مجملة محتملة لمعنيين حق وباطل ، فــلا ينفصل النزاع إلا بتفصيل تلك المعاني وتنزيل ألفاظه عليها ، ولا ريب أن الله تعالى لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال المشتقة أسماؤه منهــا ، فلم يزل بصفاته وأسمــائه ، وهو اله واحد ، له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ،

وصفاته وأسماؤه داخلة في مسمى اسمه ، وان كان لا يطلق على الصفة أنها إله يخلق ويرزق ، فليست صفاته وأسماؤه غيره ، وليست هي نفس الإله ». وبلاء القوم من لفظة الغير ، فانها يراد بها معنيان . أحدهما المغاير لتلك الذات المسماة بالله وكل ما غاير الله مغايرة محضة بهذا الاعتبار فلا يكون إلا مخلوقاً ويراد به مغايرة الصفة للذات اذا جردت عنها . فاذا قيل : علم الله ، وكلام الله غيره بمعنى أنه غير الذات المجردة عن العلم والكلام ، كان المعنى صحيحاً ، ولكن الاطلاق باطل ، فاذا أريد ان العلم والكلام مغاير لحقيقته المختصة التي امتاز بها عن غيره ، كان باطلاً لفظاً ومعنى ، وبهذا أجاب أهل السنة المعتزلة القائلين بخلق القرآن . وقالوا : كلامه تعالى داخل في مسمى اسمه فالله تعالى اسم للذات الموصوفة بصفات الكمال ، ومن تلك الصفات صفة الكلام ، كما أن علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره غير مخلوقة وإذا كان القرآن كلامه ، وهو صفة من صفاته ، فهو متضمن لأسمائه الحسنى ، فاذا كان القرآن غير مخلوق ، ولا يقال : انه غير الله ، فكيف يقال : ان بعض ما تضمنه وهو أسماؤه مخلوقة وهي غيره ؟! فقد حصحص الحق بحمد الله ، وانحسم الاشكال ، وإن اسماءه الحسنى التي في القرآن من كلامه ، وكلامه غير مخلوق . ولا يقال : هو غيره ولا هو هو ، وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون : أسماؤه غيره ، وهي مخلوقة ، ولمذهب من رد عليهم ممن يقول : اسمه نفس ذاته لا غيره ، وبالتفصيل تزول الشبهة ويتبين الصواب ثم ذكر حجج القائلين بأن الاسم هو المسمى ، وأجاب عنها وأطال وأطاب رحمه الله تعالى ، والله أعلم . قوله : وإقرار العباد بأنه خلاقهم هو منتهى الايمان هذا بيان لمذهب جهم وأتباعه في الإيمان وذلك أن مذهبهم ان الإيمان هو المعرفة والتصديق ؟ أي : الإقرار بالله تعالى ، وبأنه خالق العالم ، والأقوال والاعمال عندهم ليست من الإيمان ، وهذا مذهب الصالحي ، والشيخ أبي الحسن الاشعري في المشهور من قوليه .

وعندهم أن إيمان الناس سواء ، وأن الايمان لا يتفاضل ، بل إيمان أصدق الناس وأبرهم كايمان أفسقهم وأفجرهم ، ولهذا قال النّاظم :

والناس في الايمان شيء واحد ... كالمشط عند تماثل الاسنان

ثم قال على سبيل الالزام : فاسأل ابا جهل وشيعته ، واسأل اليهود وثمود وعاد وقوم نوح وابليس وقوم لوط وفرعون وقارون وهامان . أي : إن جميع هؤلاء معترفون بالخالق سبحانه وتعالى ، فاذا كان الايمان هو التصديق كما زعمت الجهمية ، فليبشر هؤلاء أن ليس فيهم كافر على مذهب الجهمية . لأنهم مصدقون بالله سبحانه . والله أعلم .

فصل

وقضى بأن الله كان معطلا ... والفعل ممتنع بلا إمكان

ثم استحال وصار مقدوراً له ... من غير أمر قام بالديان

بل حاله سبحانه في ذاته ... قبل الحدوث وبعده سيان

قوله : وقضى الخ . قال في « النهاية » : قد تكرر في الحديث ذكر القضاء ، وأصله الفصل والقطع . يقال : قضى يقضي قضاء فهو قاض : إذا حكم وفصل . وقضاء الشيء : إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه ، فيكون بمعنى الخلق . وقال الأزهري : القضاء في اللغة على وجوه ، مرجعها الى انقطاع الشيء وإتمامه وكل ما أحكم عمله أو أتم أو حتم أو أدي أو أوجب أو أعلم أو أنفذ او امضي . قال : وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الأحاديث ،

ومنه القضاء المقرون بالقدر، فالقضاء والقدر أمران متلازمـان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه. انتهى أي: وقضى جهم وحكم بأن الله كان معطلاً في الأزل تعالى الله عن ذلك، لا يفعل شيئاً ثم فعل من غير أمر قام به سبحانه، وذلك فرار من القول بدوام فاعلية الرب[١]. ولنبسط الكلام على هذه المسألة بحول الله تعالى فنقول: قـال شيخ الاسلام ابن تيمية في المسألة المصرية في القرآن: اعلم أن المتكلمين من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم، سلكوا في إثبات حدوث العالم وإثبات الصانع طريقة مبتدعة في الشرع، مضطربة في العقل، وأوجبوها، وزعموا أنـه لا يمكن معرفة الصانع إلا بها، وتلك الطريق فيها مقدمات لها نتائج مجملة، فغلط كثير من سالكيها في مقصود الشارع ومقتضى العقل، فلم يفهموا ما جاءت به النصوص النبوية، ولم يحرروا ما اقتضته الدلائل العقلية، وذلك أنهم قالوا: لا يمكن معرفة الصانع إلا باثبات حدوث العـالم، ولا يمكن إثبات حدوث العالم، الا باثبات حدوث الأجسام. قالوا: والطريق الى ذلك هو الاستدلال بحدوث الاعراض على حدوث ما قامت به الأعراض، فمنهم من احتج بالحركة والسكون فقط، ومنهم من احتج بالاكوان التي هي عنـــدهم الاجتماع والافتراق والحركة والسكون، ومنهم من احتج بالأعراض مطلقاً، وبنى الدليل على أن مالا يخلو عن الحوادث فهو حادث، لامتناع حوادث لا أول لها فقال لهم المعارضون لهم من أهـــل الملل وغيرهم: أنتم أثبتم حدوث العـالم بطريق، وحـدوث العالم لا يتم الا مع

---

(١) الشارح لم يوضح الأبيات. (ابن مانع)

نقيض ما أثبتموه ، فما جعلتموه دليلاً على حدوث العالم لا يدل على حدوثه ، بل ولا يستلزم حدوثه ، والدليل لا بد أن يكون مستلزماً للمدلول ، بحيث يلزم من تحقق الدليل تحقق المدلول ، بل هو مناف لحدوث العالم ، مناقض له ، وهو يقتضي امتناع حدوث العالم ، بل امتناع حدوثه شيء من الاشياء ، وهذا يقتضي بطلانه في نفسه ، وانه لو صح لم يدل الا على نقبض المطلوب ونقيض ما يقوله كل عاقل ، فان كل عاقل يعلم حدوث الحوادث في الجملة ، سواء قيل بقدم الأفلاك أو لم يقل بذلك ، وذلك ان مبنى دليلكم على أن القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح ، وأن الارادة الأزلية التي نسبتها إلى جميع المرادات على السواء ترجح مراداً على مراد بلا مرجح غير المرجح الذي نسبته الى جميع المرجحات نسبة واحدة لا تتفاضل . ومن المعلوم أن ترجيح وجود الممكن على عدمه بلا مرجح ، أو ترجيح احد المتماثلين على الآخر بلا سبب يقتضي ذلك ، باطل في بديهة العقل . ولو قيل : إن ذلك صحيح لبطل الدليل الذي يستدل به على ثبوت الصانع وحدوث العالم ، فان مبنى الدليل على أن المحدث لا بد له من محدث وذلك يستلزم أن ترجيح الحدوث على العدم لا بد له من مرجح ، ولا بد أن يكون للمحدث مرجح قد حدث منه ما يستلزم وجود المحدث الذي جعله موجوداً ، وإلا إذا لم يلزم وجوده ، كان وجوده جائزاً ممكناً ، كان محتملاً للوجود والعدم ، فترجيح الوجود على العدم لا بد له من مرجح محدث له ، وكل ما أمكن حدوثه إن لم يحصل له مايستلزم حدوثه ، لم يحصل ، فما شاء الله كان لا محالة ، ووجب وجوده بمشيئة الله ، وما لم يشأ لم يكن ، بل يمتنع وجوده مع عدم مشيئته الله تعالى ، فما شاء الله حدوثه ، كان لازم الحدوث واجب الحدوث بمشيئته لا بنفسه ، وما لم يشأ حدوثه ، كان ممتنع الحدوث لازم العدم واجب العدم ، لأنه لا يوجد

بمشيئة الله المستلزمة لحدوثه . ثم إن الفلاسفة الدهرية القائلين بقدم العالم قالوا : ماذكرتموه من الدليل لا يدل على الحدوث ، بل يقتضي عدم الحدوث ، لأن حدوث الحوادث عن ذات لم تزل معطلة عن الفعل باطل ، فيكون العالم قديماً . وعبروا عن ذلك بأن جميع الأمور المعتبرة في كونه فاعلاً إن وجدت في الأزل ، لزم وجود الفعل في الأزل ، والا لزم تخلف المقتضى عن المقتضي التام وحينئذ فاذا وجدت بعد ذلك لزم الترجيح بلا مرجح ، وإن لم توجد في الأزل ، فوجودها بعد ذلك أمر حادث ، فيقتضي أمراً حادثاً ، وإلا لزم الحدوث بلامحدث ، وحينئذ فيلزم تسلسل الحوادث فان القول في هذا الحادث كالقول في غيره ، وهذا مما ينكره المعتزلة وموافقوهم المتكلمون . قالوا : فأنتم بين أمرين : إما إثبات التسلسل في الحوادث ، وإما إثبات الترجيح بلا مرجح ، وكلاهما ممتنع عندكم . ثم زعم هؤلاء الفلاسفة أن العالم قديم بناء على هذه الحجة ، ومن سلك سبيل السلف والأئمة ، أثبت ما أثبته الرسول من حدوث العالم بالدليل العقلي الذي لايحتمل النقيض ، وبين خطأ المتكلمين من المعتزلة ونحوهم الذين خالفوا السلف والأئمة بابتداع بدعة مخالفة للشرع والعقل ، وبين أن ضلال الفلاسفة القائلين بقدم العالم ومخالفتهم للعقل والشرع أعظم من ضلال أولئك ، وبيان الاستدلال على حدوث العالم لايحتاج الى الطريق التي سلكها أولئك المتكلمون ، بل يمكن إثبات حدوثه بطريق أخرى صحيحة لايعارضها عقل صريح ولا نقل صحيح ، وثبت بذلك أن كل ما سوى الله فانه محدث كان بعد أن لم يكن ، سواء سمي جسماً أو عقلاً أو نفساً أو غير ذلك ، فان أولئك المتكلمين من المعتزلة وأتباعهم ، لما لم يكن في حجتهم إلا إثبات حدوث أجسام العالم ، قالت الفلاسفة ومن وافقهم من المتأخرين ، كالشهرستاني والرازي ، والآمدي وغيرهم : إنكم لم تقيموا دليلاً على نفي

ما سوى الأجسام ، وحينئذ فاثبات حدوث أجسام العالم لا يقتضي حدوث ما سوى الله إن لم تبينوا أن كل ما سواه جسم ، وأنتم لم تثبتوا ذلك ، ولهذا صار بعض المتأخرين كالأرموي ومن وافقه ، إلى أن أجسام العالم محدثة ، وأما العقول والنفوس فتوقفوا عن حدوثها ، أو قالوا بقدومها ، وان كان حقيقة قولهم إنه موجب بالذات لها ، وإنه يحدث للأجسام بسبب حدوث لبعض التصورات والارادات التي تحدث للنفوس ، فيصير ذلك سبباً لحدوث الأجسام ، وهذا القول كما أنه معلوم البطلان في الشرع ، فهو أيضاً معلوم البطلان في العقل ، كما سنبينه ان شاء الله تعالى فنقول : الدليل الدال على أن كل ما سوى الله محدث ، يتناول هذا وهذا ، وأيضاً فاذا كان موجباً بالذات كان اختصاص حدوث أجسام العالم بذلك الوقت دون ما قبله ، وما بعده يفتقر الى مخصص ، والموجب بذاته لا يصدر عنه ما يختص بوقت دون وقت ، إذ لو جاز ذلك لم يكن موجباً بذاته ، ولجاز حدوث العالم عنه ، ولأن النفوس التي يثبتها الفلاسفة هي عند جمهورهم عرض قائم بجسم الفلك ، فيمتنع وجودها بدون الفلك وعند ابن سينا وطائفة أنها جوهر قائم بنفسه ، لكنها متعلقة بالجسم تعلق التدبير والتصريف ، وحينئذ فلو ووجدت ولا تعلق لها بالجسم لم تكن نفساً ، بل كانت عقلا ، فعلم أن وجود النفس مستلزم لوجود الجسم ، فاذا قال هؤلاء : إن النفس أزلية دون الأجسام ، كان هذا القول باطلا بصريح العقل مع أنه لم يعرف به قائل من العقلاء قبل هؤلاء ، وإنما ألجأ هؤلاء إلى هذا ظنهم صحة دليل المتكلمين على حدوث الأجسام ، وصحة قول الفلاسفة بوجود موجود ممكن غير الاجسام ، وإثبات الموجب بالذات ؛ فلما بنوا قولهم على الأصل الفاسد لهؤلاء وهؤلاء لزم هذا مع أنهم متناقضون في الجمع بين هذين ، فان عمدة المتكلمين على إبطال « حوادث لا أول لها » وعمدة الفلاسفة على أن المؤثرية من لوازم

الواجب بنفسه ، فاذا قالوا بقدم نفس لها تصورات وإرادات لاتتناهى ، لزم جواز حوادث لاتتناهى ، فبطل أصل قول المتكلمين الذي بنوا عليه حدوث الأجسام ، فكان حينئذ موافقتهم للمتكلمين بلا حجة عقلية ، فعلم أنهم جمعوا بين المتناقضين ، وابو عبد الله بن الخطيب وأمثاله كانوا أفضل من هؤلاء ، وعرفوا أنه لايمكن الجمع بين هذا وهذا ، فلم يقولوا هذا القول المتناقض ، ولم يهتدوا إلى مذهب السلف والأئمة ، وإن كانوا يذكرون أصوله في مواضع أخر ، ويثبتون أن جمهور العقلاء يلتزمونها ، فلو تفطنوا لما يقوم بذات الله من كلامه وفعاله المتعلق بمشيئته وقدرته ودوام اتصافه بصفات الكمال ، خلصوا من هذه المحاورات ، ونحن ننبه على بعض الطرق العقلية التي يعلم بها حدوث كل ما سوى الله تعالى ، وهي أن يقال : لو كان فيها شيء سوى الله قديم لكان صادراً عن علة تامة موجبة بذاتها ، مستلزمة لمعلولها ، سواء ثبت له مشيئة واختيار أو لم يثبت ، فإن القديم الأزلي الممكن الذي لا يوجد بنفسه ، لايتصور وجوده إن لم يكن له في الأزل مقتضى تام يستلزم ثبوته ، وهذا كما أنه معلوم بضرورة العقل فلا نزاع فيه بين العقلا ، فلا يقول أحد : إن القديم الأزلي صادر عن مؤثر لايلزمه أثره ، ولا يقول : انه صادر عن علة غير تامة مستلزمة لمعلولها ، ولا يقول : إنه صادر عن موجب بذاته لايقارنه موجبه ومقتضاه ، ولا يقول : إنه صادر عن فاعل بالاختيار يمكن أن يتأخر مفعوله ، فإنه إذا أمكن تأخر مفعوله ، أمكن ان يكون ذلك القديم الأزلي قديماً أزلياً ، فيكون ثبوته في الأزل ، فإن ثبوت الممكن الأزلي بدون مقتض تام مستلزم له ، ممتنع بضرورة العقل ؛ إذ قد علم بصريح العقل أن شيئاً من الممكنات لايكون حتى يحصل المقتضى التام المستلزم لثبوته ؛ ومن نازع في هذا من المعتزلة وغيرهم وقال : إنه لا ينتهى الى

حد الوجوب بل يكون العقل بالوجوب أولى منه بالعدم فإنه لم ينازع في أن القادر المختار يمتنع ان يكون مقدوره المعين أزلياً مقارناً له ، بل هذا مما لا ينازع فيه لا هؤلاء ولا غيرهم ، فتبين أنه لو كان شيء مما سوى الله أزلياً للزم ان يكون له مؤثر تام مستلزم له في الأزل سواء سمي علة تامة أو موجباً بالذات ، أو قدر أنه فاعل بالارادة وأن مراده المعين يكون أزلياً مقارناً له ، وإذا كان كذلك فنقول : ثبوت علة تامة أزلية يمتنع ، لأن العلة التامة الأزليـــة تستلزم معلولها ، لا يتخلف عنها شيء من معلولها ، فانه إن تخلف عنها لم تكن علة تامة لمعلولها ، فيمتنع في الشيء الواحد أن يكون موجباً بذاته ، وأن يتخلف عنه موجبه ، أو شيء من موجبه ، فان الموجب بالذات لشيء لابد أن يكون ذلك الموجب جميعه مقارناً لذاته ، والعلة التامة هي التي يقارنها معلولها ولا يتأخر عنها شيء من معلولها ، فلو تأخر عنها شيء من معلولها لم تكن علة تامة ، كذلك المتأخرون من الفلاسفة يسلمون أن ليس علة تامة في الأزل لجميع الحوادث التي تحدث شيئاً بعد شيء ، فان ذلك جمع بين النقيضين ، إذ يمتنع أن يكون علة تامة أزلية لأمر حادث عنه غير أزلي ، وان شئت قلت : يمتنع أن يكون موجباً بذاته في الأزل لامر حادث ليس بأزلي ، سواء كان ايجابه له بواسطة أو بغير واسطة فان تلك الواسطة ، إن كانت أزلية كان اللازم لها أزليا ، وان كانت حادثة كان القول فيها كالقول في الحادث بتوسطها ، وهذا الذي سلموه معلوم أيضاً بصريح العقل ، فالمقدمة برهانية مسلمة ، لكن يقولون : إنه علة تامة لما هو قديم ، كالافلاك عندهم ، وليس علة تامة للحوادث ، وهذا أيضاً باطل ، وذلك أن كل ما يقال : إنه قديم كالافلاك ، إما أن يجب أن يكون مقارناً للحوادث ، كما يقولون في الفلك ، إنه يجب له لزوم الحركة ، وإنه لم يزل متحركاً ، وإما أنه لا يجب أن يكون مقارناً لشيء من الحوادث ،

فان كان الأول لزم ان يكون علة تامه للحوادث ، وكونه علة تامة للحوادث محال ، لأن ماقارنته الحوادث ولم يخل منها بل هي لازمة له ، امتنع صدوره عن الموجب بدونها ، ووجود الملزوم بدون اللازم محال ، فالموجب بذاته الذي هو علة تامة للفلك ، يجب ان يكون علة تامة موجبة للوازمه ، وعله تامة في الأزل بحركته لكن العله التامة الأزلية لايجوز ان تكون علة تامة أزلية للحوادث ، لا الحركة ولا غيرها ، لأنه يجب وجود معلولها الذي هو موجبها ومقتضاها في الأزل ، وان لا يتأخر عنها شيء من موجبها ومقتضاها ومعلولها ، والحركة التي توجد شيئاً فشيئاً هي وغيرها من الحوادث التي تحدث شيئاً بعد شيء ، ليس كل واحد منها قديماً بل كل منها حادث مسبوق بآخر ، فيمتنع أن يكون شيء منها معلولاً للعلة التامة الأزلية ، لامتناع أن يكون حادث من الحوادث قديماً ، ويمتنع وجود مجموع الحوادث في الأزل ، ويمتنع وجود المستلزم للحوادث ، إلا مع حادث من الحوادث ، أو مع مجموع الحوادث ، واذا كان كلاهما يمتنع أن يكون قديماً امتنع أن يكون شيء مما يستلزم الحوادث قديماً ، فامتنع ان يكون لشيء من الحوادث او مما يستلزم الحوادث علة تامة قديمة ، فامتنع صدور الحوادث ، أو شيء منها ، أو من ملزوماتها عن علة تامة قديمة ، فامتنع أن يكون شيء لايخلو عن الحوادث صادراً عن علة تامة أزلية ، فامتنع أن يكون الفلك المقارن للحوادث علة تامة أزلية قديمة ، ولو كان قديماً لصدر عن علة تامة قديمة ، فإذالم يكن قديماً ، إلا إذا كان المقتضى التام ثابتاً في الأزل ، فثبوت المقتضى التام له ممتنع ، كما أن قدمه ممتنع . وأما ان قيل : إن الممتنع شيء غير مقارن للحوادث ، ولا مستلزم لها ، مثل ان يقال : القديم أعيان ساكنة هي المعلول الاول ، فيقال : ذلك المعلول إما أن يجوز حدوث حال من الاحوال إما فيه او عنه أو غير ذلك ، واما أن لا يجوز ، فإن جاز حدوث حال من الاحوال له ، امتنع حدوث ذلك الحادث عن علة

تامة أزلية ، وهو الموجب بالذات كما تقدم ، وكما هو معلوم ومتفق عليه بين العقلاء ، فلا بد له من محدث ، والمحدث ان كان سـوى الله ، فالقول في حدوثه إن كان محدثاً ، أو في حدوث ذلك الاحداث له بعدان لم يكن ، كالقول في حدوث ذلك الحادث ، وان كان هو الله تعالى ، امتنع أن يكون موجباً بالذات له ، اذ القديم لايكون موجباً بالذات لحادث كما بين ، فامتنع ثبوت العلة القديمة ، وإذا لم يكن الصانع موجباً بالذات ، فلايكون علة تامة ، امتنع قدم شيء من العالم ، لأنه لايكون قديم إلا عن علة تامة . وإن قيل : إنه لا يجوز حدوث لما فرض قديماً معلولاً للاوا فهذا مع أنه لم يقل به أحد من العقلاء فهو باطل لوجوه :

أحدها ان واجب الوجود يحدث له النسب والاضافات باتفاق العقلاء ، فحدوث ذلك الغير أولى .

الثاني ان الحوادث مشهودة في العالم العلوي والسفلي ، وهذه الحوادث صادرة عن الله اما بواسطةاو بغير واسطة ، فان كانت بوسط فتلك الوسائط حدثت عنهاأمور بعدان لم تكن ، فلزم حدوث الاحوال للقديم ، سواء كان هو الصانع او كان هو الوسائط للصانع ، وان قيل: القديم هو شيء ليس بواسطة في شيء آخر . قيل : لا بد أن يكون ذلك قابلاً لحدوث الاحوال ، فانه يمكن حدوث النسب والاضافات لله عز وجل بالضرورة واتفاق العقلاء ، فإمكان ذلك لغيره أولى ، واذا كان قابلاً لها ، أمكن أن تحدث له الأحـوال كما تحدث لغيره من الممكنات ، فان الله لايمتنع حـدوث الحوادث عنه اما بواسطة او بغير واسطة ، فإذا كان ذلك قابلاً وصدور ذلك عن الصانع ممكن ، أمكن حدوث الحوادث عنه أو فيه بعد ان لم يكن ، وحينئذ فالقول في حدوثها كالقول في حدوث سائر مايحدث عنه ، وذلك محاله عن العلة التامة المستلزمة لمعلولها ، فقد تبين بهذا البرهان الباهر أن كون

الاول علة تامة لشيء من العالم محال ، لافرق في ذلك بين الفلك وغيره؛ سواء قدر ذلك الغير جسماً أو غير جسم ، وسواء قدر مستلزماً للحوادث فيه أو عنه ، كما يقول الفلاسفة الدهرية ، كالفارابي ، وابن سينا ، وامثالهما وسلفهما من اليونان ، فانهم يقولون ، الفلك مستلزم للحوادث القائمه به ، والعقول والنفوس مستلزمه للحوادث التي تحدث عنها ، وكل منها مقارن للحوادث ، لايجوز تقدمه عليها ، مع كون ذلك جميعه معلولاً للموجب بذاته ؛ فاذا تبين أن الموجب بذاته يمتنع أن يصدر عنه في الازل حادث أو مستلزم لحادث ، بطل كون صانع العالم علة تامة في الأزل ، ومتى بطل كونه علة تامة في الأزل ، امتنع أن يكون فيما سواه شيء قديم بعينه ، فبهذا تبين أن كل ما سوى الله محدث كائن بعد أن لم يكن ، سواء قيل بجواز دوام الحوادث ، أو قيل بامتناع ذلك ، وإن قيل بجواز دوام الحوادث ، لزم حدوث كل ما لا يخلو عن الحوادث ، وان قيل بجواز دوام الحوادث ، فكل منها حادث بعد أن لم يكن مسبوقاً بالعدم ، وكل من العالم مستلزم لحادث بعد أن لم يكن مسبوقاً[1] بالعدم ، وكل ما كان مصنوعاً وهو مستلزم للحوادث ، امتنع أن يكون صانعه علة تامة قديمة موجبة له ، فاذا امتنع ذلك امتنع أن يكون من العالم ماهو قديم بعينه والله أعلم . وإذا أحطت خبراً بهذا المقام ، واتضح لديك ما تقدم من الكلام ، فاسمع كلام بعض أئمة الفلاسفة في هذه المسألة وهي القول بجواز تراخي الأثر عن المؤثر . قال أبو الوليد ابن رشد في كتاب « تهافت التهافت » بعد ما حكى قول الامام أبي حامد الغزالي حاكياً حجة الفلاسفة في قدم العالم قال : قولهم يستحل صدور حادث من قديم مطلق ، لأنا لو فرضنا القديم ولم يصدر منه العالم مثلا ثم صدر ، فانما لم يصدر لأنه لم يكن للوجود مرجح ، بل وجود العالم ممكن عنه إمكاناً صرفاً ،

---

(١) في الاصل : مسبوق .

فاذا حدث لم يخل أن يتجدد مرجح أو لا يتجدد ، فان لم يتجدد مرجح بقي العالم على الامكان الصرف كما كان قبل ذلك ، وان تجدد مرجح انتقل الكلام الى ذلك المرجح ، لم رجح الآن ولم يرجح قبل ؟! فإما أن يمر الأمر الى غير نهاية ، أو ينتهي الأمر الى مرجح لم يزل مرجحاً قال أبو حامد : الاعتراض من وجهين : أحدهما أن يقال : لم تنكرون على من يقول : إن العالم حدث بارادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه ، وأن يستمر عدمه الى الغاية التي يستمر عليها وأن يبتدىء الوجود من حيث بدأ وأن الوجود قبل لم يكن مراداً ، فلم يحدث لذلك ، وأنه في وقته الذي حدث فيه مراد بالارادة القديمة فحدث ، فما المانع لهذا الاعتقاد ؟ وما المحيل له ؟ قال ابن رشد : قلت : هذا قول سفسطائي ، وذلك أنه لما لم يمكنه أن يقول بجواز تراخي فعل المفعول عن فعل الفاعل له ، وعزمه على الفعل اذا كان فاعلاً مختاراً ، قال بجواز تراخيه عن ارادة الفاعل ، وتراخي المفعول عن ارادة الفاعل ، جائز ، وأما تراخيه عن فعل الفاعل له فغير جائز ، وكذلك تراخي الفعل عن العزم على الفعل في الفاعل المريد ، فالشك باق بعينه ، وانما كان يجب أن يلقاه بأحد أمرين إما لأن فعل الفاعل ليس يوجب في الفاعل تغيراً ، فيجب أن يكون له مغير في الخارج ، أو أن من التغييرات ما يكون من ذات المتغير من غير حاجة الى مغير يلحقه منه ، وأن من التغييرات ما يجوز أن يلحق القديم من غير مغير ، وذلك أن الذي يتمسك به الخصوم ها هنا هو شيئان : أحدهما أن فعل الفاعل يلزمه التغير ، وأن كل تغير فله مغير . والأصل الثاني : أن القديم لا يتغير بضرب من ضروب التغير ، وهذا كله عسير البيان ، والذي لا مخلص للاشعرية منه ، هو إنزال فاعل أول ، وإنزال فعل له أول ، لأنهم لا يمكنهم أن يصفوا أن حالة الفاعل من المفعول المحدث تكون في وقت الفعل هي بعينها حالته في وقت عدم

الفعل هنالك ، ولا بـد من حـال متجددة ، أو نسبة لم تكن ، وذلك ضرورة ، إما في الفاعل ، أو في المفعول ، أو في كليهما ، واذا كان كذلك فتلك الحال المتجددة إذا أوجبنا أن لكل حال متجددة فاعلًا ، فلا بد أن يكون الفاعل لها إمـا فاعل آخر ، فـلا يكون ذلك الفاعل هو الاول ، ولا يكون مكتفياً بفعله بنفسه ، بل بغيره ، واما أن يكون الفاعل لتلك الحال التي هي شرط في فعله هو نفسه ، ولا يكون ذلك الفعل الذي فرض صادراً عنه أولاً ، بل يكون فعله لتلك الحال التي هي شرط في المفعول قبل فعله المفعول . وهذا لازم كما ترى ضرورة ، إلا أن يجوز مجوز أن من الأحوال الحادثة في الفاعلين ما لايحتاج الى محدث ، وهذا بعيد إلا على قول من يجوز أن ههنا أشياء تحدث من تلقائهـا ، وهو قول الأوائل من القدماء الذين أنكروا الفاعل ، وهو قول بين سقوطه بنفسه . انتهى كلامه والمقصود من كلامه ، ماذكره في رد حجة المتكلمين على جواز تراخي الأثر عن المؤثر . قال النّاظم رَحِمَهُ الله :

وقضى بأن النار لم تخلق ولا … جنات عدن بل هما عدمان

فاذا همـــا خلقا ليوم معادنا … فهما على الاوقات فانيتان

وتلطف العلاف من أتباعه … فأتى بضحكة[1] جاهل مجان

قال الغناء يكون في الحركات لا … في الذات واعجباً لذا الهذيان

أيصير أهل الخلد في جناتهم … وجحيمهم كحجارة البنيان

(١) وضحكة : يكثر الناس الضحك منه ، فهو من صفات النـاس « مصباح »
(ابن مانع)

ما حال من قد كان يغشى أهله ... عندانقضاء تحرك الحيوان

وكذاك ماحال الذي رفعت يدا ... ه أكلة من صحفة وخوان

فتناهت الحركات قبل وصولها ... للفم عند تفتح الاسنان

وكذاك ماحال الذي امتدت يد ... منه الى قنو من القنوان

فتناهت الحركات قبل الأخذ هل ... يبقى كذلك سائر الازمان

تباً لهاتيك العقول فانها ... والله قد مسخت على الابدان

تباً لمن اضحى يقدمها على ال ... آثار والاخبار والقرآن

أي : وحكم الجهم بأن الجنة والنار لم تخلقا ، وانما يخلقان يوم المعاد ، ثم إذا خلقتا يوم المعاد ، فهما لا بد فانيتان ، وانما قال هذا الجهم طرداً للدليل ، وهو الدليل المسمى بـ : دليل الأكوان . اذ مبناه على قطع التسلسل ، وهو منع حوادث لا أول لها ، فكذا يمتنع حوادث لا آخر لها وفي « الغنية » للشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى : وأما الجهمية فمنسوبة الى جهم بن صفوان ، وكان يقول : الإيمان : هو المعرفة بالله ورسله ، وجميع ما جاؤوا به من عنده فقط ، ويزعمون أن القرآن مخلوق ، وأن الله تعالى لم يكلم موسى ، وأنه تعالى لم يتكلم ، ولا يرى ، ولا يعرف له مكان ، وليس له عرش ولا كرسي ، ولا هو على العرش ، وأنكر الميزان ، وعذاب القبر ، وكون الجنة والنار مخلوقتين ، وادعوا أنهما إذا خلقتا تفنيان ، وان الله تعالى لا يكلم خلقه ولا ينظر اليه يوم القيامة ولا ينظر أهل الجنة إليه ولا يرونه فيها ، وان الإيمان معرفة القلب دون إقرار اللسان ،

وأنكروا جميع صفات الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .قوله : وتلطف العلاف هو أبوالهذيل محمد بن الهذيل العلاف البصري المعتزلي ، قال الذهبي في « تاريخ الإسلام » أبو الهذيل العلاف البصري المتكلم واسمه محمد بن الهذيل كان من أجلاء القوم ورؤوسهم ، وأنكر الصفات المقدسة. يروى أن المأمون قال لحاجبه : من بالباب ؟ قال : ابو الهذيل العلاف وعبد الله بن أباض الخارجي وهشام بن الكلبي الرافضي فقال : ما بقي من رؤوس جهنم احد إلا وقد حضر . أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل صاحب واصل بن عطاء ، وقد طال عمره وصنف الكتب ونيف على التسعين مات سنة ٢٢٦ ؛ أي : وتلطف العلاف بأن قال : الفناء يكون في الحركات لا في الذوات وذلك لاجل التزام دليل الاكوان ثم قال الناظم رحمه الله تعالى على طريق التهكم بمقالة أبي الهذيل هذه :أيصير اهل الخلد في جناتهم ، وجحيمهم كحجارة البنيان ؟ إلى آخر كلامه يقول : ما حال الذي ذكر تناهي الحركات يغشى أهله ، وكذا الذي رفعت يداه ، أكلة من صحفة ، وتناهت الحركات قبل فراغه من أهله ، وقبل وصول يد الآكل لفمه ، وكذا تناهت الحركات للذي قدم يده إلى قنو من القنوان قبل الأخذ . ايصيرون هكذا أبد الأبد كالحجارة . قوله : وخوان الخوان ، كغراب ، وكتاب : ما يؤكل عليه . قاله في « القاموس » وهذا قال الناظم : تباً لمن أضحى يقدمها على الآثار والأخبار والقرآن تباً بفتح التاء ، والتباب : الهلاك ، ومنه قولهم أشابة ام تابة ؛ أي : هالكة من الهرم والتعجيز قال في « القاموس » : التب والتبب : النقص والخسارة ، وتباً له ، وتبا تبيباً مبالغة ، وتبيه : قال له ذلك . قال النّاظم رَحمهُ الله تعالى :

فصل

وقضى بأن الله يجعل خلقه عدماً ويقلبه وجوداً ثاني
العرش والكرسي والارواح والأملاك والافلاك والقمران
والارض والبحر المحيط وسائر الأكوان من عرض ومن جثمان
كل سيفنيه الفناء المحض لا يبقى له أثر كظل فان
ويعيد ذا المعدوم أيضاً ثانياً محض الوجود إعادة بزمان
هذا المعاد وذلك المبدا الذي جهم وقد نسبوه للقرآن

هذا القول مبني على اثبات الجواهر ، قال شيخ الاسلام في كلامه على سورة الإخلاص بعد كلام سبق . والمقصود هنا أن هؤلاء لما كان ذا أصلهم في ابتداء الخلق ، وهو القول باثبات الجوهر الفرد : كان أصلهم في المعاد مبنياً عليه ، فصاروا على قولين ، منهم من قال : تعدم الجواهر ، ثم تعاد ، ومنهم من قال : تفرق الأجزاء ، ثم تجتمع ، فأورد عليهم الانسان الذي يأكله حيوان ، وذلك الحيوان أكله إنسان آخر ، فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا لم تعد من هذا . وأورد عليهم أن الإنسان يتحلل دائماً فما الذي يعاد ؟ اهو الذي كان وقت الموت ؟ فان قيل بذلك لزم ان يعاد على صورة ضعيفة ، وهو خلاف ماجاءت به النصوص ، وإن كان غير ذلك فليس بعض الأبدان أولى من بعض ، فادعى بعضهم ان في الإنسان

اجزاءاً اصلية لا تتحلل ، ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني ، والعقلاء يعلمون أن بدن الانسان نفسه كله يتحلل ليس فيه شيء باق ، فصار ماذكروه في المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في انكار معاد الأبدان ، وأوجب ان صار طائفة من النظار إلى أن الله يخلق بدنا آخر ، تعود الروح اليه ، والمقصود تنعيم الروح وتعذيبها ، سواء كان في هذا البدن ، او في غيره ، وهذا ايضاً مخالف للنصوص الصريحة بإعادة هذا البدن. وهذا المذكور في كتب الرازي ، فليس في كتبه وكتب امثاله في مسائل اصول الدين الكبار القول الصحيح الذي يوافق المنقول والمعقول الذي بعث الله به الرسول ، وكان عليه سلف الأمة وأئمتها ، بل يذكر المتفلسفة الملاحدة ، وبحوث المتكلمين المبتدعة ، الذين بنوا على اصول الجهمية والقدرية في مسائل الخلق ، والبعث والمبدأ والمعاد ، وكلا الطريقين فاسدة ، إذ بنوه على مقدمات فاسدة. والقول الذي عليه السلف ، وجمهور العقلاء من أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال ، إنما يذكر عن الفلاسفة والأطباء هذا القول ، وهو القول في خالق الله للأجسام التي يشاهد حدوثها أنه يقلبها ، ويحيلها من جسم الى جسم ، هو الذي عليه السلف ، والفقهاء قاطبة والجمهور انتهى. قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

هذا الذي قاد ابن سينا والالى   قالوا مقالته الى الكفران
لم تقبل الاذهان ذا وتوهموا   أن الرسول عناه بالإيمان
هذا كتاب الله أنى قال ذا   أو عبده المبعوث بالبرهان
أو صحبه من بعده أو تابع   لهم على الايمان والإحسان
بل صرح الوحي المبين بأنه   حقا مغير هذه الاكوان

فيبدل الله السماوات العلى والارض ايضاً ذات تبديلان

وهما كتبدل الجلود لساكني النيران عند النضج من نيران

وكذاك يقبض أرضه وسماءه بيديه ما العدمان مقبوضان

وتحدث الارض التي كنا بها أخبارها في الحشر للرحمن

وتظل تشهد وهي عدل بالذي من فوقها قد أحدث الثقلان

أفيشهد العدم الذي هو كاسمه لاشيء هذا ليس في الامكان

لكن تسوى ثم تبسط ثم تشهد ثم تبدل وهي ذات كيان

وتمد ايضاً مثل مد أديمنا من غير أودية ولا كثبان

وتقيء يوم العرض من أكبادها كالاسطوان نفائس الاثمان

كل يراه بعينه وعيانه ما لامرىء بالأخذ منه يدان

أراد المصنف أن ابن سينا ، والذين قالوا مقالته ، و نكروا المعاد ؛ وظنوا أن هذا الذي اعتقد جهم في المعاد هو ما جاء به الرسول ﷺ ، فلذلك كفروا بالمعاد ، لأن هذا شيء لا تقبله العقول ، ثم بين الناظم أمر المعاد على ما جاء به في كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ بقوله ، بل صرح الوحي المبين الخ قال . الله تعالى : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) ابراهيم : ٤٨ والتبديل قد يكون في الذات ، كما في بدلت الدراهم بالدنانير وقد يكون في الصفات كما بدلت الحلقة خاتماً والآية تحتمل الأمرين ، وبالثاني قال الأكثر ، وتبدل السموات غير السموات ، لدلالة ما قبله عليه

على الاختلاف الذي مر ، وتقديم تبديل الأرض لقربانها ، ولكون تبديلها أعظم أثراً بالنسبة إلينا. وروى مسلم وغيره من حديث ثوبان ، قال : جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الارض ؟ فقال : رسول الله ﷺ « في الظلمة دون الجسر » وروى مسلم أيضاً ، وغيره من حديث عائشة ، قالت : أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية قلت : اين الناس يومئذ ؟ قال : « على الصراط » وفي « الصحيحين » من حديث سهل بن سعد ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي[1] ليس فيها علم لأحد » وفيها أيضاً من حديث أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ ، « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده » الحديث . وقد أطال القرطبي في بيان ذلك في « تفسيره » و « تذكرته » وحاصله أن هذه الاحاديث نص في ان الأرض والسموات تبدل وتزال ، ويخلق الله أرضاً أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر ، وهو الصراط . قوله : وكذلك يقبض أرضه وسماءه الخ دليله ما في الصحيح عن ابن عمر ، قال : لما قرأ النبي ﷺ على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامه والسموات مطويات بيمينه) الزمر : ٩٧ قال : يقبض الله سمواته بيده والارضين بيده الأخرى ، ثم يمجد نفسه ، فيقول : أنا الملك ، أنا القدوس ، انا السلام ، انا المؤمن ، انا المهيمن ، انا الجبار ، انا المتكبر ، انا الذي بدأت الدنيا ، ولم تك شيئاً ، انا الذي أعدتها

---

(١) النقي : الدقيق الحواري . وعفراء : بيضاء الى حمرة .

اين الملوك ؟ اين الجبارون ؟ اين المتكبرون[١] ؟ او كما قال . وقوله . وتحدث الأرض التي كنا بها . دليله . قوله تعالى : (يومئذ تحدث اخبارها) الزلزلة : ٤ عن ابي هريرة ، قال : قرأ رسول الله ﷺ (يومئذ تحدث أَخبارها) قال . « أتدرون ما أَخبارها ؟ قالوا . الله ورسوله أعلم قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، وتقول : عمل كذا و كذا ، فهذه أَخبارها » رواه أحمد والترمذي وصححه والنسائي[٢] . وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « إن الأرض لتجيىء يوم القيامة بكل عمل عمل على ظهرها ، وقرأ رسول الله ﷺ (إذا زلزلت الأرض زلزالها) حتى بلغ (يومئذ تحدث أخبارها) » اخرجه ابن مردويه والبيهقي . قوله . وتقيء يوم العرض من أكبادها الخ قال تعالى : (وأخرجت الأرض أثقالها) الزلزلة : ٢ ؛ اي : ما في جوفها من الأموات والدفائن ، والأثقال : جمع ثقل ، قال ابو عبيدة والأخفش : إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها ، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها . قال مجاهد : أثقالها ، موتاها ، تخرجهم في النفخة الثانية . وقد قيل للجن والانس : الثقلان . وإظهار الأرض في موضع الإضمار ، لزيادة التقرير . قال ابن عباس : أثقالها . الموتى والكنوز . وروى مسلم والترمذي عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ « تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل ، فيقول : في هذا قتلت ، ويجيء

---

(١) رواه مسلم بلفظ « يقبض الله تبارك وتعالى الارض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الارض وبلفظ آخر أطول من هذا ، ولم نره باللفظ الذي أورده الشارح في أحد « الصحيحين » .

(٢) وقد قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي ، ويجيء السارق ، فيقول : في هذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً » وهذا معنى قول الناظم ما لامرىء بالأخذ منه يدان قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذا الجبال تفت فتاً محكماً فتعود مثل الرمل ذي الكثبان

وتكون كالعهن الذي ألوانه وصباغه من سائر الألوان

وتبس بساً مثل ذاك فتنثني مثل الهباء لناظر الانسان

قال الله تعالى : (إذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا) الواقعة : ٤،٥ ؛ أي : إذا حركت حركة شديدة ، يقال : رجه يرجه رجاً : إذا حركه ، والرجة الاضطراب ، وارتج البحر وغيره : اضطرب قال المفسرون : ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل ما عليها ، وينكسر كل شيء من الجبال وغيرها وبست الجبال بساً . البس ، الفت ، يقال : بس الشيء ، إذا فته حتى يصير فتاتا ، ويقال : بس السويق ، إذا لته بالسمن أو بالزيت ، قال مجاهد ومقاتل : المعنى ان الجبال فتت فتاً ، وبه قال ابن عباس . وقال السدي : كسرت كسراً . وقال الحسن : قلعت من أصلها . وقال مجاهد أيضاً : بست كما يبس الدقيق بالسمن ، أو بالزيت ، والمعنى أنها خلطت ، فصارت كالدقيق الملتوت . وقوله تعالى : (فكانت هباء منبثاً) الواقعة : ٦ ؛ أي : غباراً متفرقاً منتشراً بنفسه من غير حاجة إلى هواء يفرقه . وقال مجاهد : الهباء الشعاع الذي يكون في الكوة ، كهيئة الغبار وقيل : هو الرهج الذي يسطع من حوافر الدواب ، ثم يذهب ، وقيل : ما تطاير من النار إذا اضطرمت .

قوله . وتكون كالعهن الذي ؛ أي : كالصوف المصبوغ ، ولا يقال للصوف عهن إلا إذا كان مصبوغاً . قال الحسن : تكون الجبال كالصوف الأحمر ، وهو أضعف الصوف ، وقيل : العهن الصوف والألوان ، فشبه الجبال به في تكونها الوانا كما في قوله : (جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ، وغرابيب سود) فاطر : ٢٠ فاذا بست ، وطيرت في الهواء ؛ أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح ، وهذه الأقوال في معنى العهن في اللغة . وأول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهيلاً ، ثم عهنا منفوشاً ، ثم هباء منثوراً . قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذا البحار فإنها مسجورة   قد فجرت تفجير ذي سلطان

وكذلك القمران يأذن ربنا   لهما فيجتمعان يلتقيان

هذي مكورة وهذا خاسف   وكلاهما في النار مطروحان

وكواكب الافلاك تنثر كلها   كلآلىء نثرت على ميدان

وكذا السماء تشق شقاً ظاهراً   وتمور ايضاً أيما موران

وتصير بعد الانشقاق كمثل ه   ذا المهل او تك وردة كدهان

قال الله تعالى (واذا البحار سجرت) التكوير : ٦ أي : أوقدت ، فصارت ناراً تضطرم . وقال الفراء : ملئت بأن صارت بحراً واحداً ، وكثر ماؤها : وبه قال الربيع بن خثيم والكلبي ومقاتل والحسن ضحاك . وقيل : أرسل عذبها على مالحها ، ومالحها على عذبها حتى

امتلأت ، وقيل فجرت فصارت بحراً واحداً ، وقال القشيري : هو من سجرت التنور أسجره سجراً : إذا أحميته . قال ابن يزيد وعطية وسفيان ووهب وغيرهم : أوقدت فصارت ناراً . وقال ابن عباس : تسجر حتى تصير ناراً ، وقال أيضاً : سجرت ، أي : اختلط ماؤها بماء الارض . قوله هذي مكورة وهذا خاسف . التكوير الجمع ، وهو مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها قال الزجاج : لفت كما نلف العمامة يقال : كورت العمامة على رأسي أكورها كوراً و كورتها تكويراً : إذا لففتها . قال أبو عبيدة : كورت مثل تكوير العمامة ، تلف فتجمع . قال الربيع بن خيثم : كورت ، أي : رمي بها ، ومنه كورته فتكور ، أي : سقط . وقال مقاتل وقتادة والكلبي : ذهب ضوؤها . وقال مجاهد : اضمحلت . قال الواحدي : قال المفسرون : تجمع الشمس بعضها الى بعض ثم تلف ويرمى بها . فالحاصل أن التكوير لها بمعنى لف جرمها ، أو لف ضوئها ، أو الرمي بها . قال ابن ابي حاتم : ثنا أبو صالح ثنا معاوية بن صالح عن أبي بكر ابن ابي مريم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله (إذا الشمس كورت) التكوير : ١ قال : « كورت في جهنم (وإذا النجوم انكدرت) قال : انكدرت في جهنم ، وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم إلا ما كان من عيسى وأمه ، فلو رضيا أن يعبدا لدخلاها . قال الحافظ ابن رجب : غريب جداً ، وابو بكر ابن ابي مريم فيه ضعف . وروي أن الشمس والقمر يكوران في النار . رواه عبد العزيز ابن المختار عن عبد الله الداناج قال سمعت أبا سلمة يحدث عن ابي هريرة عن النبي ﷺ ، قال : «إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار يوم القيامة » أخرجه البزار وغيره ، وخرجه البخاري مختصراً عن ابي هريرة عن النبي ﷺ

« الشمس والقمر مكوران يوم القيامة » أخرجه البخاري . قوله : وهذا خاسف . خسف القمر : ذهب ضوؤه وأظلم ، ويقال : خسف : إذا ذهب جميع ضوئه ؛ وكسف إذا ذهب بعض ضوئه . قوله وكواكب الافلاك تنثر كلها الخ قال تعالى (وإذا النجوم انكدرت) التكوير : ٢ أي : تهافتت ، وتساقطت ، وانقضت ، وتناثرت ، يقال : انكدر الطائر من الهوى ، إذا انقض ، والأصل في الانكدار الانصباب ، قال الخليل : يقال : انكدر عليهم القوم إذا جاؤوا أرسالاً فانصبوا عليهم . قال أبوعبيدة انصب كما ينصب العقاب . قال الكلبي وعطاء : تمطر السماء يومئذ نجوماً ، فلا يبقى نجم في السماء إلا وقع على الارض ، وقيل انكدارها : طمس نورها . وقال ابن عباس ! تغيرت . قوله : وكذا السماء تشق شقاً ظاهراً . الخ قال الله سبحانه (إذا السماء انشقت) الانشقاق : ١ ؛ أي : انصدعت ، وتفطرت . فيه حذف والتقدير : إذا انشقت السماء انشقت ، لأن إذا الشرطية يختص دخولها بالجمل الفعلية ، وماجاء من هذا ونحوه فمؤول محافظة على قاعدة الاختصاص ، والسماء فاعل لفعل محذوف . قال الواحدي : قال المفسرون : انشقاقها من علامات القيامة ، ومعنى انشقاقها انفطارها بالغمام الأبيض ، كما في قوله (ويوم تشقق السماء بالغمام) الفرقان ٢٥ وقيل تنشق من المجرة ، وبه قال علي بن ابي طالب . والمجرة باب السماء ، وأهل الهيئة يقولون : انها نجوم صغار مختلطة غير متميزة في الحس . واختلف في جواب إذا ، فقال الفراء إنه أذنت ، والواو زائد ، وكذلك ألقت ، قال ابن الأنباري : هذا غلط ، لأن العرب لا تقحم الواو إلا مع حتى كقوله (حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها) الزمر : ٧١ ومع لما كقوله (ولما أسلما وتله

للجبين وناديناه) الصافات ١٠٣ ولا تقحم مع غيرهذين . وقيل إن الجواب في قوله (فملاقيه) أي : فأنت ملاقيه ، وبه قال الاخفش . قـــوله : وتمور أيضاً أيما موران . قال تعالى (يوم تمور السماء موراً) الطور ٩٠ المور : الاضطراب والحركة ، قال أهل اللغة : مار الشيء يمور موراً : إذا تحرك ودار وجاء وذهب ، قاله الاخفش وابوعبيـدة . وقال ابن عباس : تحرك وقال الضحاك : يموج بعضها في بعض . وقال مجاهد : تدور دوراً وقيل تجري جرياً ، وقيل تتكفأ ، قاله الاخفش . قال البغوي : والمور يجمع هذه المعاني ، إذ هو في اللغـــة الذهاب والمجيء والتردد والدوران والاضطراب ، ويطلق المور على الموج ، ومنه ناقة موارة اليد ، أي سريعة تموج في مشيها موجاً ، ومعنى الآية أن العذاب يقع بالعصاة ، ولا يدفعه عنه دافع في هذا اليوم ، الذي تكون فيه السماء هكذا ، وهو يوم القيامة .

قوله : وتصير بعد الانشقاق كمثل هذا المهل الخ ... قال الله تعالى (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) الرحمن : ٣٧ انشقت ، أي : انصدعت بنزول الملائكة يوم القيامة ، وانفك بعضها من بعض ، لقيام الساعة . وقيـــل : انفجرت فصارت أبواباً ، لنزول الملائكة ، لتحيط بالعالم من سائر جهات الأرض لئلا يهرب بعضهم من المحشر وقيل : المراد منه خراب السماء ، وفيه تهويل وتعظيم للأمر . (فكانت وردة) أي : كوردة حمراء أو محمرة مثلها . قال سعيد بن جبير وقتادة : المعنى فكانت حمراء ، وقيل : فكانت كلون الفرس الورد . قاله ابن عباس ، وهو الابيض الذي يضرب إلى الحمرة والصفرة كالدهان . قال الفراء وأبو عبيد : تصير السماء كالأديم ، لشدة حر النار . وقـــال ابن عباس :

كالأديم الأحمر ، أي على خلاف العهد بها ، وهو الزرقة . وقال الفراء أيضاً شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل ، وشبه الورد في ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه . والدهان جمع دهن ، نحو قرظ وقراظ ، ورمح ورماح وقيل : إنه اسم مفرد ؛ أي : اسم لما يدهن به ، كالحزام ، والادام . قاله الزمخشري . وقيل المعنى تصير السماء مثل الدهن لذوبانها . وقال الحسن كالدهان ؛ أي : كصبيب الدهن ، فإنك إذا صببته ترى فيه الواناً وقال زيد بن أسلم : تصير كعصير الزيت . وقال الزجاج وقتادة : إنها اليوم خضراء ، وسيكون لها لون أحمر . حكاه الثعلبي . قال الماوردي : زعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة وأنها لكثرة الحوائل والحواجز ، وبعد المسافة ، واعتراض الهواء بيننا وبينها ترى بهذا اللون الأزرق ، كما يرى الدم في العروق أزرق ، ولا هواء هناك يمنع من اللون الاصلي . ذكره الكرخي والعمادي والكازروني . والمهل : ما أذيب من النحاس والرصاص والفضة . وقال مجاهد : هو القيح من الصديد والدم . وقال عكرمة وغيره هو دردي[١] الزيت وبه قال ابن عباس قال النَّاظِم :

والعرش والكرسي لا يفنيهما أيضاً وإنهما لمخلوقان

والحور لا تفنى كذلك جنة الـ ـمأوى وما فيها من الولدان

ولأجل هذا قال جهم إنها عدم ولم تخلق الى ذا الآن

والانبياء فانهم تحت الثرى أجسامهم حفظت من الديدان

ما للبلى بلحومهم وجسومهم أبداً وهم تحت التراب يدان

---

(١) قال في « المختار » : دردي الزيت وغيره . ما يبقى في آخره .

(ابن مانع)

وكذاك عجب الظهر لا يبلى بلى   منه تركب خلقة الانسان

قوله : والعرش والكرسي الخ ... المستثنى من الهلاك في قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) القصص : ٨٨ ثمانية أشياء نظمها الجلال السيوطي فقال :

ثمانية حكم البقاء يعمها   من الخلق والباقون في حيز العدم

هي العرش والكرسي ونار وجنة   وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وقد زاد الناظم على ذلك الحور في قوله والحور لا تفنى الخ .. قال الإمام احمد في رواية ابنه عبد الله : فأما السماء والارض فقد زالتا ، لأن أهلها صاروا الى الجنة والى النار ، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب ، لأنه سقف الجنة ، والله سبحانه وتعالى عليه ، فلا يهلك ولا يبيد . واما قوله : (كل شيء هالك إلا وجهه) وذلك أن الله تعالى أنزل (كل من عليها فان) فقالت الملائكة : هلك أهل الأرض فعلموا في البقاء ، فأخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الارض أنهم يموتون ، فقال : (كل شيء هالك الا وجهه) . يعني . كل شيء ميت إلا وجهه ، لأنه حي لا يموت فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت . انتهى كلامه . وقال في رواية أبي العباس أحمد بن جعفر ابن يعقوب الاصطخري : ذكره ابو الحسين في كتاب « الطبقات » قال : قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل : هذه مذاهب أهل العلم ، وأصحاب الأثر وأهل السنة ، المتمسكين بعروتها ، المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا ، هـــذا وأدركت من العلماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب ، أو طعن

فيها ، أو عاب قائلها ، فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة ، وسبيل الحق ، وساق أقوالهم .. الى ان قال : وقد خلقت الجنة وما فيهـا ، وخلقت النار وما فيها ، خلقها الله عز وجل ، وخلق لهما أهلاً ولا يفنيان ، ولا يفنى ما فيها أبداً ، فإن احتج مبتدع أو زنـديق بقول الله عز وجل (كل شيء هالك إلا وجهه) وبنحو هذا من متشابه القرآن . قيل له كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ، ولا للهلاك ، وهما من الآخرة لا من الدنيا ، والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ، ولا عند النفخة ، ولا أبداً ، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ، ولم يكتب عليهن الموت . فمن قال خلاف ذلك ؛ فهو مبتدع ، وقد ضل عن سواء السبيل . وأطال الإمام أحمد رحمه الله الكلام.

قال النّاظم رَحِمهُ الله تعالى :

ولأجل ذلك لم يقر الجهم بالـ   أرواح خارجة عن الابدان
لكنها من بعض أعراض بها   قامت وذا في غاية البطلان
فالشأن للارواح بعد فراقها   أبدانها والله أعظم شـان
إمـا عذاب أو نعيم دائم   قد نعمت بالروح والريحان
وتصير طيراً سارحاً مع شكلها   تجني الثمار بجنـة الحيوان
وتظل واردة لأنهار بهـا   حتى تعـود لذلك الجثمان
لكن أرواح الذين استشهدوا   في جوف طـير أخضر ريان

فلهم بـــذاك مزية في عيشهم ونعيمهم بالروح والابـدان

بذلوا الجسوم لربهم فأعاضهم أجسام تلك الطير بالاحسان

ولهـا قنـاديـل اليهـا تنتهي مأوى لها كمساكن الانسان

فالروح بعدالموت أكمل حالة منهـا بـهـذي الدار في جثمان

وعذاب أشقاها اشد من الذي قـد عاينت أبصارهـا بعيان

قوله : ولذلك لم يقر الجهم الخ ؛ أي : إن الجهم بن صفوان يقول : إن الروح لا داخل البدن ، ولا خارجه ، ولا متصلة به ، ولا منفصلة عنه ، كما ذكر ذلك عنه الإمام أحمـــد رحمه الله في كتاب « الرد على الجهمية » قال : وكذلك الجهم ، وشيعته دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث فضلوا وأضلوا بكلامهم بشراً كثيراً ، فـكان مما بلغنا عن الجهم عـدو الله أنه كان من أهل خراسان من أهل ترمذ ، وكان صاحب خصومات وكلام وكان اكثر كلامه في الله تبارك وتعالى ، فلقي ناساً من المشركين يقال لهم : السمنية : فعرفوا الجهم ، فقالوا له : نكلمك فــان ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك ، وكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له : ألست تزعم أن لك إلهاً ؟ ، قال الجهم : نعم ، فقالوا له ؛ فهل رأيت إلهك ؟ قال : لا ، فقالوا له : هل سمعت كلامـه ؟ قال : لا ، قالوا : فشممت له رائحة ؟ قال : لا ، قالوا : فوجدت له حساً ؟ قال : لا ، قالوا فوجدت له لمساً ؟ قال : لا ، قالوا : فما يدريك أنه إله ؟ قال : فتحير الجهم ، فلم يدر من يعبد أربعين يوماً ، ثم إنه استدرك حجة من جنس حجة

الزنادقـة من النصارى ، وذلك أن زنادقـة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى هي من روح الله من ذات الله ، وإذا أراد أن يحدث أمراً دخل في بعض خلقه ،فتكلم على بعض لسان خلقه ، ويأمر بما يشاء ، وينهى عما يشاء ، وهو روح غائب عن الأبصار ، فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة ، فقال للسمني : ألست تزعم أن فيك روحاً ، فقال : نعم قال : فهل رأيت روحك ، قال : لا ، قال : فسمعت كلامه ؟ قال : لا ، قال : فوجدت له حساً ؟ قال : لا ، قال : فكذلك الله لا يرى له وجه ، ولا يسمع له صوت ، ولا يشم له رائحة ، وهو غائب عن الأبصار فلا يكون في مكان دون مكان . قال : ووجد ثلاث آيات في القرآن من المتشابه ، قوله (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى : ١١ (وهو الله في السموات وفي الأض) الأنعام : ٣ و (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) الأنعام : ١٠٣ فبنى أصل كلامه على هؤلاء الآيات، وتأول القرآن على غير تأويله وكذب بأحاديث رسول الله ﷺ ، وزعم أن من وصف شيئاً مما وصف الله به نفسه في كتابه،أو حدث عنه رسول الله ﷺ كان كافراً ، وكان من المشبهة ، وأضل بشراً كثيراً ، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة ، وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ، ووضع دين الجهمية ، فهذا الذي ذكره الإمام أحمـــد من مبدأ حال جهم ، إمام المتكلمين ، فإنه لما ناظر من ناظره من المشركين السمنية من الهند،وجحدوا الإله،لكون الجهم لم يدركه بشيء من حواسه لا بسمعه ولا ببصره، ولا بشمه ، ولا بذوقه ، ولا بحسه، كان مضمون هذا الكلام أن كل ما لا يحسه الانسان بحواسه الخمس فإنه ينكره ولا يقر به،فأجابهم الجهم بأنه قد يكون في

الوجود مالا يمكن الإحساس به بشيء من هـذه الحواس ، وهي الروح التي في العبد ، وزعم أنها لا تختص بشيء من الأمكنة ، وهذا الذي قاله هو قول الصائبة الفلاسفه المشائين . وحاصل هذه الأبيات في شأن الأرواح بعد المفارقة بالموت ، وما لها من النعيم والعذاب وذكر أرواح الشهداء وما أعـد الله لهم من النعيم المقيم ، قال الله تعالى . (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين. وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم) الواقعة: ٨٨-٩٤ فقسم سبحانه الأرواح الى ثلاثة أقسام ، مقربين ، وأخبر أنها في جنة النعيم ، وأصحاب يمين ، وحكم لهـا بالسلام ، وهو يتضمن سلامتها من العذاب ، ومكذبة ضالة ، وأخبر أن لها نزلاً من حميم وتصلية جحيم . وقال تعالى : (يا أيتهـــا النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية . فادخلي في عبادي . وادخلي جنتي) الفجر: ٢٧-٢٩ قال: غير واحد من الصحابة والتابعين: إن هذا يقال لها عند خروجها من الدنيا ، يبشرهـــا الملك بذلك ، ولا ينافي ذلك قول من قال : إن هذا يقال لها في الآخرة ، فانه يقال لها عند الموت ، وعند البعث وهذا من البشرى التي قال الله تعالى (إن الذين قالوا ربنـــا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) فصلت ٣٠ وهـــذا التنزل يكون عند الموت ، ويكون في القبر ، ويكون عند البعث ، وأول بشارة الاخرة عند الموت. وفي حديث البراء بن عازب ان الملك يقولها عند قبضها: أبشري بروح وريحان ، وهذا من الجنة . وروى مالك في « الموطأ» عن ابن شهاب عن عبـــد الرحمن بن كعب بن مالك أنه اخبره أن أباه كعب بن

مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال إنما نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه » قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر : واختلف العلماء في معنى هذا الحديث فقال قائلون منهم : أرواح المؤمنين عند الله في الجنة شهداء كانوا أم غير شهدا اذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولادين ، وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم . واحتجوا بان هذا الحديث لم يخص فيه شهيداً من غير شهيد ، واحتجوا بما روي عن أبي هريرة أن أرواح الابرار في عليين وأرواح الفجار في سجين . وعن عبد الله ابن عمر ، ومثل ذلك قال أبو عمر ، وهذا قول يعارضه من السنة مـــالا مدفع في صحة نقله ، وهو قوله « اذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من اهل الجنة فمن أهل الجنة ، وان كان من اهل النار فمن أهل النار . يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القامة »(١) وقال آخرون : إنما معنى هذا الحديث في الشهداء دون غيرهم ، لأن القرآن والسنة إنما يدلان على ذلك ، اما القرآن فقوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله) الاية آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠ وأما الآثار ، فذكر حديث أبي سعيد الخدري من طريق بقي بن مخلد مرفوعاً : « الشهداء يغدون ويروحون ، ثم يكون مأواهم الى قناديل معلقة بالعرش ، فيقول لهم الرب تبارك وتعالى : هل تعلمون كرامة أفضل من كرامة أكرمتكموها ، فيقولون : لا ، غير أنا وددنا أنك أعدت أرواحنا في أجسادنا حتى نقاتل

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

مرة أخرى فنقتل في سبيلك » رواه عن هناد عن اسماعيل بن المختار عن عطية ثم ساق حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أصيب اخوانكم يعني يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارهـــا ، وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ اخواننا أننا احياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولايزهدوا في الجهاد ؟ قال : فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله تعالى : (ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران : ١٦٩ والحديث في « مسند الامـــام أحمد » و « سنن ابي داود » ، ثم ذكر حديث الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية : (ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران : ١٦٩ فقال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال : أرواحهم في أجواف طير خضر تسرح في الجنة في أيها شاءت ، تأوي الى تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئاً قالوا : وأي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟! ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من ان يسألوا قالوا : يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة اخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا . والحديث في « صحيح مسلم »

قلت وفي « صحيح البخاري » عن أنس أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ألا

تحدثني عن حارثة وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب ، فان كان في الجنة صبرت ، وان كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ؟ قال : يا أم حارثة إنها جنان وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » ثم ساق ابن عبد البر من طريق بقي بن مخلد ، ثنا يحيى بن عبد الحميد ، ثنا ابن عيينة ، عن عبيد الله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول : أرواح الشهداء تجول في اجواف طير خضر تعلق في ثمر الجنة ، ثم ذكر عن معمر عن قتادة قال : بلغنا أن أرواح الشهداء في صور طير بيض تأكل من ثمار الجنة . ومن طريق أبي عاصم النبيل عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو : أرواح الشهداء في طير كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة . قال أبو عمرو هذه الآثار كلها تدل على أنهم الشهداء دون غيرهم . وفي بعضها في صور طير وفي بعضها في اجواف طير ، وفي بعضها كطير خضر قال : والذي يشبه عندي والله اعلم أن يكون القول قول من قال : كطير أو صور طير ، لمطابقته لحديثنا المذكور ، يريد حديث كعب بن مالك . وقوله فيه . نسمة المؤمن كطائر ، ولم يقل : في جوف طائر . قال وروى عيسى بن يونس حديث ابن مسعود عن الأعمش عن عبد الله ابن مرة عن مسروق عن عبد الله ، كطير خضر . قلت : والذي في « صحيح مسلم » في اجواف طير خضر . قال أبو عمر : فعلى هذا التأويل فكأنه ﷺ قال : « انما نسمة المؤمن من الشهداء طائر يعلق في شجر الجنة » قال الناظم رحمه الله تعالى في كتاب « الروح » قلت : لا تنافي بين قوله ﷺ « : نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة » وبين قوله : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن

أهل النار » وهذا الخطاب يتناول الميت على فراشه والشهيد ، كما أن قوله : « نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة » يتناول الشهيد وغيره ، ومع كونه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، ترد روحه أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها . وأما المقعد الخاص به ، والبيت الذي أعد له ، فانه انما يدخله يوم القيامة . ويدل عليه أن منازل الشهداء ودورهم وقصورهم التي أعد الله لهم ليست هي تلك القناديل التي تأوي اليها أرواحهم في البرزخ قطعاً ، فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة ، ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش ، فان الدخول التام الكامل انما يكون يوم القيامة ، ودخول الارواح في الجنة في البرزخ أمر دون ذلك . ونظير هذا أهل الشقاء تعرض أرواحهم على النار غدواً وعشياً ، فاذا كان يوم القيامة دخلوا منازلهم ومقاعدهم التي كانوا يعرضون عليها في البرزخ ، فتنعم الارواح بالجنة في البرزخ شيء ، وتنعمها مع الأبدان بها يوم القيامة شيء آخر ، فغذاء الروح من الجنة في البرزخ دو غذائها مع بدنها يوم البعث ، ولهذا قال : تعلق في شجر الجنة ؛ أي : تأكله العلقة . واما تمام الأكل والشرب واللبس والتمتع ، فانما يكون إذا ردت الى أجسادها يوم القيامة ، فظهر أنه لا يعارض هذا القول من السنة شيء ، وانما تعاضده السنة وتوافقه .

وأما قول من قال : ان حديث كعب في الشهداء دون غيرهم : فتخصيص ليس في اللفظ مايدل عليه ، وهو حمل اللفظ العام على اقل مسمياته ، فان الشهداء بالنسبة الى عموم المؤمنين قليل جداً ، والنبي ﷺ علق هذا الجزاء بوصف الايمان ، فهو المقتضي له ، ولم يعلقه بوصف الشهادة . ألا ترى أن الحكم الذي اختص بالشهداء علق بوصف الشهادة كقوله في حديث المقدام

ابن معدي كرب : « للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفقة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حلة الايمان ، ويزوج من الحور العين ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوته خير من الدنيا ومافيها ، ويزوج اثنين وسبعين من الحور العين ، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه » فلما كان هذا يختص بالشهيد قال : ان للشهيد ، ولم يقل ان للمؤمن ، و كذلك قوله في حديث قيس الجزامي : يعطى الشهيد ست خصال . و كذلك سائر الاحاديث والنصوص التي علق فيها الجزاء بالشهادة ، واما ماعلق فيه الجزاء بالايمان فانه يتناول كل مؤمن شهيداً كان أو غير شهيد . وأما النصوص والآثار التي ذكرت في رزق الشهداء و كون أرواحهم في الجنة ، فكلها حق وهي لاتدل على انتفاء دخول أرواح المؤمنين الجنة ، ولاسيما الصديقين الذين هم أفضل من الشهداء بلا نزاع بين الناس . فيقال لهؤلاء : ماتقولون في أرواح الصديقين ، هل هي في الجنة أم لا ؟ فإن قالوا : إنها في الجنة ، ولا يسوغ لهم غير هذا القول ؛ قيل : فثبت أن هذه النصوص لا تدل على اختصاص أرواح الشهداء بذلك ، وإن قالوا : ليست في الجنة ؛ لزمهم من ذلك أن تكون أرواح سادات الصحابة ، كأبي بكر الصديق ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي الدرداء وحذيفة بن اليمان ، وأشباههم ليست في الجنة ، وأرواح شهداء زماننا في الجنة ، وهذا معلوم البطلان ضرورة . فإن قيل فإذا كان هذا حكماً لا يختص بالشهداء ؛ فما الموجب لتخصيصهم بالذكر في هذه النصوص ؛ قيل : الموجب لذلك التنبيه على فضل الشهادة وعلو درجتها ، وأن هذا مضمون لأهلها ولا بد ، وأن لهم أوفر

نصيب، فنصيبهم من هـــذا النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم، وان كان الميت على فراشه أعلى درجة منهم، فله نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه، ويدل على هذا أن الله سبحانه جعل ارواح الشهداء في أجواف طير خضر، فانهم لما بذلوا أنفسهم لله حتى أتلفها أعداؤه فيه أعاضهم منها في البرزخ ابداناً خيراً منها تكون فيها الى يوم القيامـــة، ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان اكمل من نعيم المجردة عنها، ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير أو كطير، ونسمة الشـــهيد في جوف طير. وتأمل لفظ الحديثين فإنه قـــال: نسمة المؤمن طير فهـــذا يعم الشهيد وغيره ثم خص الشهداء قال: هي في جوف طير، ومعلوم أنها اذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير، فصلوات الله وسلامه على من يصدق كلامه بعضه بعضاً ويدل على أنه حق من عند الله، وهذا الجمع أحسن من جمع أبي عمر وترجيحه رواية من روى: أرواحهم كطير خضر، بل الروايتان حق وصواب، فهي كطير أخضر، وفي أجواف طير خضر انتهى كلام الناظم رحمه الله تعالى، قوله حتى تعود الى ذلك الجثمان. الجثمان: هو الجسم قال الجوهري: قال أبو زيد: الجسم الجسد، و كذلك الجسمان. الجثمان وقال الاصمعي: الجسم والجسمان: الجســد، والجثمان الشخص، قـال: وجماعة(١) جسم الانسان أيضاً يقال له: الجسمان مثل ذئب وذؤبان. انتهى وقول الناظم:

لكن أرواح الذين استشهدوا   في جوف طير أخضر ريان

---

(١) في الاصل: وقال جماعة. وهو خطأ، وما أثبتناه هو الذي جاء في «الصحاح»

يعني : أن الشهداء لهم خصوصية بأن أرواحهم تجعل في جوف طير خضر ، كما صرح بذلك في كلامه المتقدم بقوله . ثم خص الشهداء بأن قال : هي في جوف طير ، والله أعلم.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والقائلون بأنها عرض أبوا ‏ ‏ ذا كله تبـاً لذي نكران

واذا أراد الله اخراج الورى ‏ ‏ بعد الممات الى المعاد الثاني

ألقى على الأرض التي هم تحتها ‏ ‏ والله مقتدر وذو سلطان

مطراً غليظاً أبيضا متتابعـاً ‏ ‏ عشراً وعشراً بعدها عشران

فتظل تنبت منه أجسام الورى ‏ ‏ ولحومهم كمنابت الريحان

حتى اذا ما الأم حان ولادها ‏ ‏ وتمخضت فنفاسـهـا متدان

أوحى لها رب السما فتشققت ‏ ‏ فبدا الجنين كأكمل الشبان

وتخلت الأم الولود فأخرجت ‏ ‏ أثقالها انثى ومن ذكران

والله ينشىء خلقه في نشأة ‏ ‏ أخرى كما قد قال في القرآن

هذا الذي جاء الكتاب وسنة الـ ‏ ‏ ـهادي به فاحرص على الايمان

ما قال إن الله يعدم خلقـه ‏ ‏ طراً كقول الجاهل الحيران

قوله والقائلون بأنها عرض : أي : إن القائلين بأن الروح عرض أبوا ذا كله ، لأنها عندهم تعدم وتتلاشى ، وعندهم أنهـا عرض من أعراض

البدن ، وهو الحياة ، وهذا قول الباقلاني ومن تبعه . و كذلك قال أبو الهذيل العلاف : النفس عرض الأعراض ، وقال غيرهم بأنه الحياة ، كما عينه ابن الباقلاني ، ثم قال : هي عرض كسائر أعراض الجسم ، وهؤلاء عندهم أن الجسم إذا مات ، عدمت روحه كما تعدم سائر اعراضه المشروطة بالحياة . ومن يقول منهم : إن العرض لا يبقى زمانين ، كما يقوله أكثر الأشعرية فمن قولهم : إن روح الإنسان الآن هي غير روحه قبل ، وهو لا ينفك يحدث له روح ، ثم تغير ، ثم روح ، ثم تغير هكذا أبداً فيبدله ألف روح فأكثر في ساعة من الزمان فما دونها ، فإذا مات فلا روح ، تصعد الى السماء ، وتعود الى القبر ، وتقبضها الملائكة ، ويستفتحون لها أبواب السموات ، ولا تنعم ، ولا تعذب ، وإنما ينعم ويعذب الجسد ، إذا شاء الله تنعيمه أو تعذيبه ، رد الحياة في وقت يريد نعيمه وعذابه ، وإلا فلا روح هناك قائمة بنفسها البتة . وقال بعض أرباب هذا القول : ترد الحياة الى عجب الذنب ، فهو الذي يعذب وينعم فحسب ، وهذا قول يرده الكتاب والسنة ، وإجماع الصحابة ، وأدلة العقول والفطرة ، وهو قول من لم يعرف روحه فضلاً عن روح غيره ، وقد خاطب الله سبحانه النفس بالرجوع والدخول والخروج ، ودلت النصوص الصحيحة الصريحة على أنها تصعد وتنزل ، وتقبض وتمسك ، وترسل وتستفتح لها أبواب السماء ، وتسجد وتتكلم ، وأنها تخرج تسيل كما تسيل القطرة ، وتكفن وتحنط في أكفان الجنة او النار ، وأن ملك الموت يأخذها بيده ، ثم يتناولها الملائكة من يده ، ويشم لها كأطيب نفحة مسك أو كانتن جيفة ، وتشيع من سماء الى سماء ، ثم تعاد الى الأرض مع الملائكة ، وأنها إذا خرجت تبعها البصر حيث يراها ، وهي خارجة ، ودل القرآن على أنها تنتقل من مكان إلى مكان حتى تبلغ الحلقوم في حركتها ، وجميع

ما ورد من الأدلة الدالة على تلاقي الأرواح وتعارفها، وأنها أجناد مجندة الى غير ذلك يبطل هذا القول . وقد شاهد النبي ﷺ الأرواح ليلة الإسراء عن يمين آدم وشماله ، وأخبر النبي ﷺ أن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ، وأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ، وأخبر تعالى عن أرواح آل فرعون أنها تعرض على النار غدواً وعشياً . ولما أورد ذلك على ابن الباقلاني لج في الجواب ، وقال يخرج على هذا أحد وجهين ، إما بأن يوضع عرض من الحياة في أول جزء من أجزاء الجسم ، وإما أن يخلق لتلك الحياة والنعيم والعذاب جدير خير ، وهذا قول في غاية الفساد منه وجوه كثيرة ، وأي قول أفسد من قول من يجعل روح الإنسان عرضاً من الأعراض تبدل كل ساعة ألوفاً من المرات ، فإذا فارقه هذا العرض لم يكن بعد المفارقة روح تنعم ولا تعذب ، ولا تصعد ولا تنزل ، ولا تمسك ولا ترسل ، فهذا قول مخالف للعقل ، ونصوص الكتاب والسنة ، والفطرة ، وهو قول من لم يعرف نفسه ، والله أعلم . وقوله :
وإذا أراد الله إخراج الورى الخ أخرج الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما بين النفختين أربعون ، قيل : أربعون يوماً قال أبو هريرة : أبيت ، قال : أربعون شهراً ؟ قال : أبيت ، قال : أربعون سنة ؟ قال : أبيت ، ثم ينزل من السماء ماء ، فينبتون كما ينبت البقل ، وليس من الانسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد ، وهو عظم الذنب ، منه يركب الخلق يوم القيامة » وفي رواية المسلم « إن في الانسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً فيه يركب الخلق يوم القيامة ، قالوا : أي عظم هو يارسول الله ؟ قال: عجب الذنب »رواه الإمام مالك وأبو داود والنسائي باختصار قال : كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب ، منه خلق ؛

وفيه يركب » قـــال الحافظ المنذري كغيره ؟ عجب الذنب بفتح العين المهملة ، وإسكان الجيم بعدها باء موحدة أو ميم ، هو العظم الحديد الذي يكون في أسفل الصلب . وأصل الذنب من ذوات الأربع : وقـد روى الإمام احمد وابن حبان في «صحيحه» من حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ « يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه قيل : ما هو يارسول الله ؟ قال : مثل حبـــة خردل منه تنشؤون. وروى الثعلبي في تفسير سورة الأعراف وابن عطيـة في تفسيره عن ابي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم : إذا مات الناس كلهم في النفخة الأولى ، يعني : نفخة الصعق أمطر عليهم أربعين عاماً كمني الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان ، فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء ، حتى إذا استكملت أجسادهم ، نفخ فيهم الروح ، ثم يلقي عليهم نومة فينامون في قبورهم فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية ، قاموا وهم يجدون طعم النوم في أعينهم ، كما يجده القائم إذا استيقظ من نومه ، فعند ذلك يقولون : ياويلنا من بعثنا من مرقدنا . وقول أبي هريرة رضي الله عنه : أبيت ، فيه ثلاث تأويلات أحدها امتنعت من بيان ذلك وقيل : أبيت « أسأل النبي ﷺ عن ذلك وقيل : نسيت : وقيل : إن سر ذلك لأنه لا يعلمه إلا الله تعالى ، لأنه من أسرار الربوبية لكن في حديث إن بين النفختين أربعين عاماً (١) » وقول الناظم : طراً هو بضم الطاء ؛ أي : جميعاً قال النّاظم رحمه الله تعالى :

وقضى بأن الله ليس بفاعـــل ... فعلاً يقوم به بلا برهان

(١) قال المناوي في « فيض القدير » ووقع لولي الله النووي في « مسلم » أربعين سنة ، قال ابن حجر : وليس كذلك .

بل فعلـه المفعول خـارج ذاتـه ... كالوصف غير الذات في الحسبان

والجـبر مذهبـه الذي قرت به ... عين العصاة وشيعة الشيطان

كانوا على وجل من العصيان إذ ... هو فعلهم والذنب للانسان

واللوم لا يعدوه إذ هو فاعـل ... بإرادة وبقدرة الحيـوان

فأراحهم جهم وشيعتـه من اللـ ... ـوم العنيف وما قضوا بأمان

لكـنهم حملوا ذنوبهم على ... رب العبـاد بعزة وأمـان

وتبرؤوا منها وقـالوا إنها ... أفعاله ماحيلة الإنسان

ما كلف الجبـار نفساً وسعها ... أنى وقد جبرت على العصيان

وكذا على الطاعات أيضاً قدغدت ... مجبورة فلها إذاً جبران

والعبد في التحقيق شبه نعامة ... قد كلفت بالحمـل والطيران

إذ كان صورتها تدل عليهما ... هـذا وليس لها بذاك يدان

تضمن كلام الناظم رحمه تعالى مسألتين عظيمتين، إحداهما في أفعاله الله تعالى، هل لله تعالى فعل يقوم به بمشيئته وقدرته، أم الفعل هو المفعول والخلق هو المخلوق؟ فالاول هو الذي ذكره الفقهاء من اصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد ومالك في كتبهم، كما ذكره فقهاء الحنفية، كالطحاوي وأبي منصور الماتريدي وغيرهم وكما ذكره البغوي في «شرح السنة» وكما ذكره أصحاب أحمـد، كأبي إسحاق، وأبي بكر عبد العزيز، والقاضي ذكره في الخلق هل هو المخلوق أو غيره؟ على قولين، ولكن استقر قوله على

ان الخلق غير المخلوق ، وان خالف بن عقيل . وكما ذكره أبو بكر محمد بن اسحاق الكلاباذي في كتاب له وكما ذكره أئمة الحديث والسنة ، قال البخاري في آخر «الصحيح» في كتاب الرد على الجهمية والزنادقة : باب ماجاء في تخليق السموات والارض ونحوها من الخلائق ، وهو فعل الرب وأمره ، فالرب بصفاته وفعله ، وأمره وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق ، وما كان بفعله وأمره ، وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكون ، وذهبت الجهمية والمعتزلة أو أكثرهم ، والكلابية والاشعرية الى أن الخلق هو المخلوق ، والفعل هو المفعول ، وليس لهؤلاء عند الرب فعل ولا صنع يقوم به ، تعالى الله عما يقول الجاحدون علواً كبيراً ، قوله : والجبر مذهبه الذي قرت به الخ ... أي : إن مذهب جهم هو الجبر ، ومعنى ذلك أن الناس اختلفوا في أفعال العباد هل هي مقدورة للرب والعبد أم لا ؟ فقال جهم وأتباعه الجبرية : إن ذلك الفعل مقدور للرب لا للعبد ، وكذلك قال الأشعري وأتباعه : إن المؤثر فيه قدرة الرب دون قدرة العبد . وقال جمهور المعتزلة : إن الرب لا يقدر على عين مقدور العبد ، واختلفوا هل يقدر على مثل مقدوره ؟ فأثبته البصريون كأبي علي وأبي هاشم ، ونفاه الكعبي وأتباعه البغداديون ، واحتج المعتزلة بأنه لو كان مقدوراً لهما للزم إذا أراد أحدهما شيئاً أو أمراً ، وكرهه الآخر ، مثل أن يريد الرب تحريكه ، ويكرهه العبد ،أن يكون موجوداً معدوماً ، لأن المقدور من شأنه أن يوجد عند توفر دواعي القادر ، وأن يبقى على العدم عند توفر صارفه ، فلو كان مقدور العبد مقدوراً لله لكان إذا أراد الله وقوعه ،

وكره العبد وقوعه ، لزم أن يوجد لتحقق الدواعي ، ولا يوجد لتحقق الصارف ، وهو محال . وقد أجاب الجبرية عن هذا بما ذكره الرازي ، وهو أن البقاء على العدم عند تحقق الصارف ممنوع مطلقاً ، بل يجب إذا لم يقم مقامه سبب آخر مستقل ، وهذا أول المسألة ، وهذا جواب ضعيف ، فإن الكلام في فعل العبد القائم به إذا قام بقلبه الصارف عنه دون الداعي إليه ، وهذا يمتنع وجوده من العبد في هذه الحال ، وما قدر وجوده بدون إرادته لم يكن فعلاً اختيارياً ، بل يكون بمنزلة حركة المرتعش في الكلام إنما هو في الاختياري ، ولكن الجواب منع هذا التقدير ، فإن ما لم يرده العبد بأفعاله يمتنع أن يكون الله مريداً لوقوعه ، إذ لو شاء وقوعه جعل العبد مريداً له ، فإذا لم يجعله مريداً له علم أنه لم يشأه . ولهذا اتفق علماء المسلمين على أن الانسان لو قال : والله لأفعلن كذا و كذا إن شاء الله ، ثم لم يفعله أنه لا يحنث ، لأنه لما لم يفعله علم أن الله لم يشأه ، إذ لو شاءه لفعله العبد ، فلما لم يفعله علم أن الله لم يشأه . واحتج الجبرية بما ذكره الرازي وغيره بقولهم : إذا أراد الله تحريك جسم ، وأراد العبد تسكينه ، فإما أن يمتنعا معاً ، وهو محال ، لأن المانع من وقوع مراد كل واحد منهما هو موجود مراد الآخر ، فلو امتنعا معاً ، لوجدا معاً وهو محال ، أو يقعا ، وهو محال أيضاً ، أو يقع أحدهما ، وهو باطل ؛ لأن القدرتين متساويتان في الاستقلال بالتأثير في ذلك المقدور الواحد ، والشيء الواحد حقيقة لا تقبل التفاوت ، فاذا القدرتان بالنسبة إلى اقتضاء وجود ذلك المقدور على السوية ، و إنما التفاوت في أمور خارجة عن هذا المعنى ، وإذا كان كذلك امتنع الترجيح فيقال : هذه الحجة باطلة على المذهبين ، أما أهل السنة فعندهم يمتنع أن يريد الله

تحريك جسم ، ويجعل العبد مريداً ، لا أن يجعله العبد ساكناً مع قدرته على ذلك ، فإن الارادة الجازمة مع القدرة تستلزم وجـود المقدور ، فلو جعله الرب مريداً مع قدرته لزم وجود مقدوره ، فيكون العبد يشاء ما لا يشاء الله وجوده ، وهذا يمتنع ، بل ماشاء الله وجوده يجعل القادر عليه مريداً لوجوده ، لا يجعله مريداً لما يناقض مراد الرب . وأمـا على قول المعتزلة فعندهم تمتنع قدرة الرب على عين مقدور العبد ، فيمتنع اختلاف الإرادتين في شيء واحد ، وكلا الحجتين باطلة ، فإنهما مبنيتان على تناقض الإرادتين ، وهذا ممتنع ، فإن العبد إذاشاء ان يكون «شيء» لم يشاه حتى يشاه الله مشيئته ، كما قال تعالى (لمن شاء منـكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا ان يشاء الله رب العالمين) ، وما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فإذا شاء الله جعل العبد شائياً له ، وإذا جعل العبد كارهاً له غير مريد له ، لم يكن هو في هذه الحال شائياً له ، فهم بنوا الدليل على تقدير مشيئة الله له ، وكراهة العبد له ، وهذا تقدير ممتنع ، وهذا تناقض من تقدير ربين وإلهين ، وهو قياس باطل لأن العبد مخلوق لله ، وهو وجميع مفعولاته ليس هو مثلاً لله ، ولا نداً والله أعلم ! وقول الناظم رحمه الله تعالى :

كانوا على وجل من العصيان اذ هو فعلهم والذنب للانسان

أي : إن أفعال العباد غير اختيارية ، بل هم مجبورون عليها ، كحركة المرتعش ، وتحريك الهوى للاشجار ، ونحو ذلك . فإذا كان أصل القدرية الجبرة أن إرادة الرب تعالى هي عين محبته ورضاه ، فكل ما شاءه فقد أحبه ورضيه ، وكل ما لم يشأه فهو مسخوط له مبغوض ، فالمبغوض المسخوط هو ما لم يشأه والمحبوب المرضي هو ماشاءه ، هذا أصل القدرية الجبرية ، المنكرين

للحكم ، والتعليل والاسباب ، وتحسين العقل وتقبيحه ، وأن الافعال كلها سواء لايختص بعضها بما صار حسناً لأجله ، وبعضها بما صار قبيحاً لأجله ويجوز في العقل ان يأمر بما نهى عنه وينهى عما أمر به ، ولايكون ذلك مناقضاً للحكمة ، اذ الحكمة ترجع عندهم الى مطابقة العلم الازلي لمعلومه والارادة الازلية لمرادها والقدرة لمقدورها ،فاذاً الافعال بالنسبة الى المشيئة والارادة مستوية لا توصف بحسن ولا قبح ،فاذا تعلق بها الأمـــر والنهي صارت حينئذ حسنة وقبيحة، وليس حسنها وقبحها زائداً على كونها مأموراً بها ومنهياً عنها .

قوله:والعبد في التحقيق شبه نعامةالخ ..أي: لأجل أن لها أجنحةفتشبه الطير من هذا الوجه ولها اخفاف تشبهاخفاف الناقة ، فلهذا قال قد كلفت بالحمل والطيران .

قوله:وليس لها بذاك يدان .المراد باليد هنا القدرة ، تسمية للشيء باسم سببه ، لأن القدرة هي تحريك اليـد . يقال : فلان له يد في كذا و كذا .

قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

فلذاك قال بأن طاعات الورى وكذاك مافعلوه من عصيان
هي عين فعل الرب لا أفعالهم فيصح عنهم عنـد ذا نفيان
نفي لقدرتهم عليهـــا أولا وصدورها منهم بنفي ثان
فيقال ماصاموا ولاصلوا ولا زكوا ولا ذبحوا من القربان
وكذاك ما شربوا وماقتلوا وما سرقوا ولا فيهم غوي زان
وكذاك لم يأتوا اختياراً منهم بالكفر والاسلام والايمان

الا على وجه المجاز لانها قامت بهم كالطعم والألوان
جبروا على ماشاءه خلاّقهم ما ثم ذو عون وغير معان
والكل مجبور وغير ميسر كالميت أدرج داخل الاكفان
وكذاك أفعال المهيمن لم تقم أيضاً به خوفاً من الحدثان
فاذا جمعت مقالتيه أنتجا كذباً وزوراً واضح البهتان
إذ ليست الافعال فعل إلهنا والرب ليس بفاعل العصيان
فاذا انتفت صفة الإله وفعله وكلامه وفعائل الانسان
فهناك لاخلق ولا أمر ولا وحي ولا تكليف عبد فان

لما فرغ الناظم رحمه الله من الكلام على **القول** بالجبر ، وذكر بعض مايلزم أهله ، شرع أيضاً في بيان ما يلزمهم من وجه آخر من الشناعات ، فقال : وكذاك افعال المهيمن الخ ... أي : أن مذهب الجهمية ، ومن وافقهم أن الرب تعالى لاتقوم به الأفعال الاختيارية ، بل الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، كما تقدم حكاية ذلك عنهم ، لأنهم على زعمهم إذا قالوا بذلك لزم قيام الحوادث بذات الرب تبارك وتعالى ، فيلزم حدوثه تعالى وتقدس ، كما أن ماقامت به الحوادث ، فهو حادث . والعبد عندهم أيضاً ليس بفاعل بالاختيار ؛ بل هو مجبور ، وغير ميسر ، وحركته كحركة المرتعش ، أو كالميت أدرج داخل الأكفان ، فإذا كان فعل الرب تعالى غير قائم به عندهم ، بل المفعول هو **المفعول** ، والعبد عندهم ليس بفاعل ، فلذلك

قال الناظم : فإذا جمعت مقالتيه انتجا الخ... اي إذا كان الفعل ليس فعلاً للرب ، والعبد مجبور لا فعل له في الحقيقة ، بل تسمى أفعالاً له مجازاً ، كان نسبة ذلك إلى الرب تعالى كذباً ، لأن الرب ليس بفاعل للمعاصي ، وصار نسبته للعبد أيضاً كذباً ، لأنه ليس بفاعل ، وإنما هو مجبور ، فإذا انتفت صفة الفعل والكلام في حق الرب تعالى، فهناك لاخلق ،ولا أمر ولاوحي ، ولا تكليف كما ألزمهم به الناظم رحمه الله تعالى . قوله الكل مجبور الخ...

قال الناظم في شرح « منازل السائرين » مشهد أَصحاب الجبر . وهم الذين يشهدون انهم مجبورون على أفعالهم ، وأنها واقعة بغير قدرتهم واختيارهم ، بل لا يشهدون أنها افعالهم البتة ، ويقولون : إن أحـــدهم غير فاعل في الحقيقة ، ولا قادر ، وأن الفاعل فيه ، والمحرك له سواه ، وأنه آلة محضة ، وحركاته بمنزلة هبوب الرياح ، وحركات الأشجار ، وهؤلاء إذا أنكرت عليهم أفعالهم احتجوا بالقـــدر ، وحملوا ذنوبهم عليه وقد يغلون في ذلك حتى يروا افعالهم كلها طاعات خيرها وشرها ، لموافقتها المشيئة والقـــدر ، ويقولون كما ان موافقة الأمر طاعة ، فموافقة المشيئة طاعـة ، كما حكى الله تعالى عن المشركين إخوانهم أنهم جعلوا مشيئة الله لأفعالهم دليلاً على أمره بها ورضاه بها قال : وهؤلاء شر من القدرية النفاة ، وأشد عداوة لله ، ومناقضة لكتبه ورسله ودينـــه ، حتى إن من هؤلاء من يعتذر عن إبليس لعنه الله ، ويتوجع له ، ويقيم عنده بجهده ، وينسب ربه إلى ظلمـه بلسان الحال والقال ، ويقول : ماذنبه وقد صان وجهه عن السجود لغـــير خالقه ؛ وقد وافق حكمه ومشيئته فيه ، وإرادته منه ؟ ثم كيف يمكنه السجود ؛ وهو الذي منعه منه ؛ وحال بينه وبينه ؟ وهل كان في ترك سجوده لغيرك محسناً ؟ ولكن

إذا كان المحب قليل حظ　　فما حسناته الا ذنوب

قال رحمه الله : وهؤلاء أعداء الله حقاً وأولياء إبليس وأحبابه وإخوانه ، وإذا ناح منهم نائح على إبليس ، رأيت من البكاء والحنين أمراً عجيباً ، ورأيت من تظلم الاقدار واتهام الجبار مايبدو على فلتات ألسنتهم. وصفحات وجوههم ، وتسمع من أحدهم من التظلم والتوجع ماتسمعه من الخصم المغلوب ، العاجز عن خصمه . قال : فهؤلاء هم الذين قال فيهم شيخ الاسلام ابن تيمية في تائيته

ويدعى خصوم الله يوم معادهم　　الى النار طراً فرقة القدرية

يعني : الجبرية . انتهى . وقول الناظم رحمه الله تعالى : وغير ميسر اشارة الى أنهم خالفوا ماثبت في « الصحيحين » عنه ﷺ ، أنه قال : « مامنكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة ، ومقعده من النار قالوا يارسول الله : أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب ؟ فقال : لا ،اعملوا فكل ميسر لما خلق له. وفي «الصحيح» أيضاً أنه قيل : يارسول الله أرأيت مايكدح الناس فيه اليوم ، ويعملون ، شيء قضي عليهم ومضى أم فيما يستقبلون مما آتاهم فيه الحجة ؟ فقال : بل شيء قضي عليهم ، ومضى فيهم . قالوا : يارسول الله ، أفلا ندع العمل ، ونتكل على كتابنا ، فقال : لا ،اعملوا فكل ميسر لما خلق له » قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

فصل

وقضى على أسمائه بحدوثها　　وبخلقها من جملة الأكوان

فانظر إلى تعطيله الأوصاف والا أفعال والأسماء للرحمن
ماذا الذي في ضمن ذا التعطيل من نفي ومن جحد ومن كفران
لكنه أبدى المقالة هكذا في قالب التنزيه للرحمن
وأتى الى الكفر العظيم فصاغه عجلاً ليفتن أمة الثيران
وكساه أنواع الجواهر والحلي من لؤلؤ صاف ومن عقيان
فرآه ثيران الورى فأصابهم كمصاب إخوتهم قديم زمان
عجلان قد فتن العباد بصوته إحداهما وبحرفه ذا الثان
والناس أكثرهم فأهل ظواهر تبدو لهم ليسوا بأهل معان
فهم القشور وبالقشور قوامهم واللب حظ خلاصة الانسان
ولذا تقسمت الطوائف قوله وتوارثوه إرث ذي السهمان
لم ينج من أقواله طراً سوى أهل الحديث وشيعة القرآن
فتبرؤوا منها براءة حيدر وبراءة المولود من عمران
من كل شيعي خبيث وصفه وصف اليهود محللي الحيتان

أي . إن جهماً وأتباعه ذهبوا إلى حدوث أسماء الرب تعالى : وقالوا : أسماء الله تعالى غيره ، فان أسماء الله من كلامه ، وكلامه غيره ، ثم قالوا : وما كان غير الله فهو مخلوق بائن عنه . وقول الناظم : فانظر إلى تعطيله الأوصاف ، والأفعال والأسماء للرحمن . أي : لأنه يقول بحدوث أسماء الله

تعالى ، وأنها مخلوقه ، وتعطيله الاوصاف ، أي: أنه نفي صفات الباري سبحانه .
وتعطيل الأفعال ؛ أي : بأنه يقول :الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق .
فانظر إلى ماتضمنه هذا من الجحد والتعطيل والكفران .وقـــوله : لكنه
أبدى المقالة هكذا في قالب التنزيه للرحمن . أقول : قال العلامة تقي الدين
أحمد بن علي المقريزي في كتاب « الخطط » بعد كلام سبق : ثم حدث بعد
عصر الصحابة رضي الله عنهم مذهب جهم بن صفوان ببلاد المشرق ، فعظمت
الفتنه به ، فإنه نفى أن يكون لله تعالى صفة ، وأورد على أهل الإســـلام
شكوكاً ،أثرت في الملة الاسلامية آثاراً قبيحة تولد عنها بلاء كبير ، وكان
قبيل المائة من سني الهجرة ، فكثر أتباعه على أقواله التي تؤول إلى التعطيل ،
فأكبر أهل الاسلام بدعته ، وتمالؤوا على إنكارها ، وتضليل أهلها . وحذروا
من الجهمية ، وعادوهم في الله ، وذمـوا من جلس إليهم ، وكتبوا في الرد
عليهم ماهو معروف عند أهله . انتهى كلامه . وقد تقدم في كلام الإمام
أحمد والبخاري وعبد الله بن المبارك وغيرهم رضي الله عنهم أشـــياء من
أحوال جهم وأتباعه ، والتحذير من بدعهم . ولقد زرع هذا الخبيث في
الإسلام شراً عظيماً لا يزول إلى قيام الساعة ، نعوذ بالله من الخذلان .
قوله: فتبرؤوا منها براءة حيدر . هو لقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ،
والمولود من عمران : هو موسى عليه السلام ، يعني : أن أهـــل الحديث
والسنة تبرؤوا من مذهب الجهم وشيعته كما تبرأ موسى عليه السلام من
بني إسرائيل الذين عبدوا العجل ، وكما تبرأ علي رضي الله عنه من الشيعة
الذين تبرؤوا من اصحاب رسول الله ﷺ ، بل ادعى بعضهم فيه الإلهيه ،
فاستتابهم فلم يتوبوا ،فخدد لهم الأخاديد وأضرم فيها النار ، وأحرقهم فيها

قال : إني اذا شاهدت أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبرا . والقصة معروفة . قال الناظم رحمهُ الله تعالى :

فصل في مقدّمة نافعة قبل التحكيم

يا أيها الرجل المريد نجاته ... إسمع مقالة ناصح معوان

كن في أُمورك كلها متمسكاً ... بالوحي لا بزخارف الهذيان

وانصر كتاب الله والسنن التي ... جاءت عن المبعوث بالفرقان

واضرب بسيف الوحي كل معطل ... ضرب المجاهد فوق كل بنان

واحمل بعزم الصدق حملة مخلص ... متجرد لله غير جبان

واثبت بصبرك تحت ألوية الهدى ... فإذا أصبت ففي رضى الرحمن

واجعل كتاب الله والسنن التي ... ثبتت سلاحك ثم صح بجنان

من ذا يبارز فليقدم نفسه ... أُومن يسابق يبد في الميدان

واصدع بما قال الرسول ولا تخف ... من قلة الانصار والأعوان

فالله ناصر دينه وكتابه ... والله كاف عبده بأمان

لا تخش من كيد العدو ومكرهم ... فقتالهم بالكذب والبهتان

فجنود أتباع الرسول ملائك وجنودهم فعساكر الشيطان

شتان بين العسكرين فمن يكن متحيزاً فلينظر الفئتان

واثبت وقاتل تحت رايات الهدى واصبر فنصر الله ربك دان

واذكر مقاتلهم لفرسان الهدى لله در مقاتل الفرسان

وادرء بلفظ النص في نحر العدى وارجمهم بثواقب الشهبان

لا تخش كثرتهم فهم همج الورى وذبابه أتخاف من ذبان ؟

واشغلهم عند الجدال ببعضهم بعضاً فذاك الحزم للفرسان

واذا هم حملوا عليك فلا تكن فزعاً لحملتهم ولا بجبان

واثبت ولا تحمل بلا جند فما هذا بمحمود لدى الشجعان

فإذا رأيت عصابة الاسلام قد وافت عساكرها مع السلطان

فهناك فاخترق الصفوف ولا تكن بالعاجز الواني ولا الفزعان

هذا شروع في وصية نافعة ومقدمة جامعة قبل الشروع في المحاكمة بين الطوائف، أوصى بها المصنف قدس الله روحه، ونور ضريحه لمن يعقل عن الله، وذلك أن الانسان لم يخلق سدى مهملاً، بل خلقه الله لأمر عظيم، وخطب جسيم، خلقه الله سبحانه لعبادته الجامعة لمحبته وخشيته، والذل والخضوع له، وهيأ دارين دار جزاء للمحسنين ودار عقاب للمخالفين، فتعين على من طلب نجاة نفسه التهيؤ والاستعداد لما يقربه من رضى ربه، وينجيه

من عقابه وعذابه ،ولا سبيل الى ذلك إلا متابعة الرسول ﷺ في الدق والجل ، وتقديم طاعته على طاعة غيره ، فلهذا قال : يا أيها الرجل المريد نجاته الخ .... وكما قال المصنف فيما يأتي : يامن يريد نجاته يوم الحساب من الجحيم وموقد النيران ، اتبع رسول الله في الاعمال والأقوال الخ .... قوله : مقدمة بكسر الدال كمقدمة الجيش ، أول ما يتقدم منه ، وبفتحها على قلة ، وقوله : معوان هو اسم فاعل . وعاونه معاونة و عواناً : أعانه والمعوان : الحسن المعونة أو كثيرها . قاله في « القاموس » قوله : اضرب بسيف الوحي . استعار اسم السيف للوحي اشارة إلى قطعه المنازع لأن الوحي دليل قاطع سمعي عقلي ، والوحي هو العلم النافع ، والدليل القاطع ، لازخارف المتكلمين ، وهذيان الفلاسفة والمتصوفين ، القاطعة عن الله ورسوله . من تبعها وقدمها على الوحي المبين ، والمنهج الواضح المستبين ، وهو كتاب الله المتين ، وسنة رسوله الصادق الأمين فقد ضل سواء السبيل ولله در القائل .

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأي سفيه
كلا ولا نصب الخلاف جهالة ... بين النصوص وبين رأي فقيه
كلا ولا رد النصوص تعمداً ... حذراً من التجسيم والتشبيه
ماشا النصوص من الذي رميت به ... من فرقة التعطيل والتمويه

قوله : وادرأ بلفظ النص في نحر العدى . الدرء : الدفع وبابه قطع

قوله: همج. الهمج بفتحتين جمع همجة، وهي ذباب صغير كالبعوض، يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها، ويقال للرعاع الحمقى: إنما هم همج. «مختار الصحاح» قوله: ذباب. الذب المنع والدفع، وبابه رد، والذبانة بالضم وتشديد الباء ونون قبل الهاء[1] واحدة الذباب ولا[2] تقل ذبانة بالكسر وجمع الذباب في القلة، أذبة، والكثير ذبان كغراب وأغربة وغربان «مختار الصحاح» قال الناظم رحمه الله تعالى:

وتعر من ثوبين من يلبسهما ... يلقى الردى بمذمّة وهوان
ثوب من الجهل المركب فوقه ... ثوب التعصب بئست الثوبان
وتحل بالانصاف أفخر حلة ... زينت بها الأعطاف والكتفان
واجعل شعارك خشية الرحمن مع ... نصح الرسول فحبذ الأمران
وتمسكنّ بحبله وبوحيه ... وتوكلنّ حقيقة التكلان
فالحق وصف الرب وهو صراطه الـ ... ـهادي إليه لصاحب الإيمان
وهو الصراط عليه رب العرش أيـ ... ـضاً ذا وذا قد جاء في القرآن
والحق منصور وممتحن فلا ... تعجب فهذي سنة الرحمن
وبذاك يظهر حزبه من حزبه ... ولأجل ذاك الناس طائفتان
ولأجل ذاك الحرب بين الرسل والـ ... ـكفار مذ قام الورى سجلان

---

(١) في الاصل: قبل إنها.
(٢) في الاصل: ولان.

لكنما العقبى لأهل الحق إن   فاتت هنا كانت لدى الديان

قوله : تعر. فعل أمر من التعري يقال : عري من ثيابـــه بالكسر عريا بالضم فهو عار وعريان والمرأة عريانـــة ، و ما كان على فعلان فمؤنثه بالهاء . قاله في « مختار الصحاح » قوله : الجهل المركب : هو تصور الشيء على غير ما هيته ، وذلك أن حكم العقل بأمر على أمر جازم غير مطابق في الخارج هو الاعتقاد الفاسد ، وهو الجهل المركب ، لتركبه من عـدم العـلم بالشيء ، واعتقاد غير مطابق ، فهو أن يجهل الحق، ويجهل جهله به . والجهل البسيط : عدم العلم ، وقيل: عـــدم معرفـــة الممكن بالفعل لا بالقوة .

قوله : فالحق وصف الرب وهو صراطه الهادي إليه لصاحب الإيمان. أما اشتقاق الصراط فالمشهور أنه من صرطت الشيء أصرطه : إذا بلعته بلعاً سهلاً، فسمي الطريق صراطاً، لأنه يصترط المارة فيه. والصراط : ما جمع خمسة أوصاف أن يكون طريقاً مستقيماً، سهلاً، مسلوكاً، واسعاً، موصلاً إلى المقصود ، فلا تسمي العرب الطريق المعوج صراطاً ، ولا الصعب المشق ، ولا المسـدود غير الموصل، ومن تأمل موارد الصراط في لسانهم واستعمالهم تبين ذلك، قال :

أمير المؤمنين على صراط   إذا اعوج الوارد مستقيم(١)

وبنوا الصراط على زنة فعال ، لأنه يشتمل على سالكه اشتمال الحق على الشيء المسروط . وهذا الوزن كثير في المشتملات على الأشياء ، كاللحاف والخمار والرداء والغطاء والفراش. كذا أفاده الناظم . قوله : فالحق وصف الرب وهو صراطه الهادي . إن الرب تعالى يوصف بأنه الحق ، كما في الحديث

---

(١) القائل : هو جرير .

الصحيح في «صحيح البخاري» من حديث عبدالله بن عباس «اللهم أنت الحق، ووعدك حق ولقاؤك حق .. » الحديث . وقوله : وهو الصراط عليه رب العرش ، يشير إلى قوله تعالى : (إن ربي على صراط مستقيم) هود : ٥٦ ؛ أي : هو على الحق والعدل .

قوله : وهو صراطه الخ .... قال الله تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) الأنعام : ١٥٣ . قال ابن مسعود : خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيماً ، ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله وقال : هـــذه سبل ، وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ قوله تعالى : (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) . وهـذا لأن الطريق الموصلة إلى الله واحدة ، وهو ما بعث به رسله ، وأنزل بـه كتبه لا يصل اليه أحد إلا من هذه الطريق ، ولو اتى الناس من كل طريق ، واستفتحوا من كل باب ، فالطرق عليهم مسدودة . والأبواب عليهم مغلقه إلا من هـذا الطريق الواحد فإنه متصل بالله ، موصل إلى الله . قال تعالى : (هذا صراط علي مستقيم) الحجر : ٤١ قال الحسن : معناه صراط إلي مستقيم ، وهذا يحتمل أمرين ان يكون أراد به أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض ، فقامت أداة (علي) مقام (إلي) ، والثاني أنه أراد التفسير على المعنى ، وهو الأشبه بطريق السلف : ؛ أي : صراط موصل إلي . وقال مجاهد : الحق يرجع الى الله ، وعليه طريقه لا يعرج على شيء . ومثل قول الحسن ، وأبين منـــه ، وهو من أصح ما قيل في الآية . وقيل : (علي) فيه للوجوب ؛ أي : علي بيانه

وتعريفه والدلالة عليه والقولان نظير القولين في آية النحل ، وهي (وعلى الله قصد السبيل) النحل : ٩ والصحيح فيها كالصحيح في آية الحجر أن السبيل القاصد وهو المستقيم المعتدل يرجع الى الله ويوصل اليه . قال طفيل الغنوي :

مضوا اسلفاً قصد السبيل عليهم وصرف المنايا بالرجال تقلّب

أي : مرورنا عليهم ، واليهم وصولنا . وقال الآخر :

فهن المنايا أي واد سلكته عليها طريقي أو عليّ طريقها

افاده المصنف في تفسير هذه الآيات . قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

واجعل لقلبك هجرتين ولا تنم فهما على كل امرىء فرضان

فالهجرة الاولى إلى الرحمن بالا إخلاص في سرو وفي إعلان

فالقصد وجه الله بالاقوال والا أعمال والطاعات والشكران

فبذاك ينجو العبد من إشراكه ويصير حقاً عابد الرحمن

والهجرة الاخرى الى المبعوث بالا حق المبين وواضح البرهان

فيدور مع قول الرسول وفعله نفياً واثباتاً بلا روغان

ويحكّم الوحي المبين على الذي قال الشيوخ فعنده حكمان

لا يحكمان بباطل أبداً وكلُّ العدل قد جاءت به الحكمان

وهما كتاب الله أعدل حاكم ... فيه الشفا وهداية الحيران

والحاكم الثاني كلام رسوله ... ما ثم غيرهما لذي إيمان

فإذا دعوك لغير حكمهما فلا ... سمعاً لداعي الكفر والعصيان

قل لا كرامة لا ولا نعماً ولا ... طوعاً لمن يدعو الى طغيان

واذا دعيت الى الرسول فقل لهم ... سمعاً وطوعاً لست ذا عصيان

وإذا تكاثرت الخصوم وصيّحوا ... فاثبت فصيحتهم كمثل دخان

يرقى الى الأَوج الرفيع وبعده ... يهوي الى قعر الحضيض الداني

شرع الناظم رحمه الله تعالى في ذكر الهجرتين ، فالهجرة الأولى الى الله تعالى باخلاص الاعمال والتوجه اليه ، بامتثال أمره ، واجتناب نهيه . والهجرة الثانية الى الرسول ﷺ ، باتباعه ، وتقديم قوله في الدق والجل وترك قول غيره لقوله . وللمصنف رحمه الله تعالى كتاب سماه « سفر الهجرتين وطريق السعادتين » أتى بما لا مزيد عليه ، فراجعه إن شئت

وقوله : إلى الأوج الرفيع . الأوج معرب أوك ، وهو كلمة أعجمية ، معناها : العلو . والحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل . وفي الحديث إنه أهدي إلى رسول الله ﷺ هدية ، فلم يجد شيئاً يضعه عليه ، فقال : « ضعه بالحضيض فانما انا عبد آكل كما يأكل العبد »[١] يعنى ضعه بالارض

قال الناظم رحمه الله تعالى :

---

(١) في الاصل : العبد ، والتصحيح من « النهاية في غريب الحديث » لابن الاثير والحضيض : قرار الأرض وأسفل الجبل .

هذا وان قتال حزب الله بال … أعمال لا بكتائب الشجعان

والله مافتحوا البلاد بكثرة … أنى وأعداهم بلا حسبان

وكذاك مافتحوا القلوب بهذه الا … آراء بل بالعلم والايمان

وشجاعة الفرسان نفس الزهد في … نفس وذا محذور كل جبان

وشجاعة الحكام والعلماء زهـ … ـد في الثنا من كل ذي بطلان

فاذا هما اجتمعا لقلب صادق … شدت ركائبه الى الرحمن

واقصد الى الأقران لا أطرافها … فالعز تحت مقاتل الاقران

واسمع نصيحة من له خبر بما … عند الورى من كثرة الجولان[١]

ماعندهم والله خير غير ما … أخذوه عمن جاء بالقرآن

والكل بعد فبدعة أو فرية … أو بحث تشكيك ورأي فلان

فاصدع بأمر الله لا تخش الورى … في الله واخشاه تفز بأمان

واهجر ولو كل الورى في ذاته … لا في هواك ونخوة الشيطان

واصبر بغير تسخط وشكاية … واصفح بغير عتاب من هو جان

واهجرهم الهجر الجميل بلا أذى … ان لم يكن بد من الهجران

---

(١) يقال : جال في الحرب جولاً وجولاناً .

قوله : والله مافتحوا البلاد بكثرة الخ ... أي : ان الاسلام في بدايته كان غريباً كما قال ﷺ : « بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ »(١) وكما في حديث عمرو بن عبسة لما قدم على النبي ﷺ وهو مستخف بمكة ، فقال له : من معك على هذا ؟ قال : حر وعبد ؛ يعني أبا بكر وبلالاً رضي الله عنهما ، ثم فتح الله عليه وعلى أصحابه من بعده ماهو معروف في كتب السير . والكتائب : جمع كتيبة ، وهي الجماعة من الخيل والجيش .

قوله : والكل بعد فبدعة أو فرية . البدعة هي ما أحدث مما يخالف كتاباً أو سنة . والفرية : الكذب . يقال : فرى كذباً ، خلقه ، والاسم الفرية . وقوله تعالى : (شيئاً فرياً) مريم : ٢٧ اي : مصنوعاً مختلقاً ، وقوله : الجولان . جال من باب قال ، وجولاناً أيضاً ، بفتح الواو . والجولان بسكون الواو جبل بالشام ، وتجاولوا في الحرب : جال بعضهم على بعض « مختار الصاح » .

قوله : نخوة الشيطان . النخوة : الكبر والعظمة . يقال : انتخى فلان علينا ؛ أي : افتخر وتعظم ، قاله في « مختار الصحاح » .

قوله : واهجرهم الهجر الجميل الخ.. قال الناظم في « بدائع الفوائد » سمعت شيخ الاسلام يقول : ذكر الله الصبر الجميل ، والصفح الجميل ، والهجر الجميل . فالصبر الجميل : الذي لاشكوى معه ، والهجر الجميل الذي لاأذى معه ، والصفح الجميل : الذي لا عتاب معه . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة بلفظ « بدأ الاسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء » وفيه أيضاً عن ابن عمر بلفظ « ان الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية الى حجرها » .

وانظر الى الاقدار جارية بما قد شاء من غي ومن ايمان
واجعل لقلبك مقلتين كلاهما بالحق في ذا الخلق ناظرتان
فانظر بعين الحكم وارحمهم بها اذ لا ترد مشيئة الديان
وانظر بعين الامر واحملهم على أحكامه فهما اذاً نظران
واجعل لوجهك مقلتين كلاهما من خشية الرحمن باكيتان
لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم فالقلب بين أصابع الرحمن
واحذر كمائن نفسك اللاتي متى خرجت عليك كسرت كسر مهان
واذا انتصرت لها فأنت كمن بغى طفي الدخان بموقد النيران
والله أخبر وهو أصدق قائل أن سوف ينصر عبده بأمان
من يعمل السوآى سيجزى مثلها أو يعمل الحسنى يفز بجنان
هذي وصية ناصح ولنفسه وصى وبعد لسائر الاخوان

مراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الابيات أن يبين الحكم الكوني القدري ، والحكم الديني الامري الشرعي ، فان جميع أفعال الخلق من الطاعات والايمان ، والكفر والايمان ، لاتخرج عن حكم الرب تعالى الكوني القدري ، فان جميع الأشياء خلقه تعالى بقدرته ومشيئته ، ولكن مع ذلك لابد من النظر الى الحكم الديني الشرعي ، فمعنى كلامه : إنك إذا نظرت الى الخلق بعين الحكم رحمتهم ، لأن مشيئة الله تعالى لاترد ، وماشاء

الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، ولكن مع ذلك انظر الى عين الامر ، واحملهم عليها ، أي : فحد الزاني ، واقطع السارق ، واجلد القاذف ، واقتل القاتل ، ونحو ذلك مما أمر الله ورسوله به ، وهذا معنى قوله : فانظر بعين الحكم وارحمهم بها الخ .. ومعنى قوله : وانظر بعين الأمر واحملهم على الخ .. قال المصنف رحمه الله تعالى في «شرح منازل السائرين» في منزلة الفكرة : لما تكلم على الفناء الذي يذكره الصوفية فصل : وأصل هذا الفناء الاستغراق في توحيد الربوبية ، وهو رؤية تفرد الله بخلق الاشياء وملكها واختراعها ، وأنه ليس في الوجود قط إلا ماشاءه وكونه ؛ فيشهد مااشتركت فيه المخلوقات من خلق الله إياها ، ومشيئته لها وقدرته عليها ، وشمول قيوميته وربوبيته لها ، ولا يشهدماافترقت فيه من محبة الله لهذا ، وبغضه لهذا ، وأمره بما أمر به ، ونهيه عما نهى عنه ، وموالاته لقوم ، ومعاداته لآخرين ، فلا يشهد التفرقة في الجمع ، وهي تفرقة الخلق والأمر في جمع الربوبية ، وتفرقة موجب الالهية في جمع الربوبية ، وتفرقة الارادة الدينية في جمع الارادة الكونية ، وتفرقة مايحبه ويرضاه في جمع ماقدره وقضاه ، ولا يشهد الكثرة في الوجود ، وهي كثرة معاني الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ؛ واقتضاؤها لآثارها في وحدة الذات الموصوفة بها ، فلا يشهد كثرة دلالات أسماء الرب تعالى وصفاته علي وحدة ذاته ، فهو الله الذي لا اله الا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك القدوس السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، وكل اسم له صفة وللصفة حكم ، فهو سبحانه واحد الذات ، كثير الأسماء والصفات ، فهذه كثرة في وحدة ، والفرق بين مأموره ومنهيه ، ومحبوبه ومبغوضه ، ووليه وعدوه ، تفرقة في جمع ، فمن لم يتسع شهوده لهذه الامور الأربعة ، فليس من خاصة أولياء الله العارفين ، بل لو ضاق شهوده عنها مع اعترافه بها فهو مؤمن ناقص ، وان جحدها أو شيئاً منها ، فكفر صريح ، أو بتأويل

مثل أن يجحد تفرقة الأمر والنهي ، أو جمع القضاء والقدر ، أو كثرة معاني الأسماء والصفات ووحدة الذات ، فليتدبر اللبيب السالك هذا الموضع حق التدبر ، وليعرف قدره ، فانه مجامع طرق العالمين ، وأصل تفرقهم . قد ضبطت لك معاقده ، وأحكمت لك قواعده ؛ وبالله التوفيق . وإنما يعرف قدر هذا من اجتاز القفار ؛ واقتحم البحار ؛ وعرض له ما يعرض لسالك القفر وراكب البحر ؛ ومن لم يسافر ويخرج عن وطن طبعه ومرباه وما ألف عليه اصحابه وأهل زمانه ؛ فهو بمعزل عن هذا ؛ فان عرف قدره وكفى الناس شره ؛ فهذا يرجى له السلامة ؛ وإن عدا طوره ؛ وأنكر ما لم يعرفه ؛ وكذب بما لم يحط به علماً ، ثم تجاوز الى تكفير من خالفه ولم يقلد شيوخه ، ويرضى بما رضي هو به لنفسه ؛ فذلك هو الظالم الجاهل الذي ما ضر إلا نفسه ؛ ولا أضاع إلا حظه . انتهى ؛ والله اعلم

فصل

وهذا أول عقد مجلس التحكيم .

فاجلس اذاً في مجلس الحكمين للـرحمن لا للنفس والشيطان

الأول النقل الصحيح وبعده العقل الصريح وفطرة الرحمن

واحكم اذاً في رفقة قد سافروا يبغون فاطر هذه الأكوان

فترافقوا في سيرهم وتفارقوا عند افتراق الطرق الحيران

فأتى فريق ثم قال وجدتـــه هذا الوجود بعينه وعيان
ما ثم وجود سواه وانمـــا غلط اللسان فقال موجودان
فهو السماء بعينها ونجومهـــا وكذلك الأفلاك والقمران
وهو الغمام بعينــه والثلج والا أمطار مع برد ومع حسبان
وهو الهواء بعينه والماء والتـ ـترب الثقيل ونفس ذي النيران
هذي بسائطه ومنه تركبت هذي المظاهر ما هنا شيئان
وهو الفقير لها لاجل ظهوره فيها كفقر الروح للأبدان
وهي التي افتقرت اليه لأنـه هو ذاتها ووجودها الحقان
وتظل تلبسـه وتخلعه وذا في الا إيجاد والاعـــدام كل أوان
ويظل يلبســـها ويخلعها وذا حكم المظاهر كي يرى بعيان
وتكثّر الموجود كالأعضاء في الـ ـمحسوس من بشر ومن حيوان
أو كالقوى في النفس ذلك واحد متكثّر قامت بـه الأمران
فيكون كلاً هـذه أجزاؤه هذي مقالة مدعي العرفان
أو أنها كتكثر الانواع في جنس كما قـال الفريق الثاني
فيكـون كلياً وجزئياتــه هـذا الوجود فهذه قولان
إحداهما نص «الفصوص» وبعده قول ابن سبعين وما القولان

عند العفيف التلمساني الذي هو غاية في الكفر والبهتان

إلا من الأغلاط في حس وتي وهم وتلك طبيعة الإنسان

والكل شيء واحد في نفسه ما للتعدد فيه من سلطان

فالضيف والمأكول شيء واحد والوهم يحسب ها هنا شيئان

وكذلك الموطوء عين الوطء وال وهم البعيد يقول ذان اثنان

تقسيم الكل إلى أجزائه، كانقسام السكنجبين إلى خل وعسل، وتقسيم الكلي الى جزئياته كانقسام الحيوان الى إنسان وفرس.

ولربما قالا مقالته كما قد قال قولهما بلا فرقان

وأبى سواهم ذا وقال مظاهر تجلوه ذات توحد ومثان

فالظاهر المجلو شيء واحد لكن مظاهره بلا حسبان

هذي عبارات لهم مضمونها ما ثم غيرٌ قط في الأعيان

فالقوم ما صانوه عن إنس ولا جن ولا شجر ولا حيوان

كلا ولا علو ولا سفل ولا وادٍ ولا جبل ولا كثبان

كلا ولا طعم ولا ريح ولا صوت ولا لون من الألوان

لكنه المطعوم والملبوس وال مشموم والمسموع بالآذان

وكذاك قالوا انه المنكوح وال مذبوح بل عين الغوي الزاني

والكفر عندهم هدى ولو انه ... دين المجوس وعابدي الاوثان
قالوا وما عبدوا سواه وانما ... ضلوا بما خصوا من الاعيان
ولو انهم عموا وقالوا كلها ... معبودة ما كان من كفران
فالكفر ستر حقيقة المعبود ... بالتسخصيص عند محقق رباني
قالوا ولم يك كافراً في قوله ... أنا ربكم فرعون ذو الطغيان
بل كان حقاً قوله اذ كان عي ... ن الحق مضطلعاً بهذا الشان
ولذا غدا تغريقه في البحر تط ... هيراً من الاوهام والحسبان
قالوا ولم يك منكراً موسى لما ... عبدوه من عجل لذي الخوران
الا على من كان ليس بعابد ... معهم وأصبح ضيق الأعطان
ولذاك جر بلحية الأَخ حيث لم ... يك واسعاً في قومه لبطان
بل فرق الانكار منه بينهم ... لما سرى في وهمه غيران
ولقد رأى ابليس عارفهم فأه ... وى بالسجود هوي ذي خضعان
قالوا له ماذا صنعت فقال هل ... غير الإله وأنتما عميان
ما ثم غير فاسجدوا ان شئتم ... للشمس والاصنام والشيطان
فالكل عين الله عند محقق ... والكل معبود لذي العرفان
هذا هو المعبود عندهم فقل ... سبحانك اللهم ذا السبحان

يا أمة معبودها موطوؤها أين الإله وثغرة الطعان

يا أمة قد صار من كفرانها جزء يسير جملة الكفران

أقول وبالله التوفيق : شرع الناظم رحمه الله تعالى فيما وضع له الكتاب وهو المحاكمة بين الطوائف ، فبدأ بمقالة الوجودية الذين هم أكفر أهل الأرض نعوذ بالله من الزيغ .

قوله : فيكون كلًا هذه أجزاؤه ؛ أي : ان أحـد قوليهم : انه كالأعضاء في الصورة الحيوانية ، او كالقوى المعنوية في النفس ، فيكون كلًا . وأجزاؤه : الاعضاء ، أو القوى . وعلى القول الثاني لهم : إنه كتكثر الأنواع في الجنس ، فتكون الموجودات جزئياته ، وهو كلي لها ، تعالى الله عما يقول الزائغون علواً كبيراً ، والأول نص «الفصوص» ، والثاني قول ابن سبعين ، ولكن عند العفيف التلمساني القولان من الأغلاط ، والكل عنده شيء واحد في نفسه ، وربما قالا مقالته ، أي : ابن سبعين ، وابن عربي ربما قالا مقالته ، وهو قد يقول قولهما ، نعوذ بالله من ذلك .

وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيميه في كتابه المسمى بـ « السبعينية » أقوال هؤلاء ، فذكر أن كلام صاحب « الفصوص » يدور على أصلين أحدهما : أن الأشياء كلها ثابتة في العدم ، مستغنية بنفسها ، نظير قول من يقول : المعدوم شيء ، لكن هذا لا يفرق بين ذات الخالق ، وذات المخلوق ، اذ ليس عنده ذات واجبة متميزة بوجودها عن الذوات الممكنة ، وان كان قد يتناقض في ذلك قولهم ، فانهم كلهم يتناقضون ، وكل من خالف الرسل فلا بد أنه يتناقض . قال تعالى (إنكم لفي قول مختلف . يؤفك عنه من أفك) الذاريات : ٨، ٩ وقال : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)) النساء : ٨٢

الأصل الثاني أن الوجود الذي لهذه الذوات الثابتة ، هو عين وجود الحق الواجب ، ولهذا قال في أول « الفصوص » في الشيثية : ومن هؤلاء يعني الذين لا يسألون الله من يعلم أن علم الله به في جميع أحواله ، هو ما كان عليه من حال ثبوت عينه قبل وجودها ، ويعلم ان الحق لا يعطيه إلا ما أعطاه عينه من العلم به ، وهو ما كان عليه في حال ثبوته ، فيعلم علم الله به من أين حصل . وما ثم صنف من أهل الله أعلى وأكشف من هذا الصنف ، فهم الواقفون على سر القدر ، وهم على قسمين ، منهم من يعلم ذلك مجملًا ، ومنهم من يعلم ذلك مفصلًا ، والذي يعلمه مفصلًا أعلى وأتم من الذي يعلمه مجملًا ، فانه يعلم ما في علم الله فيه ، إما باعلام الله إياه بما اعطاه عينه من العلم به ، وإما بأن يكشف له عن عينه الثابتة ، وانتقالات الأحوال عليها ، الى مالا يتناهى ، وهو اعلى ، فانه يكون في علمه بنفسه بمنزلة علم الله به ، لأن الأخذ من معدن واحد ، هذا لفظه . وقد كشف شيخ الاسلام ابن تيمية عن مقالات رؤوس هؤلاء الاتحادية ، وأوضح كلام كل واحد منهم في رسالته الى الشيخ نصر المنبجي ، قال فيها : وأما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام ، فما علمت أحداً سبقهم إليه إلا من أنكر وجود الصانع ، مثل فرعون والقرامطة ، وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق ، وان وجود ذات الله خالق السموات والارض هي نفس وجود المخلوقات ، فلا يتصور عندهم أن يكون الله خلق غيره ، ولا أنه رب العالمين ، ولا أنه غني وما سواه فقير ، لكن تفرقوا على ثلاثة طرق ، وأكثر من ينظر في كلامهم لا يفهم حقيقة أمرهم ، لأنه أمر مبهم الأول : أن يقولوا : إن الذوات بأسرها كانت ثابتة في العدم ، وإن ذاتها أبدية أزلية ، حتى ذوات الحيوان ، والنبات ، والمعادن ، والحركات ،

والسكنات ، وان وجود الحق فاض على تلك الذوات ، فوجودها وجود الحق وذواتها ليست ذات الحق . ويفرقون بين الوجود والثبوت ، فما كنت به في ثبوتك ظهرت به في وجودك ، ويقولون : إن الله سبحانه لم يعط أحداً شيئاً ، ولا أغنى أحداً ، ولا أسعده ، ولا أشقاه ، وانما وجوده فاض على الذوات ، فلا تحمد إلا نفسك ، ولاتذم إلا نفسك . ويقولون : إن هذا هو سر القدر ، وان الله تعالى إنما علم الأشياء من جهة رؤيته لها ثابته في العدم ، خارجاً عن نفسه المقدسة ، ويقولون : إن الله تعالى لايقدر أن يغير ذرة من العالم ، وأنهم قد يعلمون الاشياء من حيث علمها الله سبحانه فيكون علمهم وعلم الله تعالى من معدن واحد ؛ وأنهم يكونون أفضل من خاتم الرسل من بعض الوجوه ، لأنهم يأخذون من المعدن الذي أخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسل ؛ ويقولون : إنهم لم يعبدوا غير الله ؛ ولا يتصور أن يعبدوا غير الله تعالى ؛ وان عباد الاصنام ماعبدوا إلا الله سبحانه ؛ وان قوله تعالى : (وقضى ربك ألاّ تعبدوا الا إياه) الاسراء: ٢٣ بمعنى حكم ؛ لابمعنى أمر ، فما عبد غير الله في كل معبود ؛ فان الله تعالى ماقضى بشيء إلا وقع ؛ ويقولون : إن الدعوة إلى الله تعالى مكر بالمدعو ؛ فانه ما عدم من البداية فيدعى الى الغاية ؛ وان قوم نوح قالوا : لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولاسواعاً ، لأنهم لو تركوهم لتركوا من الحق بقدر ماتركوا منهم ؛ لأن للحق في كل معبود وجهاً ، يعرفه من عرفه ، وينكره من أنكره ، وان التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة ؛ وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية ؛ وان العارف منهم يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر حتى عبد ، فان الجاهل يقول : هذا حجر وشجر ، والعارف يقول : هذا مجلى إلهي ، ينبغي تعظيمه ، فلا تقتصر ، وأن

النصارى إنما كفروا ، لأنهم خصصوا ، وان عباد الأصنام ما أخطؤوا إلا من حيث اقتصارهم على عبادة بعض المظاهر ، والعارف يعبد كل شيء ، والله أيضاً يعبد كل شيء ، لأن الأشياء غذاؤه بالأسماء والاحكام ، وهو غذاؤها بالوجود وهو فقير اليها ، وهي فقيرة اليه ، وهو خليل كل شيء بهذا المعنى . ويجعلون أسماء الله الحسنى هي مجرد نسبة وإضافة ، بين الوجود والثبوت ، وليست إلا أموراً عدمية . ويقولون : من أسمائه الحسنى (العلي) . عن ماذا وماثم الا هو ؟ وعلى ماذا وما ثم غيره ؟ فالمسمى محدثات ، هي العلية لذاتها . وليست إلا هو ، وما نكح إلا نفسه ، وما ذبح سوى نفسه ، والمتكلم هو عين المستمع ، وإن موسى إنما عتب على هارون حيث نهاهم عن عبادة العجل لضيقه وعدم اتساعه . وإن موسى كان أوسع في العلم ، فعلم أنهم لم يعبدوا إلا الله ، وأن أعلى ما عبد الهوى ، وأن كل من اتخذ إلهه هواه ، فما عبد إلا الله ، وفرعون كان عندهم من أعظم العارفين ، وقد صدقه السحرة في قوله (أنا ربكم الأعلى) النازعات : ٢٤ وفي قوله : (ما علمت لكم من إله غيري) القصص : ٣٨ وكنت أخاطب بكشف أمرهم لبعض الفضلاء وأقول : إن حقيقة أمرهم هو حقيقة قول فرعون المنكر لوجود الصانع حتى حدثني بعض الثقات عن كثير من كبرائهم أنهم يعترفون ويقولون نحن على قول فرعون ، وهذه المعاني كلها هي قول صاحب « الفصوص » والله تعالى أعلم بما مات الرجل عليه ، والله يغفر لجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، الاحياء منه والأموات ، ربنا اغفر لنا ولا خواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم .

والمقصود أن هذا حقيقة ماتضمنه كتاب « الفصوص » المضاف الى النبي ﷺ أنه جاء به ، وهو ما إذا فهمه المسلم ، علم بالاضطرار أن جميع

الأنبياء والمرسلين ، وجميع الأولياء والصالحين ، بل وجميع عوام أهل الملل من اليهود والنصارى والصابئين يبرؤون الى الله تعالى من بعض هذا القول ، فكيف منه كله ، ويعلم أن المشركين عباد الأوثان ، والكفار أهل الكتاب يعترفون بوجود الصانع الخالق البارىء المصور الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ، ربهم ورب آبائهم الاولين ، رب المشرق والمغرب ، ولا يقول أحد منهم : إنه عين المخلوقات ، ولا نفس المصنوعات كما يقوله هؤلاء ، حتى إنهم يقولون لو زالت السموات والأرض زالت حقيقة الله ، وهذا مركب من أصلين ، أحدهما : أن المعدوم شيء ثابت في العدم ، كما يقوله كثير من المعتزلة والرافضة ، وهو مذهب باطل بالعقل الموافق للكتاب والسنة والإجماع . وكثير من متكلمة أهل الاثبات كالقاضي أبي بكر ، كفر من يقول بهذا ، وإنما غلط هؤلاء من حيث لم يفرقوا بين علم الله بالأشياء قبل كونها ، وأنها مثبتة عنده في أم الكتاب في اللوح المحفوظ ، وبين ثبوتها في الخارج عن علم الله تعالى ، فان مذهب المسلمين أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى يعلم الأشياء بعلمه القديم الأزلي ، وأنه سبحانه وتعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق قبل أن يخلقها ، فيفرقون بين الوجود العلمي الكتابي وبين الوجود العيني الخارجي ، ولهذا كان أول ما نزل على رسول الله ﷺ سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم) العلق : ١ — ٥ فذكر المراتب الأربعة ، وهي الوجود العيني الذي خلقه ، وذكر الوجود الرسمي المطابق للفظي الدال على العلمي ، وبين أن الله تعالى علمه ، ولهذا ذكر أن التعليم بالقلم ، فانه مستلزم للمراتب الثلاثه ، وهذا القول أعني قول من يقول : ان المعدوم شيء ثابت في نفسه ، خارج عن علم الله تعالى ، وان كان باطلا ، ودلالته واضحة ، لكنه قد ابتدع في

الاسلام من نحو أربعمائة سنة وابن عربي وافق اصحابه، وهو أحد أصلي مذهبه الذي في « الفصوص ».

والأصل الثاني أن وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق، ليس غيره ولا سواه، وهذا هو الذي ابتدعه وانفرد به عن جميع من تقدمه من المشايخ والعلماء وهو قول بقية الاتحادية، لكن ابن عربي[١] اقربهم الى الإسلام وأحسن، أما في مواضع كثيرة، فانه يفرق بين الظاهر والمظاهر، فيقر الأمر والنهي والشرائع على ما هي عليه، ويأمر في السلوك بكثير مما أمر به المشايخ من الأخلاق والعبادات، ولهذا كثير من العباد يأخذون من كلامه سلوكه، فينتفعون بذلك، وان كانوا لا يفقهون حقائقه، ومن فهمها منهم ووافقه فقد تبين قوله، وأما صاحبه الصدر الرومي، فإنه كان متفلسفاً، فهو أبعد عن الشريعة والاسلام، ولهذا كان الفاجر التلمساني الملقب بالعفيف يقول: كان شيخي القديم متروحنا متفلسفاً، والآخر فيلسوفاً متروحناً، يعني الصدر الرومي، فانه كان قد أخذ عنه، ولم يدرك ابن عربي، وهو في كتاب « مفتاح غيب الجمع والوجود » وغيره يقول: إن الله تعالى هو الوجود المطلق الساري في الكائنات، فاذا تعين لم يقل: إنه هو، ويفرق بين المطلق والمعين، كما يفرق بين الحيوان المطلق والحيوان المعين، والجسم المطلق والجسم المعين، والمطلق لا يوجد في الخارج مطلقاً، لا يوجد المطلق إلا في الأعيان الخارجة، فحقيقة قوله أنه ليس لله سبحانه وجود أصلاً ولا حقيقة، ولا ثبوت، إلا نفس الوجود القائم بالمخلوقات، ولهذا يقول هو وشيخه: إن الله تعالى لا يرى أصلاً، وإنه ليس في الحقيقة اسم ولا صفة، ويصرحون بأن ذات الكلب والخنزير والبول والعذرة عين وجوده، تعالى الله عما يقولون.

---

(١) في الأصل: ابن العربي، وهو الطائي المعروف صاحب « الفصوص » و « الفتوحات المكية » والصواب تنكيره، فرقاً بينه وبين ابن العربي القاضي المالكي صاحب « أحكام القرآن » و « العارضة ».

وأما الفاجر التلمساني فهو أخبث القوم ، وأعمقهم في الكفر ، فانــه لا يفرق بين الوجود والثبوت ، كما يفرق ابن عربي ، ولا يفرق بين المطلق والمعين ، كما يفرق الرومي ، ولكن عنده ما ثم غير ولا سوى بوجــه من الوجوه، وأن العبد إنما يشهد السوى ما دام محجوباً ، فاذا انكشف حجابه، ورأى أنه ما ثم غير ، يتبين له الأمر ، ولهذا كان يستحل جميع المحرمات، حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول :البنت والأم والأجنبية شيء واحد ، ليس في ذلك حرام علينا ،وانما هؤلاء المحجوبون قالوا حرام ،فقلنا حرام عليكم . وكان يقول : القرآن كله شرك ليس فيه توحيد ، وإنما التوحيد في كلامنا ، وكان يقول : أنا ما أتمسك شريعة واحـدة . واذا أحسن القول يقول : القرآن يوصل الى الجنــة ، وكلامنا يوصل الى الله تعالى ، وشرح الأسماء الحسنى على هذا الأصل الذي له ، وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء، وشعره في صناعة الشعر جيد ، ولكنه كما قيل : لحم خنزير في طبق صيني ، وصنف للنصيرية عقيدة ، وحقيقة أمرهم أن الحق بمنزلة البحر وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه . وأما ابن سبعين ، فانه في البدء والاحاطة يقول أيضاً بوحدة الوجود ، وأنه ما ثم غير ، و كذلك ابن الفارض في آخر نظم السلوك ، لكن لم يصرح ،هل يقول بمثل قول التلمساني ، أو قول الرومي ، أو قول ابن عربي ، وهو الى كلام التلمساني أقرب ، لكن ما رأيت فيهم من كفر هذا الكفر الذي ما كفره أحد قط مثل التلمساني ، وآخر يقال له: البلناني من مشايخ شيراز ، ومن أشعارهم .

وفي كل شيء له آية تدل على أنــه عينــه

وأيضاً

وما أنت غير الكون بل أنت عينه　　ويفهم هذا السر من هو ذائق

وأيضاً

وتلتذ إن مرت على جسدي يدي　　لأني في التحقيق لست سواكم

وأيضاً

ما بال عينك لا يقر قرارها　　والى م ظلك لا يني متنقلا

فلسوف تعلم أن سيرك لم يكن　　إلا اليك اذا بلغت المنزلا

وأيضاً

ما الأَمر الا نسق واحد　　ما فيه من حمد ولا ذم

وانما العادة قد خصصت　　والطبع والشارع بالحكم

وأيضاً

يا عاذلي أنت تنهاني وتأمرني　　والوجد أصدق نهّاء وأمّار

فان أطعك وأعص الوجد عدت عمى　　عن العيان الى أوهام أخبار

فعين ما أنت تدعوني اليه إذا　　حققته تره المنهي ياجار

وأيضاً

وما البحر الا الموج لا شيء غيره　　وان فرقته كثرة المتعدد

إلى أَمثال هذه الأشعار ، وفي النثر مالا يحصى ، ويوهمون الجهال أنهم مشايخ الإسلام وأئمة الهدى الذين جعل الله تعالى لهم لسان صدق في الأمة، مثل سعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وعمر بن عبد العزيز ، ومالك

ابن انس والأوزاعي ، وابراهيم بن أدهم ، وسفيان الثوري ، والفضيل بن عياض ، ومعروف الكرخي ، والشافعي ، وأبي سليمان الداراني ، وأحمد ابن حنبل ، وبشر الحافي ، وعبد الله ابن المبـــارك ، وشقيق البلخي ، ومن لا يحصى كثرة، إلى مثل المتأخرين، مثل الجنيد بن محمد القواريري ، وسهل ابن عبد الله التستري ، وعمرو بن عثمان المكي ، ومن بعدهم الى أبي طالب المكي ،الى مثل الشيخ عبد القادر الكيلاني ، والشيخ عدي ، والشيخ ابي البيان ،والشيخ أبي مدين،والشيخ عقيل ،والشيخ أبي الوفاء،والشيخ رسلان ، والشيخ عبد الرحيم،والشيخ عبد الله اليونيني ،والشيخ القرشي ،وأمثال هؤلاء المشايخ الذين كانوا بالحجاز ، والشـــام ، والعراق ، ومصر ، والمغرب ، وخراسان ، من الأولين والآخرين ، كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء ومن هو أرجح منهم ، فـان الله سبحانه وتعالى ليس هو خلقه ، ولا جزءاً من خلقـه ، ولاصفة لخلقه ، بل هو سبحانه متميز بنفسـه المقدسة ، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته ، وبذلك جاءت الكتب الأربعـة الإلهية ، من التوراة ، والانجيل ، والزبور ، والقرآن ، وعليه فطر الله تعالى عباده ، وعلى ذلك دلت العقول ، وكثيراً ما كنت أظن أن ظهور مثل هؤلاء أكبر أسباب ظهور التتـار ، واندراس شريعة الاسـلام ، وأن هؤلاء مقدمة الدجال الأعور الكذاب الذي يزعم أنه هو الله ، فان هؤلاء عندهم كل شيء هو الله ، ولكن بعض الأشياء أكبر من بعض وأعظم ، أما على رأي صاحب « الفصوص » فان بعض المظاهر والمستجليات يكون أعظم ، لعظم ذاته الثابتة في العدم ، وأما على رأي الرومي ، فان بعض المتعينات يكون أكبر ، فان بعض جزئيات الكلي أكبر من بعض ، وأما على رأي البقية، فالكل أجزاء منه ، وبعض الاجزاء أكبر من بعض ، فالدجال عند

هؤلاء مثل فرعون من كبار العارفين، وأكبر من الرسل بعد نبينا محمد ﷺ، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، فموسى قاتل فرعون الذي يدعي الربوبية، ويسلط الله تعالى مسيح الهدى ـ الذي قيل فيه: إنه الله تعالى، وهو بريء من ذلك ـ على مسيح الضلالة الذي قال: إنه الله، ولهذا كان بعض الناس يعجب من كون النبي ﷺ قال: «إنه أعور»[١] وكونه قال: «واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت» وابن الخطيب أنكر أن يكون النبي ﷺ قال هذا، لأن ظهور دلائل الحدوث والنقص على الدجال، أبين من أن يستدل عليه بأنه أعور. فلما رأينا حقيقة قول هؤلاء الاتحادية، وتدبرنا ما وقعت فيه النصارى الحلولية، ظهر سر دلالة النبي ﷺ لأمته بهذه العلامة، فانه بعث رحمة للعالمين، فاذا كان كثير من الخلق يجوز ظهور الرب في البشر، أو يقول: إنه هو البشر كان الاستدلال على ذلك بالعور دليلاً على انتفاء الآلهية عنه. وقد خاطبني قديماً شخص من خيار أصحابنا كان يميل إلى الاتحاد ثم تاب منه، وذكر هذا الحديث، فبينت له وجهه، وجاء الينا شخص كان يقول: إنه خاتم الأولياء، فزعم أن الحلاج لما قال: أنا الحق، كان الله تعالى هو المتكلم على لسانه، كما يتكلم الجني على لسان المصروع، وأن الصحابة لما سمعوا كلام الله تعالى من النبي ﷺ، كان من هذا الباب، فبينت له فساد هذا، وأنه لو كان كذلك كان الصحابة بمنزل موسى بن عمران، وكان من خاطبه من هؤلاء أعظم من موسى، لأن موسى سمع الكلام الإلهي من الشجرة، وهؤلاء يسمعون من الحي الناطق، وهذا يقوله قوم من الاتحادية، لكن أكثرهم جهال لا يفرقون بين الاتحاد العام المطلق الذي يذهب إليه الفاجر التلمساني وذووه، وبين الاتحاد المعين الذي يذهب اليه النصارى والغالية، وقد كان سلف

متفق عليه من حديث انس بن مالك رضي الله عنه.

الأمة وسادات الأئمة يرون كفر الجهميه أعظم من كفر اليهود ، كما قال عبد الله بن المبارك ، والبخاري وغيرهما ، وانما كانوا يلوحون تلويحاً ، وقل أن كانوا يصرحون بأن ذاته في كل مكان . وأماهؤلاء الاتحادية فانهم أخبث وأكفر من أولئك الجهمية ، ولكن السلف والأئمة أعلم بالاسلام وبحقائقه ، فان كثيراً من الناس قد لا يفهم تغليظهم في ذم المقالة حتى يتدبرها ويرزق نور الهدى ، فلما اطلع السلف على سر القول ، نفروا منه ، وهذا كما قال بعض الناس : متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً ، ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء ؛ وذلك لأن متكلمهم ليس في قلبه تأله ولا تعبد ، فهو يصف ربه بصفات العدم والموت . وأما المتعبد ففي قلبه تأله وتعبد ، والقلب لا يقصد إلا موجوداً ، لا معدوماً ، فيحتاج أن يعبد المخلوقات إما الوجود المطلق ، وإما بعض المظاهر ، كالشمس والقمر ، والبشر ، والأوثان ، وغير ذلك ، فان قول الاتحادية يجمع كل شرك في العالم ويعم ، ولا يوحدون الله سبحانه وتعالى ، وانما يوحدون القدر المشترك بينه وبين المخلوقات ، فهم بربهم يعدلون . ولهذا حدث الثقة أن ابن سبعين كان يريد الذهاب الى الهند ، وقال : إن ارض الإسلام لا تسعه ، لأن الهند مشركون يعبدون كل شيء ، حتى النبات ، والحيوان ، وهذا حقيقة قول الاتحادية . وأعرف ناساً لهم اشتغال في الفلسفة والكلام ، وقد تألهوا على طريق هؤلاء الاتحادية ، فاذا أخذوا يصفون الرب سبحانه بالكلام قالوا : ليس بكذا ، ليس بكذا ، ووصفوه بأنه ليس هو المخلوقات ، كما يقوله المسلمون ، لكن يجحدون صفات الاثبات التي جاءت بها الرسل عليهم السلام ، واذا صار لأحدهم ذوق ووجد له تأله ، وسلك طريق الاتحادية وقال : إنه هو الموجودات

كلها ، فاذا قيل له : إن ذلك النفي من هذا الاثبات ؟ قال ذلك عقدي ، وهذا ذوقي ، فيقال لهذا الضال : كل ذوق ووجـــد لايطابق الاعتقاد ، فأحدهما أو كلاهما باطـــل ، وإنما الاذواق والمواجيد نتائج المعارف والاعتقادات ، فان علم القلب وحاله متلازمان ، فعلى قدر العلم والمعرفة يكون الوجد والمحبة والمحاك ، ولو سلك هؤلاء طريق الانبياء والمرسلين عليهم السلام الذين أمروا بعبادة الله وحده لاشريك له ، ووصفوه بما وصف به نفسه ، وبما وصفته به رسله ، واتبعوا طريق السابقين الأولين ، لسلكوا طريق الهدى ، ووجدوا برد اليقين ، وقرة العين ، فان الامر كما قال بعض الناس : إن الرسل جاؤوا باثبات مفصل ، ونفي مجمل ، والصابئة المعطلة جاؤوا بنفي مفصل ، واثبات مجمل . فالقرآن مملوء من قوله تعالى : (إن الله بكل شيء عليم) العنكبوت : ٦٢ و (على كل شيء قدير) الملك : ١ و (إن الله سميـع بصير) الحج : ٧٥) ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً) غافر : ٧ ، وفي النفي (ليس كمثله شيء) الشورى : ١١ (ولم يكن له كفواً أحد) الصمد : ٤ (هل تعلم له سمياً) مريم : ٦٥ (سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسـلين) الصافات : ١٨٠ ، ١٨١ انتهى المقصود منه . ونقل الحافظ الحجة شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي في كتاب « القول المنبي عن ترجمة ابن عربي » عن العلامة سيف الدين عبد اللطيف بن عبد الله السعودي الحنفي أنـه رفع سـؤالاً الى العلماء على رأس القرن السابـع عن كتاب « الفصوص » لابن عربي ، ونصه : ماتقول السادة العلماء أئمـــة الدين ، وهداة المسلمين ، عن كتاب بين أظهر الناس ، زعم مصنفه أنـــه وضعه وأخرجه للناس باذن النبي صلى الله عليه وسلم في منام ، زعم أنه رآه ، وأكثر كتابه ضد لما أنزل الله من كتبه المنزلة ، وعكس وضد عن

عن قول أنبياء الله المرسلة ؛ فمما قال فيـه : إن آدم عليـه السلام إنما سمي انساناً لأنه للحق تعالى بمنزلة إنسان العين من العين الذي يكون به النظر . وقال في موضع آخر : ان الحق المنزه هو الخلق المشبه . وقال في قوم نوح عليه السلام : إنهم لو تركوا عبادتهم لود ؛ وسواع ؛ ويغوث ؛ ويعوق ؛ ونسر ؛ لجهلوا من الحق بقدر ماتركوا من هؤلاء ؛ ثم قال : فان للحق في كل معبود وجهاً ؛ يعرفه من عرفه ؛ ويجهله من جهله ؛ فالعالم يعلم من عبد وفي أي صورة ظهر ؛ حتى عبد ؛ وإن التفريق والكثرة كالاعضاء في الصورة المحسوسة ؛ ثم قال في قوم هود عليه السلام إنهم حصلوا فى عين القرب ؛ فزال مسمى جهنم فى حقهم ؛ ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق ؛ فما أعطاهم هذا المقام الذوقي اللذيذ من جهة المنة ؛ وانما أخذوه بما استحقت حقائقهم من أعمالهم التي كانوا عليها ؛ وكانوا على صراط الرب المستقيم ؛ ثم انه أنكر فيه حكم الوعيد في حق من حقت عليه كلمة العذاب من سائر العبيد ؛ فهل يكفر من يصدقه في ذلك أو يرضى به منه أم لا ؟ وهل يأثم سامعه إذا كان بالغاً عاقلاً ولم ينكره بلسانه ؛ أو بقلبه ؟ أفتونا بالوضوح والبيان كما أخذ الميثاق والتبيان ؛ فقد أضر الاهمال بالضعفاء والجهال ، وبالله المستعان ؛ وعلى الله الاتكال ؛ أن يعجل للملحدين النكال لصلاح الحال ، وحسم مادة الضال . فأجاب عن هذا السؤال جهابذة الاسلام والعلماء الأعلام ، كالشمس محمد بن يوسف الجزري ، والحافظ الحجة سعد الدين الحارثي ، والشيخ نور الدين البكري ، والزواوي المالكي ، وشيخ الاسلام ابن تيميه ، والامام نجم الدين محمد بن عقيل البالسي ، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بأجوبة طويلة كافية شافية ، ذكرها السخاوي رحمه الله ، وتركنا ذكرها اختصاراً . ثم قال السخاوي رحمه الله تعالى : قرأت له ،

يعني السيف السعودي مصنفاً أفادنيه العلامة مفخر الزمان الامين أبو زكريا الأقصرائي الحنفي ، فسح الله في اجله ، وهو بخط أحمد بن آقش الشبلي ، جمعه السيف في شهور سنة احدى عشرة وسبعمائة ، وسماه « بيان حكم ما في « الفصوص » من الاعتقادات المفسودة ، والاعتقادات الباطلة المردودة » التي من اعتقدها كفر ، ومن لم ينكرها أثم وخسر ، والاستدلال لصحة ذلك بالكتاب والسنة الواضحة عنه اهل المعرفة والفطنة ، ونسخ فتاوى أهل العلم والأئمة من أهل المراتب والحلم على اختلاف مذاهبهم ، واتفاق مطالبهم ، لنصرة دين الله ، واتباع رسوله الخاتم ، فمن خالفهم بعد ذلك فهو بالمخالفة ضال ظالم ، وافتتحه بقصيدتين من نظمه قافية الاولى على الهاء المكسورة ، مطلعها :

عجبت لمنكر إنكار قوم … على منشي « الفصوص » ومفتريه

وهي تسعة وعشرون بيتاً ، والثانية أولها

فرض علينا اتباع نبينا … بحقيقة منا وحكم جازم

وذكرها وهي سبعة وأربعون بيتاً . ثم قال : وهذه قصيدة ثالثة أوردها الناظم أثناء كتابه . وقال : إنه لقبها بـ « جلاء «الفصوص» على فهم كل تقي مخصوص » فقدمتها هنا .

تفنى المحابر دون شرح كلامه … في وصف جرأته وفي إقدامه

من يستبيح بأن يقول تعمداً … كذباً على الهادي بزور منامه

أقواله تنبي اللبيب بأنه … كذب بلا شك لسوء مرامه

لولا الحليم بحلمه عم الورى ... فضلاً وجوداً ذاك من إنعامه

لاندكت الاجبال مما قاله ... في حق منشيه وفى علامـه

اذ قال فيه إنه هو خلقه ... والخلق يشمل ذكر كل هوامه

ويراه صورة كل شيء قد بدا ... وعيونه ووجود وصف قوامه

وهو المنعّم بالملاذ وضدها ... يتألم الوجدان من إيلامه

ويقول نحن غذاؤه بالحكم هل ... صمد يكون له غذا كطعامه

ما كل ماقد قال يمكن شرحه ... لقبيح مفهوم وثبت حرامـه

جل المقدس والمعظم دائماً ... عن كل فهم جل عن إعظامه

هي فتنة للامتحان بلية ... لبيان دين القوم عند كلامـه

فالمؤمنون المتقون تراهم ... قاموا لنصر الدين حق قيامه

غضبوا فلما يرضهم انكاره ... بالقول فيه كلائم لغلامه

لكنهم لو مكنوا لرأيتهم ... كلا مكان القول ضرب حسامه

للملحدين الزاعمين لوحـدة ... فيها استباح القول نص حرامه

وعبادة الأصنام عرفان لهم ... وبذاك كل سل من إسلامه

سجدوا ابماز عموا وإن لم يسجدوا ... مع كل ذي شرك لدى أصنامه

قاموا بكفر الكافرين بأسرهم ... قصداً وعقداً ثم في إبرامـه

ومصدق لهم بحكم مثلهم   وسط الضلالة باتباع إمامه
قد حاز كل الاثم ممن قد مضى   وله مزيد الكفل مع آثامه
هذا نصيب رئيسهم وإمامهم   في الورد اذ وردوا على أقدامه
من قال في أعداء نوح إنهم   كانوا على حق وجوب لزامه
ولو استجابوا تاركي اصنامهم   جهلوا حقائق فيه حق تمامه
من قال في عاد بأنهم ثووا   في عين قرب وسط دار سلامه
سلكوا الصراط المستقيم بجرمهم   وبه استحقوا الجود من إكرامه
ما نيلهم للقرب منه منة   لكنه حق يرى بقيامه
من قال في حق الخليل بأنه   لم يدر تعبيراً لحلم منامه
من بعد حصر صفات ذات قدست   إثبات مالم يرتقي لمرامه
فأراد يذبح إبنه بتوهم   ففداه رب العرش من أوهامه
من قال في اسماعيل مرضي له   وكذاك مرضي جميع أنامه
هذا الكلام جميعه متناقض   فى الحكم معناه لدى فهّامه
من قال في فرعون ما قد قاله   فهو البريء لديه من اجرامه
ويقول مات مطهراً في وقته   من كفره حكماً ومن آثامه
علم الجهول بحكم مالم يبده   موسى الرسول المصطفى لكلامه

وكذا النبي المصطفى لم يبده بمقالة للنـــاس في إفهامـــه

من قال في موسى الكليم بأنه لما بـــدا بعتابـــه وخصامه

لأخيه هارون النبي معنفاً لم لا اتسعت وذاك من افهامه

إن العبادة صادفت من قومه في العجل عين الحق في اقسامه

لو كان ذلك لم يحرّق عجلهم وبنسفه في اليم محو نظامـــه

من قال في أيوب جهل صبره اذ لم يعجل باشتكاء سقامـــه

من قال ان عذاب خلد ذوقه كنعيم خلد لذ في إلمامه

في حق كل الكافرين بأسرهم والفرق رأي العين وصف قيامه

فعسى يكون نصيبه ما قاله من وهمه يلقاه بعد حمامه

فيرى خلاف فساد وهم ظنونه نزع الشوى منه وحطم عظامه

من جهل الرسل الكرام بأسرهم بمقاله فيهم وسوء مســـامه

فشهادتاه[1] هو الخداع وهكذا حكم الصلاة وحكم وصف قيامه

يحمي به النفس الخبيثة خائفاً من قتلها كفراً لدى حكامه

جهل الشرائع والحقائق كلها هلك الذي والاه باستسلامه

خاب المقلد غير معصوم وقد أبدى خلاف الحق في إيهامه

من كان متبع الرسول فحكمه فيه كمعصوم لفضل امامـــه

---

(١) في الاصل . فشهادتيه . وهو خطأ . والصواب ما أثبتناه .

من صد عنـــه مخالفــاً بتعمد   أصماه راميه بوقـع سهامـــه
إبليس قوس الرمي هذا وصفه   وسهامه الأقوال من إلزامـــه
من نقص المختار ضل عن الهدى   في قوله فيه بنقص ختامـــه
ومقاله في إستقم لم يدر مــا   منه المراد فشاب من إبهـــامه
ما شك قط المصطفى في قربه   وبسر عصمته علو مقامـــه
فيقول شاب لأنه لم يدر هل   قول استقم في الامر من اقسامه
ويقول في غير النبيّ بأنـه   ساوى الا ٓلـه بعلمه لدوامه
في حكم أقدار عليه مفصلاً   أبداً يحقق ذاك في أحكامه
من يستحق سواه ما قد قاله   في تابع إن صح من خدامه
من جّهل الصديق فيما قاله   من عجز إدراك لعظم مرامه
هل بعد جملة ما ذكرت ضلالة   قد عم ظلمة من مضى بظلامـــه
أقوال ضد للشرائع كلها   ومخالف العلام في إعـــلامه
فعليه من غضب الاله بعلمه   ما يستحق بظنــه وكلامه
وعلى مصدقه ومن يرضى به   أبداً يجدد مع مـــدى أيامه
واغفر لناظمها وكل موفق   لبيان وجــه الحق باستلزامه
عبد اللطيف مراده في وضعها   تبيان لبس القول في اعجامه

لزوال وهم تخيل عن فهم من ... قد صد ظناً منه في احجامه

لتابع الحق المبين بلا امترا ... فينال فضل الجود من قسامه

فيهـــا نصيحة كل بر صالح ... وعداوة المفتون مع اغمامه

وشفاء صدر سالم من غله ... ومزيد ذي الإصمام من اصمامه

من صد عنها معرضاً متعللا ... متوقفاً بالوهم مع أخصامه

دع مايقول وتابع الهادي الذي ... تهدى به وتحل بين خيامه

فتصير مع أهل الخيام برملة ... وتنال منه حقيقة لذمامـــه

فبها النجاة لكل عبد مسلم ... فعليه من ربي دوام سلامه

وعلى النبي وآله مع صحبه (١) ... علماء أصل الدين عقد نظامه

والحمد لله العظيم ختامها ... حمداً وشكراً فهو من إلهامه

حمداً بدا من جوده اجزاوه ... وعليه بالإفضال حكم تمامه

فيه الوصول لواصل لمراده ... وبه تمسك واتقى بعصامه

ثم قال الناظم تمت الابيات مختصرة المعاني ، صحيحة المباني ، متضمنة اعتقاده ، ومبينة لكل لبيب فساده بذكر مازعمه وأراده . فلنورد مقدمات الفتاوى مع بيان ماأوجب ذلك من الكتاب والسنة بما هـــو ظاهر لذوي البصائر والفطنة ، ثم أجوبة العلماء التابعين لخاتم الانبياء بتكفير صاحب « الفصوص » والمصدق له فيما أورده من مخالفة النصوص ، وتحذير من لم

---

(١) في الاصل : وعلى نبيه مع آله وصحبه . ولا يستقيم به الوزن .

ينكره من الوقوع في المخالفة والمحنة ، وبيان أنه ممن أخطأ طريق الجنة الا إن كان غير عالم بما وجب عليه ، وندب من الله ورسوله إليـــه من القيام بالإنكار ، وابداء العداوة لأعداء الله الفجار ، قال : وكان الواجب لأخذ هـــذه الفتاوى ماقرره النبي ﷺ مما رواه مسلم في «صحيحه» من حديث تميم الداري رضي الله عنه مرفوعاً « الدين النصيحة ؛ قلنا : لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » فمفهوم مضمون هذا الحديث أنه لايحل لمسلم يسمع في حق الله مالا يليق بكماله ، وعظمته وجلاله أو يسمع من يلحد في آياته ، ويخوض في معاني كتابه العزيز بباطل تأويلاته ويحرفه عن مواضعه ، أو يخرجه في الاحكام عن مواقعه ، كتحليل حرامه أو تحريم حلاله ، أو تغيير كلامه ، أو مناقضة شيء من أحـــكامه ، أو يسمع من يتنقص رسله الكرام ، أو يرد قولاً من أقوال نبيه عليه السلام ، أو يغض من قدره بصريح لفظ معلوم ، أو بتلويح مشعر بذلك لأرباب الفهوم ، ثم يسكت إن أمكنه الكلام ؛ أو يرضى به من أحد من الأنام إن وسعه السكوت . والنصيحة لأئمة المسلمين مفهومة بالمناصحة في الدين ، واعانتهم على مصالح المسلمين . وأمـــا النصيحة لعامتهم فبما يأمرهم بـه من المعروف ، وينهاهم عن المنكر ، والمساعدة والعون بما تصل إليـه القدرة مما حض الله ورسوله عليه ، ودفع ضرر الأديان أهم ، وهـو في النفع أخص ، وفي بذل النصيحة أعم ، ويؤيد المقصود في هـــذا المعنى مارواه مسلم في « صحيحه » أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ، قال « ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من امته حواريون وأصحاب ، يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعـــدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهـدهم بيده فهو

مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وقال تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم في الدين من حرج) الحج:٧٨ الاية فقد ثبت وتعين وجوب الجهاد على أهل الإيمان في كل زمان ومكان ، وبذل الاجتهاد طلباً لرضوان رب العباد ، ولايصح لك شاهد الأجتباء إلا بوجود الغضب لله ، والمجاهدة في سبيله ديناً ومذهباً ، لكونه صار في الذمة حتماً مرتباً. وقال عز من قائل : (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم اواخوانهم أو عشيرتهم) المجادلة:٢٢ الاية وقد علمنا أن الله سبحانه وتعالى قد شرط في صحة الإيمان به الكفر بالطاغوت ، لقوله (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) البقرة:٢٥٦ فصار الكفر بالطاغوت شرطاً في صحة الإيمان بالله واجباً لايمكن وجود الإيمان إلا بوجوده ، وصاحب «الفصوص» زعم في التوحيد أن ترك عبادة الأصنام جهل ، وذا كاف لمن رد عليه . والسلام . وهذا هو الموجب للقيام ، وأخذ الفتاوى ليرتدع المشاقق والمناوىء بعد أن رأيت من يعتقد صحة مقاله ، ويزعم أنه حق ؛ فبادرت لبيان ضلاله ، وإثبات محاله ، فإن في قوله ذلك عدة أنواع من الكفر لمن ميزه واعتبره ، وأبدا ما أظهره خفي ما أضمره ، من رده نص محكم الكتاب ، وتصويبه الكفر السريع الانقلاب ، وتمييزه من تعاطاه على من انكره . وقد ثبت في الاحكام ، وشاع فهمه بين الأنام أنه ماعبد الأصنام إلا أَجهل الخلق اللئام ، ولا أنكره عليهم إلا أفضل الخلق ، وأعلمهم بالله ، أعني : الرسل الكرام ، والانبياء عليهم الصلاة والسلام . فانظر إلى هذا الإقدام ، والتجرىء على الله بما يخالف ملة الاسلام بل سائر الملل عند ذوي الأفهام ... الى أن قال بعد خطبة الكتاب : ولما

كملت المائة السادسة من الهجرة ظهرت مبادىء تلك الفترة بظهور من ينسب إلى العلم والتصوف ممن أعطي في ألفاظه نوعاً من التصرف، لاكتسابه العلوم الفلسفية والطبيعية وغيرهما من العلوم التي لايرجى خيرها، فتولد من هذه المركبات في الذهن عبارات، وانواع إشارات بلسان يستغرب، وعند غير العارف الذكي تستعذب، وهي فاسدة المعاني، واهية المباني مخالفة لظواهر النصوص، معاكسة لقول كل نبي مخصوص مع تحريفه تأويل ما يعتضد به من المنقول على حكم اعتقاده في الوحدة، أو الاتحاد والحلول، وتزايد به الأمر حتى أقدم على المضادة، وأظهر المخالفة والمعاندة بما وضعه في كتاب «الفصوص» المشارك له في وضعه إبليس، قصداً للتدليس، واظهاراً للتلبيس، فأظهر الله بالتحقيق ذلك لذوي التوفيق، فمن أعظم تحيلاته، و كذبه على الله، وافتئاته مازعمه في مقدمة الكتاب المذكور من البهتان والزور حيث قال إنه رأى النبي ﷺ في المنام، وبيده كتاب، فقال له: هذا كتاب «فصوص الحكم» خذه وأخرجه إلى الناس ينتفعون به، وأنه أخرجه كما حده له النبي صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولانقصان. فانظر الى هذا الخلل، وظهور دلائل الزلل، وذلك انه زعم أنه ناوله اياه وسماه له، ولم يقل قرأته عليه، ولا انتبهت فوجدته في يدي، فكيف عرف حده وكل مافيه من قول ومعنى، من نظم ونثر، واستدلال بعلوم فلسفية وطبيعية وهندسية من العلوم التي لاتنسب إلى الحضرة المحمدية، وما فيها من الشعر، فلا ينسب الى نبي، ولا ملك، ولا الى حضرة إلهية من مبادىء تجليات الحق سبحانه في المنام ولا غيره، هذا اذا كان الشعر والكلام موافقاً لما جاءت به الرسل الكرام، فظهرت دلائل كذبه فيما جعله لدفع الشبهة عنه من أقوى سببه ليلفت به اليه العوام، ويصغي نحوه أهل البلادة بالإيهام، فيحصل منهم عنه

فيما ينكرونه عليه الإحجام . وكان أول منكر بدأ بالانكار عليه ، وثبت كفره وكذبه لديه ، شيخ الإسلام ، ومفتي الانام عز الدين بن عبد السلام مع أنه ما اتصل بنا أنه وقف على كتاب « الفصوص » ومخالفته فيه لصريح أحكام الله في النصوص ، بل ذلك بما بلغه من فاسد أقواله ، وثبت عنده من مخالفة طرق أهل الحق في انتحاله . ثم تابعه في الانكار ، الشيخ الامام ، بركة الاسلام ، القطب القسطلاني تغمده الله برحمته ، واسكنه أعالي غرف جنته ، وحذر الناس من تصديقه ، وبين في مصنفاته فساد قاعدته ، وضلال طريقه في كتاب سماه بـ « الارتباط » ذكر فيه جماعة من هؤلاء الأنماط . ثم الشيخ الصالح العارف ، المحقق برهان الدين الجعبري ، قدس الله روحه بما نقلته عنه العدول ، بما هو مذكور عنه ومنقول ، ثم بعد ذلك تواتر الانكار من الصلحاء العباد ، والاتقياء الزهاد ، وأهل الورع من الأفراد ، بما لا سبيل لحصرهم ، ولا تفصيل ذكرهم ، إلى أن أقام الله في ذلك من أقام ، ونبه عليه الخاص والعام ، وأذهب عن المنكرين ببيانه الإحجام ، وأزال بتبيانه الشبهة عن الأوهام ، واستضاء اهل البصائر من أولي التوفيق بنور القرآن ، اذ علموا أن به يتضح الفرقان ، وان صحيح الأحاديث النبوية عمدة أهل العرفان ، وتحققوا أن من خالف الكتاب والسنة ، فقوله مردود ، وهو عن جناب الحق مبعود ، ومن صدقه ضل ، وعقد دينه بتصديقه انحل ، فنهضت عليه أنصار الحق من علماء الصدق بسيوف فتاويهم القاطعة ، وأنوار أدلتهم الساطعة لما سمعوا منادي الإسلام ينادي : الصلاة جامعة ، بصحيح عقد جازم للقيام بوجوب فرض لازم ، نصيحة لرب العالمين ، ونصرة لكتابه المبين ، وتأييداً لدينه الذي ارتضاه وأظهره على كل دين ، وانتصاراً لرسله الكرام وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام من كيد إلحاد الملحدين ممن جعل

الكفر إيماناً ، والجهل عرفاناً ، والشرك توحيداً ، والعصيان طاعة ، لا يستحق العاصي عليه وعيداً ، ولم يفرق بين عبادة الصنم والصمد ، بل عنده من سجد للصنم أعلى ممن كفر به وجحد ، فاصاب العلماء المفتون ، واستجابوا لداعي الحق بالصدق وهم منتصرون . ثم إني خشيت نسيان أقوال أهل الإرشاد واستمرار ما تقدم وصفه بين أظهر المسلمين من الفساد، فاستخرت الله في كتابة فتيا متضمنة لنبذة من كلامه ، منبئة عن مفهوم معتقده الفاسد ومرامه ، ليشملها خطوط العلماء السادة الذين أورثهم الله بالعلم الخشية فاغتبطوا بالافادة ، فأسرعوا بالبيان والإيضاح والتبيان قياماً بما أخذ عليهم من الميثاق في بيانه للناس ، وهو في كل زمان فرض باق ، وكتب عليها كل من راقب الله وخشيه ، وامتنع من التبسه مخافة غيره وخشيه ، فالكاتب قد قام لله بلوازم فرضه ، والممتنع مسؤول عن ذلك يوم عرضه ، بل زعم أنه ترك ذلك خوف الفتنة من المخالفين ، فتلك محنة في الدين ، وكفى بالله رقيباً ، وعلى كل شيء حسيباً ، وهو الغني بعلمه ، المحيط عن أخبار المخبرين ، المطلع على سرائر الصامتين ، وضمائر المخبتين ، ثم كتب السؤال الماضي ذكره ، وساق ألفاظ المجيبين ، وهم : ابن جماعة الحارثي والجزري والكناني والبكري والزواوي والبالسي وقال: ولما تمت الفتاوى المذكورة ، المرقومة المسطورة ، قال لي بعض الفضلاء العقلاء ، الذين يقولون الحق ، ويعتمدون الصدق في النصح بين الخلق: لم لا سألت التقي ابن تيمية ، فإن غيرته في دين الله قوية ، ومعرفته بأقوال المبتدعين وفيـ ؟؟. فقلت له : إنهم يزعمون أنه لهم غريماً ، وبمعاداتهم في دين الله موسوماً ، فقال : العالم لا يستخصم ، والحاكم العادل لا يستظلم ، والمفتي لا يكتب بقلمه الا ما يعتضد فيه بالكتاب والسنة ، بعد أن يعرض نفسه على النار والجنة ، ويعلم

انه مسؤول عما كتب ، إما في الدنيا من ذوي الحكم وأرباب الرتب ،أو في الآخرة من الرب العظيم الذي يخشى ويرتقب، في يوم تجثو فيه الأمم على الركب، فبان لي وجه الصواب في قول القائل ، وأضربت عن تأويل المعارض الجاهل ، وأرسلت إليه ، فبادر بالجواب ، ورفع الله عن قلبه في ذلك كل حجاب ، وما راعى غير الله فيما علم ، ولا أبقى ممكناً فيما إظهاره لزم ، ثم أورد الجواب ، وفيه طول تركناه اختصاراً ، ودعا له بالتأييد فيما يرومه من إظهار الحق للحق بالحق في الخلق ، ويقصده من قيامه ونصرته ، فإنه أشفى وما اشتفى ، وكف مظاهر الملحدين وما اكتفى ، فإن الغضب إذا كان لله لا يزول مده إلا بزوال موجبه ، ولكن المرجو من الله استئصال أهله وكتبه ، ثم ساق السيف عن ابي جعفر الطحاوي قوله في عقيدته المشهورة : ان الله تعالى مازال بصفاته قديماً قبل خلقه لم يزد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته ، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً ، ليس منذ خلق الخلق استفاد الخالق ، ولا بإحداثه البرية استفاد الباري ، له معنى الربوبية ولا مربوب ، ومعنى الخالقية ولا مخلوق ، وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيى استحق هذا الاسم قبل إحيائهم ، وكذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم ، ذلك أنه على كل شيء قدير ، وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير. فهذا فصل من عقائد المسلمين يتضمن بمعانيها ومفهوم ألفاظها ضده قول صاحب « الفصوص » اللعين . ثم قال الطحاوي فيها : إنه من وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر ، فكيف بصاحب « الفصوص » القائل بأن الحق المنزه هو الخلق المشبه ، وأن العالم صورته وهويته ؟! وغير ذلك مما تقدم ؟! ثم قال الطحاوي : ان من رد حكم كتاب الله عز وجل ، فهو

من الكافرين ، وكم قد رد صاحب « الفصوص » من حكم الله من أصول الشرائع التي لا تنقض ولا تنسخ ، ككفر عباد الأنصام ، وضلال مخالفي الرسل ، وأنهم بمخالفتهم أعداء الله ، وأنهم أهل النار ، ولهم فيها الخزي ، والعذاب الشديد السرمد . وقال في الجنة والنار : إنهما واحد في الذوق ، وانما التغاير في اللون ، هذه خضراء ، وتلك سوداء أو حمراء ، وإن الطائع ، والعاصي ، والمؤمن ، والكافر ، الكل مرضيون مستحقون الوعد ، وما ثم وعيد أصلاً . وقد قال الطحاوي في العقيدة المشار اليها : إن الأمن واليأس ينقلان عن الملة ، وإن اعتقاد عدم حكم الوعيد في حق من حقت عليه كلمة العذاب غاية الأمن ، ونهاية الكفر ، نسأل الله السلامة. ثم نقل السيف عن الأوسي الحنفي في تصنيف له في الأصول ، أن من تكلم بكلمة الكفر ، فضحك غيره ، واستحسن ، كفر ، وكذا من وصف الله بما لا يليق به كفر ؛ ومن أنكر وعده أو وعيده كفر ، أو قال : الله في ست جهات ، أو قال : يوجد في كل مكان ، ومن عاب نبياً من الأنبياء ، أو صغر اسمه ، أو لم يرض بسنته ، أو سمع القول بأنه كان يحب القرع أو الحل ، فقال : أنا لا أحبه ، أو سخر بالشريعة ، أو بحكم من أحكامها ، أو قال : إن الخمر لم يثبت تحريمه بالقرآن ، أو صدق كلام أهل الأهواء ، أو قال : إنه كلام معنوي ، أو له معنى صحيح ، أو من يعرف أن الله يرحم الكافر ، أو الشيطان وأهل الأهواء ؛ فإنه يكفر بذلك كله ، فكيف بمن اعتقد ذلك في قوم نوح وقوم هود وفرعون ، وجعل كل كافر ، وفاجر ، وفاسق ، وعاص عند ربه مرضياً ؟! فعلى قائل ذلك ومعتقده اللعنة إن مات على اعتقاد ما وضعه في كتابه المذكور ، ثم نقل عن القاضي عياض قوله في « الشفاء » : اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي ﷺ ،

أو عابه ، أو ألحق به نقصاً في نفسه ، أو نسبه ، أو دينه ، أو خصلة من خصائله ، أو عرض به ، أو شبهه بشيء على طريق السب له والازراء عليه ، أو التصغير لشأنه ، أو الغض منه والعيب له ، فهو ساب له ، والحكم فيه حكم الساب . يقتل كما بينته ، ولا نستثني فصلاً من فصول هذا الباب على هذا المقصد ، ولا نمتري فيه تصريحاً كان أو تلويحاً . ونقل عن ابن عتاب أنه قال : الكتاب والسنة موجبان ، إن من قصد النبي ﷺ بأذى ، أو نقص ، معرضاً أو مصرحاً وان قل ، فقتله واجب . قال : وقد علمت تنقيص صاحب « الفصوص » للمرسلين والأنبياء تصريحاً لا تلويحاً ، وأورد من كلامه قوله : وأما العارفون بالأمر على ما هو عليه ، فيظهرون صورة الانكار لما عبد من الصور ، لأن مرتبتهم في العلم تعطيهم أن يكونوا بحكم الوقت بحكم الرسول الذي آمنوا به عليهم ، الذي به سموا مؤمنين ، فهم عباد الوقت مع علمهم بأنهم ما عبدوا من تلك الصور أعيانها ، وإنما عبدوا الله فيها بحكم سلطان التجلي الذي عرفوه منهم ، وجهله المنكر الذي لا علم له بما تجلى ، فيا أهل العلم والمتقين من أولي الفهم ، معلوم باجماع المسلمين من المتقدمين والمتأخرين ، واليهود والنصارى ، أن ما عبد الأصنام وغيرها من الأوثان على اختلاف أصناف ما عبدته الكفار إلا أجهل الناس في كل زمان ، وما أنكره عليهم سوى المرسلين والأنبياء ، ومن تبعهم من الصديقين ، وصالح المؤمنين الموفقين ، وقد عمم هذا الضال بهذه المقالة تنقيص الجميع ، ونسبهم الى الجهل وعدم الفهم ، وأثبت لعباد الأصنام والأوثان الاصابة والمعرفة بالله ،

فعليه إن مات عليـــه وكان(١) معتقده لعنة الله وغضبه والناس أجمعين. انتهى كلامــه.

أقــول : ماذكرناه عن هؤلاء الأئمة عن ابن عربي وأتباعــه من الشناعات والكفريات ، قليـل من كثير ، وغيض من فيض ، وينبغي أن تعلم أن ابن عربي ونحوه لايتجاسرون على إعــلان هذه الكفريات ، وإنما يدسونها دساً في كتبهم ، لأن الاسلام قد بقيت منــه بقية ، والعلماء والسلاطين قائمون في نحر من يبدي شيئاً من هذه الضلالات ، فلما ضعف الاسلام ، وانحلت عراه ، واشتدت غربته ، صار هؤلاء الأبالسة (٢) لا يتحاشون من إطلاق هذه الكفريات ، وصار كثـير من الخواص واكثر العوام يعتقدون فيهم أنهم صفوة الأولياء وخلاصة الاتقياء ، فـلا تسأل عما أحدثه هؤلاء الطواغيت ، وان شئت فانظر كتاب « الانسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي ، ترى مافيه من الطامات ، والامور الفظيعة ، والقبائح الشنيعة ، فالله المستعان.

وقول الناظم رحمه الله تعالى :

قالوا ولم يك كافراً في قوله　　　　أنا ربكم فرعون ذو الطغيان

أقول : قال ابن عربي في « الفصوص » لما كان فرعون في منصب الحكم صاحب السيف ، وإن جاز في العرف: الناموسي لذلك ، قال : أنا ربكم الأعلى ؛ أي : وان كان الكل أرباباً نسبة ما ، فأنا أعلى منكم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم ، ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله ، أقروا له وقالوا (اقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) طه: ٧٢ فصح قول

---

(١) في الاصل : كذا.

(٢) في الاصل : الابليسية، والمعهود في كتب اللغة ان جمع ابليس أباليس ، وأبالسة.

فرعون : أنا ربكم الاعلى ، فكان فرعون عين الحق . وقد صنف الشيخ محمد سعيد الدواني المدني مصنفاً في إيمان فرعون متابعة لابن عربي ، وقد رد عليه العلامة الملا علي بن محمد القاري الهروي ، برسالة سماها « فر العون عن مدعي إيمان فرعون » أجاد فيها وأفاد ، جزاه الله خيراً . قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في جواب له عن هؤلاء الوجودية بعد أن حكى عنهم القول بإيمان فرعون قال : وهذا القول كفر ، معلوم فساده بالاضطرار من دين الاسلام ، لم يسبق ابن عربي اليه فيما أعلم أحـــد من أهل القبلة ، ولا من اليهود ولا من النصارى ، بل جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون ، وهذا عند الخاصة والعامة أبين من أن يستدل عليه بدليل ، فانه لم يكفر أحد بالله ويدعي لنفسه الربوبية والآلهية مثل فرعون ، وأطال الكلام .

قوله : ولقد رأى ابليس عارفهم الخ . . لم أقف على اسم هذا العارف ولعله ابن عربي ، والله اعلم .

قوله : ثغرة الطعان . الثغرة : نقرة النحر بين الترقوتين ، قالــه في « القاموس » ومن جاهد أتباع هؤلاء الملاعين حق الجهاد ، وبلغ جهده في قمع أهل الزندقة والالحاد ، العلامـة شرف الدين أبو محمد إسماعيل ابن أبي بكر بن عبد الله بن المقري الشافعي صاحب « عنوان الشرف » و « مختصر الحاوي » و « الروضة » وغيرهما من التصانيف البديعة ، فانه قام في تقبيح ابن عربي وأتباعه أتم قيام ، وصار ينظم القصائد الحسان في ذكر قبائح المنتمين الى هذا المذهب ، والانتصار عليهم بالعلماء والسلطان ، وأفرد من « الفصوص » ، كراسة وقف عليها الفقهاء والعلماء ، وأكثر من النظم في ذلك نظماً رائقاً يرسخ بسماعه الايمان في قلوب المؤمنــين ، وتنسجم به

عبرات المحبين لشرائع النبيين ، وتتزلزل به أقدام المبتدعـــين ، وانتشرت قصائده ، وظهرت بها فضائحهم عند أهل تهامة وأهل الجبال ، اذ نقلت الى الامام علي بن صلاح بصنعاء ، ونظم بعض فقهاء الأشـراف على نحو نظمه شكراً له وتحريضاً ، فشاع في الناس تكفير من يتدين بمذهب ابن عربي من الوصفية بـ : زبيد . وقال التقي الفاسي : انه حدثه من حال ابن عربي بما لم يبينه غيره ، لأن جماعة من صوفية زبيد أوهموا من ليس له كبير نباهة علو مرتبة ابن عربي ، ونفي العيب عن كلامه ، قال : وقد ذكر ذلك ابن المقري مع شيء من حال المتصوفة المشار اليهم في قصيدة طويلة من نظمه ، وهي على قافية الراء المكسورة ، وقد سماها ناظمها « الحجة الدامغة لرجال الفصوص الزائغـــة » وهي مائتان وثلاثة واربعون بيتاً ، موجودة في ديوانه وله قصيدة أخرى يحض فيها سلطان اليمن على نصر السنة ، وخذلان هذه الطائفة ، وهي إحدى وأربعون بيتاً . وصنف رحمه الله تصنيفـين في هذا المعنى ، سمى أحدهما « النصيحة » والآخر « الذريعـة الى مـكارم الشريعة » قال الحافظ السخاوي في « القول المنبي » وقـد قال ابن المقري في الردة من كتاب « الروض » مختصر « الروضة » من تردد في تـكفير اليهود والنصارى وابن عربي وطائفته فهو كافر ، وقد ترجم له ابن قاضي شهبة في « طبقات الشافعية » وقال بعد أن بالغ في مدحه : ناظر أتباع ابن عربي حتى عميت منهم الأبصار ، ودمغهم بما بلغ حجة في الافـكار . انتهى.

قوله نص « الفصوص » هو كتاب لابن عربي الطائي المشهور ، وهو محمد بن علي بن محمد أبو بكر الحاتمي الطائي ، ولد بمرسية سنة ستين وخمسمائة ، ونشأ بها ، وانتقل الى اشبيلية سنة ٥٧٨ (١) ثم ارتحـل وطاف البلدان ،

---

(١) في الاصل : سنة ٧٨ ، ولعلها ٥٧٨ كما اثبتناه لأن وفاته كانت سنة ٦٣٨ ..

قطوف بلاد الشام، والروم، والمشرق، ودخل بغداد، وحدث بها بشيء من مصنفاته، وله التآليف الكثيرة، توفي في الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ٦٣٨ ثمان وثلاثين وستمائة بدمشق في دار القاضي محيي الدين بن الزكي، وحمل الى قاسيون فدفن في تربته المعلومة، وهو صاحب المقالات الشنيعة، والكفريات الفظيعة، أسأل الله العافية. وقد صنف العلماء قديماً وحديثاً في الرد على «الفصوص» وصاحبه، فمن ذلك كتاب «أشعة النصوص في هتك استار الفصوص» للشيخ الامام الأوحد أحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الواسطي المعروف بابن شيخ الحزاميين، وكتاب «تسورات النصوص على تهورات الفصوص» للشيخ الامام شمس الدين محمد بن محمد العيزري تلميذ التاج السبكي، والعلامة الملا علي بن محمد القاري والحافظ جمال الدين ابن الخياط اليمني، والفقيه محمد بن علي المعروف بابن نور الدين الموزعي اليماني، وغيرهم. وقال العلامة سيبويه زمانه، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن هشام الانصاري النحوي صاحب «المغني» و «التوضيح» وغيرهما لما وقف على «الفصوص» ما نصه:

ضلت أوائل مع أواخر ... هذا الذي بضلاله
فلينأ عني فهو كافر ... من ظن فيه غير ذا

هذا كتاب فصوص الظلم، ونقيض الحكم، وضلال الأمم، كتاب يعجز الذام عن وصفه، وقد اكتنفه الباطل من بين يديه ومن خلفه، لقد ضل مؤلفه ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً، لأنه مخالف لما أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، وفطر عليه خليقته، وذلك أني لما وقفت على هذا الكتاب، وجدته قد عقد لكل نبي من الانبياء فصاً، فوقفت على فص

نوح عليه السلام ، فقال فيه : لو قال بدل قوله : (استغفروا ربكم إنه كان غفاراً) الى آخر كلامه : ادعوا ربكم ليكشف لكم الحجاب ، لأجابوه . انتهى . وقد أدرجه العيزري فيمن كفره ، وذكر الحافظ شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي في كتاب « القول المنبي عن ترجمة ابن العربي » وهو مجلد عن الحافظ الجهبذ أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي أنه قال بعد كلام حكاه عن ابن عربي بعد حكايته : استغفروا الله ، وحاكي الكفر ليس بكافر ، ثم حكى عن الذهبي كلامه في ابن عربي في « العبر » و « الميزان » ... الى ان قال الذهبي : ومن أمعن النظر في « فصوص الحكم » وأنعم التأمل ، لاح له العجب ، فان الذكي إذا تأمل من ذلك الاقوال والنظائر والأشباه ؛ فهوأحد رجلين ؛ اما من الاتحادية في الباطن ؛ وإما من المؤمنين بالله الذين يعدون هذه النحلة من أكفر الكفر ، نسأل الله العافية ، وأن يكتب الايمان في قلوبنا ؛ وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، فوالله لأن يعيش المسلم جاهلاً خلف البقر لا يعرف من العلم شيئاً سوى سور من القرآن يصلي بها الصلوات ؛ ويؤمن بالله واليوم الآخر ، خير له بكثير من هذا العرفان ، وهذه الحقائق ، ولو قرأ مائة كتاب ، أو عمل مائة خلوة . وقال الذهبي في ترجمة على بن أبي الحسن بن منصور الحريري من « تاريخه الكبير » بعد أن نقل كلاماً للسيف بن المجد فيه : رحم الله السيف بن المجد ، ورضي الله عنه ، فكيف لو رأى كلام الشيخ ابن عربي [1] الذي هو محض الكفر والزندقه ، لقال : ان هذا الدجال المنتظر ، ولكن كان ابن عربي منقبضاً عن الناس ، انما يجتمع به آحاد الاتحادية ، ولا يصرح بأمره لكل أحد ، ولم تشتهر كتبه الا بعد موته

---

(١) في الاصل : ابن العربي ، والصواب ابن عربي ، فرقاً بينه وبين ابن العربي القاضي المالكي .

بعدة . ولهذا تمادى أمره ، فلما كان على رأس السبعمائة ، جدد الله لهذه الأمة دينها بهتكه ، وفضيحته ، ودار بين العلماء كتابه « الفصوص » وقد حط عليه الشيخ القدوة الصالح ابراهيم بن معضاد الجعبري ، فيما حدثني به شيخنا ابن تيمية عن التاج البونباري ، أنه سمع الشيخ ابراهيم يذكر ابن عربي قال : كان يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجاً ، وساقه الذهبي في موضع آخر عن الجعبري بغير اسناد . قلت : ورأيت في جواب لشيخ الاسلام رحمه الله تعالى عن سؤال سئل فيه عن بيان حقيقة مذهب الاتحادية ، قال : حدثني تاج الدين البونباري الفقيه المصري الفاضل ، أنه سمع الشيخ ابراهيم الجعبري يقول : رأيت ابن عربي شيخاً مخضوب اللحية ، وهو شيخ نحس ، يكفر بكل كتاب أنزله الله ، وبكل نبي ارسله الله ، قال : وحدثني الشيخ رشيد الدين بن المعلم أنه قـال : كنت وأنا شاب بدمشق أسمع الناس يقولون عن ابن عربي والخسروشاهي ، إن كلاهما زنديق ، أو كلاماً هذا معناه . وحدثني الفقيه الفاضل تاج الدين البونباري أنه سمع الشيخ العارف ابراهيم الجعبري يقول : رأيت في منامي ابن عربي ، وابن الفارض ، وهما شيخان اعميان ، يمشيان ويقرآن ، ويقولان : كيف الطريق ؟ أين الطريق؟ وحدثني شهاب الدين بن مري ، عن شرف الدين ابن الشيخ نجم الدين ابن الحكم عن أبيه أنه قال : قدمت دمشق ، فصادفت موت ابن عربي فرأيت جنازته كأنما ذر عليها الرماد ، فرأيتها لا تشبه جنائز الاولياء، أوقال فعلمت ان هذه أو نحو هذا ، وعن أبيه عن الشيخ عن اسماعيل الكوراني أنه كان يقول : ابن عربي شيطان . ونقل الذهبي عن القدوة العارف العلامة شيخ الوقت ابراهيم الرقي أنه حذر من « الفصوص » وقال في موضع آخر : وممن حط عليه وحذر من كلامه الشيخ القدوة الولي ابراهيم الرقي. قال السخاوي :

ثم ظفرت في ترجمة محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحنبلي من « تاريخ الاسلام » نقلاً عن الرقي أنه قال في كلام ابن عربي ، وابن الفارض ، مثله مثل عسل أذيف فيه سم ، فيستعمله الشخص ويستلذ بالعسل وحلاوتـه ، ولايشعر بالسم ، فيسري فيه وهو لايشعر ، فلا يزال فيه حتى يهلكه. قال السخاوي : وكذا قال شيخنا المحب البغدادي الحنبلي فيما سمعه من البدر الدميري عن ابن الفارض أنه أخذ شهداً أدخل فيه سماً. قال السخاوي : أنبأني العز ابو محمد الحنفي رحمـه الله عن الصلاح أبي الصفا خليل ابن إيبك الصفدي أنه سمع الحافظ ابن سـيد الناس يقول : سمعت ابن دقيق العيـد يقول : سألت ابن عبد السلام عن ابن عربي فقال : شيخ سـوء كذاب ، يقول بقدم العالم ، ولايحرم فرجاً انتهى. وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : قال الفقيه أبو محمد بن عبد السلام لما قدم القاهرة وسألوه عنه فقال : هو شيخ سوء كذاب ، مقبوح ، يقول بقدم العـالم ، ولايحرم فرجاً. وقـال ابن مرزوق : حدثني غير واحد من أشياخنا عن شيخهم ، عز الدين بن عبد السلام أنه قال فيه : شيخ سوء كذاب ، وذكر ماسمعه مما يقتضي كذبه ، وأفتى هو وابن الحاجب بتكفيره. انتهى. قال السخاوي : أخبرناه باختصار أبو محمد اللخمي بمكة مشافهة. قال : أنبأ والدي أبو اسحق عن الحافظ ابي الفتح اليعمري فيما وجد بخطه قال : سمعت الامام الحافظ الزاهد العلامـة أبا الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري يقول : سمعت شيخنا الامام أبا محمد بن عبد السلام ، وجرى ذكر ابي عبد الله محمد بن عربي فقال : شيخ سـوء مقبوح كذاب. فقلت له : وكذاب أيضاً ؟ قـال : نعم ، تذاكرنا يوماً بمسجد الجامع بدمشق التزويج بجواري الجن ، فقال : هذا فرض محال ، لأن الإنس جنس كثيف ، والجن روح لطيف ، ولن يعلو

الجسم الكثيف الروح اللطيف ، ثم بعد قليل رأيته وبه شجة ، فسألته عن سببها ، فقال : تزوجت امرأة من الجن ، ورزقت منها ثلاثـة أولاد ، فاتفق أن تفاوضنا ، فأغضبتها ، فضربتني بعظم حصلت منه هـذه الشجة ، فانصرفت فلم أرها بعد هذا ، أو معناه . وقال الشمس ابن الجزري شيخ القراء : حدثني شيخنا الامام المصنف شيخ الاسلام الذي لم تر عيناي مثله عماد الدين بن ابي عمر ابن كثير من لفظه غير مرة قال : حدثني شيخ الاسلام العلامـة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي ، قال : حدثني الشيخ الامام العلامة شيخ الشيوخ قاضي القضاه علاء الدين علي بن اسماعيل القونوي قال: حدثني شيخ الاسلام قاضي القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد القائل في أواخر عمره: لي أربعون سنة ماتكلمت بكلمة إلا وأعددت لها جواباً بين يدي الله تعالى ، قال : سألت شيخنا سلطان العلماء عز الدين ابا محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي عن ابن عربي قال : شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجاً ، ثم قال ابن الجزري : كذا حدثني شيخنا ابن كثير من لفظه ، ورأيت ذلك في كلام الشيخ تقي الدين السبكي وفيه زيادة رواها بعضهم عن ابن عبد السلام ، وهي أنه وقع بيني وبينه يوماً كلاماً في وجود الجن ، فأنكر وجودهم ، ثم رأيته بعـد ذلك فقـال : رجعت عن ذلك القول ، واني قد تزوجت بجنية وولدت لي وغضبت علي يوماً فشجتني في وجهي ، وهذه الشجة منها ، وأشار الى وجهه انتهى . قال الذهبي : وممن أفتى بأن كتابه « الفصوص » فيه الكفر الاكبر قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، وقاضي القضاة سعدالدين مسعود الحارثي والعلامة زين الدين عمر بن أبي الحزم الكناني ، وجماعة سواهم. قال الذهبي :

ولقد اجتمعت بغير واحد ممن كان يقول بوحدة الوجود ثم رجع وجدد إسلامه، وبينوا أن مقاله هؤلاء: إن الوجود هو الله تعالى، وانه تعالى يظهر في الصورة المليحة والأشياء البديعة، تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً. وقال العلامه أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الغرناطي في تفسير سورة (المائدة) من كتابه «البحر المحيط» عند قوله تعالى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم) المائدة: ٧٢ ومن بعض اعتقادات النصارى، استنبط بعض من تستر بالاسلام وانتمى الى الصوفية، حلول الله تعالى في الصور الجميلة، ومن ذهب من ملاحدتهم الى القول بالاتحاد والوحدة، كالحلاج، والشوذي، وابن أجلى، وابن عربي المقيم بدمشق، وابن الفارض، وأتباع هؤلاء، كابن سبعين، والششتري تلميذه، وابن مطرف المقيم بـ «مرسية» والصفار المقتول بـ «غرناطة» وابن لباج، وأبو الحسن المقيم كان بـ «لورقة» وممن رأيناه يرمى بهذا المذهب الملعون العفيف التلمساني، وله في ذلك أشعار كثيرة. وابن عياش المالقي الأسود الأقطع، المقيم كان بـ «دمشق» وعبد الواحد بن المؤخر المقيم كان بـ «صعيد مصر» والأيكي العجمي الذي كان تولى المشيخة بـ «خانكان سعيد السعدا» بالقاهرة من ديار مصر، وأبو يعقوب بن مبشر، تلميذ الششتري المقيم كان بـ «حارة زويلة» بالقاهرة، وانما سردت أسماء هؤلاء نصحاً للدين، يعلم الله ذلك، وشفقة على ضعفاء المسلمين ليحذروهم، فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسوله، ويقولون بقدم العالم، وينكرون البعث، وقد أولع جماعة ممن ينتمي الى التصوف بتعظيم هؤلاء، وادعائهم أنهم صفوة الله وأولياؤه، والأمر فيهم كما ذكرت، والرد على النصارى والحلولية والقائلين بالوحدة، هو من علم أصول الدين. انتهى.

وقال السخاوي في « القول المنبي » نقلاً عن شيخ الاسلام سراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان البلقيني الشافعي : وقرأت بخطه على فتيا أيضاً مانصه : لم يكن هذا الفاجر المذكور يعني ابن عربي ، على الكتاب والسنة بل كان مخالفاً ، ولا يحل اعتقاد عقيدته ، ولا العمل بما يأتي به من الباطل ، وليس لكلامه ومعتقده الفاسد تأويل يقتضي موافقة الكتاب والسنة ، ومن اعتقد عقد الباطل ، أو تمسك به ، فليس على طريق الحق ، بل هو على طريق الباطل ، فيلزم من اعتقد ذلك ،أو تمسك به ،أن يتوب الى الله تعالى من كفره وإلحاده وزندقته ، فان تاب والا ضربت عنقه لزندقته . وقد كتبت على ذلك كراريس بالقاهرة ودمشق ، بينت فيها أنه أتى بأنـــواع من الكفر والالحاد والزندقة ، ولم يأت بها غيره ، فنعوذ بالله من طريقة هذا الشيطان ، ومن طريقة من اتبعه ، وأن يجنبنا ما ابتدعه ، والحال ماذكر ، والله تعالى أعلم بالصواب .

قال السخاوي : وسمعت شيخنا حافظ العصر ، فريد الدهر ، الشهاب أبا الفضل ، أحمد بن محمد العسقلاني المصري الشافعي المعروف[١] بابن حجر ،سمعته يقول مراراً:إنه جرى بيني وبين شخص يقال له:ابن الأمين من المحبين لابن عربي مناز عة كبيرة في أمر ابن عربي ،حتى نلت من ابن عربي لسوء مقالته ، فلم يسهل ذلك بالرجل المنازع لي في امره ، وكان بمصر شيخ يقال له : الشيخ صفا ، يعتقده الظاهر برقوق ، فهددني المذكور بأنه يغريه بي فيذكر للسلطان أن بمصر جماعة منهم فلان يذكرون الصالحين بالسوء ، ونحو ذلك فقلت : ما للسلطان في هذا مدخل ، لكن نتباهل أنا وإياك في امره ، لأنه

---

(١) في الاصل : عرف

قل مايتباهل اثنان فكان أحدهما كاذباً إلا وأصيب ، فأجاب للمباهلة . قال شيخنا فقلت له : قل : اللهم إن كان ابن عربي على ضلال فالعني بلعنتك ، فقال ذلك ، وقلت أنا : اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعني بلعنتك ، وافترقنا . قال : وكان يسكن الروضة : فاستضافه شخص من أبناء الجند جميل الصورة ، فحضر عنده لضيافتـــه ، ثم بدا له عدم المبيت عنـده ، وخرج في أول الليـــل ، وصحبه من يشيعه الى الشختور ، فلما رجع أحس بشيء مر على رجله ، فقال لأصحابه : مر على رجلي شيء ناعم ، فانظروا ، فلم يروا شيئاً ، ومارجع إلى منزله الا وقـــد عمي بصره ، وما أصبح الا ميتاً ؛ وكان ذلك في ذي القعدة ، سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، وكانت المباهلة في رمضان منها . قال : و كنت عند وقوع المباهلة ، عرفت من حضر ، أن من كان مبطلاً في المباهلة ، لا تمضي عليه السنة . انتهى . وقد حكاها القاضي التقي الفاسي في تصنيفه فقـــال : سمعت الحـــافظ شهاب الدين ابن حجر ، وذكر معناها ، وأنه كتبها له بخطه . قلت : وأحوال هذا الرجل ، وما أظهر من الكفريات والضلالات والزندقة كثير شهير ، ومن أراد استقصاء ذلك ، فليطالع كتاب « القول المنبي عن ترجمة ابن عربي » وفيما ذكرناه كفاية . ولقد أحسن العلامـــة شرف الدين أبو محمد اسماعيل ابن أبي بكر المقري اليمني الشافعي رحمه الله تعالى حيث يقول في منظومته الرائية التي سماها « الحجة الدامغة لرجال الفصوص الزائغة »

فقد حدثت في المسلمين حوادث ... كبار المعاصي عندها كالصغائر

حوتهن كتب حارب الله ربها ... وبها عز من عزبين الحواصه

تجاسر فيها ابن العرابي [1] واجترى ... على الله فيما قال كل التجاسر

فقال بأن الرب والعبد واحد ... فربي مربوب بغير تغاير

وأنكر تكليفاً إذ العبد عنده ... إله وعبد فهو إنكار جائر

وخطأ إلا من يرى الخلق صورة ... وهوية لله عند التناظر

وقال يحل الحق في كل صورة ... تجلى عليها فهي احدى المظاهر

وأنكر أن الله يغنى عن الورى ... ويغنون عنه لاستواء المقادر

كما ظل في التهليل يهزا بنفيه ... وإثباته مستجهلا للمغاير

وقال الذي ينفيه عين الذي أتى ... به مثبتاً لا غير عند التحاذر

فأفسد معنى ما به الناس أسلموا ... وألغاه الغابينات التهاتر

فسبحان رب العرش عما يقوله ... أعاديه من أمثال هذي الأكابر

وقال عذاب الله عذب وربنا ... ينعّم في نيرانه كل فاجر

وقال بأن الله لم يعص في الورى ... فما ثم محتاج لعاف وغافر

وقال مراد الله وفق لأمره ... فما كافر إلا مطيع الأوامر

وكل امرئ عند المهيمن مرتضى ... سعيد فما عاص لديه بخاسر

---

(١) يريد ابن عربي الطائي صاحب « الفصوص » وغيرها المليئة بالطامات. والاصل تنكيره (ابن عربي) وعرف ومد لضرورة الشعر.

وقال يموت الكافرون جميعهم — وقد آمنوا غير المفاجي المبادر
وما خص بالايمان فرعون وحده — لدى موته بل عم كل الكوافر
فكذبه يا هذا تكن خير مؤمن — وإلا فصدقه تكن شر كافر
وأثنى على من لم يجب نوح اذدعا — الى ترك ود أو سواع وناسر
وسمى جهولا من يطاوع أمره — على تركها قول الكفور المجاهر
ولم ير بالطوفان إغراق قومه — ورد على من قال رد المناكر
وقال بلى قد أغرقوا في معارف — من العلم والباري لهم خير ناصر
كما قال فازت عاد بالقرب واللقا — من الله في الدنيا وفي اليوم الاخر
وقد أخبر الباري بلعنته لهم — وإبعادهم فاعجب له من مكابر
وصدق فرعون وصحح قوله — أنا الرب الاعلى وارتضى كل ساحر
وأثنى على فرعون بالعلم والذكا — وقال لموسى عجلة المتبادر
وقال خليل الله في الذبح واهم — ورؤيا ابنه تحتاج تعبير عابر
ويعظم أهل الكفر والانبياء لا — يعاملهم الا بحط المقادر
ويثني على الاصنام خيراً ولا يرى — لها عابداً ممن عصى أمر آمر
وكم من جرآت على الله قالها — وتحريف آيات بسوء تفاسر
ولم يبق كفر لم يلابسه عامداً — ولم يتورط فيه غير محاذر

وقال سيأتينا من الصين خاتم   من الأولياء الأولياء الاكابر
له رتبة فوق النبي ورتبـة   له دونه فاعجب لهذا التنافر
فرتبته العليا يقول لأنـه   من التابعيه في الامور الظواهر
وقال اتباع المصطفى ليس واضعاً   لمقداره الأعلى وليس بحاقر
فان يدن عنه لاتباع فانه   يرى منه أعلام من وجوه أواخر
ترى خال نقصاً في (جوب)(١) اتباعه   لأحمد حتى جا بهذي المعاذر
فلا قدس الرحمن شخصاً يحبه   على ما يرى من قبح هذي المخابر
وقال بأن الانبياء جميعهم   بمشكاة هذا تستضيء في الدياجر

الى أن قال :

فهل أبصرت يا ابن الاحاير

بأكذب من هذا وأكفر في الورى   وأجرى على غشيان هذي البواطن
فلا يدعي من صدقوه ولاية   وقد ختمت فليؤ خذوا بالاقادر
فيا لعباد الله ما ثم ذو حجى   له بعض تمييز بقلب وناظر
اذا كان ذو كفر مطيعاً كمؤمن   ولا فرق فينا بين بر وفاجر
كما قال هذا إن كل أوامر   من الله جاءت فهي وفق المقادر
فلمْ بعثت رسل وسنت شرائع   وأنزل قرآن بهذي الزواجر

---

(١) زيادة لم تكن في الاصل . ولا يستقيم الوزن بدونها .

أيخلع منكم ربقة الدين عاقل   لقول غريق في الضلالة حائر
ويترك ما جاءت به الرسل من هدى   لاقوال هذا الفيلسوف المغادر
فيا محسني ظن بما في «فصوصه»   وما في «فتوحات الشرور» الدوائر
عليكم بدين الله لا تصبحوا غداً   مساعر نار قبحت من مساعر
فليس عذاب الله عذباً كمثل ما   يمنيكم بعض الشيوخ المدابر
ولكن أليم مثل ما قال ربنا   به الجلد ينضج ان يبدل بآخر
غداً تعلمون الصادق القول منهما   اذا لم يتوبوا اليوم علم مباشر
ويبدو لكم غير الذى يعدونكم   بأن عذاب الله ليس بضائر
ويحكم رب العرش بين محمد   ومن سن علم الباطن المتهاتر
ومن جا بدين مفتر غير دينه   فأهلك أغماراً به كالاباقر
فلا تخذلن المسلمين عن الهدى   وما للنبي المصطفى من مآثر
ولا تؤثروا غير النبي على النبي   فليس كنور الصبح ظلم الدياجر
دعوا كل ذي قول لقول محمد   فما آمن في دينه كمخاطر
وأمار جالات «الفصوص» فانهم   يعومون في بحر من الكفر ظاهر
إذا راح بالريح المتابع أحمدا   على هديه راحوا بصفقة خاسر
سيحكي لهم فرعون في دار خلده   باسلامه المقبول عند التحاور

ويا أيها الصوفي خف من «فصوصه» … خواتم سوء غيرها في الخناصر
فلاسفة باسم التصوف أبرزوا … عقائد كفر بالمهيمن ظـــاهر
كلام «الفصوص» احذره فهو كما ترى … وتسمع لا تعدل به كفر كافر
وحار به في الباري فقد ضل واعتدى … وكان على الاسلام أجور جائر
وفي بعض ما أمليته من كلامه … غنى بعضه كاف لأهل البصائر
ويا علماء الدين ما العذر في غد … من الله ان عو تبتمُ في التدابر
أما أخـــذ الميثاق في أن تبينوا … علومكمُ للناس عند التذاكر
وأوجب لعنا منه في معشر عصوا … ولم يتناهو عن فعال المناكر
يسب إله العرش فيكم وكلكم … حضور ألا لا قدست من محاضر
يقال بأن الرب عبد وعبده … هو الرب والتكليف ليس بظاهر
وان رسول الله يأتي وراءه … من الصين من يعلوه عند التفاخر
ويطرق سمعاً بينكم مثل هذه … ويهنيكم طعم الكرى في المحاجر
أيدعى بمحيي الدين هذا فتسكتوا … برئت الى الرحمن من كل غادر
أما لكمُ في الله والرسل غيرة … أما رجل منكم شديد المرائر
أعيذكم أن تسمعوا فيهم الاذى … وتبدون حلم الموجع المتصابر

فــان لم تصبكم في الإله حميــة وتفتوا بما دونتم في الدفاتر
وإلا فلا أبدت لكم صفحاتها ولا وضعت أقلامكم في المحابر
لمن تحفظون العلم أو تدخرونه اذا لم تقوموا عند هذي الجرائر
أفي الله أو في المصطفى ذو صداقة تحابونه اوذو وداد معاشر
وهل من عزيز عندكم تؤثرونه على الله والمختار عند التضافر
تباع وتقرا هذه الكتب فيكم وانتم سواء والذي في المقابر
فان قلتم لم تنه فينــا علومه فها أنا قد أنهيت هل من مبازر
أما أحرقت في مصر والشام كتبه باجماع أهل العلم باد وحاضر
أما رجعوا فيها الى ملك أرضهم فشــد لنصر الله عقد المآزر
وذب عن الدين الحنيفي بسيفه برغم عرانين الأنوف الصواغر
فما العذر إن لم تنهضوا وتناصروا على ما أمرتم عنده بالتناصر
وللطير في الخطب اجتماع وضجة فهل أنتم في الضعف دون العصافر

الى أن قال في مخاطبة بعض من حاوره في ابن عربي[1]

---

(١) في الاصل : ابن العربي بالتعريف ، وتنكيره أصوب .

فان قلت دين ابن العرابي[1] ديننا   وتكفيره تكفيرنا فالتحاذر
أقل إنك الآن المكفر نفسه   وأنت الذي ألقيتها في التهاتر
فذلك دين غير دين محمد   وكفر لجوج في الضلالة ماهر
أتى بمحال لو عقلت رفضته   وكنت له في الله أول هاجر
كلام كأقوال المجانين بشه   اليكم على جرف من الكفر هائر
أضل به من يقتفيه من الورى   فما منكم للمقتفين بعاذر
تجنيت لي ذنباً بذمي «فصوصكم»   وذلك عند الله إحدى ذخائري
هل الأمر بالمعروف عندك غيبة   وهل سب عرضاً من نهى عن مناكر

وهي طويلة نحو مائتين وثلاث وأربعين بيتاً .

وأما ابن سبعين ، فهو عبد الحق بن ابراهيم . قال : الذهبي في « تاريخ الإسلام » عبد الحق بن ابراهيم الشيخ الضال أبو محمد المريسي الصوفي الفيلسوف ، وله كلام في الحقيقة على طريقة الاتحاد ، مات بمكة سنة ٦٦٩ وسبب نزوله مكة أنه ظهر منه كلام أوجب للعلماء الفتوى بقتله ، فهرب إليها وأظهر لأبي نمي ، يعني الشريف صاحب مكة أشياء من السيمياء والكيمياء ، حتى صار عنده في الذروة ، وأحدث له ابن سبعين هذه الخطبة التي يخطب فيها المؤذن على قبة زمزم ، ويذكر نسبه الى علي بن أبي طالب

---

(١) عرف هنا ومد لضرورة الشعر

رضي الله عنه. وقال ابن سبعين لأبي نمي : دعني أخرب هذا الركن الاسود ، وأستخرج لك من تحته سراً ليس عند ملك مثله . قال : فحكاها لخطيب مكة ، فزاد فيها ، أنه قال : وأحفر داخل البيت عن دفائن وخبايا ، وكان يعيب الطائفين ويقول : لماذا يدور أحدهم حول البيت ؟! وكان يخرج إلى مفازة ظاهر مكة ، فيسجد للشمس ، وكان يسجد للقطب الشمالي ، ولما مات لم يشيعه إلا نفر قليل جداً ، فان الناس شكوا في أمره ، وظهر عنه أعمال من جنس السحر انتهى .

قال الذهبي : قلت : مازال ابن سبعين بحمد الله تعالى ممقوتاً عند علماء الإسلام ، إلا من كان على خبيث نحلته ، قال : والسبعينية ، فقهاء زنادقة ، يتركون الصلاة ، ويفعلون العظائم ، ولهم رموز وإشارات أكره أن أتفوه بها ، ثم قال : إن فتحنا باب التأويل عن المقالات والضلالات ، بطلت دواوين الملل والنحل ، لأن أبا حامد ذكر في « مشكاة الأنوار » فصلا في حال الحسين الحلاج ، وأخذ يعتذر عما صدر منه من الاطلاقات الكفرية ، وأقبل يحملها على محامل بعيدة . وقال هذا من شدة الوجد ، كما قيل :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

قال الذهبي : قلت : كان البدريون أشد حباً لله ، فما نطقوا بهذا ، وقد يقول العارف كلاماً لا بأس بالاعتذار عنه ، أما من يقول : ان هذا العالم هو حقيقة الله ، فهذا لعين والمسلم إذا تأمل كتب هؤلاء ، وأمعن النظر فيها ، حصل له ما لا يندفع أنهم فرقة مارقة عن الاسلام ، وأنهم يقولون : إن الخالق هو عين المخلوقين ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، لكن من لطف الله تعالى أن هؤلاء الباطنية خاملون لا يجسرون أن يعلنوا

جافكهم في مساجد الإسلام ، ولا في بلاد الكتاب والسنة ، فسل ربك الثبات على كلمة التقوى . انتهى كلامه .

وذكره ابن عبد الملك في «التكملة» وقال فيه : وكثر أتباعه على مذهبه[١] الذي كان يدعو إليه من التصوف ، نحلة ارتسموا بها من غير تحصيل لها ، وصنف في ذلك أوضاعاً كثيرة تلقوها منه ، ونقلوها عنه ، وبثوها في البلاد شرقاً وغرباً لا يخلى أحد منها بطائل ، وهي الى وساوس المخبولين ، وهذيان الممرورين ، أقرب منها الى منازع أهل العلم ، ولفظه[٢] غير بلد وصقع ، لما كان يرمى به من بلايا ، الله أعلم بحقيقتها ، ومطلع على سريرته فيها.

وتعقبه بعض علماء السنة من المغاربة فقال : كان ينبغي أن لا يثبته في مصنفه ، فانه لا ينبغي أن يذكر مع أهل العلم والتفسير ولا كرامة[٣] ولا والله مع أهل التوحيد .

وأما العفيف التلمساني ، فهو سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني الأديب . قال الذهبي : من فحول الشعراء وكبار الاتحادية ، يدعي العرفان ، له شعر رائق ، وكان كاتباً على سوق الغنم بدمشق ، له هيئة وحرمة ، وكان يتعاطى[٤] الخمر ويتماطخ بمعايب ، نسأل الله العفو ، وكان قد دخل الروم ، وعمل الخلوة ، وجاع ، وشرح « مواقف النفري »[٥] وهو القائل :

---

(١) في الاصل مذهبهم .

(٢) اللفظ : أن ترمي بشيء كان في فيك . ويقال : البحر يلفظ الشيء ، أي : يرمي به الى الساحل ، واللفظ ما لفظ ، أي : طرح ، والمعنى : لم يقبله غير بلد وصقع لما كان يرمى به (ابن سبعين) من البلايا .

(٣) في الاصل : ولا كره ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) في الاصل : يتغانى .

(٥) في الاصل : « مقامات النفري » وهو خطأ ، والتصويب من « الشذرات » و « الاعلام » .

الى الراح هبواحين تدعو المثالث فما الراح للارواح الا بواعث

هي الجوهر الصرف القديم فان بدت لها حبب[1] زينت بها وهو حادث

مات سنة ٦٠٩ وذكره أبو حيان فقال : ورأيت بالقاهرة العفيف أبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن ثابت الكوفي ، وكان يحضر عندي في بيتي في المدرسة الصالحية ، وينظر في شيء من النحو ، وأنشد لي قطعاً من شعره ، وكان قد تزوج بنت ابن سبعين ، وأولدها ولداً يسمى : محمداً ، وكان شاعراً ظريفاً ، ومات وهو شاب ، ولما حضر معنا للقراءة على الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأصبهاني ، سأله : من أنت ؟ فقال : أنا ابن مملوكك العفيف التلمساني ، فتبسم وقال : أنت عريق في الالوهية ، أمك بنت ابن سبعين ، وأبوك العفيف التلمساني وكان هذا التلمساني متقلباً في أحواله ، فتارة يكون شيخ زاوية ، وتارة يشتغل في ديوان الخدم ، قدم علينا القاهرة ، فنزل في « خانكاة سعيد السعدا » في ايالة شيخ الشيوخ إذ ذاك ، وأقام أشهراً ، ثم حكي عنه أنه حضر مجلس أنس ومعهم مغن مليح فشاع عنه أنه قبل المغني ، وقال : أنت الله ، فرمى الصبي الطار من يده ، ووجم لمقالة العفيف ، وأصبح أهل المجلس يتحدثون بما قاله العفيف ، فيخاف على نفسه ، وخرج فاراً قبل الظهر الى الشام .

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى : وحدثني الشيخ العالم العارف كمال الدين المراغي شيخ زمانه ، أنه لما قدم وبلغه كلام هؤلاء في التوحيد ، قال : قرأت على العفيف التلمساني من كلامهم شيئاً فرأيته

(١) في الاصل حيب . وهو خطأ .

مخالفاً للكتاب والسنة ، فلما ذكرت ذلك له قال : القرآن ليس فيه توحيد ، بل القرآن كله شرك ، ومن اتبع القرآن لم يصل الى التوحيد ، قال : قلت له : ما الفرق عندكم بين الزوجة والأجنبية والأخت ، الكل واحد ؟ قال : لا فرق بين ذلك عندنا ، وانما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراماً . فقلنا : هو حرام عليهم عندهم ، وأما عندنا فما ثم حرام . وحدثني كمال الدين ابن المراغي أنه لما تحدث مع التلمساني في هذا المذكور ؛ قال : وكنت أقرأ عليه في ذلك ، فانهم كانوا قد عظموه عندنا ، ونحن مشتاقون الى معرفة « فصوص الحكم » فلما صار يشرحه الي أقول ، هذا خلاف القرآن والاحاديث ، فقال : ارم هذا كله خلف الباب ، واحضر بقلب صاف حتى تتلقى هذا التوحيد ؛ أو كما قال : ثم خاف أن أشيع ذلك عنه ، فجاء إلي باكياً وقال : استر عني ما سمعته مني .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في قدوم ركب اخر

وأتى فريق ثم قال وجدته بالذات موجوداً بكل مكان
هو كالهواء بعينه لا عينه ملأ الخلو ولا يرى بعيان
والقوم ما صانوه عن بئر ولا قبر ولا حش ولا أعطان

بل منهم من قــد رأى تشبيهه ... بالروح داخل هـذه الأبدان

مافيهم من قـال ليس بـداخل ... أو خارج عن جملة الاكوان

لكنهم حاموا على هـذا ولم ... يتجاسروا من عسكر الايمان

وعليهم رد الأئمـة أحمـد ... وصحابه من كل ذي عرفان

فهم الخصوم لكل صاحب سنة ... وهم الخصوم لمنزل القرآن

ولهم مقالات ذكرت اصولها ... لما ذكرت الجهم في الاوزان

أقول: هذا الذي ذكره الناظم، هو قول النجارية، وهو أن الله تعالى بذاته في كل مكان، وأما الجهمية الفحول، فهم يقولون: إنـه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه، ولهذا قال الناظم: وعليهم رد الأئمة أحمد الخ. أي، ان كلام الامام أحمد وأصحابه انما هو في الرد على القائلين بأن الله في كل مكان.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب «الايمان»: كلام السلف كان فيما يظهر لهم ويصل اليهم من كلام أهل البدع، كما تجدهم في الجهمية انما يحكون عنهم أن الله في كل مكان، وهذا قول طائفـة منهم، كالنجارية، وهو قول عوامهم، وعبادهم، وأما جمهور نظارهم من الجهمية والمعتزلة والضرارية وغيرهم، فانما يقولون: هو لا داخل العالم ولا خارجه، ولا هو فوق العالم. انتهى.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فصل

في قدوم ركب آخر

وأتى فريق ثم قارب وصفه	هذا ولكن جد في الكفران
فأسر قول معطل ومكذب	في قالب التنزيه للرحمن
إذ قال ليس بداخل فينا ولا	هو خارج عن جملة الأكوان
بل قال ليس ببائن عنها ولا	فيها ولا هو عينها ببيان
كلا ولا فوق السموات العلى	والعرش من رب ولا رحمن
والعرش ليس عليه معبود سوى	العدم الذي لا شيء في الأعيان
بل حظه من ربه حظ الثرى	منه وحظ قواعد البنيان
لو كان فوق العرش كان كهذه الـ	أجسام سبحان العظيم الشان
ولقد وجدت لفاضل منهم مقا	ماً قامه في الناس منذ زمان
قال اسمعوا ياقوم إن نبيكم	قد قال قولاً واضح البرهان
لاتحكموا بالفضل لي أصلاً على	ذي النون يونس ذلك الغضبان

هذا يرد على المجسم على قولـه　　الله فوق العرش والاكوان
ويدل ان إلهنا سبحانـــه　　وبحمده يلقى بكل مكان
قالوا له بين لنا هـــذا فلم　　يفعل فأعطوه من الأثمان
ألفاً من الذهب العتيق فقال في　　تبيانه فاسمع لذا التبيان
قد كان يونس في قرار البحر تحـــت الماء في قبر من الحيتان
ومحمد صعد السماء وجاوز السـ　　ـبع الطباق وجاز كل عنان
وكلاهما في قربه من ربـــه　　سبحانه إذ ذاك مستويان
فالعلو والسفل اللذان كلاهما　　في بعده من ضده طرفان
إن ينسبا لله نزه عنهما　　بالاختصاص بلى هما سيان
في قرب من أضحى مقيما فيهما　　من ربه فكلاهما مثلان
فلأجل هذا خص يونس دونهم　　بالذكر تحقيقاً لهذا الشان
فأتى النثار عليه من أصحابه　　من كل ناحية بلا حسبان
فاحمد إلهك أيها السني اذ　　عافاك من تحريف ذي بهتان
والله ما يرضى بهذا خائف　　من ربه أمسى على الايمان
هذا هو الالحاد حقاً بل هو التـ　　ـحريف محضاً أبرد الهذيان
والله ما بلي المجسم قط ذي الـ　　ـبلوى ولا أمسى بذي الخذلان

أمثال ذا التاويل أفسد هذه الـ أديـان حين سرى الى الأديان
والله لولا الله حـافظ دينـه لتهدمت منه قوى الاركان

أقول : هذا الركب هم الأشاعرة ، وقوله : ولقد وجدت لفاضل منهم الخ .. هذا الفاضل هو الامام أبو المعالي عبد الملك ابن أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني إمام الحرمين . مولده كما في « الـكامل » سنة عشر وأربعمائة وفي « تاريخ ابن ابي الدم « سنة تسع عشرة وأربعمائة»، إمام العلماء في وقته فحل المذهب ، سافر الى بغداد ، ثم الى الحجاز ، وأقام بمكة والمدينة أربع سنين يدرس ويفتي ويصنف ، وأم في الحرمين الشريفين ، وبذلك لقب ، ثم رجع الى نيسابور ، وجعل اليه الخطابة ومجلس الذكر والتدريس ثلاثين سنة ، وحظي عند نظام الملك . ومن تلاميذه الغزالي ، وأبو القاسم الأنصاري ، وأبو الحسن علي بن محمد الطبري الكيا الهراسي ، وادعى إمام الحرمين الاجتهاد المطلق ، لأن أركانه حاصلة له ، ثم عـــاد إلى اللائق به ، وتقليد الامام الشافعي . ولما مرض حمل الى قرية موصوفة باعتدال الهوى وخفة الماء اسمها « بشتقان » فمات بها ونقل الى نيسـابور تلك الليلة ، ودفن من الغد في داره ، ثم نقل بعد ست سنين الى مقبرة الحسين ، فدفن بجنب أبيه ، وصلى عليه ولده أبو القاسم ، فاغلقت الاسواق يوم موته ، و كسر منبره في الجامع ، وقعد الناس لعزائه ، ورثوه كثيراً ، ومنه :

قلوب العالمين على المقـالي وأيام الورى شبه الليالي
أيثمر غصن أهل الفضل يوماً وقدمات الامام أبو المعالي

وكانت تلامذته يومئذ نحو أربعمائة . ومن مصنفاته « نهـاية المطلب في دراية المذهب » و « الشامل » و« الارشــاد » كلاهما في أَصول الدين ، و « الرسالة النظامية في الأركان الاسلامية » و « البرهان » في أصول الفقه. وغيرها توفي رحمه الله تعالى في ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأَربعمائة .

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في كتاب « النبلاء » في ترجمة الامام ابي المعالي ، كان هذا الامام مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب وقوة مناظرته ، لا يدري الحديث كما يليق به ، لا متنا ولا إسناداً ذكر في كتاب البرهان حديث معاذ في القياس ، فقال : هو مدون في الصحاح ، متفق على صحته . قلت : بل مداره على الحارث ابن عمرو ، وفيه جهالة عن رجال من أهل حمص ، عن معـاذ ، فاسناده صالح . انتهى .

وقصة مقامه المذكور ذكرها الامام ابو عبد الله القرطبي رحمـه الله تعالى في « تذكرته » فقال : فصل : قوله ﷺ « ومن قال أنا خير من يونس بن متي فقد كذب »[١] للعلماء فيه تأويلات ، أحسنها وأجملها ما ذكره القاضي أبو بكر ابن العربي . قال : اخبرني غير واحد من أصحابنا عن إمــام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، أنه سئل هل الباري في جهة ؟ فقال : لا ، هو يتعالى عن ذلك . قيل له : فما الدليل عليه؟ قال : الدليل عليه قول النبي ﷺ : « لا تفضلوني على يونس بن متى »[٢] فقيل له : ما وجه الدليل من هــذا الخبر ؟ فقال : لا أقوله حتى يأخـذ ضيفي هذا الف دينار يقضي بها ديناً ، فقام رجلان فقالا : هي علينا ،

---

(١) في البخاري بلفظ : « لا ينبغي لعبد ان يقول : انا خير من يونس بن متى » .

(٢) رواه البخاري بلفظ : « ولا اقول : إن احداً افضل من يونس بن متى » .

فقال : لا يتبع بها اثنين ، لأنه يشق عليه ، فقال واحد: هي علي. فقال : إن يونس بن متى ﷺ رمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت ، وصار في قعر البحر في ظلمـات ثلاثة ، ونادى (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) الأنبياء : ٨٧ كما أخبر الله ، ولم يكن محمد حين جلس على الرفرف الأخضر ، وارتقى به صعداً حتى انتهى به الى موضع يسمع فيه صريف الأقلام ، وناجاه ربه بما ناجى به ، وأوحى اليه ما أوحى ؛ بأقرب الى الله من يونس في ظلمة البحر . انتهى سياق القرطبي .

قلت ، كان هذا الامام مع فرط ذكائه وغزارة علمه تتلون آراؤه ، ففي كتاب « الشامل » و كتاب « الارشاد » مشى على تأويل الصفات الخبرية ، وفي كتاب « الرسالة النظامية » مشى على ان التأويل محرم . قال في « الرسالة النظامية » : اختلف مسالك العلماء في هـذه الظواهر ، فرأى بعضهم تأويلها ، والتزم ذلك في آي الكتاب ، ومايصح من السنن. وذهب أئمة السلف الى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها الى الرب عز وجل. والذي نرتضيه ديناً ، وندين الله به عقيدة ، اتباع سلف الأمة ، والدليل القاطع السمعي في ذلك ، وأن إجماع الأمة حجة متبعة . فلو كان تأويل هـذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة . واذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الاضراب عن التأويل ، كان ذلك هو الوجه المتبع ، فلتجر آية الاستواء ، وآية المجيء ، وقـوله : (لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ على ذلك .

قال الحافظ الذهبي في كتاب « العلو » قال الحافظ الحجة عبد القادر الرهاوي : سمعت عبد الرحيم ابن أبي الوفاء الحاجي يقول : سمعت محمد بن

طاهر المقدسي يقول : سمعت الأديب أبا الحسن القيرواني بنيسابور : يقول - وكان يختلف إلى دروس الاستاذ ابي المعالي الجويني ، يقرأ عليه الكلام يقول - : سمعت الاستاذ أبا المعالي اليوم يقول : ياأصحابنا لاتشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى مابلغ ، مااشتغلت به . وقال الفقيه أبو عبد الله الرستمي الذي أجاز لكريمة : حكى لنا الامام أبو الفتح محمد بن علي الفقيه قال : دخلنا على الامام أبي المعالي الجويني نعوده في مرض موته ، فقعد ،فقال لنا : اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها ما قال السلف الصالح ، وإني أموت على ماتموت عليه عجائز نيسابور . قال أبو منصور بن الوليد الحافظ في رسالة له إلى الزنجاني : أنبأ عبد القادر الحافظ بحران ، أنبأ الحافظ أبو العلاء ، أنبأ أبو جعفر بن أبي علي الحافظ قال : سمعت أبا المعالي الجويني وقد سئل عن قوله عز وجل (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ فقال : كان الله ولا عرش ؛ وجعل يتخبط في الكلام ، فقلت : قد علمنا ماأشرت اليه ، فهل عندك للضرورات من حيلة ؟ فقال ماتريد بهذا القول ؛ وما تعني بهذه الإشارة ؟ فقلت : ماقال عارف قط : يارباه ؛ إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه قصد لايلتفت يمنة ولا يسرة ، يقصد الفوق ، فهل لهذا القصد الضروري عندك حيلة ؟ فنبئنا نتخلص من الفوق والتحت ، وبكيت وبكى الخلق ، فضرب الأستاذ بكمه على السرير وصاح بالحيرة ، وخرق ما كان عليه ، وصارت قيامة في المسجد ، ونزل ولم يجبني إلا : ياحبيبي الحيرة الحيرة ، والدهشة الدهشة ، فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون :

سمعناه يقول : حيرني الهمذاني . توفي إمام الحرمين في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وله ستون سنة ، وكان من بحور العلم في الاصول والفروع ، يتوقد ذكاء ، لكن قول الناظم يرحمه الله تعالى عن امام الحرمين في حكاية مذهبه :ويدل أن إلهنا سبحانه وبحمده يلقى بكل مكان ؛فيه نظر ،فان القول بان الله تعالى في كل مكان هو قول النجارية . وأما الاشاعرة ، فقولهم : إن الله تعالى لاداخل العالم ولاخارجه ، ولافوقه ولاتحته ، ولايوصف بأن له مكاناً ؛ فضلاً عن أن يقال : إنه بكل مكان ؛ كما ذكره الناظم رحمه الله تعالى في أول الأبيات .ولهذا ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في التسعينية قال : لما نوظر ابن فورك قدام محمود بن سبكتكين أمير المشرق ؛ فقيل له : لووصف المعدوم لم يوصف الابما وصفت به الرب ، من كونه لاداخل العالم ولاخارجه ، كتب الى أبي اسحاق الاسفراييني في ذلك ولم يكن جوابهم إلا أنه لو كان خارج العالم ، للزم أن يكون جسماً .انتهى.

قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

فصل
في قدوم ركب آخر

واتى فريق ثم قارب وصفه ... هذا وزاد عليه في الميزان

قال اسمعوا ياقوم لا تلهيكم ... هذي الأماني هن شر أماني

أتعبت راحلتي وكلت مهجتي   وبذلت مجهودي وقد أعياني

فتشت فوق وتحت ثم أمامنا   ووراء ثم يسار مع أيمان

ما دلني أحد عليه هنا كمُ   كلا ولا بشر إليه هداني

الاطوائف بالحديث تمسكت   تعزى مذاهبها الى القرآن

قالوا الذي نبغيه فوق عباده   فوق السماء وفوق كل مكان

وهو الذي حقاً على العرش استوى   لكنه استولى على الأكوان

واليه يصعد كل قول طيب   واليه يرفع سعي ذي الشكران

والروح والأملاك منه تنزلت   واليه تعرج عند كل أوان

واليه أيدي السائلين توجهت   نحو العلو بفطرة الرحمن

واليه قد عرج الرسول فقدرت   من قربه من ربه قوسان

واليه قد رفع المسيح حقيقة   ولسوف ينزل كي يرى بعيان

واليه تصعد روح كل مصدق   عند المهات فتنثني بأمان

واليه آمال العباد توجهت   نحو العلو بلا تواص ثان

بل فطرة الله التي لم يفطروا   الا عليها الخلق والثقلان

يشير الناظم رحمه الله تعالى إلى ان هذا الركب أقروا بما دل عليه الكتاب والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، من العقائد التي تضمنها

هذا الفصل ؛ وذكر نصوص الفوقية ، والعلو ، والاستواء ، والصعود ، كقوله تعالى : (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ (ثم استوى الى السماء) فصلت : ١١ وقوله تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠ وقوله تعالى : (تعرج الملائكة والروح اليه) المعارج : ٤ وقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر. سلام هي حتى مطلع الفجر) القدر : ٤،٥ وذكر معراج الرسول ﷺ إلى الله الذي تواترت به الأحاديث ، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها . عن أنس ان مالك بن صعصعة حدثه أن نبي الله حدثه عن ليلة أسري به قال : «بينما أنا في الحطيم ـ وربما قال قتادة في الحجر ـ مضطجعاً[1] إذ أتاني آت »فذكر الحديث ، وفيه قال « ثم أتيت بدابة دون البغل ، وفوق الحمار أبيض يقع خطوه عند أقصى[2] طرفه ، قال : فحملت عليه ، فانطلق بي جبريل حتى أتى بي السماء الدنيا ، فاستفتح ، فقيل من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت ، إذا فيها آدم . قال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ، قال : ثم صعد حتى أتى

---

(١) في الاصل : مضجع ، وهو خطأ ، والتصحيح من « صحيح البخاري »

(٢) في الاصل : عند انقضى ، وهو خطأ ، والتصحيح من « صحيح البخاري »

وفي « صحيح مسلم » « منتهى طرفه » .

السماء الثانية « فاستفتح . قيل : من هـذا ؟ قـال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت فاذا يحي وعيسى وهما ابنا الخالة . قال : هذا يحي وعيسى ، فسلم عليهما ؛ فسلمت ، فردا السلام ، وقالا : مرحباً بالاخ الصالح ، والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة ، فاستفتح . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت إذا يوسف . قال : هذا يوسف فسلم عليه . فسلمت عليه ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت فاذا ادريس قال : هذ ادريس ؛ فسلم عليه ؛ فسلمت عليه ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح : قال : ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ، قال : نعم . قال : مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت فاذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه ، فرد السلام ، قـال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح . قيل : من هـذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسـل اليه ؟ قال : نعم . قال : مرحبـاً به ونعم المجيء جاء ، ففتح . فلما خلصت فـاذا أنا بموسى قال : هذا موسى فسلم عليه . فسلمت فرد السلام ؛ ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ؛ والنبي الصالح . قال : فلما تجاوزت بكى . فقيل : مايبكيك ؟

قال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من أمتي ، ثم صعد حتى أتى السماء السابعة ، فاستفتح . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال: نعم . قال : مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا ابراهيم، فسلم عليه ؛ قال: فسلمت ، فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . قال: ثم رفعت الى سدرة المنتهى ، ثم رفع لي البيت المعمور . قال : ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة في كل يوم ؛ فرجعت ؛ فمررت على موسى . فقال : بم أمرت ؟ فقلت : بخمسين صلاة كل يوم . قال : إن امتك لاتستطيع خمسين صلاة ؛ وإني قد خبرت الناس قبلك ؛ وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت ؛ فوضع عني عشراً ؛ فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت ؟ قلت: بأربعين صلاة كل يوم . قال: إن أمتك لاتستطيع أربعين صلاة كل يوم ؛ وإني قد خبرت الناس قبلك ؛ وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فوضع عني عشراً أخر ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت ؟ قلت : أمرت بثلاثين صلاة كل يوم . قال ان أمتك لاتستطيع ثلاثين صلاة كل يوم ، وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فوضع عني عشراً أخر ، فرجعت إلى موسى . فقال بم أمرت ؟

---

(١) في صحيح البخاري جربت ، حيث وردت ، وفي « صحيح مسلم » فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم.

قلت : بعشرين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لاتستطيع عشرين صلاة كل يوم ، واني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت الى موسى ، فقال : بم أمرت ؟ فقلت : بعشر صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لاتستطيع عشر صلوات كل يوم . وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى ، فقال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم ؛ وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة . قلت : قد سألت ربي حتى استحييت ، ولكني أرضى وأسلم . فلما نفذت ، نادى مناد : قد أنفذت فريضتي ، وخففت عن عبادي » متفق عليه . قال النووي رحمه الله في « شرح مسلم » نقلاً عن القاضي عياض : الحق الذي عليه أكثر الناس ، ومعظم السلف ، وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ، أنه أسرى بجسده ﷺ ، والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ، ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل ، ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل , انتهى .

قوله : فقدرت من قربه من ربه قوسان . يشير إلى قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى) النجم : ٨،٩ وهذا على أحد

التفسيرين في الآية ، وأن الرب عز وجل هو الذي دنا فتدلى[١] وسيأتي بسط الكلام على ذلك في شرح الدليل الخامس من أدلة علو الرب تعالى فوق خلقه . والله اعلم . وقال تعالى في حق المسيح صلوات الله عليه : (بل رفعه الله اليه) النساء :١٥٨ الاية .

وقوله : واليه تصعد روح كل مصدق الخ ... يعني أن روح المؤمن المصدق تصعد الى الله بعد الموت .وقد روى ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو ابن عطاء عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إن الميت تحضره الملائكة ، فاذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجي أيتها النفس

---

(١) الحق أن الضمير في قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى) يعود على جبريل عليه السلام ، لا على الله تعالى . وهو الذي يفهم من الآيات المتقدمة (ان هو إلا وحي يوحي . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى) لأن الوحي إنما هو بواسطة جبريل ، وكذلك ثبت في «الصحيحين» عن عائشة أم المؤمنين ، وابن مسعود ، وهو كذلك في « صحيح مسلم » عن ابي هريرة ، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بها . وما جاء في «صحيح البخاري من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس بن مالك في حديث الاسراء : « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى » فقد تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية . وذكروا أشياء فيها من الغرابة وأن شريك بن عبد الله بن ابي نمر اضطرب في هذا الحديث ، وساء حفظه ولم يضبطه . وقال الحافظ البيهقي : في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم انه صلى الله عليه وسلم رأى الله عز وجل ، يعني قوله « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى » قال : وقول عائشة وابن مسعود وابي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصح . وهذا الذي قاله الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى هو الحق . ومن شاء الزيادة على ذلك فليرجع الى « تفسير ابن كثير » في أول سورة (الاسراء) وعند قوله تعالى ثم دنا فتدلى من سورة (النجم) .

الطيبـــة كانت في الجسد الطيب ، أبشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، فلا يزال يقـــال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها الى السماء ، فيستفتح لها ، فيقال من هذا ؟ فيقال : فلان، فيقال : مرحباً بالنفس الطيبة فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها الى السماء التي فيها الله تعالى . وذكر الحديث . رواه أحمد في « مسنده » والحاكم في « مستدركه » وقال : هو على شرط البخاري ومسلم . ورواه أئمة عن ابن أبي ذئب .

وقوله : فتنثني بأمان . يشير إلى مافي حديث البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس وجلسنا حوله كأن على أكتافنا فلق الصخر ، وعلى رؤوسنا الطـــير ، فأزم قليلاً - والازمام : السكوت - فلما رفع رأسه قال : « إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة ودبر من الدنيا ، نزل عليه ملائكة من السماء ، معهم حنوط من الجنة ، و كفن من الجنة ، فيجلسون منه مد بصره ، وجاءه ملك الموت ، فجلس عند رأسه ، ثم يقول : اخرجي أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه ، فتسيل نفسه كما تقطر القطرة من السقاء ، فاذا خرجت نفسه ،صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض ، إلا الثقلين . ثم يصعد به الى السماء ، فتفتح له السماء ، ويشيعه مقربوها الى السماء الثانية، والثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة ، الى العرش مقربو كل سماء ، فاذا انتهى إلى العرش ، كتب كتابه في عليين ، فيقول الرب عز وجل : ردوا عبدي الى مضجعه ، فاني وعدتهم أني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة اخرى ، فـــيرد إلى مضجعه وذكر الحديث(١) .

قوله : واليه آمال العباد توجهت الخ... عن سلمان الفارسي قال : قال

(١) وهو حديث صحيح .

رسول الله ﷺ : إن ربكم حيي كريم . يستحي من عبده إذا رفع يديه اليه يدعو أن يردهما صفراً ليس فيهما شيء »(١) هذا حديث مشهور .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ونظير هذا أنهم فطروا على إقرارهم لا شك بالديان

لكن أولو التعطيل منهم أصبحوا مرضى بداء الجهل والخذلان

فسألت عنهم رفقتي وأحبتي أصحاب جهم حزب جنكسخان

من هؤلاء ومن يقال لهم فقد جاؤوا بأمر مالئ الآذان

ولهم علينا صولة ماصالها ذو باطل بل صاحب البرهان

أو ما سمعتم قولهم وكلامهم مثل الصواغر ليس ذا لجبان

جاؤوكم من فوقكم وأتيتم من تحتهم ما أنتم نسيان

جاؤوكم بالوحي لكن جئتم بنحاتة الأفكار والأذهان

قال في « القاموس » نحته ينحته كيضربه وينصره ويعلمه : براه والنحاتة بالضم : البراية .

قالوا مشبهة مجسمة فلا تسمع مقال مجسم حيوان

والعنهم لعناً كبيراً واغزهم بعساكر التعطيل غير جبان

---

(١) رواه احمد ، وابو داود ، والترمذي وقال : حسن غريب ، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : سنده جيد .

واحكم بسفك دمائهم وبحبسهم أولا فشردهم عن الأوطان

حذر صحابك منهم فهم أضل من اليهود وعابدي الصلبان

واحذر تجادلهم بقال الله أو قال الرسول فتنثني بهوان

أني وهم أولى به قد أنفذوا فيه قوى الأذهان والأبدان

فاذا ابتليت بهم فغالطهم على التـ أويل للأخبار والقرآن

وكذاك غالطهم على التكذيب للـ آحاد ذا ولصحبنا أصلان

أوصى بـه أشياخنا أشياخهم فاحفظها بيديك والأسنان

واذا اجتمعت وهم بمشهد مجلس فابدر بايراد وشغل زمان

لا يملكوه عليك بالآثار والـ أخبار والتفسير للفرقان

فتصير إن وافقت مثلهم وان عارضت زنديقاً أخا كفران

واذا سكت يقال هذا جاهل فابدر ولو بالفشر والهذيان

الفشار الذي تستعمله العامة، بمعنى الهذيان، ليس من كلام العرب، قاله في « القاموس » .

هذا الذي أوصى به أشياخنا في سالف الاوقات والازمان

فرجعت من سفري وقلت لصاحبي ومطيتي قد آذنت بحران

قال في « القاموس » : حرنت الدابة كنصر وكرم، حرانا

بالكسر والضم ، فهي حرون ، وهي التي اذا استدر جريها وقفت ، خاص بذوات الحافر .

عطل ركابك واسترح من سيرها ما ثم شيء غير ذي الاكوان

لو كان للأكوان رب خالق كان المجسم صاحب البرهان

او كان رب بائن عن ذي الورى كان المجسم صاحب الايمان

ولكان عند الناس أولى الخلق بالـإسلام والإيمان والإحسان

ولكان هذا الحزب فوق رؤوسهم لم يختلف منهم عليه اثنان

أي لو كانت هذه الأقوال حقاً وهي اعتقاد المجسمة بزعمهم ، لكانوا عند الله أولى بالاسلام والايمان والاحسان ، ولكان هذا الحزب فوق رؤوس الناس ، ولأجمعوا على أنهم أهل الحق ولم يختلف منهم اثنان .

فدع التكاليف التي حملتها واخلع عذارك وارم بالارسان

خلعُ العذار كناية .

ما ثم فوق العرش من رب ولم يتكلم الرحمن بالقرآن

لو كان فوق العرش رب ناظر لزم التحيز وافتقار مكان

أي لو نقول بأن الله فوق العرش ، لزم أن يكون متحيزاً يكون له مكان .

لو كان ذا القرآن عين كلامه حرفاً وصوتاً كان ذا جثمان

فاذا انتفى هذا وهذا ما الذي يبقى على ذا النفي من إيمان

أي إذا نفوا علو الله سبحانه فوق عرشه ونفوا أن يكون هـذا القرآن عين كلام الرب سبحانه ، فكيف بقاء الايمان مع ذلك ؟!

فدع الحلال مع الحرام لأهله فهما السـياج لهم على البستان
فاخرقه ثم ادخل ترى في ضمنه قد هيئت لك سـائر الالوان
وترى بها مـا لا يراه محجب من كل ما تهوى به زوجـان

قال في « القاموس » : سياج ككتاب الحائط ، ومـا أحيط به على شيء ، مثل النخل والكرم ، وقد سيج حائطه تسييجاً .

واقطع علائقك التي قد قيدت هذا الورى من سالف الازمان
لتصير حراً لست تحت أوامر كلا ولا نهي ولا فرقان
لكن جعلت حجاب نفسك إذ ترى فوق السما للنـاس من ديان
لو قلت مـا فوق السماء مدبر والعرش تخليـه من الرحمن
والله ليس مكلما لعبـاده كلا ولا متكلما بقران
ما قـال قط ولا يقول ولا له قول بـدا منه الى إنسـان
لحللت طلسمه وفزت بكنزه وعلمت أن الناس في هذيان

قوله : منه بدا . قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمـه الله تعالى في « شرح عقيدة الاصفهاني » : قد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به ، وأن كلامه تعالى غير مخلوق ، وانكروا على الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم في قولهم . إن كلامه تعالى مخلوق ، خلقه

في غيره وأنه كلم موسى بكلام خلقه في الشجرة، فكلم جبريل بكلام خلقه في الهواء، واتفق أئمة السلف على أن كلام الله منزل غير مخلوق؛ منه بدأ وإليه يعود. قال: ومعنى قولهم: منه بدأ. أي: هو المتكلم به، لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم بأنه بدأ من بعض المخلوقات؛ وأنه سبحانه لم يقم به كلام. قال: ولم يرد عن السلف أنه كلام فارق ذاته؛ فان الكلام وغيره من الصفات لا يفارق الموصوف؛ بل صفة المخلوق لا تفارقه، وتنتقل الى غيره؛ فكيف صفة الخالق تفارقه وتنتقل إلى غيره؟! ولهذا قال الامام أحمد: كلام الله ليس ببائن منه.

قال شيخ الاسلام: ومعنى قول السلف: واليه يعود، ماجاء في الآثار أن القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف، ولا في القلوب منه آية. وماجاءت به الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين لهم بإحسان وغيرهم من أئمة المسلمين، كالحديث الذي رواه الامام احمد في «المسند» وكتبه الى المتوكل في رسالته التي أرسل بها اليه عن النبي ﷺ أنه قال: «ماتقرب العباد الى الله بمثل ماخرج منه» يعني القرآن. وفي لفظ «أحب اليه مما خرج منه» وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام مسيلمة: إن هذا كلام لم يخرج من إل. أي: من رب. وقول ابن عباس رضى الله عنهما لما سمع قائلًا يقول لميت لما وضع في لحده: اللهم رب القرآن، اغفر له. فالتفت اليه ابن عباس رضي الله عنهما فقال: مه، القرآن كلام الله، ليس بمربوب، منه بدأ، واليه يعود. وهذا الكلام معروف عن ابن عباس، وقول السلف: القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ، واليه يعود، كما استفاضت الآثار عنهم بذلك، كما هو منقول عنهم في الكتب المسطورة بالأسانيد المشهورة.

قال شيخ الاسلام في « شرح الاصفهانية » : وهذه الروايات لايدل شيء منها على أن الكلام يفارق المتكلم ، وينتقل الى غيره ، وانما تدل على ان الله هو المتكلم بالقرآن ـ ومنه سمع ـ لا أنه خلقه في غيره ، كما فسره بذلك الامام أحمد وغيره من الأئمة .

قال ابوبكر الخلال : سئل الامام أحمد عن قوله : القرآن كلام الله ، منه خرج ، وإليه يعود ، يعني ماقدمنا .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكن زعمت بان ربك بائن ... من خلقه إذ قلت موجودان

وزعمت أن الله فوق العرش والـ ... ـكرسي حقاً فوقه القدمان

وزعمت أن الله يسمع خلقه ... ويراهم من فوق ست ثمان

وزعمت أن كلامه منه بـدا ... وإليه يرجع آخر الأزمـان

ووصفته بارادة وبقـدرة ... وكراهة ومحبـة وحنان

ووصفته بالسمع والبصر الذي ... لاينبغي إلا لذي الجثمان

وزعمت أن الله يعلم كل مـا ... في الكون من سر ومن إعلان

والعلم وصف زائد عن ذاته ... عرض[1] يقوم بغير ذي جثمان

وزعمت أن الله كلم عبـده ... موسى فأسمعه نـدا الرحمن

أفتسمع الآذان غير الحرف والـ ... ـصوت الذي خصت به الأذنان

وكذا النداء فانه صوت باتـ ... ـفاق النحاة واهل كل لسـان

لكنه صوت رفيع وهو ضـد للنجاء كلاهما صوتان

---

(1) في الاصل عرضاً .

فزعمت ان الله ناداه ونا جاه وفي ذا الزعم محذوران

قرب المكان وبعده والصوت بل نوعاه محذوران ممتنعان

قوله : ويراهم من فوق ست ثمان . أي : السموات السبع ، والارضين السبع .

قوله : والعلم وصف زائد عن ذاته . لا خصوصية للعلم عن سائر الصفات ، فان مراد أهل الاثبات بقولهم : نحن نقول باثبات صفات لله زائدة على ذاته ، فحقيقة ذلك أنا نثبتها زائدة على ما أثبته النفاة من الذات ، فان النفاة اعتقدوا ثبوت ذات مجردة عن الصفات ، فقال أهل الاثبات : نحن نقول باثبات صفات زائدة على ما اثبته هؤلاء . وأما الذات نفسها الموجودة ، فتلك لا يتصور أن تتحقق بلا صفة أصلاً ، بل هذا بمنزلة من قال : اثبت إنساناً ، لا حيواناً ، ولا ناطقاً ، ولا قائماً بنفسه ، ولا بغيره ، ولا له قدرة ، ولا حياة ، ولا حركة ، ولا سكون ، ونحو ذلك ، أو قال : أثبت نخلة ليس ، لها ساق . ولا جذع ، ولا ليف ، ولا غير ذلك ، فان هذا يثبت مالا حقيقة له في الخارج ، ولا يعقل ، ولهذا كان السلف والأئمة يسمون نفاة الصفات ، معطلة ، لأن حقيقة قولهم تعطيل ذات الله ، وان كانوا هم قد لا يعلمون أن قولهم مستلزم التعطيل . والله أعلم . وهذا الركب الرابع الذي ذكر الناظم قولهم ، هم فيما يظهر ، الفخر الرازي ، والأسدي ، والشهرستاني والأثير الأبهري ، ونحوهم ممن خلط الكلام بالفلسفة ، فان لهم كلاماً يشبه ماذكره الناظم ، خصوصاً الفخر الرازي ، فانه قال في كتاب أقسام اللذات لما ذكر أن هذا العلم أشرف العلوم ، وأنه ثلاث مقامات : العلم بالذات ، والصفات ، والأفعال . وعلى كل مقام عقدة ، فعلم الذات عليه عقدة ، هل

الوجود هو الماهية أو زائد على الماهية؟ وعلم الصفات عليه عقدة، هل الصفات زائدة على الذات أم لا؟ و علم الأفعال عليه عقدة، هل الفعل مقارن للذات أو متأخر عنها، ثم قال: ومن الذي وصل الى هذا الباب أو ذاق من هذا الشراب، ثم أنشد:

نهاية اقدام العقول عقال ... واكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) طه: ٥ (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر: ١٠ واقرأ في النفي (ليس كمثله شيء) الشورى: ١١ (ولا يحيطون به علماً) طه: ١١٠ (هل تعلم له سميا) مريم: ٧ ومن جرب مثل تجربتي، عرف مثل معرفتي.

وقول الناظم رحمه الله تعالى: وكذاك غالطهم على التكذيب للآحاد الخ.. يشير الى ان المخالفين للكتاب والسنة قد أعدوا لدفع الاستدلال بكتاب الله وسنة رسوله أصلين: أحدهما التأويل للآيات والاحاديث. والثاني: دعوى أن الأحاديث الصحيحة في ذلك أخبار آحاد، وهي لا تفيد العلم واليقين. وللامام القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي رحمه الله تعالى في ذلك كتاب «ابطال التأويل» مجلد، وكذلك للشيخ الامام أبي محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي كتاب «ذم التأويل» في جزء لطيف، فارجع اليهما إن شئت.

وقال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في كلام له : ولهـذا اعترض عبد الجبار ، وابن خطيب الري على الحديث ، وجعلوه من الآحـاد ، لما رأوا احاديث تخالف العقل ، وهي في الأصل موضوعة . انتهى .

وينبغي أن نتكلم هنا على أخبار الآحاد ، وأنها تفيد العلم ، وله أدلة كثيرة ذكرها الناظم في كتاب « الصواعق »[١].

الأول : أن المسلمين لما أخبرهم العدل الواحد وهم بقباء في صلاة الصبح أن القبلة قد حولت الى الكعبة ، قبلوا خبره ، وتركوا الجهة التي كانوا عليها واستداروا الى القبلة ، ولم ينكر عليهم رسول الله ﷺ ، بل شكروا على ذلك ، وكانوا على أمر مقطوع به من القبلة الاولى ، فلولا حصول العلم لهم بخبر الواحد لم يتركوا المقطوع به المعلوم لخبر لايفيد العلم . وغاية ما يقال فيه أنه خبر اقترن به قرينة ، وكثير منهم يقول : لا يفيد العـلم بقرينة . ولاغيرها ، وهذا في غاية المكابرة . ومعلوم أن قرينة تلقي الأمة له بالقبول وروايته قرناً بعد قرن من غير نكير من اقوى القرائن وأظهرها ، فأي قرينة فرضتها ، كانت تلك أقوى منها .

الثاني قوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسـق بنبأ فتبينوا) الحجرات : ٦ وفي القراءة الاخرى (فتثبتوا) وهـذا يدل على الجزم بقبول خبر الواحد ، لأنه يحتاج الى التثبت ، ولو كان خبره لايفيد العلم ، لأمر بالتثبت حتى يحصل العلم . وأيضاً فالسلف الصالح وأئمة الاسـلام لم يزالوا يقولون : قال رسول الله ﷺ كذا ، وفعل كذا ، وأمر بكذا ، ونهى عن كذا ، وهـذا معلوم في كلامهم بالضرورة . وفي « صحيح البخاري » قال رسول الله ﷺ في عـدة مواضع ، وكثير من آحاديث الصحابة يقول فيها أحدهم : قال رسول الله ﷺ ، وإنما سمعه من صحابي غيره

---

(١) هو كتاب « الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة » للناظم العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى .

وهذه شهادة من القائل، وجزم على رسول الله ﷺ بما نسبه اليه من قول أو فعل. فلو كان خبر الواحد لايفيد العلم، لكان شاهداً على رسول الله ﷺ بغير علم.

الثالث: أن أهل العلم بالحديث لم يزالوا يقولون: صح عن رسول الله ﷺ، وذلك جزم منهم بأنه قاله.

الرابع: قوله تعالى: (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) التوبة: ١٢٢ والطائفة تقع على الواحد فما فوقه، فأخبر أن الطائفة تنذر قومهم إذا رجعوا إليهم، فلو كان خبر الواحد لا يفيد العلم، لكان ذلك الانذار أمراً بما لا فائدة فيه.

الخامس: قوله: (ولا تقف ماليس لك به علم) الاسراء: ٣٦ أي: لاتتبعه، ولاتعمل به، ولم يزل المسلمون من عهد الصحابة يقفون أخبار الآحاد، ويعملون بها، ويثبتون لله تعالى بها الصفات، فلو كانت لاتفيد علماً، لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة الاسلام كلهم قد قفوا ما ليس لهم به علم.

السادس: قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) النحل ٤٣ فأمر من لم يعلم أن يسأل أهل الذكر، وهم أولو الكتاب والعلم، ولولا أن أخبارهم تفيد العلم، لم يأمر بسؤال من لا يفيد خبره علماً، وهو سبحانه لم يقل: سلوا عدد التواتر، بل أمر بسؤال أهل الذكر مطلقاً فلو كان واحداً، لكان سؤاله وجوابه كافياً.

السابع: قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) المائدة: ٦٧ وقال: (وما على الرسول

الا البلاغ المبين) المائدة : ٩٩ وقال النبي ﷺ : « بلغوا عني »[١] وقال لأصحابه في الجمع الأعظم يوم عرفة : « أنتم مسؤولون عني فماذا أنتم قائلون قالوا : نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت »[٢] ومعلوم أن البلاغ هو الذي تقوم به الحجة على المبلغ ، ويحصل به العلم ، فلو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التبليغ الذي تقوم به حجة الله على العبد ، فان الحجة إنما تقوم بما يحصل به العلم . وقد كان رسول الله ﷺ يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه فتقوم الحجة على من بلغه ، وكذلك قامت حجته علينا بما بلغنا العدول الثقات من أقواله وأفعاله وسنته ، ولولم يفد العلم لم تقم علينا بذلك حجة ، ولا على من بلغه واحد ، أو اثنان ، أو ثلاثة ، أو أربعة ، أو دون عدد التواتر ، وهذا من أبطل الباطل ، فيلزم من قال : إن أخبار رسول الله ﷺ لاتفيد العلم أحد أمرين : إما أن يقول : إن الرسول لم يبلغ غير القرآن وماروواه عنه عدد التواتر ، وماسوى ذلك لم تقم به حجة ولاتبليغ ، وإما أن يقول : إن الحجة والبلاغ حاصلان بما لا يوجب علماً ولا يقتضي علماً ، وإذا بطل هذان الامران ، بطل القول بأن أخباره ﷺ التي رواها الثقات العدول الحفاظ ، وتلقتها الامة بالقبول ، لاتفيد علماً ، وهذا ظاهر لاخفاء به .

---

(١) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ « بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فيتبوأ مقعده من النار » .

(٢) رواه مسلم في « صحيحه » بلفظ « وأنتم تسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا . نشهد أنك قد بلغت ، وأديت ونصحت » . ورواه بلفظ « انتم مسؤولون عني » أبو داود ، والدارمي ، وابن ماجه ، والبيهقي .

الثامن : قوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) البقرة : ١٤٣ وقوله (: وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) الحج : ٧٨ وجه الاستدلال أنه تعالى أخبر أنه جعل هذه الأمة عدولاً خياراً ، ليشهدوا على الناس بأن رسلهم قد بلغوهم عن الله رسالته ، وأدوا عليهم ذلك ، وهذا يتناول شهادتهم على الامم الماضية ، وشهادتهم على أهل عصرهم ومن بعدهم أن رسول الله ﷺ أمرهم بكذا ، ونهاهم عن كذا ، فهم حجة الله على من خالف رسول الله ﷺ ، وزعم أنه لم يأتهم من الله ماتقوم به عليه الحجة ، ويشهد كل واحد بانفراده بما وصل اليه من العلم الذي كان به من أهل الشهادة فلو كانت أحاديث رسول الله ﷺ لاتفيد (العلم) لم يشهد به الشاهد ، ولم تقم به الحجة على المشهود عليه .

التاسع : قوله تعالى : (ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) الزخرف : ٨٦ وهذه الاخبار التي رواها الثقات الحفاظ عن رسول الله ﷺ ، إما أن تكون حقاً ، وإما أن تكون باطلا أو مشكوكاً فيها ، ولايدرى هل هي حق أو باطل ، فان كانت باطلا أو مشكوكاً فيها ، وجب اطراحها وأن لايلتفت اليها ، وهذا انسلاخ من من الاسلام بالكلية ، وان كانت حقاً ، فتجب الشهادة بها على البت أنها عن رسول الله ﷺ ، وكان الشاهد بذلك شاهداً بالحق وهو يعلم صحة المشهود به .

العاشر : قول النبي ﷺ « على مثلها فاشهد »[1] وأشار الى الشمس ،

---

(١) أخرجه ابن عدي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل :« ترى الشمس ؟» قال نعم . قال :« على مثلها فاشهد أو دع» وقال الحافظ ابن حجر في « بلوغ المرام من أدلة الأحكام» اخرجه ابن عدي باسناد ضعيف ، وصححه الحاكم فأخطأ .

ولم تزل الصحابة والتابعون وأئمة الحديث يشهدون عليه ﷺ على القطع أنه قال كذا وأمر به ، ونهى عنه ، وفعله ، لما بلغهم إياه الواحد ، والاثنان ، والثلاثة ، فيقولون : قال رسول الله ﷺ كذا ، وحرم كذا، وأباح كذا، وهذه شهادة جازمة يعلمون أن المشهود به كالشمس في الوضوح ، ولاريب أن كل من له التفات الى سنة رسول الله ﷺ واعتناء بها ، يشهد شهادة جازمة أن المؤمنين يرون ربهم عياناً يوم القيامة ، وأن قوماً من أهل التوحيد يدخلون النار ثم يخرجون منها بالشفاعة ، وان الصراط حق ، وتكليم الله لعباده يوم القيامة كذلك ، وأن الولاء لمن أعتق ، الى غير أضعاف أضعاف ذلك ، بل يشهد بكل خبر صحيح متلقي بالقبول لم ينكره أهل الحديث شهادة لا يشك فيها .

الحادي عشر : أن هؤلاء المنكرين لافادة أخبار النبي ﷺ للعلم يشهدون شهادة جازمة قاطعة على أئمتهم بمذاهبهم وأقوالهم ، وأنهم قالوا وقيل لهم . (ولو قيل لهم)[١] : انها لم تصح عنهم ، لأنكروا ذلك غاية الانكار ، وتعجبوا من جهل قائله . ومعلوم أن تلك المذاهب لم يروها عنهم إلا الواحد ، والاثنان ، والثلاثة ، ونحوهم ، لم يروها عنهم عدد التواتر ، وهذا معلوم يقيناً ، فكيف حصل لهم العلم الضروري ، أو المقارب للضروري ، بأن أئمتهم ومن قلدوهم دينهم أفتو بكذا ، وذهبوا إلى كذا ، ولم يحصل لهم العلم بما أخبر به أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وسائر الصحابة عن رسول الله ﷺ ولا بما رواه عنهم التابعون ، وشاع في الأمة وذاع ، وتعددت طرقه ، وتنوعت ، وكان حرصه عليه أعظم

---

(١) جملة « ولو قيل لهم » زيادة وجدت على هامش الاصل .

بكثير من حرص أولئك على اقـوال متبوعهم ؟ ! إن هـذا لهو العجب العجاب .

الثاني عشر : قوله تعـالى : (يا أيها الدين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) الأنفال : ٢٤ ووجه الاستدلال أن هذا أمر لكل مؤمن بلغته دعوة الرسول ﷺ الى يوم القيامة ، ودعوته نوعان : مواجهة ، ونوع بواسطة المبلغ ، وهو مأمور باجابة الدعوتين في الحالتين وقـد علم أن حياته في تلك الدعوة والاستجابة لها ، ومن الممتنع أن يأمره الله تعالى بالاجابـة لما لا يفيد علماً ، أو يحييه بما لا يفيد علماً ، أو يتوعده على ترك الاستجابة لما لا يفيد علماً ، بأنه إن لم يفعل عاقبه، وحال بينه وبين قلبه .

الثالث عشر : قوله تعالى: (فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) النور : ٦٣ وهذا يعم كل مخالف بلغه أمره ﷺ الى يوم القيامة ، ولو كان مابلغه لم يفد علماً ، لما كان متعرضاً بمخالفة ما لا يفيد علماً للفتنة والعذاب الأليم ، فان هذا انما يكون بعد قيام الحجة القاطعة التي لا يبقى معها لمخالف أمره عذر .

الرابـع عشر: قوله تعالى: (ياايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) النساء : ٥٩ الى قوله : (واليوم الآخر) النساء : ٥٩ ووجد الاستدلال أنه أمر أن يرد ماتنازع فيه المسلمون الى الله ورسوله ، والرد الى الله هو الرد الى كتابه ، والرد الى الرسول هو الرد اليه في حياته ، والى سنته بعد وفاته فلولا أن المردود اليه يفيد العلم وفصل النزاع ، لم يكن في الرد اليه فائدة ، إذ كيف يرد حكم المتنازع فيه إلى مالا يفيد علماً البتة ، ولا يدرى أحق هو أم باطل؟!

وهذا برهان قاطع بحمد الله ، فلهذا قال من زعم أن أخبار رسول الله

ﷺ لا تفيد علماً : إنا نرد ما تنازعنا فيه إلى العقول، والآراء ، والأقيسة ، فانها تفيد العلم .

الخامس عشر(١) : ما احتج الشافعي رحمه الله تعالى ، فانه قال : أخبرنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن ابيه عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه الى غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : اخلاص لله ، والنصيحة للمسلمين ؛ ولزوم جماعتهم ،

---

(١) إن كل ما تقدم من الأدلة على أن خبر الواحد العدل يفيد العلم ، إنما هو منقول عن كتاب « مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة » للعلامة ابن القيم ، وقد أسقط الشارح هنا الدليل الخامس عشر ، وانتقل الى السادس عشر فسماه : الخامس عشر ، فأحببنا إثبات الدليل الخامس عشر الذي أسقطه الشارح هنا:

الدليل الخامس عشر : قوله تعالى : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) المائدة : ٤٩ إلى قوله : (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) المائدة : ٥٠ ووجه الاستدلال إن كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما انزل الله ،وهو ذكر من الله انزل على رسوله ، وقد تكفل سبحانه بحفظه ، فلو جاز على حكمه الكذب والغلط والسهو من الرواة ولم يقم دليل على غلط وسهو ناقله ، لسقط حكم ضمان الله وكفالته لحفظه ، وهذا من اعظم الباطل ، ونحن لا ندعي عصمة الرواة ، بل نقول : إن الراوي إذا كذب او غلط أو سها ، فلا بد ان يقوم دليل على ذلك، ولا بد ان يكون في الأمة من يعرف كذبه وغلطه ليتم حفظه لحججه وأدلته ، ولا تلتبس بما ليس منها ، فانه من حكم الجاهلية، بخلاف من زعم انه يجوز ان تكون كل هذه الاخبار والاحكام المنقولة إلينا آحاداً كذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغايتها ان تكون كما قاله من لا علم عنده :« ان نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين» الجاثية: ٣٢.

فان دعوتهم تحيط من ورائهم(١)

قال الشافعي : فلما ندب رسول الله ﷺ الى استماع مقالتـــه وحفظها وأدائها ، أمر أن يؤديها ولو واحد ، دل على أنه لا يأمر من يؤدي عنه إلا ماتقوم به الحجة على من أدي اليه ، لأنه إنما يؤدي عنـه حلال يؤتى ، وحرام يتجنب ، وحد يقام ، ومـــال يؤخذ ويعطى ، ونصيحة في دين ودنيا ، ودل على أنه قد يحمل الفقه غير الفقيه ، يكون له حافظاً ولا يكون فيه فقيهاً ، وأمر رسول الله ﷺ بلزوم جماعة المسلمين ، مما يحتج به في أن إجماع المسلمين لازم . انتهى .

والمقصود أن خبر الواحد العدل ، لو لم يفد علماً لأمر رسول الله ﷺ أن لا يقبل من أدى اليه إلا من عدد التواتر الذي لا يحصل العلم إلا بخبرهم ، ولم يدع للحامل المؤدي ، وان كان واحداً ، لأن ماحمله لا يفيد العلم ، فلم يفعل مايستحق الدعاء وحده إلا بانضمامه الى أهل التواتر ، وهذا خلاف مااقتضاه الحديث .

ومعلوم أن رسول الله ﷺ إنما ندب إلى ذلك ، وحث عليه ، وأمر به لتقوم به الحجة على من أدي اليه ، فلو لم يفد العلم ، لم يكن فيه حجة .

---

(١) اورده الحافظ المنذري في « الترغيب والترهيب » في الترغيب في الاخـــلاص ، والترغيب في سماع الحديث وتبليغه ، مطولاً ومختصراً ، من رواية احمد ، وابي داود والترمذي ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح ، ومن رواية ابن ماجه وابن حبان في « صحيحه » والبزار ، والطبراني في « الاوسط » و « والكبير » قال المنذري : وقد روي هذا الحديث عن ابن مسعود ، ومعـــاذ بن جبل ، والنعمان بن بشير ، وجبير بن مطعم ، وابي الدرداء ، وابي قرصافة جندرة بن خيشنة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ، واسانيد بعضهم صحاح .

السادس عشر . حديث أبي رافع الصحيح عن رسول الله ﷺ قال : « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر من أمري يقول : لاندري ماهذا ؟ بيننا وبينكم القرآن ، ألاوإني أوتيت الكتاب ومثله معه » ووجه الاستدلال أن هذا نهي عام لكل من بلغه حديث صحيح عن رسول الله ﷺ أن يخالفه ، أو يقول : لا أقبل إلا القرآن ، بل هو أمر لازم ، وفرض حتم بقبول أخباره وسننه ، وإعلام منه ﷺ ، أنها من الله أوحاها اليه ، فلو لم تفد علماً لقال من بلغته : إنها أخبار آحاد لاتفيد علماً ، فلا يلزمني قبول مالا علم لي بصحته ، والله تعالى لم يكلفني العلم بما لم أعلم صحته ، ولا اعتقاده ، بل هذا بعينه هو الذي حذر منه رسول الله ﷺ أمته ، ونهاهم عنه . ولما علم أن في هذه الأمة من يقوله ، حذرهم منه ، فان القائل : إن أخباره لاتفيد العلم ، هكذا يقول ، سواء ، ما ندري ماهذه الأحاديث ، وكان سلف هؤلاء يقولون : بيننا وبينكم القرآن ، وخلفهم يقولون : بيننا وبينكم أدلة العقول ، وقد صرحوا بذلك وقالوا : نقدم العقول على هذه الاحاديث آحادها ومتواترها ، ونقدم الأقيسة عليها .

السابع عشر : ما رواه مالك عن اسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : كنت أسقي أبا عبيدة ابن الجراح ، وأبا طلحة الانصاري ، وأبي بن كعب شراباً من فضيخ ، فجاءهم آت فقال : إن الخمر قد حرمت ، فقال أبو طلحة : قم يا أنس الى هذه الجرار فاكسرها ، فقمت الى مهراس لنا فضربتها بأسفله ، حتى كسرتها .

وجه الاستدلال أن أبا طلحة أقدم على قبول(١) خبر التحريم حيث ثبت به التحريم لما كان حلالاً وهو يمكنه أن يسمع من رسول الله ﷺ شفاها ،

---

(١) في الاصل قبوم ، وهو خطأ .

وأكد ذلك القبول باتلاف الإناء وما فيه ، وهو مال ، وما كان ليقدم على اتلاف المال بخبر من لا يفيد خبره العلم ، ورسول الله ﷺ إلى جنبه ، فقام خبر ذلك الآتي عنده وعند من معه مقام السماع من رسول الله ﷺ ، بحيث لم يشكوا ، ولم يرتابوا في صدقه ، والمتكلفون يقولون : إن مثل ذلك الخبر لايفيد العلم ، لا بقرينة ، ولا بغير قرينة .

الثامن عشر : أن خبر الواحد لو لم يفد العلم ، لم يثبت به الصحابة التحليل ، والتحريم ، والاباحة ، والفروض ، ويجعل ذلك ديناً يدان به في الأرض إلى آخر الدهر ، فهذا الصديق رضي الله عنه زاد في الفروض التي في القرآن ، فرض الجدة ، وجعله شريعة مستمرة الى يوم القيامه بخبر محمد ابن مسلمة ، والمغيرة بن شعبة فقط ، وجعل حكم ذلك الخبر في اثبات هذا الفرض حكم نص القرآن في اثبات فرض الأم ، ثم اتفق الصحابة والمسلمون بعدهم على إثباته بخبر الواحد ، وأثبت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بخبر حمل بن مالك دية الجنين ، وجعلها فرضاً لازماً للأمة ، وأثبت ميراث المرأة من دية زوجها بخبر الضحاك بن سفيان الكلابي وحده ، وصار ذلك شرعاً مستمراً الى يوم القيامة ، وأثبت عثمان بن عفان شريعة عامة في سكنى المتوفى عنها بخبر فريعة بنت مالك وحدها ، وهذا اكثر من أن يذكر ، بل هو إجماع معلوم منهم . ولا يقال على هذا إنما يدل على العمل بخبر الواحد في الظنيات ، ونحن لا ننكر ذلك ، لأنا قد قدمنا أنهم أجمعوا على قبوله والعمل بموجبه ، ولو جاز أن يكون كذباً أو غلطاً في نفس الأمر ، لكانت الامة مجمعة على قبول الخطأ والعمل به ، وهذا قدح في الدين والأمة .

التاسع عشر : أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يقبلون خبر

الواحد ، ويقطعون بمضمونه ، فقبله موسى من الذي جاء من اقصى المدينة قائلاً له : (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) القصص ٢٠ فجزم بخبره ، وخرج هارباً من المدينة ، وقبل خبر ابنة صاحب مدين لما قالت (ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا) القصص : ٢٥ وقبل خبر أبيها في قوله : هذه ابنتي ، وتزوجها بخبره ، وقبل يوسف الصديق خبر الرسول الذي جاءه من عند الملك ، وقال له : (ارجع الى ربك فاسأل مابال النسوة) يوسف : ٥٠ وقبل النبي ﷺ خبر الآحاد الذين كانوا يخبرونه بنقض عهد المعاهدين له ، وغزاهم بخبرهم ، واستباح دماءهم وأموالهم وسبى ذراريهم ، ورسل الله صلواته وسلامه عليهم لم يرتبوا على تلك الأخبار أحكامها ، وهم يجوزون أن تكون كذباً وغلطاً ، وكذلك الامة لم تثبت الشرائع العامة الكلية بأخبار الآحاد ، وهم يجوزون أن تكون كذباً على رسول الله ﷺ في نفس الأمر ، ولم يخبروا عن الرب تبارك وتعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله بما لا علم لهم به ، بل يجوز أن يكون كذباً وخطأ في نفس الأمر ، هذا مما يقطع ببطلانه كل عالم مستبصر .

العشرون : أن خبر العدل الواحد المتلقى بالقبول ، لو لم يفد العلم ، لم تجز الشهادة على الله ورسوله بمضمونه ، ومن المعلوم المتيقن أن الأمة من عهد الصحابة الى الآن ، لم تزل تشهد على الله وعلى رسوله بمضمون هذه الأخبار جازمين بالشهادة في تصانيفهم وخطابهم ، فيقولون : شرع الله كذا و كذا على لسان رسوله ﷺ ، فلو لم يكونوا عالمين بصدق تلك الأخبار ، جازمين بها ، لكانوا قد شهدوا بغير علم ، وكانت شهادة زور ، وقولاً[1] على الله ورسوله بغير علم . لعمر الله هذا حقيقة قولهم ، وهم أولى بشهادة الزور من سادات الأمة وعلمائها .

(١) في الاصل : والقول .

قـــال أبو عمرو ابن الصلاح وقد ذكر الحديث الصحيح المتلقى بالقبول المتفق على صحته : وهذا القسم جميعه مقطوع بصحته ، والعلم اليقيني النظري واقع به ، خلافاً لقول من نفى ذلك محتجاً بأنه لا يفيد الا الظن ، وإنما تلقته الأمة بالقبول ، لأنه يجب عليهم العمل بالظن ، والظن قد يخطىء ؛ قال : وقد كنت أميل الى هذا وأحسبه قوياً ، ثم بان لي المذهب الذي اخترناه هو الصحيح ، لأن ظن من هو معصوم من الخطـــأ لا يخطىء ، والأمة في اجماعها معصومة من الخطأ، ولهذا كان الاجماع المبني على الاجتهاد حجة مقطوعاً بها ، وأكثر إجماعات العلماء كذلك ، وهـذه نكتة نفيسة نافعة . انتهى .

ونقل الناظم أيضاً قال : قال شيخ الاسلام ابن تيميه وقـــد قسم الأخبار الى تواتر وآحاد ، فقال بعد ذكر التواتر : وأما القسم الثاني من الأخبار ، فهو ما لا يرويه الا الواحـد العدل ونحوه ، ولم يتواتر لفظـه ولا معناه ، ولكن تلقته الأمة بالقبول ، عملاً به ، أو تصديقاً له ، كخبر عمر بن الخطاب . « إنما الأعمـــال بالنيات »(١) وخبر ابن عمر « نهى عن بيع الولاء وهبته »(٢) وخبر أنس « دخل مكة وعلى رأسـه المغفر » و كخبر أبي هريره « لا تنكح المرأة على عمتها ،ولا على خالتها »(٣)و كقوله : « يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب »(٤) (وقوله : « إذا جلس بين شعبها الأربع ، ثم جهدها ، فقد وجب الغسل »(٥)وقوله في المطلقة ثلاثاً :

---

(١) متفق عليه . (٢) متفق عليه .

(٣) متفق عليه

(٤) رواه مسلم في « صحيحه» عن عائشة بهذا اللفظ. وورد بلفظ آخر في «الصحيحين» عن عائشة « ان الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة » .

(٥) متفق عليه من حديث ابي هريرة .

« حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك »[١] وقوله : « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ »[٢] وقوله : « إنما الولاء لمن أعتق »[٣] وقوله ، يعني ابن عمر : فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر في رمضان ، على الصغير والكبير ، والذكر والأنثى .[٤] وأمثال ذلك ، فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين .

أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع ، وأما الخلف ، فهذا مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعه ، والمسألة منقولة في كتب الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنبلية ، مثل السرخسي ، وأبي بكر الرازي من الحنفية ، والشيخ أبي الطيب ، والشيخ ابي اسحاق من الشافعية ، وابن خويز منداد وغيره من المالكية ، ومثل القاضي أبي يعلى ، وابن ابي موسى ، وابي الخطاب وغيرهم من الحنبلية ، ومثل اسحق الاسفرايني ، وابن فورك ، وأبي اسحاق النظام من المتكلمين ؛ وانما نازع في ذلك طائفة ، كابن الباقلاني ومن تبعه ، مثل أبي المعالي ، والغزالي ، وابن عقيل ، وقد ذكر أبو عمرو ابن الصلاح القول الأول ، وصححه ، واختاره ، ولكنه لم يعلم كثرة

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة قالت : جاءت امرأة رفاعة القرظي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كنت عند رفاعة فطلقني ، فبت طلاقي ، فتزوجت بعده عبدالرحمن بن الزبير ، وإنما معه مثل هدبة الثوب ، فقال : « أتريدين ان ترجعي الى رفاعة ، لا ، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك؟!»

(٢) متفق عليه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنها .

(٤) متفق عليه بمعناه ، وهو ملفق من حديثين .

القائلين به ليتقوى بهم ، وانما قاله بموجب الحجة الصحيحة ، وظن من اعترض عليه من المشايخ الذين لهم علم ودين ، وليس لهم بهذا الباب خبرة تامة ، أن هذا الذي قاله الشيخ أبو عمرو ، انفرد به عن الجمهور ، وعذرهم أنهم يرجعون في هذه المسائل الى ما يجدونه من كلام ابن الحاجب ، وإن ارتقوا درجة ، صعدوا إلى السيف الآمدي ، والى ابن الخطيب ، فان علا سندهم صعدوا الى الغزالي ، والجويني ، والباقلاني . قال : وجميع أهل الحديث على ما ذكره الشيخ أبو عمرو ، والحجة على قول الجمهور أن تلقي الأمة للخبر تصديقاً وعملاً اجماع منهم ، والأمة لا تجتمع على ضلالة ، كما لو اجتمعت على موجب عموم أو مطلق ، او اسم حقيقة ، أو على موجب قياس ، فانها لا تجتمع على خطأ ، وان كان الواحد منهم لو جرد النظر اليه لم يؤمن عليه الخطأ ، فان العصمة ثبتت بالسنة الاجماعية ، كما أن خبر التواتر يجوز الخطأ والكذب على واحد من المخبرين بمفرده ، ولا يجوز على المجموع ، والأمة معصومة من الخطأ في روايتها ورأيها ورؤياها ، كما قال النبي ﷺ : «أرى رؤيا كم قد تواطأت على أنها في العشر الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر »[(١)] فجعل تواطأ الرؤيا دليلاً على صحتها ، والآحاد في هذا الباب قد يكون ظنونا بشروطها ، فاذا قويت صارت علوماً ، واذا ضعفت صارت أوهاماً وخيالات فاسدة ، قال : وأيضاً فلا يجوز أن يكون في نفس الأمر كذباً على الله ورسوله وليس في الأمة من ينكره ، اذ هو خلاف ما وصفهم الله تعالى به. فان قيل . أما الجزم بصدقه ، فلا يكن منهم ، وأما العمل به ، فهو الواجب عليهم ، وان لم يكن صحيحاً

---

(١) رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، بلفظ « أرى رؤيا كم قد تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الاواخر ».
ورواه البخاري ايضاً بلفظ «أرى رؤيا كم في العشر الاواخر ، فاطلبوها في الوتر منها » .

في الباطن ، وهذا سؤال ابن الباقلاني . قلنا : وأما الجزم بصدقه ، فانه قد يحتف به من القرائن ما يوجب العلم ، إذ القرائن المجردة قد تفيد العلم بمضمونها ، فكيف اذا احتفت بالخبر ، والمنازع بنى على هذا أصله الواهي ، أن العلم بمجرد الأخبار لا يحصل الا من جهة العدد ، فلزمه أن يقول ما دون العدد لا يفيد أصلاً ، وهذا غلط خالفه فيه حذاق أتباعه ، وأما العمل به ، فلو جاز أن يكون في الباطن كذباً ـ وقد وجب علينا العمل به ـ لا نعقد الاجماع على ما هو كذب وخطأ في نفس الأمر ، وهذا باطل ، فاذا كان تلقي الأمة له بالقبول يدل على صدقه لأنه إجماع منهم على أنه صدق مقبول باجماع السلف والصحابة أولى أن يدل على صدقه ، فانه لا يمكن أحداً أن يدعي إجماع الأمة إلا فيما أجمع عليه سلفها من الصحابة والتابعين ، وأما بعد ذلك ، فقد انتشرت انتشاراً لا تضبط أقوال جميعها .

قال : واعلم أن جمهور أحاديث البخاري ومسلم من هذا الباب . كما ذكر الشيخ أبو عمرو ، ومن قبله من العلماء ، كالحافظ أبي طاهر السلفي وغيره ، فانما تلقاه أهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق ، فهو محصل للعلم ، مفيد لليقين ، ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين ، فان الاعتبار في الاجماع على كل أمر من الأمور الدينية على أهل العلم به ، دون غيرهم ، كما لم يعتبر على الاجماع في الأحكام الشرعية الا العلماء بها دون المتكلمين والنحاة والأطباء ، وكذلك لا يعتبر في الاجماع على صدق الحديث وعدم صدقه إلا أهل العلم بالحديث وطرقه وعلله ، وهم علماء أهل الحديث العالمون بأحوال نبيهم ، الضابطون لأقواله وأفعاله ، المعتنون بها أشد من عناية المقلدين بأقوال متبوعهم ، فكما أن العلم بالتواتر ينقسم الى عام وخاص ، فيتواتر عند الخاصة ما لا يكون معلوماً لغيرهم ، فضلا أن يتواتر

عندهم ، فأهل الحديث لشدة عنايتهم بسنة نبيهم ، وضبطهم لأقواله وأفعاله وأحواله ، يعلمون من ذلك علماً لا يشكون فيه ، مما لا شعور لغيرهم به البتة ، فخبر أبي بكر ، وعمر بن الخطاب ، ومعاذ بن جبل ، وابن مسعود ، ونحوهم ، يفيد العلم الجازم الذي يلتحق عندهم بقسم الضروريات ، وعند الجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل الكلام لا يفيد علماً ، وكذلك يعلمون بالضرورة أن رسول الله ﷺ لم يقل ذلك ، ويعلمون بالضرورة أن نبيهم ﷺ ، أخبر عن خروج قوم من النار بالشفاعة ، وعند المعتزلة والخوارج لم يقل ذلك .

وبالجملة فهم جازمون بأكثر الأحاديث الصحيحة ، قاطعون بصحتها عنه وغيرهم لا علم عنده بذلك ، والمقصود أن هذا القسم من الأخبار يوجب العلم عند جمهو العقلاء . انتهى .

وقد أطال الناظم رحمه الله تعالى الكلام في هذا المقام ، وأكثر النقول عن العلماء في أن أخبار الآحاد تفيد العلم واليقين ، ولكن تركناه اختصاراً، وفيما ذكرناه كفاية ، والله أعلم .

وقول الناظم :

وزعمت أن الله كلم عبده　　موسى فأسمعه ندا الرحمن

أفتسمع الآذان غير الحرف والـ　　ـصوت الذي خصت به الاذنان

وكذا النداء فانه صوت باجـ　　ـماع النحاة وأهل كل لسان

لكنه صوت رفيع وهو ضـ　　ـد للنجاء كلاهما صوتان

فزعمت أن الله ناداه ونـــــا جاه وفي ذا الزعم محذوران
قرب المكان وبعده والصوت بل نوعان محذوران ممتنعـــــان

هذا إشارة الى الرد على القائلين بالكلام النفسي ، والمعنى المجرد .

قال شيخ الاسـلام فقول الله تعالى : (وكلم الله موسى تكليماً) النساء : ١٦٤ (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمـــه ربه) الأعراف : ١٤٣ (وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا) مريم : ٥٢ (فلما أتاها نودي ياموسى ، إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) طه : ١١-١١ الآيات ؛ دليل على تكليم يسمعه موسى ، والمعنى المجرد لا يسمع بالضرورة ، ومن قال : إنـه يسمع فهو مكابر ، ودل الدليل على أنه ناداه ، والنداء لا يكون إلا صوتاً مسموعاً ، فلا يعقل في لغة العرب لفظ النداء بغير صوت مسموع لا حقيقة ولا مجازاً . انتهى .

وقال الامام موفق الدين بن قدامـه في قوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليماً (وكلمه ربه) وقال تعالى : (وناديناه من جانب الطور الأيمن) وقال تعالى : (إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى) أجمعنا على على أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى من الله ، لا من شجرة ، ولا من حجر ، ولا من غيره ، لأنـــه لو سمع من غير الله تعالى ، لكان بنو إسرائيل أفضل في ذلك منه ، لأنهم سمعوا من أفضل ممن سمـــع منه موسى ، لكونهم سمعوا من موسى عليه السلام ، وهو على زعمهم إنما سمع من الشجرة . ثم يقال لهم : لم سمي موسى كليم الله ، وإذا ثبت أن موسى عليه السلام إنما سمع من الله عز وجل ، لم يجز أن يكون الكلام الذي سمعه إلا صوتا وحرفاً ، فانه لو كان معنى في النفس وفكرة ورؤية ، لم يكن

ذلك تكليما لموسى ، ولا هو شيء يسمع ، والفكر لا يسمى مناداة ، فان قالوا : نحن لا نسميه صوتاً مع كونه مسموعاً . قلنا : هذا مخالفة في اللفظ مع الموافقة في المعنى ، فانه لا يعنى بالصوت إلا ما كان مسموعاً ، ثم إن لفظ الصوت قد صحت به الأخبار .

وقال الحافظ ابن حجر في « شرح البخاري » : ومن نفى الصوت يلزمه أن الله تعالى لم يسمع أحداً من ملائكته ولا رسله كلامه ، بل ألهمهم إياه إلهاماً . قال : وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع الى القياس على اصوات المخلوقين ، لأنها التي عهدت ذات مخارج ، كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة ، ولئن سلم ، فيمنع القياس المذكور ، لأن صفة الخالق لاتقاس على صفة المخلوقين ، وحيث ثبت ذكر الصوت بهذه الاحاديث الصحيحة ، وجب الايمان به .

وقال ابن حجر أيضاً في موضع آخر من « شرح البخاري » قوله ﷺ : « ثم يناديهم بصوت يسمعه من قرب ، كما يسمعه من بعد » حمله بعض الأئمة على مجاز يأمر من ينادي ، فاستبعده بعض من أثبت الصوت ، لأن في قوله : « يسمعه من بعد » إشارة إلى أنه ليس من المخلوقات ، لأنه لم يعهد مثل هذا فيهم ، وبأن الملائكة إذا سمعوه صعقوا ، واذا سمع بعضها بعضاً لم يصعقوا . قال : فعلى هذا صوته صفة من صفات ذاته ، ليس يشبه صوت غيره ، إذ ليس يوجد شيء من صفات المخلوقين . قال : وهكذا قرره المصنف يعني الامام البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد » انتهى .

ومن الاحاديث في إثبات الصوت ، مارواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : خرجت الى الشام الى عبد الله بن أنيس الأنصاري رضي الله عنه ، فقال عبد الله بن أنيس : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يحشر الله العباد »

«الناس» وأومأ بيده الى الشام «حفاة عراة غرلاً بهماً» قال: ليس معهم شيء. قال: «فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بظلمة حتى اللطمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بظلمة حتى اللطمة» قلنا: كيف وإنما نأتي حفاة عراة غرلاً؟! قال: «بالحسنات والسيئات» أخرج أصله البخاري تعليقاً مستشهداً به الى قوله: «أنا الملك، أنا الديان» وأخرجه الامام أحمد[1] وأبو يعلى الموصلي، والطبراني، وأخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي بسنده الى جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما، قال: بلغني أن للنبي ﷺ حديثاً في القصاص وكان صاحب الحديث بمصر، فاشتريت بعيراً، فشددت عليه رحلاً، وسرت حتى وردت مصر، فمضيت إلى باب الرجل الذي بلغني عنه الحديث فقرعت بابه، فخرج الي مملوكه، فنظر في وجهي ولم يكلمني، فدخل الى سيده فقال: أعرابي فقال: سله من أنت؟ فقال جابر بن عبد الله الانصاري: فخرج الي مولاه، فلما تراءينا اعتنق أحدنا بصاحبه، فقال: ياجابر، ماجئت تعرف؟ فقلت حديث بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم في القصاص، ولا تظنن أن أحداً ممن مضى وممن بقي أحفظ له منك. قال: نعم ياجابر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ان الله تعالى يبعثكم يوم القيامة من قبوركم حفاة عراة غرلاً بهما، ثم ينادي بصوت رفيع غير

---

(١) اورده الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» بلفظ قريب مما أورده الشارح هنا عن عبد الله بن أنيس، وقال في آخره: رواه احمد باسناد حسن.

فظيع ، يسمعه من بعد كمن قرب : أنا الديان ؛ لا تظالم اليوم ، أما وعزتي لايجاوزني اليوم ظلم ظالم ولو لطمة بكف ، أو يد على يد ، ألا وإن أشد ما أتخوف على أمتي من بعدي عمل قوم لوط . فلترتقب أمتي العذاب إذا تكافأ النساء بالنساء والرجال بالرجال » . وقد رواه عبد الحق الاشبيلي من طريق الحارث بن ابي أسامة ، ومن « مسنده » نقله ، وخرجه علي بن معبد البغوي المكي وغيره ، وفيه : فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي ، ثم سرت اليه ، فسهرت شهراً حتى قدمت الشام ، فاذا عبد الله بن أنيس الانصاري ، فأتيت منزله ، فارسلت اليه أن جابراً على الباب ، فرجع الرسول الي فقال . جابر بن عبد الله ؟ قلت . نعم ، فرجع اليه ، فخرج فاعتنقته . فقلت . حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعه . قال . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الله العباد » أو قال . « الناس » ... الحديث . وفي حديث ابن مسعود قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر[1] السلسلة على الصفا ، فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام ، فاذا جاءهم جبريل ، فزع عن قلوبهم ، فيقولون ياجبريل ماذا قال ربك ؟ قال : فيقول[2] الحق ، فينادون الحق الحق » أخرجه أبو داود ورجاله ثقات ، ونحوه من حديث أبي هريرة رواه البخاري ؛ وأبوداود ، والترمذي ، وابن ماجة ، و كذا رواه الامام احمد ، وابنه عبد الله ، وقال : سألت أبي ، فقلت : ياأبي ، الجهمية يزعمون أن الله لايتكلم بصوت ، فقال : كذبوا إنما يدورون على التعطيل .

---

(١) في الاصل : كجر ، وهو خطأ ، والتصويب من « سنن ابي داود » .

(٢) في الاصل : يقول ، والتصحيح من « سنن ابي داود » .

وروى الامام احمد رضي الله عنه بسنده الى عبد الله بن مسعود قال : إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء . قال السجزي . وما في رواة هذا الخبر الا إمام مقبول ، وتتمة الخبر : فيخرون سجداً ، حتى إذا فزع عن قلوبهم ـ قال : سكن عن قلوبهم ـ قال أهل السماء : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق . قال : كذا و كذا . قال القاضي أبو الحسين وغيره : ومثل هذا لا يقوله ابن مسعود رضي الله عنه إلا توقيفاً لأنه إثبات صفة للذات . انتهى .

وقد روي في إثبات الحرف والصوت أحاديث تزيد على اربعين حديثاً بعضها صحاح ، وبعضها حسان ، ويحتج بها ، أخرجها الامام الحافظ ضياء الدين المقدسي وغيره .

وأخرج الامام أحمد غالبها ، واحتج به ، وأخرج الحافظ ابن حجر غالبها أيضاً في « شرح البخاري » واحتج به البخاري وغيره من أئمة الحديث ، على أن الحق جل شأنه يتكلم بحرف وصوت ، وقد صححوا هذا الأصل ، واعتقدوه ، واعتمدوا على ذلك ، منزهين الله تعالى عما لا يليق بجلاله من شبهات الحدوث . وسمات النقص ، كما قالوا في سائر الصفات ، فاذا رأينا أحداً من الناس ممن لا يقدر عشر معشار هؤلاء ، قد دونوا هذه الصفات ، وعملوا بها ، ودانوا الله سبحانه وتعالى بها ، وصرحوا بأن الله تعالى تكلم بحرف وصوت ، لا يشبهان صوت مخلوق ولا حرفه بوجه البتة ، معتمدين على ما صح عندهم عن صاحب الشريعة المعصوم في أقواله وأفعاله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى ، مع اعتقادهم الجازم الذي لا يعتريه شك ولا وهم ولا خيال ، نفي التشبيه والتمثيل ، والتحريف ، والتعطيل ، بل يقولون في صفة الكلام ، كما يقولون في سائر الصفات ، إثباتاً بلا تمثيل ،

وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما عليه سلف الأمة ، وفحول الأئمة ، فهو حق اليقين ، وما بعد الحق إلا الضلال .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وزعمت أن محمداً أسري به ليلاً إليه فهو منه دان
وزعمت أن محمداً يوم اللقا يدنيه رب العرش بالرضوان
حتى يرى المختار حقاً قاعداً معه على العرش الرفيع الشان
وزعمت أن لعرشه أطاً به كالرحل أط براكب عجلان
وزعمت أن الله أبدى بعضه للطور حتى عاد كالكثبان
لما تجلى يوم تكليم الرضى موسى الكليم مكلم الرحمن
وزعمت للمعبود وجهاً باقياً وله يمين بل زعمت يدان
وزعمت ان يديه للسبع العلى والارض يوم الحشر قابضتان
وزعمت ان يمينه ملأى من الخيرات ما غاضت على الازمان
وزعمت ان العدل في الاخرى بها رفع وخفض وهو بالميزان
وزعمت ان الخلق طراً عنده يهتز فوق اصابع الرحمن
وزعمت ايضاً ان قلب العبد ما بين اثنتين من الاصابع عان
وزعمت ان الله يضحك عندما يتقابل الصفان يقتتلان
من عبده يأتي فيبدي نحره لعدوه طلباً لنيل جنان

وكذاك يضحك عندما يثب الفتى　　من فرشــه لتلاوة القرآن
وكذاك يضحك من قنوط عباده　　إذ أجدبوا والغيث منهم دان
وزعمت ان الله يرضى عن أولي الحسنى ويغضب من أولي العصيان
وزعمت ان الله يسمع صوته　　يوم المعـاد بعيدهم والداني
لما يناديهم انــا الديان لا　　ظـلم لدي فيسمع الثقلان
وزعمت ان الله يشرق نوره　　في الارض يوم الفصل والميزان
وزعمت ان الله يكشف ساقه　　فيخر ذاك الجمع للأذقان
وزعمت ان الله يبسط كفه　　لمسيئنا ليتوب من عصيان
وزعمت ان يمينه تطوي السما　　طي السجل على كتاب بيان
وزعمت أن الله ينزل في الدجى　　في ثلث ليل آخر أو ثان
فيقول هل من سائل فأجيبه　　فأنا القريب أجيب من ناداني
وزعمت أن له نزولاً ثانيـاً　　يوم القيامـــة للقضاء الثاني
وزعمت أن الله يبدو جهرة　　لعباده حتى يرى بعيـــان
بل يسمعون كلامه ويرونه　　فالمقلتـــان اليه ناظرتـــان
وزعمت أن لربنا قدماً وأن الله واضعهـــا على النيران
فهناك يدنو بعضها من بعضها　　وتقول قط قط حاجتي وكفاني

وزعمت أن الناس يوم مزيدهم ... كل يحاضر ربه ويداني

بالحاء مع ضاد وجامع صادها ... وجهان في ذا اللفظ محفوظان

في الترمذي ومسند وسواهما ... من كتب تجسيم بلا كتمان

ووصفته بصفات حي فاعل ... بالاختيار وذانك الأصلان

أصل التفرق بين هذا الخلق في الـ ... ـباري فكن في النفي غير جبان

أولا فلا تلعب بدينك ناقضاً ... نفياً باثبات[1] بلا فرقان

فالناس بين معطل أو مثبت ... أو ثالث متناقض صنعان

والله لست برابع لهم بلى ... إما حماراً أو من الثيران

فاسمح بانكار الجميع ولا تكن ... متناقضاً رجل له وجهان

أولا ففرق بين ما أثبته ... ونفيته بالنص والبرهان

فالباب باب واحد في النفي والـ ... إثبات في عقل وفي ميزان

فمتى أقر ببعض ذلك مثبت ... لزم الجميع أو ائت بالفرقان

ومتى نفى شيئاً وأثبت مثله ... فمجسم متناقض ديصان

فذروا المراء وصرحوا بمذاهب الـ ... ـقدماء وانسلخوا من الايمان

قول الناظم رحمه الله تعالى : وزعمت أن محمداً أسري به الخ . تقدم الكلام في الاسراء بما يغني عن الاعادة .

قوله : وزعمت أن محمداً يوم اللقا . يدنيه رب العرش بالرضوان الخ

---

(١) في الاصل : وإثبات ، والصواب ما اثبتناه .

ذكر الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في كتاب «العلو» قال: أخبرنا اسماعيل بن عبد الرحمن بن المبارك: أنبانا عبد الله بن أحمد الفقيه، أنبأ ابن البطي، أنبأ ابن خيرون. أنبأنا أبو علي ابن شاذان، أنبأنا أبو سهل القطان، ثنا عبد الكريم الديرعاقولي، ثنا يحيى بن عبد الحميد وغيره قالوا: أنبأنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد (عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً) الاسراء: ٧٩ قال: يجلسه أو يقعده على العرش، لهذا القول طرق خمسة. وأخرجه ابن جرير في تفسيره، وعمل فيه المروذي مصنفاً، ثم قال الذهبي بعد ذلك: فأما قضية قعود نبينا على العرش، فلم يثبت في ذلك نص، بل في الباب حديث واه، وما فسر به مجاهد الآية كما ذكرناه، فقد انكره بعض أهل الكلام. فقام المروذي وقعد وبالغ في الانتصار لذلك، وجمع فيه كتاباً، وطرق قول مجاهد، منه رواية ليث ابن أبي سليم، وعطاء ابن السائب، وأبي يحيى القتات، وجابر بن يزيد، فممن أفتى في ذلك العصر بأن هذا الاثر يسلم ولا يعارض. أبو داود السجستاني صاحب «السنن» وابراهيم الحربي، وخلق، بحيث أن ابن الامام أحمد قال عقيب قول مجاهد: أنا منكر على كل من رد هذا الحديث، وهو عندي رجل سوء متهم، سمعته من جماعة، ومارأيت محدثاً ينكره. وعندنا إنما تنكره الجهمية. وقد حدثنا هارون ابن معروف، ثنا محمد بن فضيل، عن ليث عن مجاهد في قوله (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) الاسراء: ٧٩ قال: يقعده على العرش، فحدثت به أبي رحمه الله. فقال: لم يقدر لي أن أسمعه من ابن فضيل، بحيث أن المروذي روى حكاية ينزل عن ابراهيم بن عرفة: سمعت ابن عمير يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: هذا قد تلقته العلماء بالقبول. وقال المروذي: قال أبوداود السجستاني. ثنا ابن ابي صفوان الثقفي،

ثنا يحي ابن كثير ، ثنا سالم بن جعفر وكان ثقة ، ثنا الجريري ، ثنا سيف السدوسي ، عن عبد الله بن سلام قال : إذا كان يوم القيامة جيىء بنبيكم ﷺ ، حتى يجلس بين يدي الله عز وجل على كرسيه ... الحديث

وقد رواه ابن جرير في تفسيره ، أعني قول مجاهد ، ثم قال ابن جرير ، ليس في فرق الاسـلام من ينكر هذا لا من يقر أن الله فوق العرش ، ولا من ينكره ، وكذلك أخرجه النقاش في تفسيره . وكذلك رد شيخ الشافعية ابن سريج على من انكره . انتهى .

قوله : وزعمت أن لعرشه أطاً به الخ ... عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال : جاء اعرابي الى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، نهكت الأنفس ، وجاع العال ، وهلكت الأموال . فاستسق ربك ، فانا لنستشفع بالله عليك ، وبك على الله . فقال النبي ﷺ : « سبحان الله سبحان الله » فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجـوه أصحابه ، ثم قال : ويحك أتدري ما الله ؟ إن شأنه أعظم من ذلك ، انـه لا يستشفع بـه على أحد ، انه لفوق سمواته على عرشه ، وإنه عليه لهكذا » وأشار وهب بيده مثل القبة عليه . وأشار ابن الازهر أيضاً « وإنه ليئط به أطيط الرحـل بالراكب »[١] أخرجه أبو داود عن أحمد بن سعيد عن وهب ، ولفظه : إن عرشه على سمواته ، يساقه الذهبي في كتاب « العلو » من عدة طرق ، من طريق ابن اسحق ، ثم قال : هذا حديث غريب جداً فرد ، وابن اسحق حجة في المغازي إذا أسند ، وله مناكير وعجائب ، فالله أعلم ، هل قال ﷺ هذا أم لا ؟ والله عز وجل ليس كمثله شيء ، جل جلاله ، وتقدست أسماؤه ،

---

(١) هذا الحديث رواه محمد بن إسحاق معنعناً ، فهو ضعيف لتدليسه ، ولا يصح في اطيط العرش حديث .

ولا اله غيره . والأطيط الواقع بذات العرش من جنس الأطيط الحاصل في الرحل ، فذاك صفة للرحل وللعرش ، ومعاذ الله أن نعده صفة لله عز وجل ثم لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت . وقولنا في هذه الأحاديث إننا نؤمن بما صح منها ، وبما اتفق السلف على امراره واقراره ، فاما ما في إسناده مقال ، واختلف العلماء في قبوله وتأويله ، فانا لا نتعرض له بتقرير ، بل نرويه في الجملة ، ونبين حاله ، وهذا الحديث إنما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله تعالى فوق عرشه مما يوافق آيات الكتاب . انتهى كلامه

قوله . وزعمت أن الله أبدى بعضه الخ ... روى الترمذي في « جامعه » عن أنس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) الاعراف . ١٤٣ قال حماد . هكذا ، وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة أصبعه اليمنى ، قال . فساخ الجبل ، وخر موسى صعقاً . قال الترمذي . هذا حديث حسن غريب صحيح ، لانعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة . وروى ابن أبي عاصم في كتاب « السنة » عن ابن عباس (فلما تجلى ربه للجبل) قال . ماتجلى منه إلا مثل الخنصر . قال . فجعله دكاً . قال . تراباً (وخر موسى صعقاً) غشي عليه ،(فلما أفاق قال . سبحانك تبت إليك) عن أن أسألك الرؤية (وأنا أول المؤمنين) قال . أول من آمن بك من بني اسرائيل . ورواه الطبراني أيضاً . ورواه البيهقي في كتاب إثبات الرؤية له . اخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا محمد بن اسحق ، يعني العدناني ، ثنا عمرو ابن طلحة في التفسير ، ثنا اسباط عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال . تجلى منه مثل طرف الخنصر ، فجعله دكاً .

قوله . وزعمت للمعبود وجهاً باقياً وله يمين الخ ... يأتي الكلام في الوجه

واليدين ان شاء الله تعالى [١]

قوله : وزعمت أن يديه للسبع العلى الخ ..روى البخاري في «صحيحه» عن عبد الله عن نافع ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : «ان الله يقبض يوم القيامة الأرضين ، وتكون السموات بيمينه ثم يقول : أنا الملك » . وفي « الصحيحين » أيضاً ، واللفظ لمسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بيـده الأخرى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » .

قوله : وزعمت أن يمينه ملأى الخ ... يشير الى قوله ﷺ : « يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، أرأيتم مـا أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فانه لم يغض مافي يمينه ، وفي يده الأخرى العدل ، يخفض بها ويرفع » . قوله : وزعمت أن الله يضحك عندما الخ ... يشير الى قوله ﷺ (« يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، يدخلان الجنة ، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد ») [٢] .

قوله : وزعمت أيضاً أن قلب العبد مـا الخ .... عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قـال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ، يصرفه حيث شاء » ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك » رواه مسلم .

---

(١) في الاصل بياض هنا ، ولعله أراد ان يقول : يأتي الكلام في الوجه واليدين إن شاء الله تعالى في بابه .

(٢) في الاصل بياض هنا ، واثبتناهذا الحديث الذي رواه البخاري بين القوسين ، لانه هو الذي يشير الى قول المصنف : وزعمت ان الله يضحك عندمـا الخ .

قوله: وكذلك يضحك من قنوط عباده الخ.. يشير الى ما في حديث أبي رزين عن النبي ﷺ قال: « ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره، ينظر اليكم أذلين قنطين، ويظل يضحك، يعلم أن فرجكم قريب ». فقال له أبو رزين: أو يضحك الرب؟ قال: نعم. فقال: لن نعدم من رب يضحك خيراً.

قوله: وزعمت أن الله يبسط كفه الخ... يشير الى حديث أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: « ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » رواه مسلم، (وقوله في الحديث المتفق على صحته « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله الا الطيب، تقبلها بيمينه » وقوله: « ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم »)[1].

قال الخلال في كتاب « السنة » قال حنبل: سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروى أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا، وأن الله يرى، وأن الله يضع قدمه، وما أشبه هذه الأحاديث. فقال أبو عبد الله: نؤمن بها، ونصدق بها، ولا كيف، ولا معنى، ولا نرد منها شيئاً، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق اذا كانت باسانيد صحاح، ولا نرد على الله قوله، ولا يوصف الله تبارك وتعالى باكثر مما وصف به نفسه، بلا حد، ولا غاية، ليس كمثله شيء. وقال حنبل في موضع آخر، وقال: ليس كمثله شيء في ذاته، كما وصف به نفسه. وقد أجمل تبارك وتعالى بالصفة

---

(١) كان في الاصل هنا بياض، فاخترنا هذه الزيادة التي بين القوسين تتميماً للفائدة.

لنفسه ، فحد لنفسه صفة ، ليس يشبهه شيء ، فنعبد الله بصفاته غير محدودة ، ولا معلومة ، إلا بما وصف الله نفسه به . قال الله تبارك وتعالى : (وهو السميع البصير) الشورى : ١١ وقال حنبل في موضع آخر : وهو سميع بصير ، بلا حد ، ولا تقدير ، ولا يبلغ الواصفون صفته ، وصفاته منه وله ، ولا نتعدى القرآن والحديث ، فنقول كما قال ، ونصفه كما وصف نفسه ، ولا نتعدى ذلك ، ولا تبلغه صفة الواصفين ، نؤمن بالقرآن كله ، محكمه ومتشابهه ، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ، ووصف وصف به نفسه من كلام ، وخلوه بعبده ، ووضعه كنفه عليه : هذا كله يدل على أن الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة ، والتحديد في هذا بدعة ، والتسليم لله بأمره بغير صفة ولا حد إلا بما وصف به نفسه ، سميع بصير ، لم يزل متكلماً غفوراً عالمـــاً ، عالم الغيب والشهادة ، عـلام الغيوب ، فهذه صفات وصف بها نفسه ، لا ترد ولا تدفـع ، وهو على العرش بلا حد ، كما قال تعالى : (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٧ كيف شاء ، المشيئة اليه عز وجل ، والاستطاعة له ، ليس كمثله شيء ، وهو خالق كل شيء ، وهو كما وصف نفسه ، سميع بصير بلا حد ، ولا تقدير ، قول ابراهيم لابيه (لم تعبد مـــا لا يسمع ولا يبصر) مريم : ٤٢ فثبت أن الله سميع بصير ، صفاته منه ، لا نتعدى القرآن والحديث والخبر ، يضحك الله ، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول ، وتثبيت القرآن ، لا يصفه الواصفون ، ولا يحده أحد ، تعالى الله عمـــا تقول الجهمية والمشبهة . قلت له : والمشبهة ما يقولون ؟ قال : من قال بصر كبصري ، ويد كيدي . انتهى .

قوله : فالنـــاس بين معطل أو مثبت الخ ... المعطلة ، كالجهمية ، والمعتزلة ، والمشبتة ، يعني السلف وأتباعهم . والثالث المتناقض ، كالذين

يثبتون بعض الصفات ، وينفون بعضها ، ولهذا قال الناظم : فمتى أقر ببعض ذلك مثبت لزم الجميع ؛ أي : انه يلزمكم إذا أثبتم بعض الصفات أن تثبتوا جميعها ، وإلا فانفوها جميعها ، اذ ليس بأيديكم فرق صحيح ، وسيأتي إبطال ما فرقوا به في كلام الناظم رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

وقوله : ديصان . قال الناظم في « إغاثة اللهفان » وحكى أرباب المقالات عنهم ، أي عن الثنوية أن قوماً منهم يقال لهم : الديصانية ، زعموا أن طينة العالم كانت طينة خشنة[1] ، وكانت تحاكي جسم النور الذي هو الباري عندهم ـ زماناً ، فتأذى بها ، فلما طال ذلك عليه قصد تنحيتها عنه ، فتوحل فيها[2] واختلط بها ، فتركب من بينهما هذا العالم المشتمل على الظلمة والنور ، فما كان من جهة الصلاح ، فمن النور ، وما كان من جهة الفساد ، فمن الظلمة . قال : وهؤلاء يغتالون الناس ويخنقونهم ، ويزعمون أنهم يحسنون إليهم بذلك ، وأنهم يخلصون الروح النورانية من الجسد المظلم . انتهى .

وقوله : القدماء ، يعني الفلاسفة .

اوقاتلوا مع ايمة[3] التجسيم والتشـ ـبيه تحت لواء ذي القرآن
أولا فلا تتلاعبوا بعقولكم وكتابكم وبسائر الأديان
فجميعها قد صرحت بصفاته وكلامه وعلوه ببيان
والناس بين مصدق أو جاحد أو بين ذلك أو شبيه أتان
فاصنع من التنزيه ترساً محكما وانف الجميع بصنعة وبيان
وكذاك لقب مذهب الاثبات بالتجسيم ثم احمل على الأقران

---

(١) في الاصل حسنة . (٢) في الاصل فتحول عنها .

(٣) أي مع أئمة ، وحذفت الهمزتان لضرورة الوزن .

فمتى سمحت لهم بوصف واحد حملوا عليك بجملة الفرسان

فصرعت صرعة من غدا متلبطاً وسط العرين ممزق اللحمان

فلذاك انكرنا الجميع مخافة التجسيم ان صرنا الى القرآن

ولذا خلعنا ربقة الأديان من أعناقنا في سالف الازمان

ولنا ملوك قاوموا الرسل الألى جاؤوا باثبات الصفات كان

في آل فرعون وقارون وها مان ونمروذ وجنكسخان

قوله : جنكسخان . ويقال . جنكزخان ، هو طاغية التتار ، وملكهم الأول الذي خرب البلاد ، ولم يكن للتتار قبله ذكر ، إنما كانوا ببادية الصين ، فملكوه عليهم ، وأطاعوه طاعة أصحاب نبي لنبيهم ، وكان مبدأ ملكه سنة (٥٩٩)[١] واستولى على بخارى وسمرقند ١٩ سنة ، واستولى على مدن خراسان ١٧ سنة ، ولما رجع من حرب السلطان جلال الدين خوارزم شاه على نهر السند ، ووصل الى مدينة سكب من بلاد الخطا ، فمرض بها ومات في رابع شهر رمضان ٦٢٤ فكانت أيام مملكته خمساً وعشرين سنة وكان اسمه قبل أن يلي الملك تمرجي ؛ ومات على دينهم وكفرهم ، وخلف من الاولاد ستة ، وفوض الامر الى أركناي أحدهم بعد ما استشار الخمسة الباقين ، فلما مات امتنع أركناي من الملك ، وقال : في الخواني وأعمامي من هو اكبر مني ، فلم يزالوا به بعد أربعين يوماً حتى تملك عليهم ، ولقبوه

---

(١) في الاصل « ٩٩٠ » وهو خطأ ، والتصحيح من « البداية والنهاية » لابن كثير .

القان الأعظم ، ومعناه : الخليفة فيما قيل ، وبعث جنوده وفتح الفتوحات ، وطالت أيامه ، وولي بعده الامر موتكوقا ، وهو القان الذي هو لاكو من بعض مقدميه ، وولي بعده أخوه قبلاي ، وطالت أيام قبلاي ، وبقي في الأمر الى ٧٤٠ ومات بمدينة خان بالق ، يقال : إنـه لما كان السلطان خوارزم شـاه يغزو هؤلاء التتار ، ويقتلهم ، ويسبي ذراريهم وأولادهم ، ويمنعهم الخروج عن حدود بلادهم ، اجتمع [١] التتار ، وشكوا مايلاقون [٢] من خوارزم شاه ، وما هم فيه من الضيق والبلاء . فقال لهم جنكز خان : إن ملكتموني عليكم والتزمتم لي بالطاعـة واتباع الذي أضعه لـكم شرعة ، رددت خوارزم عنكم ، فالتزموا له بذلك ، وكان مما وضعه لهم أن قال : كل من أحب أمرأة بنتاً كانت أوغـيرها ، لا يمنع من التزوج ، ولو كان زبالاً ، والمرأة بنت ملك ، وكان غرضـه أن يتناكحوا بشهوة شديدة [٣] ويتضاعف نسلهم ، ويكثر عددهم ، فلما تقرر ذلك دخلوا على خوارزم شاه ، وعقـدوا مهادنته عشرين سنة ، فما جاءت العشرين سنة إلا وهم أمم لا يحصون ، ولا يحصرون . وكان من جملة ماقرره أنه إذا حرم القان على احد شيئاً ، فلا يحل له إلى أن تأتيه المهات ، وقرر لهم أن (من) رعف وهو يأكل قتل كائناً من كان ، وقرر لهم أن كل من لم يمض حكم اليسق قتل أيضاً ، وأراد أن يذهب الكبار الذين فيهم ، لعلمـه أنهم يداخلهم الحسد له ، ويستصغرونه ، فتركهم يوماً وهم على سماطه ، فرعف فلم يجسر أحد أن يمضي فيه حكمه لمهابته وجبروته ، فتركوه ولم يطالبوه بما قرر ، وهابوه في ذلك ، فتركهم أياماً ، وجمعهم وقال : لأي شيء ما أمضيتم حكم

---

(١) في الاصل اجتمعوا . (٢) في الاصل : يلاقوا .

(٣) في الاصل شديد .

أليسق في ، وقد رعفت ، وأنا آكل بينكم ؟ فقالوا : لم نجسر على ذلك . فقال . لم تعملوا باليسق ولا أمضيتم أمره ، وقدوجب قتلكم ، فقتل أكابرهم ، واستراح منهم ، والترك يزعمون أنـــه ولد الشمس ، لأن في صحاريهم أماكن فيها غاب الغاب ، لا يقربه أحـــد من الذكران ، وأن أمه أعتقت فرجها ، وراحت إلى ذلك الغاب وغابت فيه مـــدة . وأتتهم وقالت . هذا من الشمس ، لأن الشمس دخلت في فرجي بعض الأيام وأنا أغتسل ، فحملت بهذا . ويقال . إنه كان حـــداداً ، والله اعلم ، كذا في « تاريخ ابن شاكر »

قوله . أتان بفتح الهمزة ، هي الأنثى من الحمير . قال ابن السكيت : ولا يقال أتانة ، وجمع القلة أتن ، مثل عنق وأعنق ، وجمـــع الكثرة . إتن بضمتين .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولنا الائمه كالفلاسفة الألى لم يعبؤوا أصلاً بذي الاديان
منهم أرسطو ثم شيعته إلى هذا الاوان وعند كل أوان
ما فيهم من قال إن الله فو ق العرش خارج هذه الاكوان
كلا ولا قالوا بأن إلهنـــا متكلم بالوحي والقرآن
ولأجل هذا رد فرعون على موسى ولم يقدر على الايمان
إذ قال موسى ربنا متكلم فوق السماء وأنـــه ناداني

وكذا ابن سينا لم يكن منكم ولا　　أتباعه بل صانعوا بدهان

وكذلك الطوسي لما أن غدا　　ذا قدرة لم يخش من سلطان

قتل الخليفه والقضاة وحاملي القرآن والفقهاء في البلدان

إذ هم مشبهة مجسمة وما　　دانوا ابدين أكابر اليونان

ولنا الملاحدة الفحول أئمة التعطيل والتشبيه آل سنان

ولنا تصانيف بها غاليتمُ　　مثل «الشفا» و«رسائل الاخوان»

وكذا الاشارات التي هي عندكم　　قد ضمنت لقواطع البرهان

قد صرحت بالضد مما جاء في التوراة والانجيل والفرقان

هي عندكم مثل النصوص وفوقها　　في حجة قطعية وبيان

واذا تحاكمنا فان إليهم　　يقع التحاكم لا إلى القرآن

إذ قد تساعدنا بأن نصوصه　　لفظية عزلت عن الايقان

فلذاك حكّمنا عليه وأنتمُ　　قول المعلم أولاً والثاني

ياويح جهم وابن درهم والالى　　قالوا بقولهما من الخوران

بقيت من التشبيه فيه بقية　　نقضت قواعده من الأركان

ينفي الصفات مخافة التجسيم لا　　يلوي على خبر ولا قرآن

ويقول إن الله يسمع أو يرى　　وكذاك يعلم سر كل جنان

ويقول إن الله قد شاء الذي ... هو كائن من هـذه الأكوان

ويقول إن الفعل مقدور له ... والكون ينسبه الى الحدثان

وبنفيه التجسيم يصرخ في الورى ... والله ما هـذان متفقان

لكننا قلنا محال كل ذا ... حذراً من التشبيه والامكان

أما ابن سينا ، فهو على مافي « تاريخ ابن خلكان » وغيره . أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا البخاري ، والده من بلخ وسكن بخارى أيام الأمير نوح ، ثم تزوج امرأة بقرية (أفشنة) وبها ولد أبو علي المذكور الملقب بالرئيس ، وختم القرآن وهو ابن عشر سنين ، وقرأ الحكمة على أبي عبد الله الناتلي ، وحل إقليدس ، والمجسطي ، والطب وهو ابن ثماني عشرة سنة ، ثم انتقل من بخارى الى جرجان وغيرها ، ثم اتصل بخدمة مجد الدولة ابن بويه بالري ، ثم خدم قابوس بن شكمير ، ثم قصد علاء الدولة ابن كاكويه بأصبهان ، وتقدم عنده ثم مرض بالصرع ، والقولنج ، وترك الحمية ، ومضى الى همذان مريضاً ومات بها سنة ٤٢٨ أربعمائة وثمان وعشرين ، وعمره إحدى وخمسون سنة(١) . قال ابن خلكان : ثم ان ابن سينا لما أيس من العافية على ماقيل ، ترك المداواة ، واغتسل ، وتاب ، وتصدق بما معه على الفقراء ، ورد المظالم على من عرفه ، وأعتق مماليكه ، وجعل يختم في كل ثلاثة ايام ختمة ، مات بهمذان يوم الجمعة من شهر رمضان وقيل : مات في السجن ، وولادته سنة ثلاثمائة وسبعين ، والله أعلم . وله نحو مائة مصنف ، منها كتاب « الشفاء » في الحكمة « والاشارات » ، وفي الطب « القانون » وغيره ، وله شعر ، ومنه القصيدة الشهيرة في الروح ، وهي :

---

(١) في الاصل : ومات سنة اربعمائة وثمان وثلاثين سنة، وعمره ثمان وخمسون سنة وهو خطأ ، والتصحيح من « الاعلام » و « وفيات الأعيان » .

هبطت اليك من المحل الارفع   ورقاء ذات تعزز وتمنع

وأما النصير الطوسي . فهو محمد بن محمد بن الحسن ، نصير الدين الطوسي ، صاحب « الرياضي » ، « والرصد » ، كان رأساً في علم الأوائل ، لا سيما في الأرصاد ، والمجسطي ، فانه فاق الكبار . قرأ على المعين سالم بن بدران المعتزلي الرافضي ، وغيره ، وكان ذا حرمة وافرة ، ومنزلة عالية عند هولاكو ، وكان يطيعه فيما يشير به عليه ، والأموال في تصريفه ، وابتنى بـ(مراغة) قبة ، ورصداً عظيماً ، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء ، وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد ، والشام ، والجزيرة ، حتى تجمع فيها زيادة على اربعمائة الف مجلد ، وقرر بالرصد المنجمين ، والفلاسفة ، والعقلاء ، وجعل له أوقافاً ، وكان حسن الصورة ، سمحاً كريماً ، جواداً حليماً ، حسن العشرة ، غزير الفضائل ، واختصر « المحصل » للامام فخر الدين ، وهذبه ، وزاد فيه ، وشرح « الاشارات » ورد على الامام فخر الدين في شرحه ، وقال : هذا جرح ، وما هو بشرح . وقال فيه : حررته في عشرين سنة ، وناقض فخر الدين كثيراً . ومن تصانيفه « التجريد » في المنطق و « أوصاف الأشراف » و « قواعد العقائد » و « التلخيص » في علم الكلام « وشرح كتاب ثمرة » بطليموس[1] » ، وكتاب « المجسطي » و « شرح مسألة العلم » و « رسالة الامامه » و « رسالة » الى نجم الدين الكاتبي في إثبات الواجب وحواشي على كليات « القانون » وغير ذلك . وقال شمس الدين ابن المؤيد العرضي : أخذ النصير العلم من كمال الدين بن يونس الموصلي ، ومعين الدين سالم بن بدران المصري المعتزلي ، وغيرهما ، وكان منجماً لائقاً[2] بعد أبيه

---

(١) في الاصل : « وشرح الهمزة ليطليموس » ، والتصحيح من كتاب « الاعلام » .

(٢) هذه الكلمة لم تكن واضحة في الاصل .

وكان يعمل الوزارة لهولاكو ، من غير أن يدخل يده في الأمـوال ، واحتوى على عقله ، حتى إنه لا يركب ولا يسافر الا في وقت يأمره بـه ، ومولد النصير بطوس ٥٩٧ سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وتوفي في ذي الحجة سنة ٦٧٣ اثنتين وسبعين وستمائة ببغـداد ، ودفن في مشهد الكاظم . انتهى ملخصاً من « تاريخ ابن شاكر »

قلت : ذكر شيخ الاسـلام ابن تيمية في « منهاج السنة النبوية » في الرد على ابن المطهر الرافضي لما ذكر قوله ، قال شيخنا الأعظم خواجة نصر الملة والحق والدين محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه ، الى آخر ما ذكر ابن المطهر . فقال الشيخ في الجواب :

الجواب من وجوه :

أحدها : أن هذا الامامي قد كفر من قال : إن الله موجب بالذات ، كما تقدم من قوله ، يلزم أن يكون موجباً بذاته لا مختاراً ، فيلزم الكفر ، وهذا الذي جعله شيخه الاعظم ، واحتج بقوله ، هو ممن يقول بأن الله موجب بالذات ، ويقول بقدم العالم ، كما ذكر ذلك في كتاب « شرح الاشارات » له ، فيلزم على قوله أن يكون شيخه هذا الذي احتج به كافراً ، والكافر لا يقبل قوله في دين المسلمين .

الثاني : أن هذا الرجل قد اشتهر عند الخاص والعام أنه كان وزير الملاحدة الباطنية الاسماعيلية بالألموت ، ثم لما قدم الترك المشركون الى بلاد المسلمين ، وجاؤوا الى بغداد دار الخلافة ، كان هـذا منجماً مشيراً لملك الترك المشركين هولاكو . أشار عليه بقتل الخليفة ، وقتل أهل العلم والدين ، واستبقاء أهل الصناعات والتجارات الذين ينفعونه في الدنيا ، وانه استولى على الوقف الذي للمسلمين ، وكان يعطي منه ماشاء الله لعلماء

المشركين وشيوخهم من النجشية السحرة وأمثالهم ، وانه لما بنى الرصد الذي بـ(مراغة) على طريقة الصابئة كان أخس الناس نصيباً منه من كان إلى أهل الملل أقرب ، وأوفرهم نصيباً من كان أبعد عن الملل ، مثل الصابئة المشركين ، ومثل المعطلة، وسائر المشركين ،وان ارتزقوا[١] بالنجوم والطب ونحو ذلك، ومن المشهور عنه وعن أتباعه الاستهتار بواجبات الاسـلام ومحرماته ، لايحافظون على الفرائض كالصلوات ، ولاينزعون عن محارم الله من الفواحش والخمر وغير ذلك من المنكرات ، حتى إنهم في شهر رمضان يذكر عنهم من إضاعة الصلوات ، والفواحش ، وشرب الخمور ، مايعرفه أهل الخبرة بهم ، ولم يكن لهم قوة وظهور إلا مع المشركين الذين دينهم شر من دين اليهود والنصارى، ولهذا كلما قوي الاسلام في المغول[٢] وغيرهم من الترك ،ضعف أمر هؤلاء لفرط معاداتهم للاسلام وأهله ، ولهذا كانوا من أنقص الناس منزلة عند الأمير نوروز المجاهد في سبيل الله الشهيد الذي دعا ملك المغول غازان الى الاسلام ، والتزم له ان ينصره اذا أسلم ، وقتل المشركين الذين لم يسلموا من النجشية السحرة وغيرهم ، وهدم البدخانان ، وكسر الأصنام ، ومزق سدنتها كل ممزق ، وألزم اليهود والنصارى بالجزية والصغار ، وبسببه ظهر الاسلام في المغول وأتباعهم.

وبالجملة فأمر هذا الطوسي وأتباعه في الاسلام والمسلمين أشهر وأعرف من أن يعرف ، ويوصف ، ومع هذا فقد قيل : إنه كان في آخر عمره يحافظ على الصلوات الخمس ، ويشتغل بتفسير البغوي ، وبالفقه ، ونحو ذلك فان كان قد تاب من الالحاد ، فالله يقبل التوبـة عن عباده ويعفو عن السيئات ، والله يقول : (ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) الزمر :٥٣ لكن ماذكره

---

(١) في الاصل : ارتزقوم . (٢) في الاصل : المغل .

عنه هذا إن كان قبل التوبة ، لم يقبل قوله ، وان كان بعـــد التوبة ، لم يكن قد تاب من باب الرفض ، بل من الالحاد وحده . وعلى التقديرين ، فلا يقبل قوله ، والأظهر أنه كان يجتمع به وبأمثاله لما كان منجماً للمغول المشركين ، والالحـــاد معروف من حـــاله إذ ذاك ، انتهى كلام شيخ الاسلام .

وقول الناظم : آل ســـنان . هو سنان البصري الذي كان بحصون الاسماعيلية بالشام ، وكان يقول : قد رفعت عنهم الصـــلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة . واما « الشفاء » فهو من مصنفات ابن سينا ، وكذا « الاشارات » ، من تصانيفه أيضاً . وقوله : و « رســـائل الاخوان » هي « رسائل إخوان الصفا » وهي على مـــافي « كشف الظنون » و « شرح عقيدة السفاريني » إحدى وخمسون رسالة ، وهي أصل مذهب القرامطة ، وربما نسبوها الى جعفر الصادق رضي الله عنه ترويجاً . وقد صنفت بعد المائة الثالثة في دولة بني بويـه ، أملاها أبو سليمان محمد بن نصر البستي المعروف بالمقدسي ، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني ، وأبو أحمد النهرجوري ، والعرفي يزيد بن رفاعة ، كلهم حكماء اجتمعوا وصنفوا هذه الرســـائل على طريق الفلسفة الخارجـة عن مسلك الشريعـة المطهرة ، وفي « فتاوى ابن حجر الحديثية » مانصه : نسبها كثيراً الى جعفر الصادق ، وهو باطل ، وإنما الصواب أن مؤلفها مسلمة بن قاسم الأندلسي ، كان جامعاً لعلوم الحكمة ، من الالهيات ، والطبيعيات ، والهندســـة ، والتنجيم ، وعلوم الكيمياء وغيرها ، وإليه انتهى علم الحكمة بالأندلس ، وعنه اخذ حكماؤها . وتوفي سنة ٣٥٣ وممن ذكره ابن بشكوال ، وكتابه فيـــه أشياء حكمية ، وفلسفية ، وشرعية انتهى .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في « المنهاج » : حتى إن طائفة من الناس يظنون أن « رسائل إخوان الصفا » مأخوذة عن جعفر الصادق ، وهذا من الكذب المعلوم ، فان جعفراً توفي سنة ١٤٨ ثمان وأربعين ومائة وهذه الرسائل وضعت بعد ذلك بنحو مائتي سنة ، وضعت لما ظهرت دولة الاسماعيلية الباطنية الذين بنوا القاهرة المعزية ، سنة بضع وخمسين وثلاثمائة وفي تلك الأوقات صنفت هذه الرسائل بسبب ظهور هذا المذهب الذي ظاهره الرفض ، وباطنه الكفر المحض ، فأظهروا اتباع الشريعة ، وأن لها باطناً مخالفاً لظاهرها ، وباطن أمرهم مذهب الفلاسفة ؛ وعلى هذا الأمر وضعت هذه الرسائل ؛ وضعها طائفة من المتفلسفة ؛ معروفون ؛ وقد ذكروا في أثنائها ما استولى عليه النصارى من أرض الشام ؛ وكان أول ذلك بعد ثلاثمائة سنة ٣٠٠ من الهجرة النبوية في أوائل المائة الرابعة انتهى كلامه قال النَّاظِم:

فلذاك حكمنا عليه وأنتم ... قول المعلم أولاً والثاني

المعلم الأول أرسطاطاليس ؛ والمعلم الثاني هو أبو نصر الفارابي : وهو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان التركي، صاحب المصنفات المشهورة في المنطق والحكمة ؛ والموسيقى التي من ابتغى الهدى فيها أضله الله. مات سنة ٣٣٩ تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وله نحو من ٨٠ سنة.

قوله :

ياويح جهم وابن درهم والألى ... قالوا بقولهما من الخوران

هذا على سبيل التهكم ، وإلزام جهم والجعد بن درهم التناقض ؛أي : إن الجهم يقول: إن الله يسمع ، ويرى ،ويعلم ، ويثبت المشيئة والعلم لله ، ومع ذلك ينفي التجسيم ؛ أي : فالتجسيم لازم له إذا أثبت هذه الصفات ، وهذا من الخور، أي الضعف.

قوله : ياويح . ويح : كلمة ترحم وتوجع ، تقال لمن وقع في هلكة لايستحقها . قال في « القاموس » : ويح لزيد ، وويحاً له : كلمة رحمة ، ورفعه على الابتداء ، ونصبه باضمار فعل ، وويح ريد وياويحه بنصبهما أيضاً ، وويحا زيد بمعناه ، وأصله وي ،فوصلت بحاء مرة وبلام مرة . انتهى .

قال شيخ الاسلام في كتابه « التسعينية » : وكذلك الجهمية على ثلاث درجات ، فشرها الغالية الذين ينفون أسماء الله وصفاته ، وإن سموه بشيء من أسمائه الحسنى قالوا : هو مجاز ، فهو في الحقيقة عندهم ليس بحي ، ولا عالم ، ولا قادر ، ولا سميع ، ولا بصير ، ولا يكلم ، ولا يتكلم ، وكذا وصف العلماء حقيقة قولهم ، كما ذكره الامام أحمد فيما خرجه في الرد على الزنادقة والجهميه ، قال : فعند ذلك تبين للناس أنهم لايثبتون شيئاً ، لكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في العلانية . فاذا قيل لهم : فمن تعبدون ؟ قالوا : نعبد من يدبر هذا الخلق . فقلنا : فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة ؟ قالوا : نعم . قلنا : قد عرف المسلمون أنكم لا تثبتون شيئاً انما تدفعون عن انفسكم الشنعة بما تظهرون ، فقلنا لهم : هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى؟ قالوا : لم يتكلم ولا يتكلم ، لأن الكلام لايكون إلا بجارحة ، والجوارح عن الله منفية . واذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيما لله ، ولا يعلم أنهم إنما يقودهم قولهم إلى ضلال و كفر . قال : وقال ابو الحسن الأشعري في في « المقالات » الحمد لله الذي بصرنا خطأ المخطئين ، وعمى العمين ، وحيرة المتحيرين ، الذين نفوا صفات رب العالمين ، وقالوا ان الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ، لاصفات له ، ولا علم له ، ولا قدرة له ، ولا حياة له ،

ولا سمع له ، ولا بصر له ، ولا عزة له ، ولا جـلال له ، ولا عظمة له ، ولا كبرياء له . وكذلك قالوا في سائر صفات الله تعـالى التي وصف بها نفسه . قال : وهذا قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً لم يزل ، ليس بعـالم ، ولا قادر ، ولا حي ، ولا سميع ، ولا بصير ، ولا قـدير ، وعبروا عنه بأن قالوا : نقول عين لم يزل ، ولم يزيدوا على ذلك ، غير أن هؤلاء الذين وصفنا قولهم من المعتزلة في الصفات لم يستطيعوا أن يظهروا من ذلك ما كانت الفلاسفة تظهره ، فأظهروا معناه ، فنفوا أن يكون للباري ، علم ، وقدرة ، وحياة ، وسمع وبصر ، ولولا الخوف لأظهروا ما كانت الفلاسـفة تظهره من ذلك ، ولأفصحوا به ، غير أن الخوف يمنعهم من اظهار ذلك . قال وقـد أفصح بذلك رجل يعرف بـ (ابن الايادي) كان ينتحل قولهم ، فزعم أن الباري ، عالم ، قادر ، سميـع ، بصير في المجاز لا في الحقيقة ، وهذا القول الذي هو قول الغالية النفاة للاسماء حقيقة ، هو قول القرامطة الباطنية ، ومن سبقهم من إخوانهم الصابئة الفلاسفة .

والدرجة الثانية من التجهم ، هو تجهم المعـتزلة ونحوهم الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة ، لكن ينفون صفاته ، وهم أيضاً لا يقرون بأسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة ، بل يجعلون كثيراً منها على المجاز ، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون .

وأما الدرجة الثالثة ، فهم الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية ، لكن فيهم نوع من التجهم ، كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة ، لـكن يردون طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية وغير الخبرية ، إلى آخر ماذكره رحمه الله تعالى . وقد تقدم ماذكره شيخ الاسلام في موضع آخر . والجهم هو

اعظم الناس نفياً للصفات ، بل وللاسماء الحسنى .

قوله : من جنس قول الباطنية القرامطة . حتى ذكروا عنه أنه لا يسمي الله شيئاً ، ولا غير ذلك من الاسماء التي يسمى بها المخلوق ، لأن ذلك بزعمه من التشبيه الممتنع ، وهذا قول القرامطة الباطنية ، وحكي عنه أنه لا يسميه إلا قادراً فاعلاً ، لأن العبد عنده ليس بقادر ولا فاعل ، إذ كان هو رأس المجبرة . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

قال الناظم :

فصل

في قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن

وأتى فريق ثم قال ألا اسمعوا … قد جئتكم من مطلع الايمان

من أرض طيبة من مهاجر أحمد … بالحق والبرهان والتبيان

سافرت في طلب الإله فدلني الـ … ـهادي عليه ومحكم القرآن

مع فطرة الرحمن جل جلاله … وصريح عقلي فاعتلى ببيان

فتوافق الوحي الصريح وفطرة الـ … ـرحمن والمعقول في ايمان

شهدوا بأن الله جل جلاله … متفرد بالملك والسلطان

وهو الاله الحق لا معبود إلا … وجهه الأعلى العظيم الشان

بل كل معبود سواه فباطل … من عرشه حتى الحضيض الداني

وعبادة الرحمن غاية حبه — مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر — مادار حتى قامت القطبان

ومداره بالامر أمر رسوله — لا بالهوى والنفس والشيطان

فقيام دين الله بالاخلاص والاحسان إنهما له أصلان

لم ينج من غضب الاله وناره — الا الذي قامت به الأصلان

ينج بفتح الياء وضم الجيم ، مبني للفاعل ؛ أي : لم ينج من غضب الاله وناره الا الذي قام به الاخلاص والاحسان .

والناس بعد فمشرك بالهه — أوذو ابتداع أوله الوصفان

والله لايرضى بكثرة فعلنا — لكن بأحسنه مع الايمان

يشير الى قول الفضيل بن عياض في قوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) الملك : ٢ قال : أخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا علي ، ماأخلصه وأصوبه فقال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص : أن يكون لله ، والصواب : أن يكون على السنة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فالعارفون مرادهم إحسانه — والجاهلون عموا عن الاحسان

وكذاك قد شهدوا بأن الله ذو — سمع وذو بصر هما صفتان

وهو العلي يرى ويسمع خلقه — من فوق عرش فوق ست ثمان

فيرى دبيب النمل في غسق الدجى ويرى كذاك تقلب الاجفان

وضجيج أصوات العباد بسمعه ولديه لا تتشابه الصوتان

وهو العليم بما يوسوس عبده في نفسه من غير نطق لسان

بل يستوي في علمه الداني مع الـ ـقاصي وذو الاسرار والاعلان

وهو العليم بما يكون غداً وما قد كان والمعلوم في ذا الآن

وبكل شيء لم يكن لو كان كيف يكون موجوداً لذي الاعيان

وهو القدير فكل شيء فهو مقدور له طوعاً بلا عصيان

وعموم قدرته تدل بأنه هو خالق الأفعال للحيوان

هي خلقه حقاً وأفعال لهم حقاً ولا يتناقض الأمران

لكن أهل الجبر والتكذيب بالـ أقدار ما انفتحت لهم عينان

نظروا بعيني أعور اذ فاتهم نظر البصير وغارت العينان

فحقيقة القدر الذي حار الورى في شأنه هو قدرة الرحمن

واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد لما حكاه عن الرضى الرباني

قال الامام شفا القلوب بلفظة ذات اختصار وهي ذات بيان

أشار رحمه الله بهذه الأبيات إلى إثبات صفات الله تعالى التي نطق بها كتابه ، وسنة رسوله ﷺ . ومذهب سلف الأمة وأئمتها اثبات صفات الله

تعالى التي ورد بها الكتاب ، وصحيح السنة وحسنها ، إثباتاً بلا تمثيـــل ، وتنزيها بلا تعطيل ، خلافاً للجهمية ، والمعـتزلة ، والاشاعرة ، والأمر كما قال نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى : من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ماوصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ماوصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله تشبيهاً . انتهى . بل هو إثبات على ما يليق بجلال الله وعظمته و كبريائه ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

قولـــه : وبكل شيء لم يكن لو كان كيف يكون الخ . وذلك نحو خبر الله عن أهل النار أنهم (لو ردوا لعادوا الى ما نهوا عنه) الانعام : ٢٨ وأنه (لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) الأنفال : ٢٣ وأنـه (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) الأنبياء : ٢٢ وأنه (لو كان معه آلهـــة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا) الاسراء : ٤٢ وأنه (لوخرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا) التوبة : ٤٧ وأنه (لولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً) النور : ٢١ ونحو ذلك . وقد تقدمت الاشارة الى اثبات الحرف والصوت في كلام الله تعالى ، و كذلك تقدم الكلام في خلق أفعال العباد .

وأما الكلام في القدر ، فهو طويل ، ولكن نشير الى ذلك اشارة ، فنقول : قول الناظم رحمه الله : لكن أهل الجبر والتكذيب بالاقدار الخ ...

أي : إن الجبرية الذين غلوا في إثبات القدر حتى جعلوا العباد مجبورين على أفعالهم من الطاعات والمعاصي ، فأفعال العباد عندهم بمنزلة تحريك الهـــواء للاشجار ، وبمنزلة حركة المرتعش ، وقابلهم النفاة للقدر ، وهم الذين جعلوا أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالى .

وقد روى مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ،

عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين ، فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوفق لنا عبدالله بن عمر داخلاً المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبي ، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام الي فقلت : أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن ، ويتقفرون العلم ، يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أنف . فقال : إذا لقيت أولئك ، فأخبرهم أني منهم بريء ، وأنهم مني برآء ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر : لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ، ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم قال : حدثني عمر بن الخطاب رضي عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يامحمد أخبرني عن الاسلام . قال رسول الله ﷺ : «الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا » قال : صدقت ، فعجبنا له ، يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرني عن الايمان . قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الاحسان قال « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فانه يراك » . قال فأخبرني عن الساعة . قال : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » قال : فأخبرني عن أماراتها . قال « أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » قال : فانطلق ، فلبثت ثلاثاً . وفي رواية مسلم : ملياً ، ثم قال : « ياعمر ، أتدري من

السائل ؟ » قلت : الله ورسوله اعلم . قال : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم »

وروى الامام أحمد ، وأبو داود ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة ، حدثني أبي قال : دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت ، فقلت : يا أبتاه أوصني ، واجتهد لي . فقال : أجلسوني . فقال : يابني ، إنك لن تجد طعم الايمان ، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله ، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره . قلت ياأبتاه ، كيف أعلم ما خير القدر وشره؟قال : أن تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يابني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ماخلق الله القلم ، فقال له اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » ، يابني إن مت ولست على ذلك دخلت النار . ورواه الترمذي وقال : حسن صحيح غريب . وفي هذا الحديث ونحوه بيان شمول علم الله تعالى ، واحاطته بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة ، كما قال الله تعالى : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) الطلاق : ١٢

وقد قال الامام أحمد رحمه الله لما سئل عن القدر ، قال : القدر قدرة الرحمن ، واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد ، كما ذكره الناظم . والمعنى أنه لايمنع عن قدرة الله شيء ، ونفاة القدر قد جحدوا كمال قدرة الله تعالى فضلوا عن سواء السبيل .

وقد قال بعض السلف : ناظروهم بالعلم ، فان أقروا به خصموا ، وإن جحدوه كفروا .

وفي المسند » و « سنن ابي داود » عن ابن الديلمي ، واسمه عبد الله

ابن فيروز، قال: لو أن الله عذب اهل سمواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من اعمالهم، ولوأنفقت مثل أحد ذهباً ماقبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وماأخطأك لم يكن ليصيبك، ولومت على غير هذا لكنت من أهل النار. قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، فقال مثل ذلك ثم أتيت حذيفة بن اليمان، فقال مثل ذلك، ثم أتيت زيد بن ثابت. قال: فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك، وأخرجه ابن ماجه. وقال العماد ابن كثير رحمه الله عن سفيان، عن منصور، عن ربعي بن خراش عن رجل، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله الا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره» وكذا رواه الترمذي عن النضر بن شميل، عن شعبة، عن منصور به. ورواه من حديث أبي داود الطيالسي، عن شعبة، عن ربعي، عن علي، فذكره.

وقد ثبت في «صحيح مسلم» من رواية عبد الله بن وهب وغيره عن أبي هانىء الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة» زاد ابن وهب: «وكان عرشه على الماء» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

وكل هذه الاحاديث، وما في معناها، فيها الوعيد الشديد على عدم الايمان بالقدر، وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم. ومن مذهبهم تخليد أهل المعاصي في النار، وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر،

وأعظم المعاصي . وفي الحقيقة إذا اعتبرنا إقامـــة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة ، من إثبات القدر ، فقـــد حكموا على أنفسهم بالخلود في النار إن لم يتوبوا ، وهذا لازم لهم على مذهبهم ، هذا وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة ، من إثبات القدر ، وعدم تخليد أهـل الكبائر من الموحدين في النار ، والله اعلم .

قال النّاظم رَحمهُ الله تعالى :

ولـه الحياة كمالها فلأجل ذا ... ما للممات عليه من سلطـان

وكذلك القيوم من أوصافه ... ما للمنام لديه من غشيان

وكذاك أوصاف الكمال جميعها ... ثبتت له ومدارها الوصفان

فمصحح الأوصاف والأفعال والـ ... أسماء حقاً ذانك الوصفان

ولأجل ذا جاء الحديث بأنه ... في آية الكرسي وذي عمران

اسم الاله الأعظم اشتملا على ... اسم الحي والقيوم مقترنان

فالكل مرجعها الى الاسمين يد ... ري ذاك ذو بصر بهذا الشان

أي : ومصحح الأوصاف والأفعال والأسماء حقاً ذانك الوصفان ، وهما الحي القيوم .

وقوله : ولأجل ذا جاء الحديث الخ ... أي : جاء الحديث بأن الحي القيوم ، هما اسما الله الأعظم . يشير إلى ماروه ابو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وحسنه الترمذي وصححه ، من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله

عنها ، أن النبي ﷺ قال « اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين (والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) البقرة : ١٦٣ وفاتحة سورة آل عمران (آلم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم)

واخرج الامام أحمد، وابن ماجه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مر النبي ﷺ بأبي عياش زيد بن الصامت وهو يصلي ، وهو يقول : اللهم إني اسألك بأن لك الحمد ، لا اله الا أنت ، ياحنان يا منان ، يا بديع السموات والارض ، ياذا الجلال والاكرام . فقال رسول الله ﷺ : لقد دعا الله باسمه الاعظم الذي إذا دعي به أجاب ، واذا سئل به أعطى ». رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن حبان في « صحيحه » والحاكم ، وزاد هؤلاء الاربعة(١) : «ياحي ، يا قيوم »ـ وقال الحاكم :صحيح على شرط مسلم،وزاد الحاكم في رواية له ـ «أسألك الجنة ، وأعوذ بك من النار».

وفي « جلاء الأفهام » للناظم قال : وفي « مسند أبي يعلى » الموصلي عن بعض الصحابة أنه طلب أن يعرف اسم الله الاعظم ، فرأى في منامه مكتوباً في السماء بالنجوم : يا بديع السموات والارض ، ياذا الجلال والاكرام . انتهى .

وله الارادة والكراهة والرضى ... وله المحبة وهو ذو الاحسان

وله الكمال المطلق العاري عن التشبيه والتمثيل بالانسان

وكمال من أعطى الكمال بنفسه ... أولى وأقدم وهو أعظم شان

أيكون قد أعطى الكمال وماله ... ذاك الكمال أذاك ذو إمكان

أيكون إنسان سميعاً مبصراً ... متكلماً بمشيئة وبيان

---

(١) اي ابو داود،والنسائي وابن حبان ،والحاكم .

وله الحياة وقدرة وإرادة والعلم بالكلي والأعيان
والله قد أعطاه ذاك وليس هـــذا وصفه فاعجب من البهتان
بخلاف نوم العبد ثم جماعه والأكل منه وحاجة الأبدان
إذ تلك ملزومات كون العبد محـ تاجا وتلك لوازم النقصان
وكذا لوازم كونه جسداً نعم ولوازم الاحداث والامكان
يتقدس الرحمن جل جلاله عنها وعن أعضاء ذي جثمان

قوله : وله الكمال المطلق الخ ... اعلم أن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيل يستوي فيه الأصل والفرع ، ولا بقياس شمول تستوي أفراده ، فان الله سبحانه ليس كمثله شيء ، فلا يجوز أن يمثل بغيره ، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره في قضية كلية تستوي أفرادها ، ولهـــذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الالهية ، لم يصلوا بها الى اليقين ، بل تناقضت أدلتهم ، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب ، لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافئها .

ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولى ، سواء كان تمثيلاً أو شمولاً ، كما قال تعالى : (ولله المثل الأعلى) النحل : ٦٠ مثل أن يعلم أن كل كمال ثبت للممكن أو للمحدث لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، وهو ما كان كمالاً للموجود ، غير مستلزم للعدم ، فالواجب القديم أولى به ، وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ثبت نوعه للمخلوق المربوب المعلول المدبر ، فانما استفاده من خالقه وربه ومدبره ، فهو أحق به منه ، وأن كل نقص وعيب في نفسه

وهو ما تضمن سلب هذا الكمال ـ اذا وجب نفيه عن شيء ما من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات ، فانه يجب نفيه عن الرب تبارك وتعالى بطريق الأولى ، وأنه أحق بالأمور الوجودية من كل موجود . وأما الامور العدمية ، فالممكن المحدث بها أحق ، ونحو ذلك ، ومثل هذه الطرق ، هي التي كان يستعملها السلف والأئمة في مثل هذه المطالب ، كما استعمل نحوها الامام أحمد ومن قبله وبعده من أئمة الاسلام ، وبمثل ذلك جاء القرآن في تقرير أصول الدين في التوحيد والصفات والمعاد ، ونحو ذلك . أفاده شيخ الاسلام في كتاب العقل والنقل .

والله ربي لم يزل متكلماً   وكلامه المسموع بالآذان

صدقاً وعدلاً أحكمت كلماته   طلباً واخباراً بلا نقصان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في إثبات صفة الكلام ، وقد ذهب جمهور أهل الحديث وأئمتهم إلى أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ، وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار والقرآن وغيره من الكتب الالهية ، وهو كلام الله تكلم الله به بمشيئته وقدرته ، ليس ببائن (ولا) مخلوق ، ولا يقولون : إنه صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً ، ولا إن كلام الله من حيث هو هو حادث ، بل مازال متكلماً إذا شاء ، وإن كان كلم موسى وناداه بمشيئته وقدرته ، فكلامه لا ينفد ، كما قال تعالى : (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي) الكهف : ١٠٩ الآية . ويقولون بما جاءت به النصوص النبوية الصحيحة ، ودلت عليه العقول الزكية الصريحة ، فلا ينفون عن الله سبحانه وتعالى صفات الكمال ، ويجعلونه كالجمادات التي لا تتكلم ، ولا تسمع ، ولا تبصر ، فلا تكلم عابديها ، ولا تهديهم سبيلا ، ولا ترجع اليهم قولاً ، ولا تملك لهم ضراً ولا نفعاً ، ومن

جعل كلام الله لايقوم الا بغيره ، كان المتصف به هو ذلك الغير ، فتكون الشجرة هي القائلة لموسى : (انني انا الله) طه : ١٤ ولهـــذا اشتد نكير السلف على من قال ذلك ، وقالوا : هذا نظير قول فرعون (أنا ربكم الاعلى) النازعات : ٢٤ أي : هذا كلام قائم بغير الله ، وهذا كلام قائم بغير الله ، وأهل هذا القول الموافقون للسلف لايقولون : ان الرب كان مسلوب صفات الكمال في الأزل ، وإنه كان عاجزاً عن الكلام حتى حدث له قدرة عليه كالطفل ، والذين يقولون : ان القرآن مخلوق ، يجعلون الكلام لغيره ، فيسلبونه صفات الكمال ، ويقولون : إنه لايقدر على الكلام في الأزل لا على كلام مخلوق ولا غيره ، وهم وإن لم يصرحوا بالعجز عن الكلام ، فهو لازم لقولهم .

قوله : وكلامه المسموع بالآذان . أي : ان كلام الله تعالى يسمع كما يسمعه جبريل عليه السلام ، وكما سمع موسى عليه السلام .

قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

ورسوله قد عاذ بالكلمات من	لدغ ومن عين ومن شيطان
أيعاذ بالمخلوق حاشاه من الـــ	إشراك وهو معلم الإيمان
بل عاذ بالكلمات وهي صفاته	سبحانه ليست من الأكوان
وكذلك القرآن عين كلامه الـ	ـمسموع منه حقيقة ببيان
هو قول ربي كله لا بعضه	لفظاً ومعنى ما هما خلقان
تنزيل رب العالمين وقوله	اللفظ والمعنى بلا روغان

لكن أصوات العباد وفعلهم   كمدادهم والرق مخلوقان
فالصوت للقاري ولكن الكلا   م كلام رب العرش ذي الاحسان
هذا اذا ما كان ثم وساطة   كقراءة المخلوق للقرآن
فاذا انتفت تلك الوساطة مثلما   قد كلم المولود من عمران
فهنالك المخلوق نفس السمع لا   شيء من المسموع فافهم ذان
هذي مقالة أحمد ومحمد[1]   وخصومهم من بعد طائفتان
إحداهما زعمت بأن كلامه   خلق له ألفاظه ومعان
والآخرون أبوا وقالوا شطره   خلق وشطر قام بالرحمن
زعموا القران عبارة وحكاية   قلنا كما زعموه قرآنان
هذا الذي نتلوه مخلوق كما   قال الوليد وبعده الفئتان
والآخر المعنى القديم فقائم   بالنفس لم يسمع من الديان
والأمر عين النهي واستفهامه   هو عين اخبار وذو وحدان
وهو الزبور وعين توراة وإنـ   جيل وعين الذكر والفرقان
الكل شيء واحد في نفسه   لا يقبل التبعيض في الاذهان
ما إن له كل ولا بعض ولا   حرف ولا عربي ولا عبراني
ودليلهم في ذاك بيت قاله   فيما يقال الأخطل النصراني

(١) اي محمد بن اسماعيل البخاري صاحب « الصحيح ».

ياقوم قد غلط النصارى قبل في | معنى الكلام وما اهتدوا لبيان
ولاجل ذا جعلوا المسيح إلهم | إذ قيل كلمة خالق رحمان
ولأَجل ذا جعلوه ناسوتاً ولا | هوتا قديماً بعد متحدان
ونظير هذا من يقول كلامه | معنى قديم غير ذي حدثان
والشطر مخلوق وتلك حروفه | ناسوته لكن هما غيران
فانظر الى ذا الاتفاق فانه | عجب وطالع سنة الرحمن
وتكايست أخرى وقالت إن ذا | قول محال وهو خمس معان
تلك التي ذكرت ومعنى جامع | لجميعها كالأس للبنيان
فيكون أنواعاً وعند نظيرهم | أوصافه وهما فمتفقان
إن الذي جاء الرسول به لمخ | لوق ولم يسمع من الديان
والخلف بينهم فقيل محمد | أنشاه تعبيراً عن القرآن
والآخرون أبوا وقالوا إنما | جبريل أنشاه عن المنان
وتكايست أخرى وقالت إنه | نقل من اللوح الرفيع الشان
فاللوح مبدؤه ورب اللوح قد | أنشاه خلقاً فيه ذا حدثان
هذي مقالات لهم فانظر ترى | في كتبهم يا من له عينان
لكن أهل الحق قالوا إنما | جبريل بلغه عن الرحمن

ألقاه مسموعاً له من ربه   للصادق المصدوق بالبرهان

قوله : ورسوله قد عاذ بالكلمات الخ .. أقول : احتج الامام أحمد وغيره ، على أن كلام الله غير مخلوق ، بأن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بكلمات الله في غير حديث . فقال : « أعوذ بكلمات الله التامة » ففي « صحيح البخاري » عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين « أعيذكما بكلمات الله التامة » وذكر الحديث : وفي « صحيح مسلم » عن خولة بنت حكيم أن النبي ﷺ قال : « لو أن أحدكم إذا نزل منزلاً قال : أعوذ بكلمات الله التامات لم يضره شيء ، حتى يرحل من منزله ذلك » . وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « من قال حين يمسي : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق » وذكر الحديث ، وذلك في أحاديث أخر . قال أحمد وغيره : ولا يجوز أن يقال : أعيذك بالسماء ، أو بالجبال ، أو بالانبياء ، أو بالملائكة ، أو بالعرش ، أو بالأرض ، أو بشيء مما خلق الله ، ولا يتعوذ إلا بالله ، أو بكلماته . قال البيهقي : ولا يصح أن يستعيذ من مخلوق بمخلوق ، فدل على أنه استعاذ بصفة من صفات ذاته ، وذاته غير مخلوقة . ثم قال : وبلغني عن أحمد بن حنبل أنه كان يستدل بذلك على أن القرآن غير مخلوق .

وقول الناظم : هو قول ربي كله لا بعضه الخ . هذا إشارة الى قول أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب ، ومن اتبعه ، كالقلانسي ، وابي الحسن الأشعري ، وغيرهم . إن كلام الله معنى قائم بذات الله ، هو الأمر بكل مأمور أمر به ، والخبر عن كل مخبر أخبر الله عنه ، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وان عبر عنه بالعبرية كان توراة ، وان عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً . والأمر والنهي والخبر ليست أنواعاً له ينقسم الكلام إليها ، وانما

كلها صفات له اضافية ، كما يوصف الشخص الواحــد بانه ابن لزيد ، وعم لعمرو ، وخال لبكر ، والقائلون بهـذا القول موافقون للمعتزلة ، في أن هذا القرآن الذي بين دفتي المصحف مخلوق ، وإنما الخلاف بين الطائفتين أن المعتزلة لم تثبت لله كلاماً سوى هذا ، والأشعرية أثبتت الكلام النفسي القائم بذاته تعالى ، وأن المعتزلة يقولون : إن المخلوق كلام الله ، والأشعرية لا يقولون : إنه كلام الله ، نعم يسمونه كلام الله مجازاً ، هذا قول جمهور متقدميهم . وقالت طائفة من متأخريهم : لفظ الكلام يقال على هذا الكلام المنزل الذي نقرؤه ونكتبــه في مصاحفنا ، وعلى الكلام النفسي بالاشتراك اللفظي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لكن هذا ينقض أصلهم في إبطال قيام الكلام بغير المتكلم به ، وهم مع هذا لا يقولون : إن المخلوق كلام الله حقيقة كما يقوله المعتزلة مع قولهم : ان كلامه حقيقه ، بل يجعلون القرآن العربي كلاماً لغير الله ، وهو كلامه حقيقة .

قال شيخ الاسلام : وهذا شر من قول المعتزلة ، وهـذا حقيـقة قول الجهمية . ومن هذا الوجه ، فقول المعتزلة أقرب . قال : وقول الآخرين وهو قول الجهمية المحضة ؛ لكن المعتزلة في المعنى موافقون لهؤلاء ، وإنما ينازعونهم في اللفظ الثاني : إن هؤلاء يقولون : كلام الله هو معنى قديم قائم بذاته ، والخلقية يقولون : لايقوم بذاته كلام ، ومن هذا الوجــه ، فالكلابية خير من الخلقية في الظاهر ، لكن جمهور المحققين من علماء السلف يقولون : إن أصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا كلاماً له حقيـقة غير المخلوق ؛ لأنهم يقولون عن الكلام النفسي : إنه معنى واحد ؛ هو الأمر والنهي ؛ والخبر إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وان عبر عنه بالعبرية

كان توراة ، وان عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً ، وجمهور العقلاء يقولون: إن فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام ، فانا إذا عربنا التوراة والانجيل ، لم يكن معناهما معنى القرآن ، بل معاني هذا ليست معاني هذا وكذلك (قل هو الله أحد) ليس هو معنى (تبت يدا أبي لهب) ولا معنى (آية الكرسي) آية الدين . وقالوا : إذا جوزتم أن تكون الحقائق المتنوعة شيئاً واحداً ، فجوزوا أن يكون العلم ، والقدرة ، الكلام ، والسمع والبصر صفة واحدة ، فالتزم أئمة هذا القول ، بأن هذا الالزام ليس لهم عنه جواب عقلي ، ثم منهم من قال : الناس في الصفات ، إما مثبت لها ، واما ناف لها ، وأما إثباتها واتحادها ، فخلاف الاجماع ، وممن اعترف بأن ليس له جواب أبو الحسن الآمدي .

وقول الناظم : لكن أصوات العباد وفعلهم الخ . أي : إن مذهب أئمة أهل الحديث ، كالامام أحمد ، والبخاري وغيرهما : أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والسلف والأئمة متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والقرآن بلغه جبريل عن الله الى محمد ، وبلغه محمد الى الخلق ، والكلام المبلغ عن قائله لا يخرج عن كونه كلام المبلغ عنه ، بل هو كلام لمن قاله مبتدئاً ، لا كلام من بلغه عنه مؤدياً ، فالنبي ﷺ إذا قال : « إنما الاعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى »[1] وبلغ هذا الحديث عنه واحد بعد واحد ، حتى وصل إلينا ، كان من المعلوم أنا إذا سمعناه من المحدث به ، إنما سمعنا كلام رسول الله ﷺ الذي تكلم به بلفظه ومعناه ، وانما سمعناه من المبلغ عنه بفعله وصوته ، ونفس الصوت الذي تكلم به النبي ﷺ لم

---

(١) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

نسمعه ، وانما سمعنا صوت المحدث عنه ، والكلام كلام رسول الله ﷺ ، لا كلام المحدث ، فمن قال : إن هذا الكلام ليس كلام رسول الله ﷺ . كان مفترياً ، وكذلك من قال : إن هذا لم يتكلم به رسول الله ﷺ . وانما أحدثه في غيره، وإن النبي ﷺ لم يتكلم بلفظه وحروفه ، بل كان ساكتاً أو عاجزاً عن التكلم بذلك ، فعلم غيره مافي نفسه ، فنظم هذه الألفاظ ليعبر عما في نفس النبي ﷺ ، أو نحو هذا الكلام ، فمن قال هذا ، كان مفترياً . ومن قال : إن هذا الصوت المسموع صوت النبي ﷺ ، كان مفترياً ، فاذا كان هذا معقولاً في كلام المخلوق ، فكلام الخالق أولى باثبات مايستحقه من صفات الكمال . وتنزيه الله أن تكون صفاته وأفعاله ، هي صفات العباد وأفعالهم ، أو مثل صفات العباد وأفعالهم ، فالسلف والأئمة كانوا يعلمون أن هذا القرآن المنزل المسموع من القارئين كلام الله ، كما قال تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) التوبة : ٦ ليس هو كلاماً لغيره ، لا لفظه ولا معناه ، ولكن بلغه عنه جبريل ، وبلغه محمد عن جبريل ، ولهذا أضافه الله الى كل من الرسولين ، لأنه بلغه وأداه ، لا لأنه أحدث لالفظه ولا معناه ، إذ لو كان أحدهما هو الذي أحدث ذلك ، لم يصح إضافة الإحداث إلى الآخر، فقال تعالى (انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلاً ماتؤمنون . ولا بقول كاهن قليلاً ماتذكرون) الحاقة ٤٠ - ٤٢ فهذا محمد ﷺ . وقال تعالى (انه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين) التكوير ١٩ — ٢١ فهذا جبريل عليه السلام . وقد توعد تعالى من قال (إن هذا إلا قول البشر) المدثر : ٢٥ (ومن) قال : إن هذا القرآن قول البشر ، فقد كفر ؛ وقال

بقول الوحيد الذي أوعده الله سقر . ومن قال : إن شيئاً منه فوق البشر فقد قال ببعض قوله . ومن قال : إنه ليس بقول رسول كريم ؛ وانما هو قول شاعر ، أو مجنون ، أو مفتر ، أو قال : هو قول شيطان نزل به عليه ، ونحو ذلك ، فهو أيضاً كافر ملعون . وقد علم المسلمون الفرق بين أن يسمع كلام المتكلم منه ، أو من المبلغ عنه ، وان موسى سمع كلام الله من الله بلا واسطة . وانا نحن انما نسمع كلام الله من المبلغين عنه ،واذا كان الفرق ثابتاً بين من سمع كلام النبي ﷺ منه ، ومن سمعه من الصاحب المبلغ عنه ، فالفرق هنا أولى ، لأن أفعال المخلوق وصفاته ، أشبه بافعال المخلوق وصفاته ، من أفعاله وصفاته ، بأفعال الله وصفاته .

قوله : وخصومهم من بعد طائفتان .

إحداهما زعمت بأن كلامه خلق له ألفاظه ومعان

أقول : هذا مذهب الجهميه والمعتزلة ، وقد تقدم حكاية كلامهم في الكلام بما أغنى عن إعادته .

قولـــه :

والآخرون أبوا وقالوا شطره خلق وشطر قام بالرحمـــن

هذا قول الاشعرية والكلابية ، كما سيأتي الكلام على ذلك .

قوله : زعموا القرآن عبارة الخ . أي : قالت الأشاعرة : إن القرآن عبارة عن المعنى ، وابن كلاب ومن تابعه قالوا : حكاية .

قوله :

ودليلهم في ذاك بيت قاله فيما يقال الأخطل النصراني

أي : ودليلهم على إثبات الكلام النفسي قول الأخطل :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ومن الناس من أنكر أن يكون هذا من شعره ، وقالوا : إنهم فتشوا ديوانه فلم يجدوه ، وهذا يروى عن أبي محمد بن الخشاب . قال بعضهم: لفظه: إن البيان لفي الفؤاد . ومن العجب انه لو احتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في « الصحيحين » عن النبي ﷺ ، لقالوا : هذا خبر واحد ، ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول ، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بالاسناد لا واحد ولا اكثر من واحد ، ولا تلقاه أهل العربية بالقبول ، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة فضلاً عن مسمى الكلام ؟!

ويقال أيضاً : مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه الى قول شاعر ، فان هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة ، وعرفوا معناه في لغتهم ، كما عرفوا مسمى الرأس ، واليد ، والرجل .

وأيضاً ، فالناطقون باللغة يحتج باستعمالهم للالفاظ في معانيها، لا بما يذكرونه من الحدود ، فان أهل اللغة الناطقين لا يقول أحد منهم : ان الرأس كذا ، واليد كذا ، والكلام كذا ، واللون كذا ، بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها ، فتعرف لغتهم من استعمالهم ، فعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمى الكلام ، ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك البتة ، وإنما أراد إن كان قال ذلك ، ما فسر به المفسرون للشعر . أي : أصل الكلام من الفؤاد ، هو المعنى ، فاذا قال الانسان بلسانه ما ليس في قلبه ، فلا تثق به ، وهذا كالاقوال التي ذكرها الله عن المنافقين ، وذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، ولهذا قال الأخطل قبل ذلك .

لا يعجبنك من خطيب خطبة ... حتى يكون مع الكلام أصيلاً
إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

نهاه أن يعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبـه في الأصل ، ولهذا .

قال : حتى يكون مع الكلام أصيلا .

وقوله : مع الكلام . دليل على أن اللفظ الظـاهر قد سماه كلاماً وإن لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه ، وهذا حجة عليهم ، فقد اشتمل شعره على هذا وهذا ، بل قوله مع الكلام، مطلق . وقوله : إن الكلام لفي الفؤاد . أراد به أصله ومعناه) والمقصود به : واللسان دليل على ذلك ، وبالجملة فمن احتاج إلى أن يعرف مسمى الكلام في لغـة العرب ، والفرس ، والروم ، والترك ، وسائر أجناس بني آدم بقول شاعر ، فانه من أبعـــد الناس عن معرفة طرق العلم . ثم هو من المولدين ، ليس من الشعراء القدماء ، وهو نصراني كافر مثلث ، واسمه الأخطل ، والخطل فســاد في الكلام ، وهو نصراني ، والنصارى قد أخطؤوا في مسمى الكلام ، فجعلوا المسيح القائم بنفسه ، هو نفس كلمة الله ، ولهذا قـال النّـاظِم :

ياقوم قد غلط النصارى قبل في معنى الكلام وما اهتدوا لبيان

قال شيخ الاسلام : في « التسعينية » بعد كلام سبق : وأيضاً فهم - يعني الاشاعرة - في لفظ القرآن الذي حروفه واشتماله على المعنى لهم مضاهاة قوية بالنصارى في جسد المسيح الذي (هو) متدرع اللاهوت، فان هؤلاء متفقون على أن حروف القرآن ليست من كلام الله ، بـل هي مخلوقة ؛ كما أن النصارى متفقون على أن جســـد المسيح لم يكن من اللاهوت ، بل هو مخلوق ، ثم يقولون : المعنى القديم لما أنزله بهـذه الحروف المخلوقة ، فمنهم من يسمي الحروف كلام الله حقيقة ، كما يسمى المعنى كلام الله حقيقة، ومنهم من يقول : بل هي كلام الله مجازاً ، كما أن النصارى ، منهم من

يجعل لاهوتاً حقيقة لاتحاده باللاهوت واختلاطه به ، ومنهم من يقول : هو محل اللاهوت ودعاؤه . ثم النصارى تقول : هذا الجسد إنما عبد لكونه مظهر اللاهوت ، وإن لم يكن هو إياه ، ولكن صار هو إياه بطريق الاتحاد ، وهو محله بطريق الحلول ، فعظم لذلك ، وهؤلاء يقولون : هذه الحروف ليست من كلام الله ، ولا يجوز أن يتكلم الله بها ، ولا تكلم بها ، بل لا يدخل في قدرته أن يتكلم بها ، ولكن خلقها ؛ فأظهر بها المعنى القديم ، ودل بها عليه ، فاستحقت الاكرام والتحريم لذلك حيث تدخل في حكمه ، بحيث لا يفصل بينهما ؛ أو يفصل بأن يقال : هذا مظهر هذا ودليله ؛ وجعلوا ماليس هو كلام الله ؛ ولا تكلم الله به قط ؛ كلاماً لله معظماً تعظيم كلام الله ، كما جعلت الناسوت ـ الذي ليس بالله قط ، ولا هو الكلمة ـ إلهاً وعظموه تعظيم الاله الذي هو كلمة الله عنده .

ومنها أن النصارى على ماحكى عنهم المتكلمون ، كابن الباقلاني أو غيره ، ينفون الصفات ، ويقولون إن الأقانيم التي هي الوجود ، والحياة ، والعلم ، هي خواص ، هي صفات نفسية للجوهر ، ليست صفات زائدة على الذات ، ويقولون : إن الكلمة هي العلم ، ليست هي كلام الله : فان كلامه صفة فعل ، وهو مخلوق ، فقولهم في هذا كقول نفاة الصفات من الجهمية المعتزلة وغيرهم ، وهذا يكون قول بعضهم ممن خاطبه متكلمو الجهمية من النسطورية وغيرهم ، وممن تفلسف منهم على مذهب نفاة الصفات من المتفلسفة ونحو هؤلاء ، وإلا فلا ريب أن في النصارى مثبتة للصفات ، بل غالية في ذلك . كما أن اليهود أيضاً فيهم المثبتة والنفاة ، والمقصود هنا أن تسميتهم للعلم كلمة دون الكلام الذي هو الكلام ، ثم ذلك العلم ليس هو أمراً معقولاً كما نعقل الصفات القائمة بالموصوف ، ضاهاهم في ذلك هؤلاء

الذين يقولون : الكلام هو ذلك المعنى القائم بالنفس دون الكلام الذي هو الكلام ، ثم ذلك المعنى ليس هو المعقول من معاني الكلام . فحرفوا اسم الكلام ومعناه ، كما حرفت النصارى اسم الكلمة ومعناها . انتهى كلامه .

قولـــه :

وتكايست اخرى وقالت إن ذا   قول محال وهو خمس معان

تكايست . قال في « القاموس » . الكيس خلاف الحمق ، والجماع ، والطب ، والجود ، والعقل ، والغلبة بالكياسة ، وقد كاسه يكيسه ، ثم قال بعد ذلك تكيس تظرف ، وكايسه غالبه في الكيس . قال الآمدي في في « ابكار الافكار » فان قيل : إذا قلتم : إن الكلام قضية واحدة ، وان اختلاف العبارات عنها بسبب المتعلقات الخارجة ، فلم لم تجوزوا أن تكون(١) الارادة ، والعلم ، والقدرة ، وباقي الصفات راجعة الى معنى واحـد ؟ ويكون اختلاف التعبيرات عنـه بسبب المتعلقات ، لا بسبب اختلافه في ذاته ، وذلك بأن يسمى ارادة عند تعلقه بالتخصيص ، وقـدرة عند تعلقه بالايجاد ، وهكذا سائر الصفات ، وان جاز ذلك ، فلم لا يجوز أن يعود ذلك كله الى نفس الذات ، من غـير احتياج الى الصفات .؟ وقـال :أجاب الأصحاب عن ذلك بأنه يمتنع أن يكون الاختلاف بين القدرة والارادة بسبب التعليقات والمتعلقات ، اذ القدرة معنى من شأنه تأتي الايجاد به ، والارادة معنى من شأنه تأتي التخصيص الحادث بحـال دون حال ، وعند اختلاف التأثيرات ، لابد من الاختلاف في نفس المؤثر ، وهذا بخـلاف الكلام ؛ فان تعلقاته بمتعلقاته لا يوجب أثراً ،فضلاً عن كونه مختلفاً .قال : وفيه نظر ، وذلك أنه وان سلم اقناع صدور الآثار المختلفة عن المؤثر الواحد مع امكان النزاع فيه ؛ فهو موجب للاختلاف في نفس القـدرة : وذلك

(١) في الاصل : فلم لا جوزتم ان يكون .

لأن القدرة مؤثرة في الوجود ؛ والوجود عند أصحابنا نفس الذات ؛ لا أنه زائد عليها ؛ وإلا كانت الذوات ثابتة في العدم ؛ وذلك مما لا نقـول به . وإذا كان الوجود هو نفس الذات ؛ فالذوات مختلفة ؛ فتأثير القـــدرة في آثار مختلفة ، فيلزم أن تكون مختلفة كما قرروه ؛ وليس كذلك ، وأيضاً فان ماذكروه من الفرق وإن استمر في القدرة والارادة، فغير مستمر في باقي الصفات ؛ كالعلم ؛ والحياة ، والسمع ، والبصر ؛ لعدم كونها مؤثرة في اثر ما. قال : والحق أن ماأوردوه من الاشكال على القول باتحاد الكلام ، وعود الاختلاف الى التعلقات والمتعلقات ؛ مشكل ؛ وعسى أن يكون عند غيري حله ؛ ولعسر جوابه فر بعض أصحابنا الى القول بأن كلام الله القائم بذاته ؛ خمس صفات مختلفة ؛ وهي الأمر ؛ والنهي والخبر ؛ والاستخبار ؛ والنداء انتهى كلامه .

قلت : وهذا الذي ذكره الآمـــدي هو الذي أراده الناظم بقوله : وتـكايست أخرى الخ . فيكون الأمر ؛ والنهي ؛ والخبر ، والاستخبار ؛ والنداء صفات للمعنى النفسي على ماذكره الآمدي عن هؤلاء . والصواب أن الأمر ؛ والنهي ؛ والخبر ؛ والاستخبار ؛ والنداء ؛ أنواع للكلام ؛ والله أعلم .

قولـــه :

وتـكايست أخرى وقالت إنـه نقل من اللوح الرفيع الشان

قال الأصفهاني في أوائل تفسيره : اتفق أهل السنة والجماعة على أن القرآن منزل ؛ واختلفوا في معنى الانزال ؛ فمنهم من قال : إظهار القراءة ؛ ومنهم من قال : إن الله تعالى ألهم كلامه جبريل وهو في السماء وهو عال عن

المكان ؛ وعلمه قراءته ، ثم جبريل أداه في الارض وهو يهبط في المكان .

وفي التنزيل طريقان :

أحدهما : أن النبي ﷺ انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية وأخذه من جبريل .

والثاني : أن الملك انخلع الى البشرية حتى يأخذه الرسول منه ؛ والاول أصعب الحالين . انتهى .

وقال القطب الرازي في حواشي « الكشاف » الانزال لغة : بمعنى الإيواء ، وبمعنى تحريك الشيء من علو الى اسفل ؛ وكلاهما لا يتحققان في الكلام ؛ فهو مستعمل فيه في معنى مجازي ؛ فمن قـال . القرآن معنى قائم بذات الله تعالى ؛ فانزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ؛ ويثبتها في اللوح المحفوظ . ومن قـال : القرآن هو الألفاظ ؛ فانزاله مجرد إثباته في اللوح المحفوظ ؛ وهذا المعنى مناسب ؛ لكونه منقولاً عن المعنيين اللغويين ؛ ويمكن أن يكون المراد بانزاله إثباته في السماء الدنيا بعد الاثبات في اللوح المحفوظ ؛ وهذا مناسب للمعنى الثاني . والمراد بانزال الكتب على الرسـل أن يتلقفها الملك من الله تلقفاً روحانياً أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم . انتهى . وذكر بعضهم ان أحرف القرآن في اللوح المحفوظ ؛ كل حرف منها بقدر جبل قاف ؛ وأن تحت كل حرف منها معان لا يحيط بها إلا الله . انتهى . وقال بعضهم : في المنزل على النبي ﷺ ثلاثة أقوال :

أحدها أنه اللفظ والمعنى ؛ وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به .

والثاني أن جبريل انما نزل بالمعاني خاصـة ؛ وأنه ﷺ عـلم تلك المعاني

وعبر عنها بلغة العرب ؛ وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى: (نزل به الروح الامين على قلبك) الشعراء : ١٩٣

والثالث : أن جبريل ألقى اليه المعنى ، وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب ، وأن أهل السماء يقرؤونه بالعربية ، ثم إنه نزل به كذلك بعد ذلك . انتهى .

ولما أشار الناظم الى هذه الاقوال التي ماأنزل الله بها من سلطان ، ناسب أن نذكرها ليعلم حقيقة حالها ، ويتحقق بطلانها ، والله أعلم .

قوله :

لكن أهل الحق قالوا إنما جبريل بلغه عن الرحمن

أقول : قال أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي في كتاب « الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول » وذكر اثنا عشر إماماً ، وهم الشافعي ، ومالك ، والثوري ، وأحمد ، والبخاري ، وابن عيينة ، وابن المبارك ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، واسحق بن راهويه ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم : سمعت الامام أبا منصور محمد بن أحمد يقول : سمعت الامام أبا بكر عبد الله بن أحمد يقول : سمعت الشيخ أبا حامد الاسفرايني يقول: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق ، فهو كافر ، والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعاً من الله تعالى ، والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ ، وهو الذي نتلوه نحن بألسنتنا ، وفيما بين الدفتين ، وما في صدورنا مسموعاً ، ومكتوباً ، ومحفوظاً ومنقوشاً ، وكل حرف منه كالباء والتاء ، كله كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق ، فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين . انتهى .

قال النّاظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مجامع طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن

وإذا أردت مجامع الطرق التي فيها افتراق الناس في القرآن

فمدارها أصلان قام عليهما هذا الخلاف هماله ركنان

هل قواه بمشيئة أم لا وهل في ذاته أم خارج هذان

أصل اختلاف جميع أهل الأرض في الـ قرآن فاطلب مقتضى البرهان

ثم الألى قالوا بغير مشيئة وإرادة منه فطائفتان

احداهما جعلته معنى قائماً بالنفس او قالوا بخمس معان

والله أحدث هذه الالفاظ كي تبديه معقولاً الى الأذهان

وكذاك قالوا انها ليست هي القرآن بل مخلوقة دلت على القرآن

ولربما سمي بها القرآن تسمية الـ مجاز وذاك وضع ثان

وكذلك اختلفوا فقيل حكاية عنه وقيل عبارة لبيان

اذ كان ما يحكى كمحكي وهـذا اللفظ والمعنى فمختلفان

ولذا يقال حكى الحديث بعينه اذ كان أوله نظير الثاني

فلذاك قالوا لا نقول حكاية ونقول ذاك عبارة الفرقان
والآخرون يرون هذا البحث لفـــظيان ومافيه كبير معان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن العظيم ، وذكر أن اختلافهم يدور على أصلين ، وهما هـــل قوله بمشيئة وارادة ، أم هو بغير مشيئة وارادة ، وهل كلامه تعالى في ذاته ، أم هو خارج الذات ؟ وذكر أن القائلين بأنه بغير مشيئة وارادة طائفتان . إحداهما : الكلابية والاشاعرة ، والطائفـــة الثانية ، الاقترانية ، وهم السالمية أتباع ابي الحسن بن سالم ، وهذا هو البناء الأصيل ، والبرهان الذي يقوم عليه الدليل ، لا ما ذكره الدواني في معنى اختـــلاف الناس في القرآن من الكلام الجزاف ، والهذيان الذي بطلانه غير خاف ، وذلك أنه قال في شرحه لـ«العقائد العضدية» : لاخلاف بين أهل الملة في كونه تعالى متكلماً أي : موصوفاً بهذه الصفة ، لكن اختلفوا في تحقيق كلامه ، هل هو نفسي أو لفظي ؟ وحدوثه وقدمه ، وذلك أنهم لما رأوا قياسين متعارضي النتيجة وهما كلام الله تعالى صفة له ، وكل ماهو صفة له فهو قديم ، فكلام الله تعالى قديم ، وكلام الله تعالى مؤلف من حروف وأصوات مترتبة متعاقبة في الوجود ، وكل ماهو كذلك فهو حادث ، فكلام الله تعالى حادث ، اضطروا الى القدح في أحد القياسين ضرورة امتناع حقية النقيضين ، فمنع كل طائفة بعض المقدمات ، فالحنابلة ذهبوا الى أن كلام الله تعالى حروف واصوات ، وهي قديمـــة ، ومنعوا أن كل ماهو مؤلف من حروف واصوات مترتبة ، فهو حادث ، بل قال بعضهم بقدم الجلد والغلاف . قال : قلت : مابالهم لم يقولوا بقدم الكاتب والمجلد ؟ قال : وقيل إنهم منعوا إطلاق لفظ الحادث على الكلام

اللفظي رعاية الأدب ، واحترازاً عن ذهاب الوهم إلى حدوث الكلام النفسي كما قال بعض الأشاعرة : إن كلامه تعالى ليس قائماً بلسان أو قلب ، ولا حالاً في مصحف أو لوح ، ومنع اطلاق القول بحدوث كلامه ، وان كان المراد هو اللفظي رعاية للادب ، واحترازاً عن ذهاب الوهم الى حدوث الكلام الأزلي . والمعتزلة قالوا بحدوث كلامه ؛ وأنه مؤلف من أصوات وحروف ، وهو قائم بغيره ؛ ومعنى كونه متكلماً عندهم أنه موجد لتلك الحروف والأصوات في الجسم ؛ كاللوح المحفوظ ؛ أو كجبريل ؛ أو النبي ﷺ ؛ أو غيرها ؛ كشجرة موسى عليه السلام ، فهم منعوا أن المؤلف من الحروف والأصوات صفة لله تعالى قديمة .

والكرامية لما رأوا أن مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة أشنع من مخالفة الدليل ، وأن ما التزمه المعتزلة من كون كلامه تعالى صفة لغيره ، وأن معنى كونه متكلماً ، كونه خالقاً للكلام في الغير ، مخالف للعرف واللغة ، ذهبوا إلى أن كلامه تعالى صفة له ، مؤلفة من الحروف والأصوات الحادثة القائمة بذاته تعالى ، فهم منعوا أن كل ما هو صفة له فهو قديم ، والأشاعرة قالوا : كلامه تعالى معنى واحد بسيط قائم بذاته تعالى ، قديم ، فهم منعوا أن كلامه تعالى مؤلف من الحروف والأصوات . ولا نزاع بين الشيخ (١) والمعتزلة في حدوث الكلام اللفظي ، وإنما نزاعهم في إثبات الكلام النفسي وعدمه ، وذهب المصنف الى أن مذهب الشيخ يعني الأشعري أن الألفاظ أيضاً قديمة ، وأفرد في ذلك مقالة ذكر فيها أن لفظ المعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ ، وأخرى على القائم بالغير ، فالشيخ لما قال : هو المعنى

---

(١) اي الاشعري .

النفسي ، فهم الأصحاب منه أن مراده به مدلول اللفظ وهو القديم عنده ، وأما العبارات ، فإنما سميت كلاماً مجازاً ، لدلالتها على ما هو الكلام الحقيقي ، حتى صرحوا بأن الألفاظ حادثة على مذهبه ، ولكنها ليست كلاماً له تعالى حقيقة ، إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطنين في الأحكام الدينية ، فوجب حمل كلام الشيخ على أنه أراد به المعنى الثاني ، فيكون الكلام النفسي عنده أمراً شاملاً للفظ والمعنى جميعاً ، قائماً بذات الله تعالى . انتهى كلام الدواني الذي هو في الوهي مثل بيت العنكبوت ، وأحسن منه البكم والسكوت ، وفيه أشياء يتعين التنبيه عليها :

الأول : قوله : إن الناس لما رأوا قياسين متعارضي النتيجة الخ . يقال : أكثر أهل الاسلام لم يرفعوا بالمنطق رأساً ، ولم يراعوا هذه القواعد ، وإذا شئت أن تعرف ذلك ، فانظر الى ردود متكلمي أهل الاسلام على المنطق ، وبيان فساده وتناقضه . كأبي سعيد السيرافي النحوي ، والقاضي أبي بكر ابن الطيب ، والقاضي عبد الجبار المعتزلي ، والجبائي وابنه ، وأبي المعالي الجويني ، وأبي القاسم الأنصاري ، وشيخ الاسلام ابن تيمية ، فإن له في نقضه كتابين ، صغير و كبير ، ويالله العجب ؟! أترى المعتزلة والكلابيه والكراميه ، أسسوا مذاهبهم على قواعد المنطق ، فضلاً عن السلف وأتباعهم ؟ ! هذا لا يظنه إلا أجهل الخلق ، وأشدهم غفلة عن معرفة ديانات الناس ونحلهم .

الثاني : قوله : بعض الحنابلة قال بقدم الجلد والغلاف ، ثم تهكم بقوله : ما لهم لم يقولوا بقدم الكاتب والمجلد ؟ !

أقول . انظر إلى هذا الكذب المجرد ، فبالله قل لي : من قال هذا القول منهم ، وفي أي كتاب يوجد من كتبهم ؟ ونحو مما حكاه الدواني

ماذكره أبو المعالي الجويني قال . وذهب الحشوية المنتمون الى الظاهر الى أن كلام الله تعالى قديم أزلي ، ثم زعموا أنه حروف وأصوات . وقطعوا بأن المسموع من أصوات القراء ونغماتهم عين كلام الله تعالى ، وأطلق الرعاع منهم القول بأن المسموع صوت الله تعالى عن قولهم ، وهذا قياس جهالاتهم ، ثم قالوا : اذا كتب كلام الله بجسم من الأجسام رقوماً ورسوماً وأسطراً وكلمات ، فهي بأعيانها كلام الله القديم ، فقد كان اذ كان جسماً حادثاً ، ثم انقلب قديماً ، ثم قضوا بأن المرئي من الأسطر هو الكلام القديم الذي هو حرف وصوت ، وأصلهم أن الأصوات على تقطيعها وتواليها كانت ثابتة في الأزل ، قائمة بذات الباري تعالى ، وقواعد مذهبهم مبنية على دفع الضرورات . انتهى كلامه .

قال شيخ الاسلام بعد أن حكى هذا الكلام عن أبي المعالي : ومعلوم أن هذا القول لايقوله عاقل يتصور مايقول ، ولا نعرف هذا القول عن معروف بالعلم من المسلمين ، ولا رأينا هذا في شيء من كتب المسلمين ، ولا سمعناه من أحد منهم ، فما سمعنا من أحد ، ولا رأينا في كتاب أحد ، أن المداد الحادث انقلب قديماً ، ولا أن المداد الذي يكتب به القرآن قديم ، بل رأينا عامة المصنفين من أصحاب أحمد وغيرهم ، ينكرون هذا القول ، وينسبون ناقله عن بعضهم الى الكذب ، وأبو المعالي وأمثاله أجل من أن يقول الكذب ، لكن القول المحكي قد يسمع من قائل لم يضبطه ، وقد يكون القائل نفسه لم يخبر قولهم ، بل يذكر كلاماً مجملاً يتناول النقيضين ، ولا يميز فيه بين لوازم أحدهما ، ولوازم آخر ، الى آخر ما ذكره ، وأقبح من ذلك قوله ، أي : الدواني . وقيل : إنهم منعوا إطلاق لفظ الحادث على الكلام اللفظي رعاية للأدب ، واحترازاً عن ذهاب الوهم إلى حدوث الكلام

النفسي ، فيا لله العجب من هذا الاعتذار البارد! فإن الحنابلة لا يعتقدون ثبوت الكلام النفسي ، بل ينفونه أشد النفي ، ويرونه من أعظم الباطل ، والكلام عندهم اسم اللفظ والمعنى جميعاً ، كما هو مذهب السلف رحمة الله عليهم . ويسأل هذا المتحذلق ، هل يوجد كلام لفظي ليس له معنى ؟ اللهم إلا كلام المجانين ، أو اللفظ المهمل ، فهو لا يسمى كلاماً ، إذ ليس له معنى ، وهذا معنى قول النحاة : الكلام لفظ مفيد ، فانه لا يفيد حتى يكون له معنى .

الثالث . قوله : والكرامية لما رأوا مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة الخ .. يقال : إن كان مخالفة الضرورة ضاراً ، فأصحابك الأشاعرة قد خالفوا الضرورة في إثبات المعنى النفسي ، فالتزموا أن الساكت متكلم والأخرس متكلم ، وغير ذلك من الشناعات .

الرابع . قوله : والمعتزلة قالوا بحدوث كلامه ، وأنه مؤلف من أصوات وحروف ، وهو قائم بغيره الخ .

يقال : هذا في الحقيقة هو قول أصحابك الأشاعرة ، فانهم قضوا بحدوث الحروف ، وأنها مخلوقة ، وصرحوا بأنها إنشاء جبريل ، أو إنشاء محمد ﷺ ، أو أنها خلقت في محل آخر ؛ كاللوح المحفوظ ، والشجرة ، أو أن جبريل أخذها من اللوح المحفوظ ، فكان حقيقة قولهم إذا قالوا إن محمداً ﷺ أنشأه ، هو قول من قال : (إن هذا إلا قول البشر) المدثر : ٢٥ ثم أصحابك أثبتوا شيئاً لا دليل على ثبوته ؛ وهو المعنى النفسي ؛ وخالفوا إجماع السلف والمعتزلة جميعاً ، فان الكلام عند السلف والحنابلة اسم للفظ والمعنى جميعاً ؛ وعند المعتزلة لا كلام لله تعالى إلا اللفظ المخلوق في محل ؛ وإنه غير قائم بالله تعالى ؛ وألزم السلف وأصحابك المعتزلة أن الكلام لا يكون كلاماً إلى لمن قام به الكلام ؛ ثم نقض من نقض من أصحابك هذا الالزام ؛

وقالوا : الكلام يطلق على المعنى واللفظ بالاشتراك ؛ فانهدم أصلهم الذي ردوا به على المعتزلة ؛ ولا خلاف بينكم وبين المعتزلة في الحقيقة ؛ إذ الألفاظ عندهم مخلوقة ، كما هو قولكم ؛ والمعنى الذيَ أثبتموه وخالفتم به جميع فرق الأمة ؛ هو شيء لاحقيقة له ؛وليس بأيديكم إلا بيت الأخطل :

إن الكلام لفي الفؤاد الخ ...

وهذا البيت لم ينقل عن قائله باسناد لا واحد ولا أكثر ؛ ولو احتج عليكم محتج بحديث مخرج في « الصحيحين » لم تقبلوه ، وقلتم : هــذه أخبار آحاد .

الخامس : أن أصحابك خالفوا فرق الأمة في إثبات هذا المعنى،والأمر كما قال الامام أبو اليمن الكندي النحوي الحنفي ، قال : إن الأشعري رحمه الله سلب الكلام اسمه ، وسماه عبارة ، وسلب الفكر والروية اسمها ، وسماهما كلاماً .

السادس : قولك : الأشاعرة قالوا : كلامه تعالى معنى واحد بسيط ، ثم نقلت عن صاحب « المواقف » أنه أفرد لذلك مقالة ، حمل فيها كلام الشيخ أبي الحسن الأشعري لما قال : هو المعنى النفسي ، أن ذلك يكون شاملاً للفظ والمعنى جميعاً ، ثم سكت عن إنكاره ، فكيف كان في الأول بسيطاً ، ثم صار مركباً من المعنى واللفظ ؟ !

السابع : أن تلميذك عفيف الدين الأيجي ، قدرد مذهب أصحابك ، وقدح فيه غاية القدح ، فقال ما حاصله : إن هذا الذي تدعيه الأشاعرة من أن الكلام معنى آخر يسمى النفسي باطل ، فاذا قلنا : زيد قائم ، فهناك أربعة أشياء :الأول: العبارة الصادرة عنه ، والثاني: مدلول هــذه العبارة ، وما وضعت له هذه الألفاظ من المعاني المقصودة بها .الثالث: علمه بثبوت تلك

النسبة وانتفائها . الرابع ثبوت تلك النسبة وانتفاؤها بالواقع ، والأخيران ليسا كلاماً اتفاقاً ، والأول لا يمكن أن يكون كلام الله حقيقة على مذهبهم فبقي الثاني ، وكذا نقول : في الأمر والنهي هاهنا ثلاثة أمور : الأول : الارادة والكراهة الحقيقية . الثاني : اللفظ الصادر عنه . الثالث : مفهوم لفظه ومعناه ، والأول ليس كلاماً اتفاقاً ، والثاني كذلك على مذهبهم ، فبقي الثالث ، وبه صرح اكثر محققيهم ، وكونه كلاماً نفسياً ثابتاً لله تعالى شأنه ، محكوماً عليه بأحكام مختلفة ، باطل من وجوه : الأول : أنه مخالف للعرف واللغة ، فان الكلام فيهما ليس إلا المركب من الحروف الثاني : أنه لا يوافق الشرع ، إذ قد ورد فيما لا يحصى كتاباً وسنة ، أن الله تعالى ينادي عباده ، ولا ريب أن النداء لا يكون إلا بصوت ، بل قد صرح به في الأخبار الصحيحة وباب المجاز ـ وإن لم يغلق بعد ، إلا إن حمل ما يزيد على نحو مائة ألف من الصرائح على خلاف معناها ـ مما لا يقبله العقل السليم . الثالث : أن ما قالوه من كون هذا المعنى النفسي واحداً يخالف العقل ، فانه لا شك أن مدلول اللفظ في الأمر يخالف مدلوله في النهي ، ومدلول الخبر يخالف مدلول الإنشاء ، بل مدلول أمر مخصوص غير مدلول أمر آخر ، وكذا في الخبر ، ولا يرتاب عاقل أن مدلول اللفظ لا يمكن أن يكون غير القرآن وسائر الكتب السماوية ، فيلزم أن يكون كل واحد مشتملاً على ما اشتمل عليه الآخر ، وليس كذلك ، وكيف يكون معنى واحد خبراً وإنشاء محتملاً للتصديق والتكذيب وغير محتمل ؟! وهو جمع بين النفي والاثبات . انتهى كلامه

الثامن : قوله : إن الكرامية لما رأوا مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة . يقال :

كلا ليس هذا مأخذ الكرامية ، وإنما مأخذهم في ذلك أنهم شاركوا الجهمية والمعتزلة في الاستدلال على حدوث العالم ، بدليل الأكوان المشهور المبني على منع التسلسل ، فلهذا جعلوا لكلام الله تعالى أولاً ، كما جعلوا لفعله أولاً ، خوفاً من القول بالتسلسل ، فيسد ذلك عليهم اثبات الباري سبحانه ، وكلامه كفعاله ، الكل عندهم له بداية ، فوضح بطلان كلام الدواني من كل وجه.

وقول الناظم رحمه الله تعالى :

ولربما سمي بها القرآن تسمية المجـاز وذاك وضع ثان

أي : إن القائلين بالكلام النفسي اختلفوا في الحروف بعد اتفاقهم ، على أنها مخلوقة ، هل تسمى كلام الله مجازاً ،أو يطلق الكلام عليها؟ وعلى المعنى بالاشتراك . وقد تقدم أن القول بالاشتراك يهدم مذهبهم ،لأنهم ألزموا المعتزلة أن الكلام لا يكون كلاماً إلا لمن قام به الكلام ؛ فاذا كان كلام الله يطلق على المعنى وعلى الألفاظ بالاشتراك ؛ لزمهم مذهب المعتزلة . وقوله : وكذلك اختلفوا فقيل : حكاية عنه ؛ وقيل عبارة لبيان ؛ أي : إن القائلين بالكلام النفسي اختلفوا في الألفاظ الحادثة على مذهبهم ؛ هل يقال : هي حكاية عن المعنى القديم ؛ كما قاله ابن كلاب ؛ أو يقال : عبارة ؛ كما قال الاشعري ؟ فابن كلاب قال : الحرف حكاية عن كلام الله ؛ وليست من كلام الله ؛ لأن الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم ؛ والله يمتنع أن يقوم به حروف وأصوات ؛ فوافق الجهمية والمعتزلة في هذا النفي ؛ فجاء الأشعري بعده ؛ وهو موافق لابن كلاب على عامة أصوله ؛ فقال : الحكاية تقتضي أن يكون مثل المحكي ؛ وليست الحروف مثل المعنى ،بل هي عبارة عن المعنى ودالة ؛ وبعض القائلين بهذا القول يرون هذا البحث لفظياً لا طائل تحته ؛ كما قال الناظم رحمه الله تعالى .

قال النّاظم رحمهُ الله تعالى

فصل

في مذهب الإقترانيّة

والفرقة الاخرى فقالت انه لفظ ومعنى ليس ينفصلان

واللفظ كالمعنى قديم قائم بالنفس ليس بقابل الحدثان

فالسين عند الباء لامسبوقة لكن هما حرفان مقترنان

والقائلون بذا يقولوا[1] انما ترتيبها في السمع بالآذان

ولها اقتران ثابت لذواتها فاعجب لذا التخليط والهذيان

لكن زاغونيهم قد قال ان ذواتها ووجودها غيران

فترتبت بوجودها لاذاتها يا للعقول وزيغة الاذهان

ليس الوجود سوى حقيقتها لذي الـ أذهان بل في هذه الاعيان

لكن اذا أخذ الحقيقة خارجاً ووجودها ذهناً فمختلفان

والعكس أيضاً مثل ذا فاذاهما اتحدا اعتباراً لم يكن شيئان

---

(١) كان حقه أن يقول: والقائلون بذا يقولون باثبات نون (يقولون)، ولكن حذف النون لضرورة الشعر.

وبذا تزول جميع اشكالاتهم   في ذاتـه ووجوده الرحمن

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان مذهب الاقترانية في القرآن ، وهم السالمية ومن وافقهم ، وذلك أن كلام الله عندهم حروف وأصوات قديمة أزلية ، ولها مع ذلك معان تقوم بذات المتكلم،ثم ان جمهور هؤلاء يقولون : إن تلك الأصوات هي الاصوات المسموعة من القراء،ولهم في ذلك تفاصيل، ليس هذا موضع ذكرها .

وقول الناظم رحمه الله تعالى :

لكن زاغونيهم قد قـال إن ذواتها ووجودها غيران

يعني أن الزاغوني[١] من أئمة هذه الطائفة قال : إن وجود هـذه الكلمات غير ذواتها ، فرد عليه الناظم بقوله : ياللعقول وزيغة الاذهان ؛أي: كيف يكون وجود الشيء غير ذاته ، ثم قرر الناظم رحمه الله تعالى ماهو الحق في المسألة ، وهو ان الوجود والماهية أن أخذا ذهنيين ، فالوجود الذهني عين الماهية الذهنية ، وكذلك ان أخذا خارجيين ، اتحدا أيضاً ، فليس في الخارج وجود زائد على الماهية الخارجة ، بحيث يكون كالثوب المشتمل على البدن ، هذا خيال محض ، وكذلك حصول الماهيـة في الذهن هو عين

---

(١) من علماء الفلسفة والكلام ابن الزاغوني ، واسمه علي ، وهو المذكور والله أعلم في « ميزان الاعتدال » للذهبي و « لسـان الميزان » لابن حجر ، وأما علي ابن الزاغوني شيخ ابن الجوزي ، فقد اثنى عليه ابن الجوزي في « المنتظم » وكذا ابن رجب ومثله صاحب « الشذرات » و شيخ الحنابلة . واعظهم ، والمتكلم ايضاً حنبلي ، والظاهر انهما اثنان ، ولا يضر اتفاقهما في الاسم واسم الاب والكنية والمذهب ، فكلاهما حنبلي .

(ابن مانع)

وجودها ، فليس في الذهن ماهية ووجود متغايرين ، بل إن اخذا أحدهما ذهنياً ، والآخر خارجياً ، فأحدهما غير الآخر . ولما قرر المصنف هذا قال :

وبذا تزول جميع اشكالاتهم في ذاته ووجوده الرحمن

قال النّاظم :

فصل

في مَذاهب القائلينَ بأنه متعلق بالمشيئة والإرادة

والقائلون بأنه بمشيئة وارادة أيضاً فهم صنفان

احداهما جعلته خارج ذاته كمشيئة للخلق والاكوان

قالوا وصار كلامه باضافة الـتشريف مثل البيت ذي الاركان

ما قال عندهم ولا هو قائل والقول لم يسمع من الديان

فالقول مفعول لديهم قائم بالغير كالاعراض والاكوان

هذي مقالة كل جهمي وهم فيها الشيوخ معلمو الصبيان

لكن أهل الاعتزال قديمهم لم يذهبوا ذا المذهب الشيطاني

وهم الالى اعتزلوا عن الحسن الـرضى البصري ذاك العالم الرباني

وكذاك أتباع على منهاجهم من قبل جهم صاحب الحدثان

لكنما متأخروهم بعد ذا ... لك وافقوا جهماً على الكفران

فهم بـذا جهميـة أهـل اعتزال ثوبهم أضحى له علمـان

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الامام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان مذاهب القائلين بأن كلام الله تعالى متعلق بالمشيئه والارادة ، فذكر مذهب الجهمية القائلين بخلق القرآن ، ومن تبعهم من المعتزلة ، وذلك أن الكلام عندهم صفة فعل ، قالوا : وانما سمي كلام الله للتشريف ، كما يقال : بيت الله ، والا فالله تعالى عندهم ماتكلم ولايتكلم ، كما قال الامام أحمد رحمه الله تعالى فيما خرجه في الرد على الجهمية : بيان ماأنكرت الجهمية أن الله كلم موسى صلى الله عليه وسلم ، وعلى نبينا قلنا : لم أنكرتم ذلك ؟ قالوا : لأن الله لم يتكلم ، ولا يتكلم ، وانما كون شيئاً ، فعبر عن الله ، وخلق صوتاً فسمع ، فزعمو أن الكلام لايكون إلا من جوف ، وفم وشفتين ، ولسان. فقلنا : فهل يجوز لمكون أو لغير الله أن أن يقول لموسى : (لا إله الا انا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) طه ١٤ (وإني أنا ربك) طه : ١٢ فمن زعم ذلك فقد زعم أن غير الله ادعى الربوبية ، ولو كان كما زعم الجهمية أن الله كون شيئاً ، كأن يقول ذلك المكون : ياموسى ان الله رب العالمين ، لايجوز ان يقول : إني أنا الله رب العالمين ، وقد قال جل ثناؤه (وكلم اللـه موسى تكليما) النساء : ١٦٤ وقال : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) الأعراف : ١٤٣ وقال (اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) الاعراف : ١٤٤ فهذا منصوص

القرآن. قال: وأما ماقالوا: إن الله لم يتكلم، ولا يتكلم، فكيف يصنعون بحديث سليمان الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم الطائي قال: قال رسول الله ﷺ «ما منكم من احد الا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان»،[١] قال: وأما قولهم: إن الكلام لايكون إلا من جوف، وفم، وشفتين ولسان، أليس قال الله للسموات والارض: (ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) فصلت: ١١ أترى انها قالت بجوف، وشفتين، ولسان. وقال الله (وسخرنا مع داود الجبـــال يسبحن) الأنبياء ٧٩ أتراها أنها سبحت بفم، وجوف، ولسان، وشفتين. والجـــوارح إذا شهدت على الـكفار[٢]. فقالوا (لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) فصلت: ٢١ أتراها نطقت بجوف، وشفتين، وفم، ولسان، ولكن الله أنطقها كيف شاء، من غير أن يقول: فم، ولسان، وشفتين. قال: فلما خنقته الحجج قال: إن الله كلم موسى، الا أن كلامه غيره، فقلنا: وغيره مخلوق؟ قال: نعم. قلنا: هذا مثل قولكم الأول، إلا أنكم تدفعون الشنعة عن أنفسكم بما تظهرون، وحديث الزهري قـال: لما سمع موسى كلام ربه قال: يارب، هذا الكلام الذي سمعته هو كلامـك؟ قال: نعم ياموسى هو كلامي، وانما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الالسن كلها، وأنا أقـوى من ذلك، وانما كلمتك على قـدر مايطيق بدنك، ولو كلمتك باكثر من ذلك مت. قال: فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له: صف لنا كلام ربك. فقال: سبحان الله، وهل أستطيـع أن

---

(١) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٢) في الاصل: الكافر.

أصفه لكم؟ قالوا: شبهه. قال: أسمعتم أشد ما يسمع من أصوات الصواعق، فكأنه مثله[1].

قال: وقلنا للجهمية من القائل لعيسى يوم القيامة (يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) المائدة: ١١٦ أليس الله هو القائل؟ قالوا: يكون الله شيئاً يعبر عن الله، كما كون لموسى فعبر؟ فقلنا: فمن القائل (فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين) الاعراف: ٦ أليس الله هو الذي يسأل؟ قالوا: هذا كله إنما يكون الله شيئاً، فيعبر عن الله. قلنا: قد أعظمتم على الله الفرية، حين زعمتم أن الله لا يتكلم، فشبهتموه بالاصنام التي تعبد من دون الله، لأن الأصنام لا تتكلم، ولا تتحرك، ولا تزول من مكان الى مكان، فلما ظهرت عليه الحجة قال: أقول: ان الله قد يتكلم، ولكن كلامه مخلوق. قلنا: وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق، ففي مذهبكم أن الله قد كان في وقت من الاوقات لا يتكلم، حتى خلق التكلم، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون، حتى خلق لهم كلاماً، فقد جمعتم بين كفر وتشبيه، فتعالى الله عن هذه الصفة، بل نقول: إن الله جل ثناؤه، لم يزل متكلماً إذا شاء، ولا نقول: انه كان ولا يتكلم حتى خلق كلاماً، ولا نقول: إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علماً فعلم، ولا نقول: إنه قد كان ولا قدرة حتى خلق لنفسه قدرة، ولا نقول: إنه قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نوراً، ولا نقول: إنه كان ولا عظمة حتى خلق لنفسه عظمة.

فقالت الجهمية لنا لما وصفنا من الله هذه الصفات: إن زعمتم أن الله ونوره، والله وقدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى، حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره، ولم يزل وقدرته. فقلنا: لا نقول: إن الله لم يزل

---

(١) في الاصل: قال: أسمعتم أصوات الصواعق التي في تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها فكأنه مثله، وهذا الاثر موجود في «تفسير الطبري» عن الزهري بغير هذا اللفظ.

وقدرته ، ولم يزل ونوره ، ولكن نقول : لم يزل بقدرته ونوره ، لا متى قدر ، ولا كيف قدر . فقالوا : لا تكونون موحدين أبداً حتى تقولوا : كان الله ولا شيء . فقلنا : نحن نقول : كان الله ولا شيء ، ولكن إذا قلنا : ان الله لم يزل بصفاته كلها ، أليس إنما نصف إلهاً واحداً بجميع صفاته ، وضربنا لهم مثلاً في ذلك . فقلنا : أخبرونا عن هذه النخلة ، أليس لها جذع ، و كرب ، وليف ، وسعف ، وخوص ، وجمار ، واسمها اسم واحد ، سميت نخلة بجميع صفاتها ، فكذلك الله جل ثناؤه ، وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد ، لا نقول : إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا قدرة له حتى خلق قدرة ، والذي ليس له قدرة هو عاجز ، ولا نقول : إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا علم له حتى خلق فعلم ، والذي لا يعلم فهو جاهل ، ولكن تقول : لم يزل الله قادراً ، عالماً ، مالكاً ، لا متى ، ولا كيف ، وقد سمى الله رجلاً كافراً اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي ، فقال : (ذرني ومن خلقت وحيداً) المدثر : ١١ وقد كان لهذا الذي سماه الله (وحيداً) عينان ، وأذنان ، ولسان ، وشفتان ، ويدان ، ورجلان ، وجوارح كثيرة . فقد سماه الله وحيداً بجميع صفاته ، فكذلك الله وله المثل الأعلى ، هو بجميع صفاته إله واحد .

وفي «التسعينية» لشيخ الاسلام رحمه الله تعالى : ومما ينبغي أن يعلم أن الجهمية لما كانت في نفس الأمر قولها قول أهل الشرك والتعطيل ، ليس هو قول أحد من أهل الكتب المنزلة ، ولكن لم يكن لهم بد من موافقة أهل الكتاب في الظاهر ؛ وان كانوا في ذلك منافقين عالمين بنفاق أنفسهم ، كما عليه طواغيتهم الذين علموا بمخالفة أنفسهم للرسل ؛ وأقدموا على ذلك ؛ وهؤلاء (إما) منافقون زنادقة ؛ وإما جهال بنفاق أنفسهم ؛ صاروا في الجمع بين

تكذيبهم الباطن ؛ وتصديقهم الظاهر ؛ جامعين بين النقيضين ؛ مضطرين الى السفسطة في العقليات ، والقرمطة في السمعيات ، مفسدين للعقل والدين .
وقولهم بخلق القرآن ، ونفي الصفات ، من أصول نفاقهم ؛ وذلك أنه من المعلوم ببداية العقول ؛ أن الحي لا يكون حياً الا بحياة تقوم به ، لا يكون حياً بلا حياة ، أو بحياة تقوم ، بغيره ، و كذلك العالم ، والقادر ؛ لا يكون عالماً ، ولا قادراً إلا بعلم وقدرة تقوم به ، لا يكون عالماً قادراً بلا علم ولا قدرة ؛ أو بعلم وقدرة تقوم بغيره ؛ و كذلك الحكيم ، والرحيم ، والمريد ، لا يكون حكيماً ، ولا رحيماً ، أو متكلماً أو مريداً ، إلا بحكمة ورحمة تقوم بغـيره ، ولا يكون متكلماً ولا مريداً بلا كلام ولا إرادة ، أو بكلام وإرادة تقوم بغيره ، و كذلك من المعلوم ببداية العقول أن الكلام ، والارادة ، والعلم ، والقدرة لا تقوم إلا بمحل ؛ إذ هـذه صفات لا تقوم بأنفسها ؛ ومن المعلوم ببداية العقول أن المحل الذي يقوم بـه العلم يكون عالماً ، والذي تقوم به القدرة يكون قادراً ، والذي يقوم به الكلام يكون متكلماً ، والذي تقوم به الرحمة يكون رحيماً ، والذي تقوم به الارادة ، يكون مريداً ، فهذه الأمور مستقرة في فطر الناس ، تعلمها قلوبهم علماً فطرياً ضرورياً ، والألفـاظ المعبرة عن هذه المعاني هي من اللغات التي اتفق عليها بنو آدم ، فلا يسمون عالماً قادراً إلا من قام به العلم والقـدرة ، ومن قام به العلم والقـدرة سموه عالماً قادراً ، وهذا معنى قول من قال من آهـل الاثبات : إن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها إلى ذلك المحل ، وكان ذلك المحل هو العالم المتكلم ، دون غيره . ومعنى قولهم : إن الصفة إذا قامت بمحل اشتق له منها اسم ، كما يشتق لمحل العلم عليم ، ولمحل الكلام متكلم ، ومعنى قولهم : إن صدق المشتق لا ينفك عن صدق المشتق منه أن لفظ العليم والمتكلم مشتق من لفظ العلم

والكلام ، فاذا صدق في الموصوف أنه عليم ، لزم أن يصدق حصول العلم والكلام له ، ولهذا كان أئمة السلف الذين عرفوا حقيقة من قال : مخلوق ، وأن معنى ذلك أن الله لم يقم به كلام ، بل الكلام قائم بجسم من الأجسام غيره ، وعلموا أن هـذا يوجب بالفطرة الضرورية أن يكون ذلك الجسم هو المتكلم بذلك الكلام ، دون الله ، وأن الله لا يكون متكلماً أصلاً ؛ صاروا يذكرون قولهم بحسب ماهو عليه في نفسه ، وهو أن الله لا يتكلم وإنما خلق شيئاً تكلم عنه . وهكذا كانت الجهمية تقول أولاً ، ثم إنها زعمت أن المتكلم من فعل الكلام ولو في غيره . واختلفوا هل يسمى متكلماً حقيقة أو مجازاً ؟ على قولين . فلهم في تسمية الله تعالى متكلماً بالكلام المخلوق ثلاثة أقوال :

أحدها : وهو حقيقة قولهم وهم فيه أصدق لاظهارهم كفرهم : إن الله لاتكلم ، ولا يتكلم .

والثاني :ـ وهم فيه متوسطون في النفاق ـ إنه يسمى متكلماً بطريق المجاز .

والثالث ـ وهم فيه منافقون نفاقاً محضاً ـ : إنه يسمى متكلماً بطريق الحقيقة ، وأساس النفاق الذي ينبني عليه الكذب ، فلهذا كانوا من أكذب الناس في تسمية الله متكلماً بكلام ليس قائماً به ، وإنما هو مخلوق في غيره ، كما كانوا كاذبين مفترين في تسمية الله عالماً ، قادراً ، مريداً ، متكلماً بلا علم يقوم به ، ولا قدرة ، ولا إرادة ، ولا كلام ، وكانوا وإن نطقوا بأسمائه فهم كاذبون بتسميته بها ، وهم ملحدون في الحقيقة كإلحاد الذين نفوا عنه أن يسمى بالرحمن . (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً) الفرقان : ٦٠ وبذلك وصفهم الأئمة وغيرهم ممن خبر مقالاتهم ، كما قال الامام أحمد فيما خرجه في الرد على الجهمية : فاذا

قيل لهم : من تعبدون ؟ قالوا : نعبد من يدبر أمر هذا الخلق . قلنا : فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لايعرف بصفة ؟ قالوا : نعم. قلنا : قد عرف المسلمون أنكم لاتثبتون شيئاً ، إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون ،وقلنا لهم : هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى ؟ قالوا : لم يتكلم ، ولا يتكلم ، لأن الكلام لايكون إلا بجارحة ، والجوارح عن الله منفية ، فإذا سمع الجاهل قولهم ،يظن أنهم من أشد الناس تعظيماً لله ، ولا يعلم أنهم إنما يقودون قولهم إلى ضلالة و كفر . انتهى كلامه .

قوله :

لكن أهل الاعتزال قديمهم لم يذهبوا ذا المذهب الشيطاني

أي : أن قدماء المعتزلة ، ك . واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وغيرهما لم يذهبوا الى القول بخلق القرآن ، ولكن متأخروهم بعد ذلك وافقوا الجهم على القول بخلق القرآن ، ولهذا قال الناظم :

فهم بذا جهمية أهل اعتزا ل ثوبهم أضحى له علمان

العلم : رسم الثوب ورقمه ، قاله في « القاموس » .

قوله : ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر الخ . أي : أن القائلين بخلق القرآن ، كفرهم خمسمائة عالم من علماء المسلمين ، وهذا معنى قول الناظم : ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر الخ .

قوله : واللالكائي الامام حكاه عنهم الخ .

قال الامام الحافظ ابو القاسم اللالكائي وقد ذكر أقوال السلف والأئمة بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ،وماورد عنهم من تكفير من يقول ذلك ، ثم قال : فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً وأكثر من التابعين ، وأتباع

التابعين ، والأئمة المرضيين ، سوى الصحابة الخيرين ، على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام ، وفيهم نحو من مائة إمام ، ممن أخذ الناس بقولهم ، وتدينوا بمذاهبهم ، قال : ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفاً كثيرة ، لكن اختصرت ، فنقلت عن هؤلاء عصراً بعد عصر ، لا ينكر عليهم منكر ، ومن أنكر قولهم استتابوه ، وأمروا بقتله ، أو نفيه ، أو صلبه . قال : ولا خلاف بين الأمة أن **أول** من قال : القرآن مخلوق ، الجعد بن درهم ، ثم الجهم بن صفوان . فأما جعد ، فقتله خالد بن عبد الله القسري ، وأما جهم ، فقتل بمرو في خلافة هشام بن عبد الملك ، وسأذكر قصتها إن شاء الله تعالى ، وقد حكى نحواً من هذا الطبراني ، كما ذكر الناظم رحمه الله تعالى .

قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

فصل

في مذاهب الكرامية

والقائلون بأنه بمشيئة ... في ذاته أيضاً فهم نوعان
إحداهما جعلته مبدوءاً به ... نوعاً حذار تسلسل الأعيان
فيسد ذاك عليهم في زعمهم ... إثبات خالق هذه الأكوان
فلذاك قالوا إنه ذو أول ... ما للفناء عليه من سلطان
وكلامه كفعاله وكلاهما ... ذو مبدء بل ليس ينتهيان

قالوا ولم ينصف خصوم جعجعوا … وأتوا بتشنيع بلا برهان

قلنا كما قالوه في أفعاله … بل بيننا بون من الفرقان

بل نحن أسعد منهم بالحق إذ … قلنا هما بالله قائمتان

وهم فقالوا لم يقم بالله لا … فعل ولا قول فتعطيلان

لفعاله ومقاله شر وأبطل من حلول حوادث ببيان

تعطيله عن فعله وكلامه … شر من التشنيع بالهذيان

هذي مقالات ابن كرام وما … ردوا عليه قط بالبرهان

أني وما قد قال أقرب منهم … للعقل والآثار والقرآن

لكنهم جاؤوا له بجعاجع … وفراقع وقعاقع بشنان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في مذهب القائلين بأنه تعالى يتكلم بمشيئة وإرادة، فذكر مقالة الكرامية بتشديد الراء، وهم أتباع أبي عبد الله محمد ابن كرام، أبو عبد الله السجستاني الزاهد، شيخ الطائفة الكرامية، مات سنة ٢٥٥ وفي «القاموس» ومحمد بن كرام كشداد امام الكرامية القائل بأن معبوده مستقر على العرش، وأنه جوهر، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

مذهب الكرامية ان كلام الله تعالى حادث، قائم بذات الله بعد أن لم يكن متكلماً بكلام، بل مازال عندهم قادراً على الكلام، وهو عندهم لم يزل متكلماً، بمعنى أنه لم يزل قادراً على الكلام، وإلا فوجود الكلام

عندهم في الأزل ممتنع ، كوجود الأفعال عندهم وعند من وافقهم من أهل الكلام ، كالمعتزلة وأتباعهم ، وهم يقولون : انه حروف وأصوات حادثة بذات الرب بقدرته ومشيئته ، ولا يقولون : ان الأصوات المسموعة ، والمداد الذي في المصحف قديم ، بل يقولون : ان ذلك محدث .

قوله : إحداهما جعلته مبدوءاً به . . الى قوله :

وكلام كفعاله و كلاهما ذو مبدء بل ليس ينتهيان

أي : إن الكرامية قالت : ان كلام الله تعالى له أول ، ولفعاله أول ، ولكن لا نهاية لهما عندهم .

وقوله: حذار تسلسل الأعيان . أي : أن الكرامية قالوا هذا القول خوفاً من لزوم التسلسل ، وذلك لأنهم شاركوا الجهمية ، والمعتزلة ، والأشاعرة ، وغيرهم في الاستدلال على حدوث العالم ، بدليل الاعراض المشهور بين المتكلمين ، ومبنى الدليل على منع التسلسل . قالوا : فلو كان الباري تعالى متكلماً في الأزل بكلام لا أول له ، وفاعلاً لأفعال لا أول لها ، لزمنا القول بالتسلسل ، فبطل دليلنا الذي استدللنا به على حدوث العالم .

وقوله : قالوا ولم ينصف خصوم جعجعوا الخ . أي : قالت الكرامية لمن خالفهم من المتكلمين الذين شنعوا عليهم في مسألة الكلام : انا قلنا معشر الكرامية كما قلتم في أفعاله تعالى ، فان لها أولاً عندكم ، فليكن كلامه كذلك ، وأنتم قلتم : كلام الله وأفعاله غير قائمة به ، وهذا شيء غير معقول ، اذ لا يسمى متكلماً إلا من قام به الكلام ، ولا فاعلاً الا من قام به الفعل ، وأنتم قلتم : هو قائل بقول لا يقوم به ، وفاعل بفعل لا يقوم

به ، فهذا تعطيل لفعاله ومقاله ، وهو شر من القول بحلول الحوادث ، ولهذا قال النـاظم :

هذي مقالات ابن كرام وما ردوا عليه قط بالبرهان

وقد قال الفخر الرازي في « الأربعين » ان مسألة حلول الحوادث تلزم عامة الطوائف ، وذكر في « الأربعين » أنها تلزم أصحابه الأشاعرة أيضاً . فقال : ان الكرامية يجوزون ذلك ، وينكره سائر الطواف . وقيل : أكثر العقلاء يقولون به ، وان انكروه باللسان ، فان أبا علي وأبا هاشم من المعتزلة وأتباعها قالوا : إنه يريد بارادة حادثة ، ويكره بكراهـة حادثة ، لا في محل ، إلا أن صفة المريدية والكارهيـة محدثة ، واذا حصل المرئي والمسموع ، حدث في ذاته تعالى صفة السامعية والمبصرية ، لكنهم إنما يطلقون لفظ التجدد دون الحادث ، وأبو الحسين البصري يثبت في ذاته علوماً متجددة بحسب تجدد المعلومات ، والأشعرية يثبتون نسخ الحـكم مفسرين ذلك برفعـه أو انتهائه ، والارتفاع والانتهاء عدم بعد الوجود ، ويقولون : إنه عالم بعلم واحد ، يتعلق قبل وقوع المعلوم بأنه سيقع ، وبعده يزول ذلك المتعلق ، ويتعلق بأنه وقع ، ويقولون بأن قدرته تتعلق بايجاد المعين ، واذا وجد انقطع ذلك التعلق لامتناع إيجـاد الموجود ، و كذلك تعلق الارادة بترجيح المعين ، وأيضاً المعدوم لا يكون مرئياً ولا مسموعاً وعند الوجود يصير مرئياً مسموعاً ، فهـذه التعلقات حادثة ، فان التزم جاهل كون المعدوم مرئياً مسموعاً ، قلنا : الله تعالى يرى المعدوم معدوماً لا موجوداً ، وعند وجوده يراه موجوداً لا معدوماً ، لأن رؤية الموجود معدوماً ، أو بالعكس ، غلط ، وإنه يوجب ماذكرنا ، والفلاسفة مع بعدهم

عن هذا يقولون بأن الاضافات وهي القبليه بالبعدية والمعية موجودة في الأعيان ، فيكون الله مع كل حادث ، وذلك الوصف الاضافي حدث ذاته . وأبوالبركات من المتأخرين منهم صرح في « المعتبر » بارادات محدثة ، وعلوم محدثة في ذاته تعالى ، زاعماً بأنه لايمكن الاعتراف بكونه إلهاً لهذا العالم إلا مع هذا القول ، ثم قال : الاجلال من هذا الاجلال ، والتنزيه من هذا التنزيه واجب :

قال الرازي : واعلم أن الصفة إما حقيقة عارية عن الاضافة ، كالسواد . والبياض ، أو حقيقة يلزمها إضافة ، كالعلم والقدرة ، فانـــه يلزمها تعلق بالمعلوم والمقدور ، وهو اضافة مخصوصة بينهما ، واما إضافيـــة محضة ، ككون الشيء قبل غيره وبعده ، ويمينه ويساره ، فان تغير هذه الأشياء لايوجب تغيراً في الذات ، ولا في صفة حقيقية منها ، فنقول : تغير الاضافات لا محيص عنه ، وأما تغير الصفات الحقيقية ، فالكرامية يثبتونه ، وغيرهم ينكرونه ، فظهر الفرق بين مذهب الكرامية : لايسمى ذلك صفـــة ، ولانقول : ان ذلك تغير في الصفات الحقيقية . انتهى .

ونقل السيد الشريف في « شرح المواقف »قـــال : وقالت الكرامية : العقلاء يوافقوننا في قيام الصفة الحادثة بذاته سبحانه وتعالى ،وإن انكروا علينا[1] باللسان ، فان الجبائية قالوا بارادة و كراهية حادثتين لا في محل ، لكن المريدية والكارهية (قالوا) : حادثتان في ذاته تعالى ، و كذا السامعية والمبصرية تحدث بحدوث المسموع والمبصر ،وأبو الحسين يثبت علوماً متجددة ،والاشعرية يثبتون النسخ ، وهو إما رفع الحكم القائم بذاته أو انتهاؤه ، وهما عدم بعد الوجود ، فيكونان حادثين . انتهى .

قوله : لكنهم جاؤوا له بجعاجع الخ ، الجعجعـــة : صوت الرحى .

---

(١) في الاصل : وإن أنكرونا .

والقعاقع : تتابع أَصوات الرعد ، فرقع الأصابع نقضها ، فتفرقعت وافرنقعت ، قاله في « القاموس » .

قال النّاظم رَحمهُ الله تعَالى :

فصل

في ذكر مذهب أَهْل الحَديث

والآخرون أولو الحديث كأحمد   ومحمد وأئمة الايمان
قالوا بأن الله حقاً لم يزل   متكلماً بمشيئه وبيان
إن الكلام هو الكمال فكيف يخلو عنه في أزل بلا امكان
ويصير فيما لم يزل متكلماً   ماذا اقتضاه له من الامكان
وتعاقب الكلمات أمر ثابت   للذات مثل تعاقب الأزمان
والله رب العرش قال حقيقة   (حم) مع (طه) بغير قران
بل أحرف مترتبات مثلما   قد رتبت في مسمع الانسان
وقتان في وقت محال هكذا   حرفان أيضاً يوجدا في آن
من واحد متكلم بل يوجدا   بالرسم أو بتكلم الرجلان
هذا هو المعقول أما الاقترا   ن فليس معقولاً لذي الاذهان

وكذا كلام من سوى متكلم | أيضاً محال ليس في الامكان
الا لمن قام الكلام به فذا | ك كلامه المعقول في الاذهان
أيكون حياً سامعاً أو مبصراً | من غير ماسمع وغير عيان
والسمع والابصار قام بغيره | هذا المحال وواضح البهتان
وكذا مريدوالارادة لم تكن | وصفاً له هذا من الهذيان
وكذا قدير ماله من قدرة | قامت به من أوضح البطلان
والله جل جلاله متكلم | بالنقل والمعقول والبرهان
قد أجمعت رسل الإله عليه لم | ينكره من أتباعهم رجلان
فكلامه حقاً يقوم به والا لم يكن متكلماً بقران
والله قال وقائل وكذا يقول الحق ليس كلامه بالفاني
ويكلم الثقلين يوم معادهم | حقــا فيسمع قوله الثقلان
وكذا يكلم حزبه في جنة الحيوان بالتسليم والرضوان
وكذا يكلم رسله يوم اللقا | حقاً فيسألهم عن التبيان
ويراجع التكليم جل جلاله | وقت الجدال له من الانسان
ويكلم الكفار في العرصات تو | بيخاً وتقريعاً بلا غفران
ويكلم الكفار أيضاً في الجحيم أن اخسؤوا فيها بكل هوان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في مذهب النوع الثـاني القائلين بأنه تعالى يتكلم بمشيئة وارادة ، وانه سبحانه يتكلم من ذاته ، وهم أهـل الحديث ، فقال : والآخرون أولو الحديث ، كأحمد ، ومحمد الخ . . أي : أن أصحاب الحديث ، كالامام أحمد ، والبخاري وغيرهما من الأئمة قالوا بأن الله تعالى لم يزل متكلماً بمشيئته وقدرته إذا شاء ، وذلك أن الكلام من صفات الكمال ، فالذي لايتكلم ، أو حدث له الكلام بعد أن لم يكن متكلماً ، ناقص ، وهذا هو معنى قول الناظم :

إن الكلام هو الكمال فكيف يخـلو عنه في أزل بلا إمكان

ويصير فيما لم يزل متكلما ماذا اقتضاه له من الامكان

أي : كيف صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً .

وقوله .

والله رب العرش قال حقيقة (حم) مع (طه) بغير قران

بل أحرف مترتبات مثلما قد رتبت في مسمع الانسان

هذا اشارة إلى رد مذهب السالمية ومن وافقهم ، القائلين بأن كلام الله تعالى حروف واصوات قديمة أزليه ، وأن لها اقـترانا ثابتاً[1] لذواتها ، وأن السين لا تسبق الباء الخ .

ولهذا قال الناظم : وقتان في وقت محال هكذا ، أي : كما أنه لايمكن أن يوجد وقتان في وقت ، فمحال أن يوجد حرفان في آن . أي : في وقت من متكلم واحد ، بل يمكن ذلك في الرسم . أي : في الخط ، أو بتكلم رجلين . فذلك يمكن أن يكون في وقت

(١) في الاصل اقتران ثابت

واحد، وأما النطق بحرفين معاً، فهو محال غير ممكن، ثم أشار الى رد مذهب الجهمية والمعتزلة القائلين بأن كلامه تعالى هو ما يخلقه في غيره، وذلك محال أيضاً، فلا يسمى متكلماً الا من قام به الكلام، وكذا لا يسمى سامعاً أو مبصراً الا من قام به السمع والبصر، وإلا فلا يسمى سامعاً او مبصراً بسمع او بصر قائم بغيره، وكذا لا يسمى مريداً وقديراً إلا من قامت به الارادة والقدرة، لا يسمى مريداً أو قديراً بارادة او قدرة بغيره. ثم قال الناظم.

والله جل جلاله متكلم ... بالنقل والمعقول والبرهان

وقد تقدم بسط الكلام في ذلك لما ذكرت مذهب الجهمية والمعتزلة في القرآن، بما أغنى عن إعادته.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

والله قد نادى الكليم وقبله ... سمع الندا في الجنة الأبوان

وأتى الندا في تسع آيات له ... وصفاً فراجعها من القرآن

وكذا يكلم جبرئيل بأمره ... حتى ينفذه بكل مكان

واذكر حديثاً «في صحيح محمد» ... ذاك البخاري العظيم الشان

فيه ندا الله يوم معادنا ... بالصوت يبلغ قاصياً والداني

هب أن هذا اللفظ ليس بثابت ... بل ذكره مع حذفه سيان

ورواه عندكم البخاري المجسم بل رواه مجسم فوقان

أيصح في عقل وفي نقل ندا ... ءٌ ليس مسموعاً لنا بأذان

أم أجبح العلماء والعقلاء من أهل اللسان وأهل كل لسان
ان الندا الصوت الرفيع وضده فهو النجاء كلاهما صوتان
والله موصوف بذاك حقيقة هذا الحديث ومحكم القرآن
واذكر حديثاً لابن مسعود صريحـاً انه ذو أحرف ببيان
للحرف منه في الجزا عشر من الـ حسنات مافيهن من نقصان
وانظر الى السور التي افتتحت بأحـرف فهـا ترى سراً عظيم الشان
لم يأت قط بسورة الا أتى في إثرها خبر عن القرآن
اذ كان إخباراً به عنها وفي هذا الشفاء لطالب الايمان
ويدل أن كلامه هو نفسها لا غيرها والحق ذو تبيان
فانظر الى مبدا الكتاب وبعدها (الاعراف) ثم كذا الى (لقمان)
مع تلوها أيضاً ومع (حم) مع (يس) وافهم مقتضى الفرقان

قوله : وأتى الندا في تسع آيات له الخ . وهو قوله تعـالى في سورة الأعراف (وناداهما ربهما) الأعراف : ٢٢ الآية . وفي مريم (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً) مريم : ٥٢ . وفي طه (فلما أتاها نودي ياموسى إني أنا ربك) طه : ١١ ، ١٢ . الآية . وفي سورة الشعراء (واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين) الشعراء : ١٠ . وفي النمل (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار) النمل : ٨ . وفي القصص (فلما أتاهـا نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة) القصص : ٣٠ .

(وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) القصص : ٤٦ . (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) القصص : ٦٢ ، ٧٤ - في موضعين - (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) القصص : ٦٥ . وفي الصافات (وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا) الصافات : ١٠٤ ، ١٠٥ . وفي النازعات (وهل أتاك حديث موسى . إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) النازعات : ١٥ ، ١٦ .

وقوله : وكذا يكلم جبرئيل بأمره . يشير الى حديث النواس بن سمعان قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحي بالأمر ، تكلم بالوحي ، فاذا تكلم بالوحي ، أخذت السموات منه رجفة - أو قال : رعدة - شديدة ، خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة ، كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا ياجبريل فيقول جبريل : (قال الحق وهو العلي الكبير) سبأ : ٢٣ . فيقولون كلهم مثل ماقال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي الى حيث أمره الله عز وجل من السماء والأرض » ، رواه ابن أبي حاتم (١) .

وقوله : واذكر حديثاً في « صحيح محمد » الخ . يشير الى حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في القصاص ، وقد تقدم .

وقوله . ورواه عندكم البخاري المجسم الخ . يحكى عن الصاحب بن عباد أنه قال عن البخاري : إنه مجسم ساقط .

قوله : أيصح في عقل وفي نقل ندا . قال شيخ الاسلام في « منهاج السنة » . النداء لايكون الا أصواتاً باتفاق أهل اللغة وسائر الناس .

---

(١) كان في هذا الحديث نقص ، فاستدركناه من « تفسير ابن كثير » .

وقول الناظم : وأتى النداء في تسع آيات له الخ . بل أتى النداء في عشرة مواضع أو أكثر ، كما في « المنهاج » .

قوله : واذكر حديثاً لابن مسعود . هو ما رواه الترمذي من طريق عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من قرأ حرفاً من كتاب الله عز وجل فله عشر حسنات ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه غيره من الأئمة ، وفيه : « أما إني لا أقول (الم) حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

قوله : وانظر الى السور التي افتتحت الخ .

قال الناظم رحمه الله تعالى في كتاب « بدائع الفوائد » : تأمل سر (الم) كيف اشتملت على هذه الأحرف الثلاثة ، فالألف اذا بدىء بها أولاً كانت همزة ، وهي أول المخارج من أقصى الصدر ، واللام من وسط مخارج الحروف اعتماداً على اللسان ، والميم آخر الحروف ، ومخرجها من الفم ، وهذه الثلاثة هي أصل مخارج الحروف ، أعني الحلق ، واللسان ، والشفتين ، وتنزلت في التنزيل من البداية الى الوسط الى النهاية ، فهذه الحروف تعتمد (على) المخارج الثلاثة التي يتفرع منها ستة عشر مخرجاً ، فيصير منها ثمانية[1] وعشرون حرفاً ، عليها مدار كلام الأمم الأولين والآخرين ، مع تضمنها سراً عجيباً ، وهو أن الألف للبداية ، واللام للتوسط ، والميم للنهاية ، فاشتملت الأحرف الثلاثة على البداية والنهاية والواسطة بينها ، وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف الثلاثة ، فهي مشتملة على بدء الخلق ، ونهايته ، وتوسطه ، فمشتملة على تخليق العالم وغايته ، وعلى المتوسط بين البداية والنهاية من التشريع والأوامر ، وتأمل اقتران الطاء بالسين والهاء في القرآن ، فان الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات ، لم يجمعها غيرها ، وهي الجهر ، والشدة ،

---

(١) في الاصل تسعة .

والاستعلاء ، والقلقلة ، والاطباق . والسين حرف مهموس، رخو، مستقل، صغير ، منفتح ، فلا يمكن أن يجمع الى الطاء الاحرف (التي) يقابلها ، كالسين والهاء ، فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف . وتأمل السور التي اجتمعت على الحروف المفردة، كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف ،فمن ذلك (ق) والسورة مبنية على الكلمات القافية من ذكر القرآن، وذكر الخلق، وتكرر القول ومراجعته مراراً ، والقرب من ابن آدم ، وتلقي الملكين قول العبد ، وذكر الرقيب ، وذكر السائق والقرين، وذكر القبل مرتين، وتشقق الأرض ، وإلقاء الرواسي فيها ، وبسوق النخل ، والرزق ، وذكر القوم ، وحقوق الوعيد ، ولو لم يكن الا تكرار القول والمحاورة ، وسر آخر ،وهو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حرف القاف من الشدة، والجهر ، والعلو،والانفتاح .

وإذا أردت زيادة إيضاح،فتأمل ما اشتملت عليه سورة (ص) من الخصومات المتعددة ، فأولها خصومة الكفار مع النبي ﷺ ، وقولهم (أَجعل الآلهة إلهاً واحداً) ص : ٥ الى آخر كلامهم . ثم اختصام الخصمين عند داود ، ثم تخاصم أهل النار ، ثم اختصام الملأ الأعلى في العلم ،وهو الدرجات والكفارات ، ثم مخاصمة إبليس واعتراضه على ربه في أمره بالسجود لآدم ، ثم خصامه ثانياً في شأن بنيه وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الاخلاص منهم.

فليتأمل اللبيب الفطن ، هل يليق بهذه السورة غير (ص) وسورة (ق) غير حرفها ، وهذه قطرة من بعض أسرار هذه الحروف ، والله سبحانه أعلم. آخر كلامه .

قال النّاظم رَحمهُ الله تعالى :

فصل

في إلزامهم التشبية للرّب بالجمَاد الناقص إذا انتفت صفة الكلام

والله عز وجل موص آمر ناه مثيب مرسل لبيان
ومخاطب ومحاسب ومنبىء ومحدث ومخبر بالشان
ومكلم متكلم بل قائل ومحذر ومبشر بأمان
هاد يقول الحق يرشد خلقه بكلامه للحق والايمان
فاذا انتفت صفة الكلام فكل هـ ـذا منتف متحقق البطلان
واذا انتفت صفة الكلام كذلك الـ إرسال منفي بلا فرقان
فرسالة المبعوث تبليغ كلا م المرسل الداعي بلا نقصان
وحقيقة الارسال نفس خطابه للمرسلين وأنه نوعان
نوع بغير وساطة ككلامه موسى وجبريل القريب الداني
منه اليه من وراء حجابه إذ لا تراه هاهنا العينان
والآخر التكليم منه بالوسا طة وهو أيضاً عنده ضربان
وحي وإرسال اليه وذاك في الشورى أتى في أحسن التبيان

مضمون هذا الفصل إلزام المعطلة النافين لصفة الكلام نفي الرسالة ، اذ حقيقة الرسالة تبليغ كلام المرسل ، فاذا انتفت صفة الكلام ، لزم نفي الرسالة ، ثم ذكر أن حقيقة الارسال نفس خطابه تعالى للمرسلين ، وهو نوعان : بغير وساطة ، ككلامه تعالى لجبريل وموسى من وراء حجاب ، والنوع الثاني : تكليم بالوساطة ، كتكليمه سبحانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على لسان جبريل ، كما قال تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه مايشاء) الشورى: ٥١ الآيـة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في إلزامهم القول بنفي الرسالة إذا انتفت صفة الكلام

فاذا انتفت صفة الكلام فضدها ... خرس وذلك غاية النقصان

فلئن زعمتم أن ذلك في الذي ... هو قابل من أمة الحيوان

والرب ليس بقابل صفة الكلا ... م فنفيها ما فيه من نقصان

فيقال سلب كلامه وقبوله ... صفة الكلام أتم للنقصان

إذ أخرس الانسان أكمل حالة ... من ذا الجماد بأوضح البرهان

فجحدت أوصاف الكمال مخافة التـ ... ـجسيم والتشبيه بالانسان

ووقعت في تشبيهه بالجامدا ... ت الناقصات وذا من الخذلان

الله أكبر هتكت أستاركم حتى غدوتم ضحكة الصبيان

قول الناظم :

فاذا انتفت صفة الكلام فضدها خرس وذلك غاية النقصان

لاشك أن الكلام صفة كمال ، وكل كمال اتصف به المخلوق اذا لم يكن فيه نقص بوجه ما ، فالخالق أحق به ، لأنـــه هو الذي خلقه ، وكل كمال اتصف به موجود ممكن وحادث ، فالموجود الواجب القديم أولى به ، وكل نقص تنزه عنه مخلوق موجود حادث ، فالخالق أولى بتنزيهه عنه .

قوله : فلئن زعمتم ان ذلك في الذي هو قابل الخ . قالت النفـــاة من الباطنية من المتفلسفة وغيرهم : لما قيل لهم ، اذا لم يوصف بالعلم ، والقدرة ، والحياة ، والكلام ، لزم أن يتصف بما يقابل ذلك ، كالعجز ، والجهل ، والموت ، والبكم . فقالوا : انما يلزم ذلك لو كان قابلاً للاتصاف بذلك ، فان المتقابلين تقابل السلب والايجاب ، كالوجود والعدم ، اذا عدم أحدهما ثبت الآخر ، وأما المتقابلان تقابل العدم والملكة ، كالحياة والموت ، والعمى والبصر ، فقد يخلو المحل عنهما ، كالجماد ، فانه لايوصف لا بهذا ولا بهذا . فقال لهم أهل الاثبات : فررتم (من)[1] تشبيهه بالحيوان الناقص الذي لايسمع ، ولا يبصر ، ولا يتكلم ، مع امكان ذلك منه ، فشبهتموه بالجماد الذي لايقبل الاتصاف لا بهذا ولا بهذا ، فكان مافررتم اليه شراً مما فررتم منه .

---

(١) في الاصل : عن .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في إلزامهم بالقول بأن كلام الخلق حقه وباطله عين كلام الله سبحانه

أو ليس قد قام الدليل بأن أفـعال العباد خليقـة الرحمن
من ألف وجه أو قريب الالف يحـصيها الذي يعنى بهذا الشان
فيكون كل كلام هذا الخلق عـين كلامه سبحان ذي السلطان
اذكان منسوباً اليه كلامـه خلقاً كبيت الله ذي الاركان
هذا ولازم قولكم قد قاله ذو الاتحـاد مصرحاً ببيان
حـذر التناقض إذ تناقضتم ولـكن طرده في غاية الكفران
فلئن زعمتم أن تخصيص القرا ن كبيته وكلاهمـا خلقان
فيقال ذا التخصيص لا ينفي العمو م (ولا الخصوص)(١) كرب ذي الأكوان
ويقال رب العرش أيضاً هكذا تخصيصه لاضـافة القرآن
لا يمنع التعميم في الباقي وذا في غـاية الايضاح والتبيان

هذا الالزام الذي ذكره الناظم هو إلزام مشهور للسلف ، الزموا به الجهمية القائلين بأن كلام الله مخلوق ، وأن إضافته الى الله اضافـة تشريف وتعظيم ، كما يقال : بيت الله ، وناقة الله ، فألزمهم السلف بأن جميع كلام

(١) جملة : « ولا الخصوص » زيادة لم تكن في الاصل ، ولا في غيره ، ولا يستقيم الوزن بدونها .

الخلق عين كلام الله . قال سليمان بن داود الهاشمي : من قال : إن القرآن مخلوق فهو كافر ، وإذا كان القرآن مخلوقاً كما زعموا ، فلم صار فرعون أولى بأن يخلد في النار إذ قال (أنا ربكم الأعلى) النازعات : ٢٤ . وزعموا أن هذا مخلوق . وقال (إنني أنا الله لا إله الا أنا فاعبدني) طه : ١٤ . فقد ادعى ما ادعى فرعون ، فلما صار فرعون أولى بأن يخلد في النار اذ قال : (أنا ربكم الأعلى) من هذا ، و كلاهما عنده مخلوق ، فأخبر بذلك ابو عبيد ، فاستحسنه وأعجبه ، ذكر ذلك البخاري في كتاب خلق « أفعال العباد » ، و كذلك ذكر نظير هذا عبد الله بن المبارك ، وعبد الله بن ادريس ، ويحيى ابن سعيد القطان ، ولهذا قال الناظم : هذا ولازم قولكم قد قاله ذو الاتحاد ، أي : أن الاتحادية صرحوا بهذا اللازم ، فقالوا :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

ولكن طرد هذا ، كما قال الناظم : في غاية الكفران ،أي : ان القول بهذا هو غاية الكفران ، بل لا أكفر ممن يقول ذلك ، نعوذ بالله .

قوله : فلئن زعمتم أن تخصيص القران الخ . أي : كما أنه اذا قيل : رب الأكوان ، ورب المخلوقات ، فالعرش داخل في عموم الأكوان والمخلوقات ، فاذا قلتم : ان اضافة القرآن اليه تعالى للتشريف ، لزمكم أن جميع كلام الخلق كلام الله ، والتخصيص في القرآن لاينفي العموم ، كما اذا قيل : رب العرش ، ورب الأكوان ، كما لايخفى ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فصل

في التفريق بين الخلق والأمر

ولقد أتى الفرقان بين الخلق والـ ... أمر الصريح وذاك في الفرقان

وكلاهما عند المنازع واحد ... والكل خلق ما هنا شيئان

والعطف عندهم كعطف الفرد من ... نوع عليه وذاك في القرآن

فيقال هذا ذو امتناع ظاهر ... في آيـة التفريق ذو تبيان

فالله بعـد الخلق أخبر أنهـا ... قد سخرت والأمر للجريان

وأبان عن تسخيرها سبحانه ... بالأمر بعد الخلق والتبيان

والأمر إما مصدر أو كان مفـ ... ـعولاً همـا في ذاك مستويان

مأموره هو قابل للأمر كالـ ... ـمصنوع قابل صنعة الرحمن

فإذا انتفى الأمر انتفى المأمور كالـ ... ـمخلوق ينفى لانتفا الحدثان

وانظر الى نظم السياق تجد به ... سراً عجيباً واضح البرهان

ذكر الخصوص وبعده متقدماً ... والوصف والتعميم في ذا الثاني

فأتى بنوعي خلقه وبأمره ... فعلاً ووصفاً موجزاً ببيـان

فتدبر القرآن إن رمت الهدى ... فالعـلم تحت تدبر القرآن

قوله : ولقد أتى الفرقان بين الخلق والأمر الخ . أي : ان الله فرق بين الخلق والأمر في قوله تعالى (ألا له الخلق والأمر) الاعراف : ٥٤ فجعل الخلق غير الأمر ، ولكن الجهمية ومن تبعهم قالوا : ان الخلق هنا هو الأمر ، وقالوا . العطف لا يقتضي المغايرة ، بل هو من عطف الخاص على العام ، وهذا معنى قول الناظم . والعطف عندهم كعطف الفرد من نوع عليه الخ. وهذا مردود ، لأن الله سبحانه أخبر في هذه الآية أنهـا بعد الخلق قد سخرت بالأمر .

قوله . والأمر إما مصدر الخ . أي : ان الأمر في الآية ، إما ان يكون مصدراً ، كما هو الأظهر ، وإما ان يكون المراد به المأمور ، كما يقوله أهل التأويل ، فهما سواء ، فإن المأمور لابد له من آمر ، ولذلك سمي مأموراً ، كما ان المخلوق ينفى اذ انتفى الحدثان .

وقال الشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي في شرح « جمع الجوامع » قال البويطي عن الشافعي : انما خلق الله الخلق بـ (كن) ، فلو كانت هي مخلوقة ، فمخلوق خلق مخلوقاً . قال الأئمة : ولو كان (كن) الأول مخلوقاً ، فهو مخلوق بأخرى ، وأخرى الى ما لا يتناهى ، وهو مستحيل. وقال سفيان بن عيينة رضي الله عنه في قوله تعـالى (ألا له الخلق والأمر) الاعراف : ٥٤ الأمر : القرآن ، ففصل بين المخلوق والأمر ، ولو كان الأمر مخلوقاً لم يكن لتفصيله معنى . قال ابن عيينة : فرق بـين الأمر والخلق ، فمن جمع بينهما فقد كفر ، وأما ان القرآن هو الأمر ، فلقوله تعـالى (انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمراً من عندنا) الدخان : ٣ ـ ٥ وروي هذا الاستنباط عن احمد بن حنبل ، ومحمد ابن يحيى الذهلي ، واحمد بن سنان وغيرهم من الأئمة ، وذكر البيهقي بإسناد

صحيح عن عمرو بن دينار قال : سمعت مشيختنا منذ سبعين سنة يقولون : القرآن كلام الله ليس مخلوقاً . قال : ومشيخته جماعة من الصحابة ، منهم ابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، وابن الزبير ، وأكابر التابعين ، ثم قال : وروينا هذا القول عن الليث بن سعد ، وسفيان ، وابن المبارك ، وحماد ابن زيد ، وابن مهدي ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وأبي عبيد ، والبخاري ، ومشيخة سواهم . وإنما أحدث هذه البدعة الجعد بن درهم ، وعنه كان يأخذ الجهم ، فذبحه خالد بن عبد الله القسري يوم الاضحى . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في التفريق بين ما يضاف إلى الرب تعالى من الأوصاف والأعيان

والله أخبر في الكتاب بأنه ... منه ومجرور بمن نوعان
عين ووصف قائم بالعين فالـ ... أعيان خلق الخالق الرحمن
والوصف بالمجرور قام لأنه ... أولى به في عرف كل لسان
ونظير ذا أيضاً سواء ما يضـاف اليه من صفة ومن أعيان
فاضافة الأوصاف ثابتة لمن ... قامت به كارادة الرحمن
وإضافة الاعيان ثابتة له ... ملكاً وخلقاً ما هما سيان
فانظر إلى بيت الإله وعلمه ... لما أضيف كيف يفترقان

وكلامه كحياته وكعلمه في ذي الإضافة اذ هما وصفان
لكن ناقته وبيت إلهنــــا فكعبده أيضــاً هما ذاتان
فانظر إلى الجهمي لما فاته الــحق المبين واضح الفرقان
كان الجميع لديه باباً واحداً والصبح لاح لمن له عينان

قوله : والله أخبر في القران بأنه الخ . أي : كما في قوله تعـالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) النحل : ١٠٢ وقال (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) الانعام : ١١٤ وقال تعالى عن المسيح (وروح منه) النساء : ١٧١ ومن لابتداء الغاية . وقال تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه) الجاثية : ١٣ ومن لابتداء الغاية .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : المضاف الى الله تعالى اذا كان معنى لايقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات ، وجب ان يكون صفة لله تعـالى قائمة به ، وامتنع اضافته اضافة مخلوق مربوب ، واذا كان المضاف عيناً قائمة بنفسها كجبريل ، وعيسى عليهما السلام ، وأرواح بني آدم ، امتنع ان يكون صفة لله تعالى ، لأن ماقام بنفسه لايكون صفة لغيره ، لكن الأعيان المضافة الى الله تعالى على وجهين :

أحدهما : أن تضاف اليه بكونه خلقها وأبدعها ، فهذا شامل لجميع المخلوقات ، كقولهم : سماء الله ، وأرض الله ، فجميع المخلوقين عبيد الله ، وجميع المال مال الله .

الوجه الثاني : ان يضاف اليه لما خصه به من معنى يحبه ، ويأمر به ، ويرضاه ، كما خص البيت العتيق بعبادة فيه لاتكون في غيره ، وكما يقال

في مال الخمس والفيء : هو مال الله ورسوله ، ومن هذا الوجه ، فعباد الله هم الذين عبدوه أوطاعوا أمره ، فهذه اضافة تتضمن ألوهيته ، وشرعه ،ودينه» وتلك اضافة تتضمن ربوبيته وخلقه . انتهى ملخصاً

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

وأتى ابن حزم بعد ذاك فقال ما ... للناس قرآن ولا إثنان

بل أربع كلٌّ يسمى بالقرا ... ن وذاك قول بيّن البطلان

هذا الذي يتلى وآخر ثابت ... في الرسم يدعى المصحف العثماني

والثالث المحفوظ بين صدورنا ... هذي الثلاث خليقة الرحمن

والرابع المعنى القديم كعلمه ... كل يعبر عنه بالقرآن

وأظنه قد رام شيئاً لم يجد ... عنه عبارة ناطق ببيان

إن المعين ذو مراتب أربع ... عقلتْ فلا تخفى على إنسان

في العين ثم الذهن ثم اللفظ ثـ ... ـم الرسم حين تخطه ببنان

وعلى الجميع الاسم يطلق لكن الـ ... أولى به الموجود في الأعيان

بخلاف قول ابن الخطيب فانه ... قد قال ان الوضع للأذهان

فالشيء شيء واحد لا أربع ... فدهى ابن حزم قلة العرفان

ابن حزم : هو الامام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري المشهور ، عالم الأندلس ، صاحب المصنفات المشهورة ، كـ « الملل والنحل » و « المحلى شرح المجلى »[١] و كتاب « الاجماع » و كتاب « الايصال » وغير ذلك ، وشهرته تغني عن الاطناب في ذكره ، والاسهاب في أمره .

وقال الذهبي في « تذكرة الحفاظ » : ولد رحمه الله تعالى بقرطبة سنة ٣٨٤ أربـــع وثمانين وثلاثمائة ، وسمع من أبي عمر أحمد بن الحسور ، ويحيي بن مسعود ، ويوسف بن عبد الله القاضي ، وحمام بن أحمد القاضي ، وعبد الله ابن ربيع التميمي ، وأبي عمر الطلمنكي ، وخلق . روى عنه أبو عبد الله الحميدي فأكثر ، وابنه أبو رافع الفضل ، وطائفة . وكان إليه المنتهى في الذكاء ، والحفظ ، وسعة الدائرة في العلوم ، وكان شافعياً ، ثم انتقل الى القول بالظاهر ، ونفى القول بالقياس ، وتمسك بالعموم والبراءة الأصلية ، وكان صاحب فنون ، فيه دين ، وتورع ، وتزهد ، وتحر للصدق ، وكان أبوه وزيراً جليلاً ، محتشماً ، كبير الشأن ، وكان لأبي محمد كتب عظيمة ، لاسيما كتب الحديث ، والفقه ، وقد صنف كتاباً كبيراً في فقـه الحديث سماه « الايصال الى فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الاسـلام والحلال والحرام » اورد فيه أقوال الصحابة فمن بعدهم ، والحجة لكل قول ، وله كتاب « الإحكام لأصول الأحكام » مجلدان ، و كتاب « المجلى » في الفقه على مذهبه واجتهاده مجلد ، وشرحه وهو « المحلى » في ثمـــاني مجلدات ، و كتاب « الفصل في الملل والنحل » ثلاث مجلدات ، و كتاب « إظهار تبديل اليهود

---

(١) لقد جمع ابن حزم مسائل مختصرة في كتاب سماه « المجلى » ثم رغب اليه بعض الناس أن يشرحه ، فاستجاب وسماه « المحلى شرح المجلى » وهو كتاب عظيم ومرجع كبير في الفقه الاسلامي ، غير أنه ـ رحمه الله ـ كان شديد اللهجة في الرد على مخالفيه.

والنصارى للكتابين التوراة والانجيل » وكتاب « التقريب لحد المنطق » والمدخل اليه بألفاظ أهل العلم ، لا بألفاظ أهل الفلسفة ، ومثله بالأمثلة الفقهية . أخذ المنطق عن محمد بن حسن المذحجي ، وأمعن فيه ، فبقي فيه قسط من نحلة الحكماء .

قال أبو حامد الغزالي : وجدت في اسماء الله تعالى كتاباً ألفه أبو محمد بن حزم يدل على عظم حفظه ، وسيلان ذهنه .

وقال صاعد بن أحمد : كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الاسلام ، وأوسعهم معرفة ، مع توسعه في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة ، والشعر ، ومعرفته بالسنن والآثار . اخبرني ولده الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تآليفه أربعمائة مجلد ، يحتوي على نحو من ثمانين الف ورقة .

قال الحميدي : كان أبو محمد حافظاً للحديث وفقهه ، مستنبطاً للاحكام من الكتاب والسنة ، متقناً في علوم جمة ، عاملاً بعلمه ، ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء ، وسرعة الحفظ ، وكرم النفس والتدين ، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع ، وباع طويل ، مارأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه ، وشعره كثير ، جمعه على حروف المعجم .

قال أبو محمد عبد الله بن محمد المغربي : صحبت ابن حزم سبعة أعوام ، وسمعت منه جميع مصنفاته ، سوى المجلد الأخير من كتاب « الفصل » وقرأنا عليه من كتاب « الإيصال » سبع مجلدات في سنة ست وخمسين[1] ، وهو أربعة وعشرون مجلداً ، ومن تآليفه كتاب « الصادع » في الرد على من قال بالتقليد ، وكتاب « شرح أحاديث الموطأ » ، وكتاب « الجامع » في صحيح الحديث باختصار الأسانيد ، وكتاب « منتقى الإجماع » وكتاب

---

(١) لعله يقصد : سنة ست وخمسين بعد الاربعمائة .

« كشف الالتباب لما بين الظاهرية وأصحاب القياس » وله « السيرة النبوية » في مجلد ، وتصانيفه كثيرة .

قال أبو مروان بن حيان : كان ابن حزم حامل فنون ، من حديث ، وفقه ، وجـدل ، ونسب ، وما يتعلق بأذيال الأدب ، مع المشاركة في أنواع التعاليم القديمة ، من المنطق ، والفلسفة ، وله كتب كثيرة ، لم يخل فيها من غلط ، لجراءته في التسور على الفنون ، لاسيما المنطق ، فإنهم زعموا أنه زل هنالك ، وضل في سلوك المسالك ، وخالف أرسطو واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه ، ولا ارتاض ، ومال أولاً في النظر الى الشافعي ، وناضل عنه ، حتى وسم به ، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء ، وعيب بالشذوذ ، ثم عدل عن ذلك الى الظاهر ، فنقحه وجادل عنه ، ولم يكن يلطف صدعه بما عنده بتعريض ، ولابتدريج ، بل يصك به معارضه صك الجندل ، وينشقه انشقاق الخردل ، فتنفر عنـه القلوب ، وتقع به الندوب ، حتى استهدف إلى فقهاء وقته ، فتمالؤوا عليه ، وأجمعوا على تضليله ، وشنعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ، ونهوا عوامهم عن الدنو منـه ، فطفق الملوك يقصدونه ، ويسيرونه عن بلادهم ، الى ان انتهوا به منقطع أثره ، وهي بلدة من بادية لبلة ، وهو في ذلك غير مرتدع ، ولاراجع ، الى آخر كلام لأبي حيان ، تركته اختصاراً . انتهى . توفي ٤٥٦ سنة ستة وخمسين وأربعمائة ، وله اثنتان وسبعون سنة ، رحمه الله تعالى ، وقوله في القرآن قول مهجور ، لا نعـلم قائلاً به ، وهو من جمله مجازفته وتهوره ، رحمه الله ، ولكن الناظم ، لما ذكر جميع ما قاله الناس في القرآن العظيم ، ذكر هذا القول ، لأنه من جملة الأقوال التي قيلت ، والا فشيخ الاسلام رحمه الله تعالى قد ذكر في المسألة المصرية أقوال الناس في القرآن ، فبلغت

سبعة أقوال ، أو ثمانية ، ولم يذكر قــول ابن حزم هذا ، وحيث ذكره الناظم ، فلا بد من بيان معناه . فقوله : بل أربع كل يسمى بالقرآن ، هذا الذي يتلى ، والثـاني : المكتوب في المصاحف ، والثالث : المحفوظ في الصدور ، والمراد بالرسم : الخط . وقوله : هذه الثلاث خليقــة الرحمن ، وهذا القول من أبطل الأقوال التي قيلت في القرآن ، ولذلك قال الناظم : وذاك قول بين البطلان .

قوله : والرابع المعنى القديم الخ . كأنه والله أعـلم وافق الاشاعرة والكلابية في إثبات المعنى النفسي ، وقد تقـدم القول في المعنى النفسي بما أغنى عن الإعادة .

وقول الناظم : وأظنه قد رام شيئاً لم يجد ، إلى قوله : ان المعيّن ذو مراتب أربع الخ .. أي : أن المعين كزيد مثلًا له أربع وجودات : وجـود خارجي ، ووجود ذهني ، ووجود لفظي ، أي : في اللفظ ، اذا تلفظت بلفظ زيد ، ووجود رسمي ، أي : خطي ، فهذه الوجودات الأربعة ، وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . إقرأ وربك الاكرم . الذي عـلم بالقلم) القـلم : ١ - ٤ فذكر المراتب الأربعة ، وهي الوجود العيني الخارجي الذي هو خلقه ، وذكر الوجود الرسمي المطابق للفظي الدال على العلمي ، فمذهب ابن حزم أن القرآن في المراتب الثلاثة مخلوق ، وهي وجوده العيني ، واللفظي ، والرسمي ، ولكن الاولى بالتسمية بالقرآن - وهو وجوده العيني - بقي عنده المعنى القديم ، فهو غير مخلوق ، كالعلم .

وقول الناظم : بخلاف قول ابن الخطيب الخ . أي : أن قول ابن

الخطيب ، أي الفخر الرازي ، قال : ان الكلام موضوع لما في الذهن . وهو المعنى النفسي على ما هو معروف من مذهب الاشاعرة ، وإنه معنى واحد ، والله أَعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والله أخبر أنه سبحانه — متكلم بالوحي والفرقان
وكذاك أخبرنا بأن كلامه — بصدور أهل العلم والايمان
وكذاك أخبر أنه المكتوب في — صحف مطهرة من الرحمن (١)
وكذاك أخبر أنه المتلو والـ — ـمقروء عند تلاوة الانسان
والكل شيء واحد لا أنه — هو أربع وثلاثة واثنان
وتلاوة القرآن أفعال لنا — وكذا الكتابة فهي خط بنان
لكنما المتلو والمكتوب والـ — ـمحفوظ قول الواحد المنان
والعبد يقرؤه بصوت طيب — وبضده فهما له صوتان
وكذاك يكتبه بخط جيد — وبضده فهما له خطان
أَصواتنا ومدادنا وأداتنا — والرق ثم كتابة القرآن
ولقد أتى في نظمه من قال قو — ل الحق فيه وهو غير جبان
إن الذي هو في المصاحف مثبت — بأنامل الأشياخ والشبان
هو قول ربي آيه وحروفه — ومدادنا والرق مخلوقان

---

(١) في الاصل : الشيطان ، وعلى هامش الاصل : نسخة : الرحمن .

فشفى وفرق بين متلو ومصنوع وذاك حقيقة العرفان

الكل مخلوق وليس كلامه المتلو مخلوقاً هما شيئان

فعليك بالتفصيل والتمييز فالـ إطلاق والإجمال دون بيان

قد أفسدا هذا الوجود وخبطا الاذهان والآراء كل زمان

وتلاوة القرآن في تعريفها باللام قد يعنى بها شيئان

يعنى به المتلو فهو كلامه هو غير مخلوق كذي الاكوان

ويراد أفعال العباد كصوتهم وأدائهم وكلاهما خلقان

هذا الذي نصت عليه أئمة الا إسلام اهل العلم والعرفان

وهو الذي قصد البخاري الرضى لكن تقاصر قاصر الاذهان

عن فهمه كتقاصر الافهام عن قول الإمام الاعظم الشيباني

في اللفظ لما أن نفى الضدين عنه واهتدى للنفي ذو عرفان

فاللفظ يصلح مصدراً هو فعلنا كتلفظ بتلاوة القرآن

وكذاك يصلح نفس ملفوظ به وهو القران فذان محتملان

فلذاك أنكر أحمد الاطلاق في نفي وإثبات بلا فرقان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان القراءة، والمقروء، والتلاوة.

والمتلو، والكتابة، والمكتوب، والمحفوظ، واللفظ، والملفوظ،

وأطنب في ذلك لكثرة ماوقع في ذلك من التخبيط والتخليط، فقال[١]: والله أخبر أنه سبحانه متكلم الخ. كما قال تعالى (حتى يسمع كلام الله) التوبة: ٦ وقال تعالى (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) العنكبوت: ٤٩ وقال تعالى (في صحف مكرمة. مرفوعة مطهرة) عبس: ١٣، ١٤ وقال تعالى (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) القيامة: ١٨ ثم قال: والكل شيء واحد، لأنه هو أربع، وثلاثة، واثنان، ثم قال:

وتلاوة القرآن أفعال لنا وكذا الكتابة فهي خط بنان

قال شيخ الاسلام بعد كلام سبق: وكان أهل الحديث قد افترقوا في ذلك، أي: في مسألة اللفظ في القرآن، فصار طائفة منهم يقولون: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، ومرادهم أن القرآن المسموع غير مخلوق، وليس مرادهم صوت العبد كما يذكر ذلك عن أبي حاتم الرازي، ومحمد بن داود المصيصي، وطوائف غير هؤلاء، وفي أتباع هؤلاء من قد يدخل صوت العبد أو فعله في ذلك، أو يقف فيه، ففهم ذلك بعض الأئمة، فصار يقول: أفعال العباد (و) أصواتهم مخلوقه، رداً لهؤلاء، كما فعل البخاري، ومحمد بن نصر المروزي، وغيرهما من أهل العلم والسنة، وصار يحصل بسبب كثرة الخوض في ذلك ألفاظ مشتركة، وأهواء للنفوس، حصل بسبب ذلك نوع من الفرقة والفتنة وحصل بين البخاري وبين محمد بن يحيى الذهلي في ذلك ماهو معروف، وصار قوم مع البخاري، كمسلم بن الحجاج ونحوه. وقوم عليه، كأبي زرعة، وأبي حاتم، ونحوهما، وكلا هؤلاء من أهل العلم والسنة والحديث، وهم من أصحاب أحمد بن حنبل، ولهذا قال ابن قتيبة: إن أهل السنة لم يختلفوا في شيء من أقوالهم، إلا في مسألة اللفظ، وصار قوم يطلقون القول بأن التلاوة هي المتلو، والقراءة هي المقروء، وليس

---

(١) أي الناظم.

مرادهم بالتلاوة المصدر ، فالذين قالوا : التلاوة هي المتلو من أهـل العلم والسنة ، قصدوا بذلك أن التلاوة هي القول ، والكلام المقترن بالحركه وهي الكلام المتلو . وآخرون قالوا : بل التلاوة غير المتلو ، والقراءة غير المقروء . والذين قالوا ذلك من أهل السنة والحديث ، أرادو بذلك أن أفعال العباد ليست هي كلام الله ، ولا أصوات العباد هي صوت الله ، وهذا الذي قصده البخاري ، وهو مقصود صحيح . انتهى كلامه ملخصاً من كتاب «العقل والنقل».

وقال الحافظ الذهبي في كتاب «العلو» : قال عبد الرحمن بن محمد الحافظ : حدثنا عبدالله بن محمد بن الفضل الصيداوي ، سمعت اسحق بن داود الشعراني يذكر أنه عرض على محمد بن أسلم الطوسي كلام بعض من تكلم في القرآن ، فقال محمد : القرآن كلام الله غير مخلوق أين ماتلي وحيث ماكتب ، لا يتغير ولا يتحول ولا يتبدل . قال الذهبي : صدق والله ، فانك تنقل من المصحف مائة مصحف ، وذاك الأول لا يتحول في نفسه ولا يتغير ، وتلقن القرآن ألف نفس وما في نفسك باق بهيئته لا يفصل عنك ولا يتغير ، وذلك لأن المكتوب واحد ، والكتابة تعددت ، والذي في صدرك واحد ، وما في صدور المقرئين ، هو عين ما في صدرك سواء ، والمتلو وإن تعدد التالون به ، واحد ، مع كونه سور وآيات ، وأجزاء متعددة ، وهو كلام الله ووحيه ، وتنزيله وإنشاؤه ، ليس هو بكلامنا أصلاً . نعم وتكلمنا به وتلاوتنا له ونطقنا به من أفعالنـا ، وكذلك كتابتنا له وأصواتنا به من أعمالنا . قال الله عز وجل (والله خلقكم وما تعملون) الصافات : ٩٦ فالقرآن المتلو مع قطع النظر عن أعمالنـا ، كلام الله ، ليس بمخلوق ، وهذا إنما يحصله الذهن . وأما في الخارج ، فلا يتأتى وجود القرآن إلا من تال وفي مصحف ، فإذا سمعه المؤمنون في الآخرة من

رب العالمين ، فالتلاوة إذ ذاك والمتلو ليسا بمخلوقين ، ولهذا يقول الامام أحمد : من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن ، فهو جهمي ، فتأمل هذا ، فالمسألة صعبة ، وما فصلته فيها - وإن كان حقاً - فأحمد رحمه الله تعالى وعلماء السلف ، لم يأذنوا في التعبير عن ذلك ، وفروا عن الجهمية ومن الكلام بكل ممكن ، حتى إن حرب بن اسماعيل قال : سمعت ابن راهويه وسئل عن الرجل يقول : القرآن ليس بمخلوق ، وقراءتي إياه مخلوقة ، لأني أحكيه ، فقال : هذا بدعة لا يقار على هذا حتى يدع قوله .

قلت : أظن اسحق نفر من قوله : لأني أحكيه ، بحيث أن الحافظ الثبت عبد الله بن الامام أحمد رضي الله عنه قال : سألت أبي في رجل قال : التلاوة مخلوقة ، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ، قال : هذا كلام الجهمية . قال الله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) التوبة : ٦ وقال النبي ﷺ : «حتى أبلغ كلام ربي »[١] وقال : « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام النـــاس»[٢]

---

(١) الذي في « سنن أبي داود » « ألا رجل يحملني الى قومه لأبلغ كلام ربي ، فان قريشاً قد منعوني ان ابلغ كلام ربي » كان يقول ذلك عندما يعرض نفسه على الناس في المواسم .

(٢) والحديث بتمامه : عن معاوية بن الحكم السلمي قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه ، إذ عطس رجل من القوم ، فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثكل أمياه : ما شأنكم تنظرون الي - قال - فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمتونني ، لكني سكت ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأبي وأمي ، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ، فوالله ما كهرني ، ولا ضربني ، ولا شتمني ، قال : « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح ، والتكبير ، وقراءة القرآن » . رواه أحمد ، ومسلم ، والنسائي . وابو داود ، وقال : « لا يحل » مكان « لا يصلح » .

وكان أبي يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء، او يقال : مخلوق، أوغير مخلوق

قلت : فعل الامام أحمد رضي الله عنه هذا حسما للمادة ، والا فالملفوظ كلام الله ، والتلفظ به فمن كسبنا . انتهى كلام الذهبي . وقول الناظم : وهو الذي قصد البخاري الرضى الى آخره . يعني ان الامام أحمد قال فيما نقل عنه نقلا مستفيضاً أنه قال : من قال : لفظي بالقرآن مخلوق ، فهو جهمي ، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع .

قال الناظم في كتاب « الصواعق المرسلة »[1] فان قيل : فاذا كان الأمر كما قررتم ، فكيف أنكر الامام احمد على من قال : لفظي بالقرآن مخلوق ، وبدعة ، ونسبه الى التجهم ، وهل كانت محنة أبي عبد الله البخاري الا على ذلك ، حتى هجره أهل الحديث ، ونسبوه الى القول بخلق القرآن . قيل : معاذ الله أن يظن بأئمة الاسلام هذا الظن الفاسد ، فقد صرح البخارى في كتابه « خلق أفعال العباد » وفي آخر « الجامع »[2] بأن القرآن كلام الله غير مخلوق . وقال : حدثنا سفيان بن عيينة ، قال : أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة ، منهم عمرو بن دينار يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق .. الى أن قال : فالبخاري أعلم بهذه المسألة وأولى بالصواب فيها من جميع من خالفه ، وكلامه أوضح وأمتن من كلام أبي عبد الله ، فان الامام احمد سد الذريعة ، حيث منع اطلاق لفظ المخلوق نفياً وإثباتاً على اللفظ ، وهذا المنع في النفي والاثبات من كمال علمه باللغة والسنة ، وتحقيقه لهذا الباب ، فانه امتحن بما لم يمتحن به غيره ، وصار كلامه قدوة وإماماً لحزب الرسول ﷺ الى يوم القيامة ، والذي قصده حمد ن اللفظ يراد به أمران : أحدهما :

---

(١) على الجهمية والمعطلة .

(٢) اي « الجامع الصحيح » وهو المعروف بـ « صحيح البخاري » .

الملفوظ نفسه، وهو غير مقدور للعبد، ولا فعل له. والثاني: التلفظ به، والادالة، وفعل العبد، فاطلاق الخلق على اللفظ قد يوهم المعنى الاول، وهو خطأ، واطلاق نفي الخلق عليه، قد يوهم المعنى الثاني، وهو خطأ، فمنع الاطلاقين. وأبو عبد الله البخاري، ميز، وفصل، وأشبع الكلام في ذلك، وفرق بين ماقام بالرب، وبين ما قام بالعبد، وأوقع المخلوق على تلفظ العباد، وأصواتهم، وحركاتهم، وأكسابهم، ونفى اسم الخلق عن الملفوظ، وهو القرآن الذي سمعه جبريل من الله تعالى، وسمعه محمد ﷺ من جبريل، وقد شفى في هذه المسألة في كتاب «خلق أفعال العباد» وأتى فيها من الفرقان والبيان بما يزيل الشبهة، ويوضح الحق، ويبين محله من الامامة والدين، ورد على الطائفتين أحسن الرد. وقال أبو عبد الله البخاري: فأما ما احتج به الفريقان لمذهب احمد، ويدعيه كل لنفسه، فليس بثابت كثير من اخبارهم، وربما لم يفهموا دقة مذهبه، بل المعروف عن احمد وأهل العلم ان كلام الله تعالى غير مخلوق، وما سواه فهو مخلوق، وانهم كرهوا البحث والتفتيش عن الاشياء الغامضة. و(كان) يجتنب أهل الكلام، والخوض، والتنازع الا فيما جاء به العلم، وبينه النبي ﷺ، والفريقان اللذين عناهما البخاري، وتصدى للرد عليهما وابطال قولهما، ثم أخبر البخاري أن كل واحدة من الطائفتين الزائغتين تحتج بأحمد، وتزعم ان قولها قوله، وهو كما قال رحمه الله، فان اولئك اللفظية يزعمون أنه كان يقول. لفظي بالقرآن غير مخلوق، وأنه على ذلك استقر أمره، وهذا قول من يقول: التلاوة هي المتلو، والقراءة هي المقروء، والكتابة هي المكتوب، والطائفة الثانية الذين يقولون: التلاوة والقراءة مخلوقة، ويقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، ومرادهم بالتلاوة والقراءة نفس ألفاظ القرآن العربي الذي

سمع من رسول الله ﷺ ، والمتلو والمقروء عندهم هو المعنى القائم بالنفس ، وهو غير مخلوق ، وهو اسم للقرآن ، فاذا قالوا : القرآن غير مخلوق ، أرادوا به ذلك المعنى ، وهو المتلو والمقروء . وأما المقروء والمسموع المثبت في المصاحف ، فهو عبارة عنه ، وهو مخلوق ، وهؤلاء يقولون : التلاوة غير المتلو ، والقراءة غير المقروء ، والكتابة غير المكتوب ، وهي مخلوقة ، والمتلو المقروء غير مخلوق ، وهو غير مسموع ، فانه ليس بحروف ولا أصوات ، والفريقان مع كل منهما حق وباطل .

فنقول وبالله التوفيق . اما الفريق الاول ، فأصابوا في قولهم : إن الله تعالى تكلم بهذا القرآن ، على الحقيقة حروفه ومعانيه ، تكلم به بصوته وأسمعه من شاء من ملائكته ، وليس هذا القرآن العربي مخلوقاً من جملة المخلوقات ، وأخطؤوا في قولهم : إن هذا الصوت المسموع من القارىء هو الصوت القائم بذات الرب تعالى ، وانه غير مخلوق ، وان تلاوتهم وقراءتهم وألفاظهم القائمة بهم غير مخلوقة ، فهذا غلو في الاثبات يجمع بين الحق والباطل . وأما الفريق الثاني ، فأصابوا في قولهم : إن أصوات العباد ، وتلاوتهم ، وقراءتهم ، وما قام بهم من أفعالهم وتلفظهم بالقرآن ، و كتابتهم له ، مخلوق ، وأخطؤوا في قولهم : ان هذا القرآن العربي الذي بلغه رسول الله ﷺ عن الله ، مخلوق ، ولم يتكلم به الرب ، ولا سمع منه ، وإن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه ، ليس بحروف ، ولا سور ، ولا آيات ، ولا له بعض ، ولا كل ، وليس بعربي ، ولا عبراني ، بل هذه عبارات مخلوقة تدل على هذا المعنى ، والحرب واقع بين هذين الفريقين من بعد موت الامام أحمد الى الآن ، فانه لما مات الامام احمد قال طائفة ممن ينسب اليه ، منهم محمد بن داود المصيصي وغيره : ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة ، وحكوا

ذلك عن الامام أحمد ، فأنكر عليهم صاحب الامام أحمد ، وأخص الناس به ، أبو بكر المروذي ذلك ، وصنف كتاباً مشهوراً ذكره الخلال في « السنة » ثم نصر هذا القول أبو عبد الله بن حامد ، وأبو نصر السجزي ، وغيرهما ، ثم نصرهما بعده القاضي أبو يعلى وغيره ، ثم ابن الزاغوني ، وهو خطأ على أحمد ، فقابل هؤلاء الفريق الثاني . وقالوا : ان نفس هذه الألفاظ مخلوقة ، لم يتكلم الله بها ، ولم تسمع منه ، وإنما كلامه هو المعنى القائم بنفسه وقالوا : هذا قول أحمد ، والبخاري . وأئمة السنة براء من هذين القولين ، والثابت المتواتر عن الامام أحمد ، هو مانقله عنه خواص أصحابه وثقاتهم كابنيه : صالح ، وعبد الله ، والمروذي ، وغيرهم ، الانكار على الطائفتين جميعاً ، كما ذكره البخاري ؛ فأحمد والبخاري على خلاف قول الفريقين ، وكان يقول : من قال: لفظي بالقرآن مخلوق ، فهو جهمي ، ومن قال : غير مخلوق ، فهو مبتدع ، وإن القرآن الذي يقرؤه المسلمون ، هو كلام الله على الحقيقة ، وحيث تعرف كلام الله ، فهو غير مخلوق . وكان يقول بخلق أفعال العباد وأصواتهم ، وأن الصوت المسموع من القارىء هو صوته وهو مخلوق ، ويقول في قول النبي ﷺ : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن »[1] معناه : يحسنه بصوته ، كما قال : « زينوا القرآن بأصواتكم »[2] انتهى كلام الناظم .

---

(١) رواه البخاري في « صحيحه » عن ابي هريرة في كتاب التوحيد : باب قوله تعالى (وأسروا قولكم او اجهروا به) وأرواه أحمد وابو داود ،.

(٢) رواه البخاري تعليقاً وأبو داود ، والدرامي ، والحاكم وهو حديث صحيح .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مقالات الفلاسفة والقرامطة في كلام الرب جل جلاله

وأتى ابن سينا القرمطي مصانعاً   للمسلمين بافك ذي بهتان
فرآه فيضاً فاض من عقل هو الـ   ـفعال علة هذه الأكوان
حتى تلقاه زكي فاضل   حسن التخيل جيد التبيان
فأتى به للعالمين خطابة   ومواعظاً عريت عن البرهان
ما صرحت أخباره بالحق بل   رمزت اليه إشارة لمعان
وخطاب هذا الحق والجمهور بالـحق الصريح فغير ذي إمكان
لا يقبلون حقائق المعقول الا في مثال الحس والاعيان
ومشارب العقلاء لا يردونها   الا اذا وضعت لهم بأوان
من جنس ما ألفت طباعهم من المحسوس في ذا العالم الجثمان
فأتوا بتشبيه وتمثيل وتجسيم وتخييل الى الاذهان
ولذاك يحرم عندهم تأويله   لكنه حل لذي العرفان
فاذا تأولناه كان جناية   منا وخرق سياج ذا البستان

لكن حقيقة قولهم قد أتوا بالكذب عند(1) مصالح الانسان

والفيلسوف وذا الرسول لديهم متفاوتان وما هما عدلان

أما الرسول ففيلسوف عوامهم والفيلسوف نبي ذي البرهان

والحق عندهم ففيما قاله أتباع صاحب منطق اليونان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى كلام المتفلسفة في كلام الله تعالى، كابن سينا وأتباعه، ومن وافقهم من متصوف ومتكلم، فان كلام الله عندهم ليس له وجود خارج عن نفوس العباد، بل هو ما يفيض على النفوس من المعاني إعلاماً أو طلباً، إما من العقل الفعال، كما يقوله كثير من المتفلسفة، واما مطلقاً، كما يقوله بعض متصوفة الفلاسفة أفاده شيخ الاسلام، وقال في كلامه على حديث النزول(2) بعد كلام سبق: ثم لما أرادوا تقرير النبوة، جعلوها فيضاً يفيض على نفس النبي من العقل الفعال، أو غيره، من غير أن يكون رب العالمين يعلم له رسولاً معيناً، ولا يميز بين موسى، وعيسى؛ ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. ولا يعلم الجزئيات، ولا نزل من عنده ملك، بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي، وهو العقل الفعال. وأنكروا أن تكون السموات تنشق وتنفطر، وغير ذلك مما أخبر به الرسول ﷺ، وزعموا أن ما جاء به الرسول ﷺ، إنما أراد به خطاب الجمهور بما يخيل اليهم بما ينتفعون به، من غير أن يكون الأمر في نفسه كذلك، ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقائق، وعلمت الناس ما الأمر عليه، ثم منهم من يفضل الفيلسوف على النبي. وحقيقة قولهم أن الأنبياء كذبوا للمصلحة لما ادعوه من نفع الناس، وهل كانوا جهلاء؟ على

---

(1) في الاصل: فيه.

(2) وقد قام المكتب الاسلامي بطبعه بعنوان: «شرح حديث النزول لشيخ الاسلام ابن تيميه.

قولين لهم ، الى غير ذلك من أنواع الالحاد ، والكفر الصريح ، والكذب على النبي ﷺ ، وعلى الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ،

وقد بين في غير هذا الموضع أن هؤلاء أكفر من اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل ، وان تظاهروا بالاسلام ، فانهم يظهرون من مخالفة الاسلام أعظم مما كان يظهره المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ . وقد قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : المنافقون اليوم شر من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ . قيل : ولم ذلك ؟ قال : لأنهم كانوا يسرون نفاقهم وهم اليوم يعلنونه ، ولم يكن على عهد حذيفة من وصل الى هذا النفاق ، ولا إلى قريب منه . انتهى .

قوله : خطابة : بفتح الخاء : ماركب من مقدمات مقبولة ، أو من مقدمات مظنونة ، وسميت بذلك ، لأن القصد منها ترغيب المخاطب فيما يفعله الخطباء ، كذا ذكر المنطقيون .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومضى على هدي المقالة أمة ... خلف ابن سينا فاغتذوا بلبان

منهم نصير الكفر في أصحابه ... الناصرين لملة الشيطان

فاسأل بهم ذا خبرة تلقاهم ... أعداء كل موحد رباني

واسأل بهم ذا خبرة تلقاهم ... أعداء رسل الله والقرآن

صوفيهم عبد الوجود المطلق الـ ... معدوم عند العقل في الاعيان

أو ملحد بالاتحاد يدين لا الـ ... توحيد منسلخ من الاديان

معبوده موطوؤه فيه يرى　　　وصف الجمال ومظهر الاحسان

الله أكبر كم على ذا المذهب الـــملعون بين الناس من شيخان

يبغون منهم دعوة ويقبلو　　　ن أياديا منهم رجا الغفران

لو أنهم عرفوا حقيقة أمرهم　　　رجموهم لا شك بالصوان

فابذر لهم ان كنت تبغي كشفهم　　　وافرش لهم كفاً من الأتبان

واظهر بمظهر قابل منهم ولا　　　تظهر بمظهر صاحب النكران

وانظر الى أنهار كفر فجرت　　　وتهم لولا السيف بالجريان

يقول الناظم: إنه قد مضى على هذه المقالة أمة خلف ابن سينا، منهم نصير الكفر وأصحابه، يعني النّصير الطوسي، ونحوه قوله: فاغتذوا بلبان اللبان، بكسر اللام. قال الأعلم: هو للآدميين، واللبن لغيرهم، وقد يكون جمع لبن في هذا الموضع. قوله: صوفيهم عبـــد الوجود المطلق الخ، أي أن صوفيتهم عندهم أن الرب - تعالى عن قولهم - هو الوجود المطلق الساري في الموجوات، والوجود المطلق لا يوجد إلا في الذهن، وقد تقدم حكاية مذاهبهم في الفصل الذي فيه قدوم ركبهم. قوله: معبوده موطوؤه، أي أن القائلين بوحدة الوجود يعتقدون ذلك لأنهم يعبدون الوجود المطلق .

قوله :

الله اكبر كم على ذا المذهب الم　لعون بين الناس من شيخان

أي : كم على هذا المذهب من مشـــايخ الضلال المنتحلين لأنواع الكفر والمحال . قوله : من شيخان بكسر الشين هو جمع شيخ ، أي : على ذا المذهب مشايخ كثيرون ، والناس يعظمونهم لعدم معرفتهم بأقوالهم ، ولأنهم يظهرون التقى والتقشف ، ويربطون العوام بالحث على لزوم الكتاب

والسنة ، وتعظيم الرسل ظاهراً ، ويعظمون مشايخ الزهد والتصوف . وينتحلون أقوالهم ويعظمونها ، فلهذا التبس أمرهم على الناس . وقد يوجد في كلام بعضهم ، كابن عربي تنقص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وكذلك يوجد في كلامه تنقص مشايخ الزهد والتصوف المتبعين للكتاب والسنة ؛ كالجنيد وامثاله ، ويمدح المذمومين عند المسلمين كالحلاج وأمثاله .

وفي كتاب « الفرقان »[١] لشيخ الاسلام رحمه الله تعالى : ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية ، كانوا مناقضين للرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، كما يوجد في كلام صاحب « الفتوحات » المكية و « الفصوص »[٢] وأشباه ذلك بمدح الكفار مثل قوم نوح ، وهود ، وفرعون ، وغيرهم ، وينتقص بالأنبياء ، كنوح ، وابراهيم ، وموسى ، وهرون ، ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين ، كالجنيد بن محمد ، وسهيل بن عبد الله التستري ، ويمدح المذمومين عند المسلمين ، كالحلاج ونحوه . انتهى .

وقوله : يبغون منهم دعوة ويقبلون أياديا . هي جمع يد ، أي : أن الناس يقبلون أيادي المشايخ المذكورين ، ويطلبون منهم الدعاء ، ولو علموا حقيقة قولهم ، أي : لو علموا ما يقولون به من وحدة الوجود ، لرجموهم[٣] لاشك بالصوان ، أي : بالحجارة الصوانة مشددة ، ضرب من الحجارة شديد ، جمع صوان ، قاله في « القاموس » .

وقوله : فابذرلهم إن كنت تبغي كشفهم الخ . أي : ان أردت أن

---

(١) هو « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » لشيخ الاسلام ابن تيميه ، وقد قام المكتب الاسلامي قريباً بطبعه مع تخريج احاديثه .

(٢) هو ابن عربي الطائي ، صاحب الشطحات .

(٣) في الاصل : رجوهم .

ويأخذ حاله زوراً فيرمي عمامته ويهرب في الرمال

ويجرون التيوس وراء رجس تقرمط في العقيدة والفعال

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مقالات طوائف الاتحادية في كلام الرب جل جلاله

وأتت طوائف الاتحاد بملة طمت على ما قال كل لسان

قالوا كلام الله كل كلام هـذا الخلق من جن ومن إنسان

نظماً ونثراً زوره وصحيحه صدقاً وكذباً واضح البطلان

فالسب والشتم القبيح وقذفهم للمحصنات وكل نوع أغان

والنوح والتعزيم والسحر المبين وسائر البهتان والهذيان

هو عين قول الله جل جلاله وكلامه حقاً بلا نكران

هـذا الذي أدى اليه أصلهم وعليه قام مكسح البنيان

إذ أصلهم أن الاله حقيقة عين الوجود وعين ذي الأكوان

فكلامها وصفاتها هو قوله وصفاته ما هاهنا قولان

وكذاك قالوا إنه الموصوف بالضدين من قبح ومن احسان[1]

---

(١) هذا البيت سقط من الاصل ، واستدركناه من مخطوطة المتن .

وكذاك قد وصفوه أيضاً بالكما ل وضده من سائر النقصان

هذي مقالات الطوائف كلها حملت اليك رخيصة الاثمان

وأظن لو فتشت كتب الناس ما ألفيتها أبداً بذا التبيان

زفت اليك فان يكن لك ناظر أبصرت ذات الحسن والاحسان

أقول : حاصل كلام الاتحادية ، كما قال الناظم [١] ان جميع كلام الخلق كلام الله ، نظمه ونثره ، زوره وصحيحه ، صدقه وكذبه ، جميعه كلام الله تعالى عن ذلك، كما قالو :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء كان علينا نثره ونظامه

عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم الدين .

قال النّاظم رَحمهُ الله تعالى :

فاعطف [٢] على الجهمية المغل الأُلى خرقوا سياج العقل والقرآن

تقدم معنى السياج .

شرد بهم من خلفهم واكسرهمُ بل ناد في ناديهم بأذان

أفسدتم المنقول والمعقول والـ ـمسموع من لغة بكل لسان

أيصح وصف الشيء بالمشتق للـ ـمسلوب معناه لذي الأذهان؟!

أيصح صبّار ولا صبر له ويصح شكار بلاشكران؟!

(١) أي كما قال الناظم حاكياً قول الاتحادية .

(٢) في الاصل : وعطف ، والتصحيح من مخطوطة المتن .

ويصح علام ولا علم له ويصح غفار بلا غفران؟!

ويقال هذا سامع أو مبصر والسمع والأبصار مفقودان؟!

هذا محال في العقول وفي النقـول وفي اللغات وغير ذي إمكان

فلئن زعمتم أنه متكلم لكن بقول قام بالانسان

او غيره فيقال هذا باطل وعليكم في ذاك محذوران

نفي اشتقاق اللفظ للمـوجود معناه به وثبوته للثاني

أعني الذي ما قام معناه به قلب الحقائق أقبح البهتان

ونظير ذا اخوان هذا مبصر وأخوه معدود من العميان

سميتم الأعمى بصيراً إذ أخو ه مبصر وبعكسه في الثاني

فلئن زعمتم أن ذلك ثابت في فعله كالخلق للأكوان

والفعل ليس بقائم بإلهنا إذ لا يكون محل ذي حدثان

ويصح أن يشتق منه خالق فكذلك المتكلم الوحدان؟!

هو فاعل لكلامه وكتابه ليس الكلام له بوصف معان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في توضيح ما تقدم فقال: فاعطف على الجهمية المغل الألى الخ. أي: أن الجهمية خالفوا العقل والنقل، فلهذا قال: شرد بهم من خلفهم. والتشريد: التفريق مع الاضطراب، والازعاج. قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى: (فشرد بهم من خلفهم) الأنفال ٥٧

قال : شردهم ، سمع بهم . وقال الزجاج : افعل بهم فعلاً من القتل تفرق به من خلفهم . يقال : شردت بني فلان: قلعتهم عن مواضعهم ، وطردتهم عنها حتى فارقوها ، ومنه شرد البعير ، إذا فارق صاحبه ، بـــل ناد في ناديهم بأذان . أي : ارفع صوتك في ناديهم ، أي : مجلسهم ، والنادي : قال في « القاموس » النادي والندوة والمنتدى : مجلس القــوم نهاراً ، أو المجلس ماداموا مجتمعين فيه ، والأذان في اللغة : الاعلام . قال الله تعـــالى : (وأذان من الله ورسوله) التوبة :٣ أي : قل للجهمية : أفسدتم المعقول ، والمنقول ، واللغة التي نزل بها القرآن . وقل : أيصح وصف الشيء بالمشتق المسلوب ؟ معناه : فهل يصح صبار ولا صبر له ؟ وهل يصح شكار ولا شكر له ؟ ويصح علام ولا علم له ؟ ويصح غفار بلا مغفرة ؟ ويصح ان يقال : هذا سامع أو مبصر لمن لا سمع له ولا بصر ؟ ان هذا محال في العقل ، والنقل ، واللغة .

قوله : مكسح البنيان ، هو اسم مفعول من كسح يكسح كسحاً[١] ، فهو مكسح . قال في « القاموس » : الكساحة : الكناسة ، والزمانة في اليدين . كسح ، كفرح ، وهو أكسح و كسحان . والكساح : داء للابل ، والمكسح : المقشر ، والكسيح[٢] : العاجز ، والا كسح : الأعرج ، والمقعد ، جمع كسحان . انتهى .

ثم قال :

فلئن زعمتم انه متكلم لكن بقول قام بالانسان

او غيره فيقال هذا باطل وعليكم في ذاك محذوران

نفى اشتقاق اللفظ الخ .

أي : أنه يلزمكم إذا قلتم بذلك أن تنفوا اشتقاق اللفـــظ الموجود معناه به الخ . . لأن لفظ متكلم مشتق من الكلام ، واذا أضفتم الكلام

(١) في الاصل : كسح يكسح تكسيحاً ، وهو خطأ ، والتصويب من « اللسان »
(٢) في الاصل : المكسر : المقشر ، والكسح ، وهو خطأ ، والتصحيح من « القاموس »

الى غير من قائم به ، كان ذلك محالاً ، وهو قلب للحقائق ، وهو بمنزلة أخوين بصير ، وأعمى ، فهل يسمى الأعمى بصيراً لأن أخاه مبصر ؟ وهل يسمى المبصر أعمى لأن أخاه أعمى ؟ فهل في قلب الحقائق مثل هذا ؟ !

وقوله : فلئن زعمتم أن ذلك ثابت في فعله الخ. أي : إن زعمتم أن ذلك ثابت في فعله . أي : لأن الفعل عندهم هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، والفعل ليس قائماً بالله تعالى عندهم ، لئلا تقوم به الحوادث عندهم ، ولكن يصح أن يشتق منه خالق ، فكذلك الكلام ، فهو عندهم فاعل لكلامه وكتابه ، ولم يزد الناظم على هذا القول هنا ، لأنه سيبسط الكلام عليه فيما بعد .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومخالف المعقول والمنقول والـ فطرات والمسموع للانسان

من قال إن كلامه سبحانه وصف قديم أحرف ومعان

والسين عند الباء ليست بعدها لكن هما حرفان مقترنان

أو قال إن كلامه سبحانه معنى قديم قام بالرحمن

ما إن له كل ولا بعض ولا العربي حقيقته[1] ولا العبراني

والامر عين النهي واستفهامه هو عين إخبار بلا فرقان

وكلامه كحياته ما ذاك مقدوراً له بل لازم الرحمن

هذا الذي قد خالف المعقول والـ منقول والفطرات للانسان

---

(١) في الاصل : حقيقة ، والتصحيح من المتن المطبوع .

أما الذي قد قال إن كلامه ذو أَحرف قد رتبت ببيان
وكلامه بمشيئة وإرادة كالفعل منه كلاهما سيان
فهو الذي قد قال قولا يعلم الـعقلاء صحته بلا نكران
فلأي شيء كان ما قد قلتمُ أولى وأقرب منه للبرهـان
ولأي شيء دائماً كفرتم أَصحاب هذا القول بالعدوان
فدعوا الدعاوي واجثوا معنا بتحـقيق وإنصاف بلا عدوان
وارفوا مذاهبكم وسد واخرقها إن كان ذاك الرفو في الامكان
فاحكم هداك الله بينهم فقد أدلوا اليك بحجة وبيان
لا تنصرن سوى الحديث وأهله هم عسكر القرآن والايمان
وتحيزن اليهمُ لا غيرهم لتكون منصوراً لدى الرحمن

ذكر الناظم رحمه الله مذهب الاقترانية ومذهب الكلابية والاشاعرة في كلام الله تعالى، وقد تقدم رد مذهبهم بما فيه كفاية، ثم بسط الكلام في مسألة: هل الفعل هو المفعول، والخلق هو المخلوق؟ فقال:

فنقول هذا القدر قد أعيى على أهـل الكلام وقاده أصلان
إحداهما هل فعله مفعوله أو غيره فهما لهم قولان
والقائلون بأنه هو عينه فروا من الأَوصاف بالحدثان
لكن حقيقة قولهم وصريحه تعطيل خالق هذه الاكوان

لكنه ما قام بالرحمن ... عن فعله إذ فعله مفعوله

فعلى[1] الحقيقة ماله فعل اذا الـ ... ـمفعول منفصل عن الديان

والقائلون بأنه غيرٌ له ... متنازعون وهم فطائفتان

إحداهما قالت قديم قائم ... بالذات وهو كقدرة المنان

سموه تكويناً قديماً قاله ... أتباع شيخ العالم النعمان

وخصومهم لم ينصفوا في رده ... بل كابروهم ما أتوا ببيان

والآخرون رأوه أمراً حادثاً ... بالذات قام وأنهم نوعان

إحداهما جعلته مفتتحاً به ... حذر التسلسل ليس ذا إمكان

هذا الذي قالته كرامية ... ففعاله وكلامه سيان

والآخرون أولو الحديث كأحمد ... ذاك ابن حنبل الرضى الشيباني

قد قال إن الله حقاً لم يزل ... متكلماً ان شاء ذو إحسان

جعل الكلام صفات فعل قائم ... بالذات لم يفقد من الرحمن

وكذاك نص على دوام الفعل بالـ ... إحسان أيضاً في مكان ثان

وكذا ابن عباس فراجع قوله ... لما أجاب مسائل القرآن

وكذاك جعفرٌ الامام الصادق الـ ... ـمقبول عند الخلق ذي العرفان

قد قال لم يزل المهيمن محسناً ... براً جواداً عند كل أوان

(١) في الاصل : فعل ، والتصحيح من مخطوطة المتن .

وكذا الامام الدارمي فانه   قد قال مافيه هدى الحيران

قال الحياة مع الفعال كلاهما   متلازمان فليس يفترقان

صدق الامام فكل حي فهو فعا   ل وذا في غاية التبيان

الا اذا ما كان ثَمّ موانع   من آفة أو قاسر الحيوان

والرب ليس لفعله من مانع   ما شاء كان بقدرة الديان

ومشيئة الرحمن لازمة له   وكذاك قدرة ربنا الرحمن

هذا وقد فطر الإله عباده   ان المهيمن دائم الاحسان

أولست تسمع قول كل موحد   يا دائم المعروف والسلطان

وقديم الاحسان الكثير ودائم السـجود العظيم وصاحب الغفران

من غير إنكار عليهم فطرة   فطروا عليها لا تواص ثان

أو ليس فعل الرب تابع وصفه   وكماله أفذاك ذو حدثان ؟!

وكماله سبب الفعال وخلقه   أفعالهم سبب الكمال الثاني

أو ما فعال الرب عين كماله   أفذاك ممتنع على المنان ؟!

أزلاً الى أن صار فيما لم يزل   متمكناً والفعل ذو إمكان

تالله قد ضلت عقول القوم إذ   قالوا بهذا القول ذي البطلان

ماذا الذي أضحى له متجدداً   حتى تمكن فانطقوا ببيان

والرب ليس معطلا عن فعله بل كل يوم ربنا في شان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى النزاع في الأصل المشهور : وهو أنه : هل الخلق هو المخلوق ، والفعل هو المفعول ؟ ومعنى ذلك أن الناس تنازعوا في الأفعال اللازمة المضافة الى الرب سبحانه وتعالى ، مثل المجيء ، والاتيان ، والاستواء الى السماء ، والى العرش ، بل وفي الأفعال المتعدية ، مثل الخلق ، والاحسان ، والعدل ، وغير ذلك : هل يكون خلقه للسموات والأرض فعلًا فعله غير المخلوق ، أم فعله هو المفعول والخلق هو المخلوق ؟ على قولين معروفين ، والأول هو المأثور عن السلف ، وهو الذي ذكره البخاري في كتاب « خلق الأفعال »[1] عن العلماء مطلقاً ، ولم يذكروا فيه نزاعاً .

قال البخاري رحمه الله تعالى في كتاب « خلق الافعال » : اختلف الناس في الفاعل والفعل والمفعول ، فقالت القدرية : الأفاعيل كلها من البشر ، وقالت الجبرية ، الأفاعيل كلها من الله . وقالت الجهمية : الفعل والمفعول واحد ، لذلك قالوا : (كن) مخلوق . وقال : التخليق فعل الله ، وأفاعيلنا مخلوقة ، ففعل الله صفة الله ، والمفعول من سواه من المخلوقات . انتهى .

وكذلك ذكره البغوي وغيره عن مذهب أهل السنة ، وكذلك ذكره أبو علي الثقفي والضبعي وغيرهما من أصحاب ابن خزيمة في العقيدة التي اتفقوا هم وابن خزيمة على أنها مذهب أهل السنة ، وكذلك ذكره الكلاباذي في كتاب « التعرف لمذهب التصوف » أنه مذهب الصوفية ، وهو مذهب الحنفية ، وهو مشهور عندهم ، وهو قول السلف ، وجمهور الطوائف ، وهو قول جمهور أصحاب أحمد متقدميهم[2] ، وأكثر المتأخرين منهم ،

---

(١) وهو المعروف بكتاب « خلق أفعال العباد » .

(٢) في الاصل : متقدموهم كلهم .

وهو آخر قولي القاضي أبي يعلى ، و كذلك قول أئمة الشافعية ، والمالكية ، وأهل الحديث ، وأكثر أهل الكلام ، كالهشامية والكلابية ، والكرامية كلهم ، وبعض المعتزلة ، و كثير من أساطين الفلاسفة . وذهب متقدموهم ، ومتأخروهم ، وآخرون من أهل الكلام ، الجهمية ، والمعتزلة ، والأشعرية ، الى أن الخلق هو نفس المخلوق ، وليس لله عند هؤلاء صنع ، ولا خلق ، ولا فعل ، ولا إبداع الا المخلوقات أنفسها ، وهو قول طائفة من الفلاسفة المتأخرين إذ[١] قالوا بأن الرب مبدع ، كابن سيناء ونحوه .

قوله : والقائلون بأنه غير ؛ أي : القائلون بأن الخلق هو المخلوق ، فروا من قيام الحوادث بالرب تعالى ، والحجة المشهورة للقائلين بأن الخلق هو المخلوق ، أنه لو كان خلق المخلوقات بخلق ، لكان ذلك الخلق إما قديماً وإما حادثاً ، فان كان قديماً ، لزم قدم كل مخلوق ، وهذا مكابرة ، وإن كان حادثاً ، فان قام بالرب ، لزم قيام الحوادث به ، وان لم يقم به ، كان الخلق قائماً بغير الخالق ، وهذا ممتنع ، وسواء قام به ، أو لم يقم به ، يفتقر ذلك الخلق الى خلق آخر ، ويلزم التسلسل . هذا عمدتهم ، وقد أجابهم القائلون بأن الخلق غير المخلوق بأجوبة شافية كافية ، فلتطلب من المطولات . وأما حجة القائلين بأن الخلق غير المخلوق ، فقد ذكرها الناظم رحمه الله تعالى ، ولكن الكرامية ـ كما ذكر الناظم ـ جعلت له أولاً ، خوفاً من القول بالتسلسل .

وقوله : إحداهما قالت قديم قائم الخ . أي : إن أتباع شيخ العالم بفتح اللام ، وهو الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، عالم العراق رحمه الله تعالى ، قد قالوا : ان التكوين قديم قائم بالذات ، والمكون حادث ، وهو كقدرته سبحانه ، كما قال الامام أبو جعفر الطحاوي الحنفي في عقيدته

(١) في الاصل : إذا

المشهورة(١) : إن الله تعالى مازال بصفاته قديماً قبل خلقه ، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته ، و كما كان بصفاته أزلياً ، كذلك لا يزال عليها أبدياً ،ليس منذ خلق الخلق استفاد الخالق ، ولا باحداثه البرية استفاد الباري ، له معنى الربوبيه ولا مربوب ، ومعنى الخالقية ولا مخلوق ، و كما أنه محيي الموتى بعد ما أحيى استحق هذا الاسم قبل إحيائهم ، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم ، ذلك أنه على كل شيء قدير ، وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير ، لا يحتاج إلى شيء ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . انتهى .

قوله : والآخرون رأوه أمراً حادثاً بالذات قام الخ . أي : أن الكرامية رأوا أن الفعل أمر حادث قائم بذات الله ، ولكن له أول ، وهو معنى قول الناظم عنهم ، ففعاله وكلامه سيان ، يعني أن كلامه له أول وفعاله لها أول عند الكرامية .

قوله : والآخرون أولو الحديث كأحمد الخ . أي : أن مذهب أهل الحديث ، كأحمد بن حنبل وغيره ، أن الله تعالى لم يزل متكلماً ، ولم يزل فعالاً ، ولهذا قال الناظم عن الامام أحمد : إن الله حقاً لم يزل متكلماً إن شاء . قال الامام أحمد في رواية حنبل : لم يزل الله عالماً متكلما غفوراً . وقال في الرد على الجهمية : لم يزل الله عالماً قادراً مالكاً ، لا متى ولا كيف .

قوله : وكذا ابن عباس فراجع قوله الخ . يريد مارواه البخاري في « صحيحه » عن سعيد بن جبير أن رجلاً سأل ابن عباس قال : إني أجد

---

(١) وقد قمنا بطبعها مع شرحها مصححة محققة وخرج أحاديثها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

في القرآن أشياء تختلف عليّ ، فذكر مسائله ، ومنها قال : وقوله : (وكان الله غفوراً رحيما) النساء : ٩٦ (وكان الله عزيزاً حكيما) النساء : ١٥٨ (وكان الله سميعاً بصيراً) النساء : ١٣٤ وكأنه كان ثم مضى فقال ابن عباس : وقوله : (وكان الله غفوراً رحيما) سمى نفسه ذلك ، وذلك قوله ، أي : لم أزل كذلك ، هذا لفظ البخـاري بتمامه ، واختصر الحديث ، ورواه البرقاني عن طريق شيخ البخاري بتمامه ، فقال ابن عباس : فأما قوله : (وكان الله غفوراً رحيما) (وكان الله عزيزاً حكيما) (وكان الله سميعاً بصيراً) فان الله جعل نفسه ذلك ؛ وسمى نفسه ذلك ، ولم ينحله أحداً غيره ، وكان الله . أي : لم يزل كذلك ، هذا لفظ الحميدي صاحب «الجمع» . ورواه البيهقي عن البرقاني من حديث محمد بن إبراهيم البوشنجي ، عن يوسف بن عدي شيخ البخاري قال : إن الله سمى نفسه ذلك ، ولم ينحله غيره ، فذلك قوله : (وكان الله) أي : لم يزل كذلك ، ورواه البيهقي من رواية يعقوب بن سفيان . عن يوسف ، ولفظ ابن عبـاس : فان الله سمى نفسه ذلك ولم يجعله غـيره ، فذلك قوله : (وكان الله) أي : لم يزل .

قوله : وكذلك جعفر الامام الخ . يعني مارواه الثعالبي في تفسيره باسناده عن جعفر بن محمد الصادق ، أنه سئل عن قوله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً) المؤمنون : ١١٥ لم خلق الخلق ؟ فقال : لأن الله كان محسناً بما لم يزل ، فيما لم يزل ، الى مالم يزل ، فأراد تعالى أن يفيض إحسانه الى خلقه ، وكان غنياً عنهم ، لم يخلقهم لجر منفعة ، ولا لدفع مضرة ، ولكن خلقهم ، وأحسن اليهم ، وأرسل إليهم الرسل حتى يفصلوا بين الحق والباطل ، فمن أحسن كافأه بالجنة ، ومن عصى كافأه بالنار .

قوله : وكذا الامام الدارمي الخ . قال الامام عثمان بن سعيد الدارمي

في كتاب «النقض على المريسي»(١) حين احتج بقوله تعالى (الله لا إله الا هو الحي القيوم) البقره: ٢٥٥ وادعى أن تفسير القيوم: الذي لايزول، يعني الذي لاينزل، ولا يتحرك، ولا يقبض. ولا يبسط. قال عثمان(٢) وكان واضحاً عند العلماء وأهل البصر بالعربية، أن معنى لا يزول: لا يفنى ولا يبيد، لأنه لا يتحرك ولا يزول من مكان الى مكان إذا شاء، كما كان يقال في الشيء الفاني: هو زائل، كما قال لبيد:

الا كل شيء ما خلا الله باطل   وكل نعيم لامحالة زائل

يعني: فان، لا أنه متحرك، فان أمارة مابين الحي والميت التحرك، وما لا يتحرك، فهو ميت لايوصف بحياة، كما لاتوصف الأصنام الميتة (بالحياة). قال الله تعالى: (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم لايخلقون شيئاً وهم يخلقون. أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) النحل: ٢٠، ٢١ فالله الحي، القيوم، القابض، الباسط، يتحرك إذا شاء، ويفعل مايشاء، بخلاف الأصنام التي لاتزول حتى تزال. وقال البخاري: ولقد بين نعيم بن حماد أن كلام الرب ليس بخلق، وأن العرب لاتعرف الحي من الميت الا بالفعل، فمن كان له فعل فهو حي، ومن لم يكن له فعل فهو ميت وأن أفعال العباد مخلوقة، فضيق عليه حتى مضى لسبيله، وتوجع أهل العلم لما نزل به. قال: وفي اتفاق المسلمين دليل على أن نعيماً ومن نحا نحوه ليس بمارق ولا مبتدع، بل البدع والترؤس بالجهل لغيرهم أولى، اذ يفتون بالآراء المختلفة مما لم يأذن به الله. انتهى.

---

(١) وقد قمنا بطبعه قريباً بعنوان «الرد على الجهمية» للامــام ابي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي.

(٢) اي الدارمي.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والأمر والتكوين وصف كما له ... ما فقد ذا ووجوده سيان

وتخلف التأثير بعد تمام مو ... جبه محال ليس في الامكان

والله ربي لم يزل ذا قدرة ... ومشيئة ويليهما وصفان

العلم مع وصف الحياة وهذه ... أُوصاف ذات الخالق المنان

وبها تمام الفعل ليس بدونها ... فعل يتم بواضح البرهان

فلأي شيء قد تأخر فعله ... مع موجب قد تم بالأركان

ما كان ممتنعاً عليه الفعل بل ... ما زال فعل الله ذا إمكان

والله عاب المشركين بأنهم ... عبدوا الحجارة في رضى الشيطان

ونعى عليهم كونها ليست بخا ... لقة وليست ذات نطق بيان

فأبان أن الفعل والتكليم من ... أوثانهم لا شك مفقودان

فاذا هما فقدا فما مسلوبها ... باله حق وهو ذو بطلان

والله فهو إله حق دائماً ... أفعنه ذا الوصفان مسلوبان ؟!

أزلاً وليس لفقدها من غاية ... هذا المحال وأُعظم البطلان

إن كان رب العرش حقاً لم يزل ... أبداً إله الحق ذا سلطان

فكذاك أيضاً لم يزل متكلماً ... بل فاعلاً ماشاء ذا إحسان

والله ما في العقل ما يقضي لذا بالرد والابطال والنكران

بل ليس في المعقول غير ثبوته للخالق الأزلي ذي الاحسان

هذا وما دون المهيمن حادث ليس القديم سواه في الاكوان

والله سابق كل شيء غيره ما ربنا والخلق مقترنان

والله كان وليس شيء غيره سبحانه جل العظيم الشان

لسنا نقول كما يقول الملحد الـ ـزنديق صاحب منطق اليونان

بدوام هذا العالم المشهود والـ أرواح في أزل وليس بفان

هذي مقالات الملاحدة الألى كفروا بخالق هذه الاكوان

قوله :

وتخلف التأثير بعد تمام مو جبه محال ليس في الإمكان

والمولى سبحانه لم يزل ذا قدرة، ومشيئة، وعلم، وحياة، وهذه كما قال الناظم: أوصاف ذات الخالق المنان. وبها تمام الفعل، ومع وجود المؤثر التام يلزم وجود الأثر، وقد تقدم بسط الكلام في ذلك، فالرب سبحانه لم يزل فعالاً متكلما إذا شاء، ولهذا لما قال المتكلمون بوجوب تأخر الأثر، أورد عليهم من الاشكالات ما لا جواب لهم عنه، ثم قال الناظم: والله عاب المشركين بأنهم عبدوا الحجارة الخ. أي: أن الله عاب على المشركين عبادة الأصنام، ونعى عليهم كونها لا تخلق ولا تتكلم، واذا فقد الفعل والكلام، فليس مسلوبها بالله حق، والله تعالى وتقدس لم يزل متكلما فعالاً محسناً، وما سواه حادث، كما قال الناظم: هذا وما دون المهيمن حادث.

وقوله: والله كان وليس شيء غيره الخ. أي: ان المولى سبحانه كان

وليس معه شيء من خلقه ، كما قال : ماربنا والخلق مقترنان .

وقوله : ماربنا والخلق مقترنان . هـــذا إشارة الى الرد على ابن سينا وأتباعه القائلين بأن العالم معلول لعلة قديمة أزلية ، وأن العالم لم يزل مع الله أزلاً وأبداً ، ويقولون : العلة متقدمة على المعلول ، وإن قارنته بالزمان . فيقال لهم : إن أردتم بالعلة ما هو شرط في وجود المعلول لا مبدعاً له ، كان حقيقة ذلك أن واجب الوجود ليس مبدعاً للممكنات ولا رباً لهـــا ، بل وجوده شرط في وجودها ، وهذا حقيقـة قوا هؤلاء ، فالرب على أصلهم والعالم متلازمان ، كل منهما شرط في الآخر ، والرب محتاج الى العالم ، كما أن العالم محتاج الى الرب ، وهم يبالغون في اثبات غناه عن غيره، وعلى أصلهم فقره الى غيره كفقر بعض المخلوقات ، وإن أرادوا بالعلة ما هو مبدع للمعلول ، فهذا لا يعقل ، مع كون زمانه زمان المعلول لم يتقدم على المعلول تقدماً حقيقياً ، وهو التقدم المعقول ، واذا شبهوا وجود الفلك مع الرب بالصوت مع الحركة ، والضوء مع الشمس ، كان هذا ونحوه تشبيهـاً باطلا لا يفيد امكان صحة قولهم ، فضلاً عن إثبات صحته ، فان هـــذه الأمور وأمثالها إما أن يقال فيها : إن الثاني موجود متصل بالأول كأجزاء الزمان والحركة ، لأنه معه في الزمان ، وأما أن يقال : الثاني مشروط بالأول ، لا أن الأول مبدع للثاني فاعل له ، فلا يمكنهم أن يذكروا وجود فاعل لغيره ، مع أن زمانهما معاً أصلاً ، وعامة العقلاء مطبقون على أن العلم بكون الشيء المعين مراداً مقدوراً يوجب العلم بكونه حادثاً بعد أن لم يكن ، بل هذا عندهم من الامور الضرورية ، ولهذا كان مجرد تصور العقلاء أن الشيء مقدور للفاعل مراد له فعله بمشيئته وقدرته ، يوجب العلم بأنه حادث ، بل مجرد تصورهم كون الشيء مفعولاً أو مخلوقاً أو مصنوعاً أو نحو ذلك من

العبارات ، يوجب العلم بأنه محدث كائن بعد أن لم يكن ، ثم بعد هـذا ينظر في أنه فعله بمشيئته وقدرته ، وإذا علم أن الفاعل لا يكون فاعلاً الا بمشيئته وقدرته ، وما كان مقدوراً ومراداً فهو محدث ، كان هذا أيضاً دليلاً ثابتاً على أنه محدث ، ولهذا كان كل من تصور من العقلاء أن الله خلق السموات والأرض ، أو خلق شيئاً من الاشياء ، كان هذا مستلزماً لكون ذلك المحدث مخلوقاً ، كائناً بعد أن لم يكن ، واذا قيل لبعضهم : هو قديم مخلوق ، أو قديم ، وعنى بالمخلوق مايعنيه هؤلاء المتفلسفة الدهريه المتأخرون الذين يريدون بلفظ المحدث أنـه معلول ، ويقولون : إنه قديم أزلي ، مع كونه معلولاً ممكناً ، يقبل الوجود والعدم ، فاذا تصور العقل هذا المذهب جزم بتناقضه ، وأن أصحابه جمعوا بين النقيضين حيث قدروا مخلوقاً محدثاً معلولاً مفعولاً ممكناً أن يوجد وأن يعدم ، وقدروه مع ذلك قديماً أزلياً واجب الوجود بغيره يمتنع عدمه .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : وقد بسطنا هـذا في الكلام على المحصل وغيره ، وذكرنا أن ما ذكره الرازي عن أهل الكلام من أنهم يجوزون وجود مفعول معلول أزلي للموجب بذاته ، أنه لم يقله أحد منهم ، بل هم متفقون على أن كل مفعول فانه لا يكون الا محدثاً ، وكل ما قدر أنه معلول لعلة فاعلة ، فانه لا يكون الا محدثاً ، وما ذكره هو وأمثاله موافقة لابن سينا ، من أن الممكن وجوده وعدمه ، قد يكون قديماً أزلياً ، قول باطل عند جماهير العقلاء من الأولين والآخرين ، حتى عند أرسطو وأتباعه القدماء والمتأخرين ، فانهم موافقون لسائر العقلاء من أن كل ممكن يمكن وجوده وعدمه لا يكون الا محدثاً كائناً بعد أن لم يكن ، وأرسطو

اذا قال : إن الفلك قديم ؛ لم يجعله مع ذلك ممكناً يمكن وجوده وعدمه ، والمقصود أن العلم بكون الشيء مقدوراً مراداً يوجب العلم بكونه محدثاً ، بل العلم بكونه مفعولاً يوجب العلم بكونه محدثاً ، فان الفعل والخلق والابداع والصنع ونحو ذلك ، لايعقل الا مع قصور حدوث المفعول . وأيضاً فالجمع بين كون الشيء مفعولاً وبين كونه قديماً أزلياً مقارناً للفاعل في الزمان ، جمع بين المتناقضين ، ولا يعقل قط في الوجود فاعل قارنه مفعوله المعين ، سواء سمي علة ، أو لم يسم ، ولكن يعقل كون الشرط مقارناً للمشروط ، والمثل الذي يذكرونه من قولهم : حركت يدي فتحرك خاتمي ، او كمي ، او المفتاح ، ونحو ذلك ، حجة عليهم لا لهم ، فان حركة اليد ليست هي العلة التامة ، ولا الفاعل لحركة الخاتم ، بل الخاتم مع الاصبع كالاصبع من الكف ، فالخاتم متصل بالاصبع ، والأصبع متصلة بالكف ، لكن الخاتم يمكن نزعه بلا ألم ، بخلاف الكف . وقد يفرض بين الاصبع والخاتم تقدم بيسير ، بخلاف أبعاض الكف ، ولكن حركة الاصبع شرط في حركة الخاتم ، كما أن حركة الكف شرط في حركة الاصبع ، أعني في الحركة المعينة التي مبدؤها من اليد ، بخلاف الحركة التي تكون للخاتم او الاصبع ابتداء ، فان هذه تتصل منها الى الكف ، كمن يجر أصبع غيره ، فيجر معه كفه ، وما يذكرونه من ان التقديم يكون بالذات والعلة ، كحركة الاصبع ، ويكون بالطبع ، كتقدم الواحد على الاثنين ، وتكون بالمكانة ، كتقدم العالم على الجاهل ، ويكون بالمكان ، كتقدم الصف الأول على الثاني ، وتقدم مقدم المسجد على مؤخره ، وتكون بالزمان ؛ كلام مستدرك ، فان التقدم والتأخر المعروف هو التقدم بالزمان ، فان قبل وبعد ومع ونحو ذلك ، معانيها لازمة للتقدم والتأخر الزماني ، وأما التقدم بالعلية ، او الذات مع المقارنة في الزمان ، فهذا لا يعقل البتة ،

ولا له مثال مطابق في الوجود ، بل هو مجرد تخييل لاحقيقة له ، وأما تقدم الواحد على الاثنين ، فان عني به أن الواحد المطلق قبل الاثنين المطلق ، فيكون مقدماً في التصور تقدماً زمانياً ، وإن لم يعن به هذا ، فلا تقدم ، بل الواحد شرط في الاثنين مع كون الشرط لايتأخر عن المشروط ، بل قد يقارنه وقد يكون معه ، فليس هنا تقدم واجب غير التقدم الزماني ، وأما التقدم بالمكان ؛ فذاك نوع آخر ، وأصله من التقدم بالزمان ، فان مقدم المسجد تكون فيه الأفعال المتقدمة بالزمان على مؤخره ، فالامام يتقدم فعله بالزمان لفعل المأموم ، فسمي محل الفعل المتقدم متقدماً ، وأصله هذا ، و كذلك التقدم بالرتبة ، فان أهل الفضائل مقدمون في الافعال الشريفة والامكنة ، وغير ذلك على من دونهم ، فسمي ذلك تقدماً وأصله هذا .

وحينئذ فاذا كان الرب هو الأول المتقدم على كل ماسواه ، كان كل شيء متأخراً عنه ، وإن قدر أنه لم يزل فاعلاً ، فكل فعل معين ، فهو متأخر عنه ، وإذا قيل : الزمان مقدار الحركة ، فليس هو مقدار حركة معينة ، كحركة الشمس ، او الفلك ، بل الزمان المطلق مقدار الحركة المطلقة ، وقد كان قبل أن تخلق السموات ، والأرض ، والشمس ، والقمر ، حركات وأزمنة ، وبعد أن يقيم الله القيامة فتذهب الشمس والقمر ، ويكون في الجنة حركات ، كما قال تعالى : (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً) مريم : ٦٢ وجاء في الآثار أنهم يعرفون الليل والنهار بأنوار تظهر من جهة العرش ، و كذلك لهم في الآخرة يوم المزيد ، يوم الجمعة ، يعرف بما يظهر فيه من الأنوار الجديدة القوية ، وان كانت الجنة كلها نوراً يزهر ونهراً يطرد ، لكن يظهر (في) بعض الأوقات نور آخر يتميز به الليل عن النهار ، فالرب سبحانه إذا لم يزل متكلماً بمشيئته ، كان مقدار كلامه وفعاله الذي لم يزل ، هو الوقت الذي يحدث مايحدث فيه من مفعولاته ، وهو سبحانـــه متقدم على كل ماسواه التقدم الحقيقي

المعقول . وأطال الشيخ رحمه الله في هذه المسألة ، ثم هؤلاء الشذوذ من المتأخرين الذين زعموا أن الفعل لايشترط فيه تقدم العدم ، فذكروا حججاً ذكرها ابن سينا وغيره من متأخريهم ، واستقصاها الرازي في « المباحث الشرقية » وذكر في ذلك ما سماه عشرة براهين ، وكلها باطلة ، وفي ذكرها وأجوبتها طول يخل بالمقصود ، وهذا جواب عما لعله يتوهم ، وهو أنكم إذا قلتم : إن الرب تعالى لم يزل فعالاً ، لزمكم القول بقدم العالم ، كما تقوله الفلاسفة ، فنفى ذلك بقوله : لسنا نقول كما يقول الملحد الزنديق الخ . وقد بسط الجواب عن هذا الايراد في فصل اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الرب تعالى ، كما سيأتي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وأتى ابن سينا بعد ذاك مصانعاً … للمسلمين فقال بالامكان

لكنه الأزلي ليس بمحدث … ما كان معدوماً ولا هو فان

وأتى بصلح بين طائفتين بيـنهما الحروب وما هما سلمان

أنى يكون المسلمون وشيعة الـيونان صلحاً قط في الايمان

والسيف بين الأنبياء وبينهم … والحرب بينهما فحرب عوان

وكذا أتى الطوسي بالحرب الصريـح بصارم منه وسل لسان

وأتى الى الاسلام يهدم أصله … من أسه وقواعد البنيان

عمر المدارس للفلاسفة الألى … كفروا بدين الله والقرآن

وأتى الى أوقاف أهل الدين ينـقلها إليهم فعل ذي أضغان

وأراد تحويل الاشارات التي هي لابن سينا موضع الفرقان
وأراد تحويل الشريعة بالنوا ميس التي كانت لدى اليونان
لكنه علم اللعين بأن هـذا ليس في المقدور والامكان
إلا إذا قتل الخليفة والقضـاة وسائر الفقهاء في البلدان
فسعى لذاك وساعد المقدور بالـ أمر الذي هو حكمة الرحمن
فأشار ان يضع التتار سيوفهم في عسكر الايمان والقرآن
لكنهم يبقون أهل صنائع الـدنيا لأجل مصالح الابدان
فغدا على سيف التتار الالف في مثل لهـا مضروبة بوزان
وكذا ثمان مئينها في ألفها مضروبة بالعد والحسبان
حتى بكى الاسلام أعداءُ اليهو د كذا المجوس وعابدو الصلبان
فشفى اللعين النفس من حـزب الرسول وعسكر الايمان والقرآن
وبوده لو كان في أحد وقد شهد الوقيعة مع ابي سفيان
لأُقر أَعينهم وأوفى نـذره أو أن يرى متمزق اللحمان

قوله : وأتى ابن سينا بعد ذاك مصانعاً للمسلمين فقال بالامكان الخ .
أي : ان ابن سينا قال : ان العالم ممكن ، ومعنى ذلك عنده ، أن القديم ممكن ، وله ماهية تقبل الوجود والعدم ، وهذا مما خالف(١) فيه جمهور

---

(١) في الاصل : خلف .

العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم، حتى إنه هو تناقض في ذلك، فوافق سلفه وجميع العقلاء؛ وصرح بأن الممكن لايكون إلا مايقبل الوجود والعدم. وطريقته هذه لم يسلكها سلفه الفلاسفة، كأرسطو وأصحابه؛ بل ولا سلكها جماهير الفلاسفة؛ بل كثير من الفلاسفة ينازعونه في نفيه لقيام الصفات بذات واجب الوجود، ويقولون: إنه تقوم به الصفات والارادات؛ وإن كونه واجباً بنفسه لاينافي ذلك، كما لاينافي عندهم جميعاً كونه قديماً؛ ولكن ابن سينا وأتباعه؛ لما شاركوا الجهمية في نفي الصفات؛ وشاركوا سلفهم الدهرية في القول بقدم العالم؛ سلكوا في إثبات رب العالمين طريقاً غير طريقة سلفهم[(١)] المشائين؛ كأرسطو وأتباعه الذين أثبتوا العلة الاولى بحركة الفلك الاراديه؛ وأن لها محركا يحركها كحركة المعشوق لعاشقه؛ وهو يحرك الفلك للتشبه بالعلة الاولى؛ فعدل ابن سينا عن تلك الطريقة الى هذه الطريقة التي سلخها من طريقة اهل الكلام الذين يحتجون بالمحدث على المحدث، وهو لايقول بحدوث العالم؛ فجعل طريقته الاستدلال بالممكن على الواجب، ورأى اولئك المتكلمين قسموا الوجود الى قديم ومحدث، فقسمه هو الى واجب، وممكن، وأثبت الواجب بهذا الطريق.

وابن سينا يعجب بهذه الطريقة، ويقول: إنه أثبت واجب الوجود من نفس الموجود من غير احتياج الى الاستدلال بالحركة، كما فعل أسلافه.

قال شيخ الاسلام في كتاب «العقل والنقل»: وكل هؤلاء يقولون: ما كان معلولاً يمكن وجوده، ويمكن عدمه، لايكون الا حادثاً مسبوقاً بالعدم، وممن قال ذلك، أرسطو وأتباعه، حتى ابن سينا وأمثاله صرحوا بذلك، لكن ابن سينا تناقض مع ذلك، فزعم ان الفلك هو قديم أزلي مع كونه ممكناً يقبل الوجود والعدم، وهذا مخالف لما صرح به هو، وصرح

---

(١) في الاصل: سنفه.

به أئمته وسائر العقلاء ، وهو مما أنكره عليه ابن رشد الحفيد ، وبين أن هذا مخالف لما صرح به أرسطو وسائر الفلاسفة ، وأن هذا لم يقله أحد قبله ؛ وأرسطو لم يكن يقسم الوجود الى واجب وممكن ، ولا يقول : ان الأول موجب بذاته للعالم ، بل هذا قول ابن سينا وأمثاله ، وهو وإن كان أقرب الى الحق مع فساده وتناقضه ؛ فليس هو قول سلفه ؛ بل قول أرسطو وأتباعه : إن الأول إنما افتقر اليه الفلك لكونه يتحرك للتشبيه به ، لا لكون الأول علة فاعلة له ، وحقيقة قول أرسطو وأتباعه إنما كان واجب الوجود ، أنه لا يكون مفتقراً الى غيره ، فيكون جسما مركباً حاملاً للأعراض ، فان الفلك عندهم واجب بذاته ، وهو كذلك كما قد بسط كلامهم والرد عليهم في غير هذا الموضع .

قلت : قال ابن رشد في كتاب « التهافت » في الرد على ابن سينا :
فاما مايريده ابن سينا في هذه الطريقة ويقول : ان الممكن الوجود يجب أن ينتهي إما الى واجب الوجود من غيره ، أو واجب الوجود من ذاته ، فان انتهى الى واجب الوجود من غيره ، وجب في الواجب الوجود من غيره أن يكون لازماً عن واجب الوجود لذاته ؛ وذلك أنه زعم أن واجب الوجود من غيره هو ممكن والوجود من ذاته ، والممكن يحتاج الى واجب ، وإنما كانت هذه الزيادة عندي فضلاً وخطأً ، لأن الواجب كيفما فرض ليس فيه إمكان أصلاً ، ولا يوجد شيء ذو طبيعة واحدة . ويقال في تلك الطبيعة : انها ممكنة من جهة واجبة من جهة ، لأنه قد بين القوم أن الواجب ليس فيه امكان أصلاً ، لأن الممكن نقيض الواجب ، وانما الذي يمكن أن يوجد شيء واجب من جهة طبيعة ما ، ممكن من جهة طبيعة أخرى ، مثل ما يظن الأمر عليه في الجرم السماوي ، أعني أنه واجب في الجوهر ، ممكن في الحركة في الأين ؛ وانما الذي قاده الى هذا

التقسيم أنه اعتقد في السماء أنها في جوهرها واجبة من غيرها، ممكنة من ذاتها، وقد قلنا في غير ما موضع : ان هذا لايصح بالبرهـــان الذي استعمله ابن سينا في واجب الوجود، متى لم يفصل هذا التفصيل ، وعين هذا التعيين، كان من طبيعة الأقاويل العامة الجدلية، ومتى حصل، كان من طبيعـــة الأقاويل البرهانية . انتهى كلامه .

قوله : وكذا أتى الطوسي بالحرب الصريح الخ . تقدمت ترجمـــة الطوسي ، وذكر شيء من أحـــواله ، ومافعله بالمسلمين مع هولاكو ملك التتار شائع ذائع ، أشـــار الناظم الى ذلك بقوله : فأشار أن يضع التتار سيوفهم الخ . وذلك لما قاتل التتار الخليفة المستعصم بالله والمسلمين في بغداد، والقصة مشهورة في التاريخ ، فأما ما جرى على بغداد ، فقد ذكر ذلك الذهبي وغيره . قال الذهبي في « تاريخ الاسلام » وفي سنة ٦٥٦ أحاط أمر الله ببغداد ، فأصبحت خاوية على عروشها ، وبقيت حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، فانا لله وانا اليه راجعون ، نازلها المغول في أخلاط من السفل ، وأوباش من المنافقين ، وكل من لم يؤمن بالحساب .قال : وكان ابن العلقمي الوزير والياً على المسلـــين ، وكان رافضياً جلداً ، فلما استداروا ببغداد ، وخارت القوى ، وجف الريق ، وانخلعت الافئدة ، أشـــار الوزير على الخليفة المستعصم بالله بمصانعة العدو وقال : دعني أخرج اليهم في تقرير الصلح ، فخرج ، فاستوثق لنفسه ولمن أراد ، وجاء الى الخليفة وقال: إن الملك قد رغب أن يزوج ابنته بابنك أبي بكر ، ويبقيك في الخلافة كما كان الخلفاء مع السلجوقية ، ويرحل عنك ، فأجبه الى ذلك ، فان فيه حقن الدماء ، وأرى أن تخرج اليـــه ، فخرج الخليفة في جمع من الاعيان الى السلطان هولاكو ، فأنزله في خيمة ، ثم دخـــل الوزير فاستدعى الأكابر

لحضور العقد ، فحضروا وضربت أعناقهم ، وصار كذلك يخرج طائفة بعد طائفة[١] فيقتلون ، ثم صيح في البلد ، وبذل السيف ، واستمر القتل ،والسبي والحريق ، والنهب ، وقامت قيامة بغداد ـ فلاحـــول ولاقوة الا بالله ـ بضعاً وثلاثين يوماً ، كل صباح يدخل فرقة من التتار فيحصدون محلة ، حتى جرت السيول من الدماء ، وردمت فجاج المدينة من القتلى، حتى قيل: إنه راح تحت السيف ألف ألف وثمانمائة ألف . قال :والاصح أنهم بلغوا نحواًمن ثمانمائة ألف . وهذا شيء لايكاد ينضبط ، فانهم قتلوا في الطرق ، والجوامع والبيوت ، والأسطحة ، وبظاهر البلد ، مالا يحصى ،بل هي ملحمة ماجرى قط في الاسلام مثلها ، وسبوا من النسـاء والصغار ماملأ الفضاء ، وممن أسر ولد الخليفة الصغير وإخوانه ، وقتل الخليفة وابناه أحمد وعبدالرحمن ، وممن قتل مع الخليفة من الاعيان أعمامه علي ،والحسين ، ويوسف ، وجماعة من أهل بيته ، وأخرج الصاحب محيي الدين الرئيس العلامة ابن الجوزي ، وبنوه : عبد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد الكريم ، فضربت أعناقهم ، وممن قتل صبراً جماعة مستكثرون من العلماء ، والامراء ، والا كابر ، وخلت بغداد من أهلها ، ودثرت المحال ، واستولى عليها الحريق ، واحترقت دار الخلافة ، والجامـــع الكبير ، حتى وصلت النار الى خزانة الكتب ، وعم الحريق جميـع البلاد ، وما سلم الا مافيه (من) هؤلاء الملاعين،وضاقت بالقتلى ، واندا سوا بالارجل[٢] ، ولم يبق ممر إلا على القتلى ، وكان الاطفال يتقلبون في الوحل الى أن يموتوا ،وعاين من سلم من الأهوال مالا يعبر عنه،ثم وقع الوباء ، و كثر الموت ، و كثر الذباب جداً ، حتى غطى الجدران ، ولزم الناس البصل من جيفة الدنيا ، وجاءت القوافل بالجلب من (الحـــلة) بخبز وجبن وبيض ، وتعوض أهل الجلب بالكتب ،يأخـذون المجلد بفلس ،

(١) في الاصل : يخرج كل طائفة بعد طائفة . (٢) في الاصل : في الأرجل .

ورميت الكتب مدة النهب تحت أرجل الخيل ، وألقي خلق من القتلى فى دجلة ، وحفرت حفائر وطمت على خلق كثير ، جعـل الله ذلك كفارة وتمحيصاً . وزعم العلقمي أنه(١) يحسن لهولا كوأن يقيم ببغداد خليفة علوياً ، فلم يتهيأ له ذلك ، ثم لم يلبث أن هلك ، ولم يبق من بغداد وأهلها الا مقدار الثمن ، ونحو ذلك . وفي أثناء ذلك العام فسد الهواء الملحمة بغداد ، واتصل الوباء بالشام ، ومات أمم بدمشق وغيرها . انتهى كلامه .

ومعنى ماذكره الناظم رحمه الله تعالى فى قوله : فغدا على سيف التتار الألف في مثل لها مضروبة بوزان . وكذا ثمان مئينها في ألفها الخ . أي : أن القتلى في بغداد بلغوا ألف ألف وثمانمائة الف ، لكن في هذا نظر ، كما ذكره الذهبي . قال : والأصح أنهم بلغوا نحواً من من ثمانمائة ألف ، وهذا معنى قول الناظم : فشفى اللعين النفس من حزب الرسول الخ . قوله : وبوده لو كان في أحد وقد شهد الوقيعة مع أبي سفيان . اي : ان النصير يود لو أنه شهد أحداً مع أبي سفيان قائد جيش قريش ، حتى يبلغ أربه ، ويقضي وطره من الرسول ﷺ وأصحابه ، وهذا نهاية العداوة للرسول وأصحابه وحزبه . نعوذ بالله من الخذلان .

قال الناظم رحمه الله :

وشواهد الاحداث ظاهرة على	ذا العالم المخلوق بالبرهـان
وأدلة التوحيد تشهد كلها	بحدوث كل ما سوى الرحمن
لو كان غير الله جل جلاله	معه قديمـاً كان ربـاً ثاني
إذ كان عن رب العلى مستغنياً	فيكون حينئذ لنا ربـان
والرب باستقلاله متوحد	أفممكن أن يستقل اثنان
لو كان ذاك تنافيا وتساقطا	فاذا هما عدمـان ممتنعان

---

(١) في الاصل : أن

والقهر والتوحيد يشهد منهما ... كل لصاحبه همـــا عدلان
ولذلك اقترنا جميعاً في صفا ... ت الله فانظر ذاك في القرآن
فالواحد القهار حقاً ليس في الـ ... ـإمكان أن تحظى به ذاتان

أقول : شرع الناظم رحمه الله تعالى في سياق دليل التمانع المشهور بين المتكلمين . قال شيخ الاسلام رحمه الله تعـالى في كتابه « شرح عقيدة الأصبهاني » : وهذا التوحيد يعني توحيد الربوبية ، لم يذهب الى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم ، ولم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال : إن العالم له صانعان متماثلان في الصفات والأفعال . قال : فان الثنوية من المجوس ، والمانوية القائلين بالأصلين : النور ، والظلمة ، وأن العالم صـدر عنهما ، متفقون على أن النور خير من الظلمة ، وهو الاله المحمود عندهم ، وأن الظلمة شريرة مذمومة ، وهم متنازعون في الظلمة ، هل هي قديمة ؟ أو محدثة ؟ فلم يسووا بين ربين متماثلين وهم كفار ضــلال ، وأما النصارى القائلون بالتثليث ، فانهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب يفصل بعضهم عن بعض ، بل هم متفقون على أن صانع العالم واحد ، ويقولون باسم الأب ، والابن ، وروح القدس ، اله واحد ، وقولهم في التثليث قول متناقض في نفسه ، وقولهم في الحلول أفسد منه ، ولهذا كانوا يكتمون قولهم عن كثير من أصحابهم ، فانهم إذا فهموه نفروا منه بفطرة عقولهم ، وهذا دأب كل مضل ملحد في كل شريعة وملة يكتم الالحـاد والضلال عن اكثر أتباعه ، لأن المقالات الفاسدة في الهيئات قد فطر الله عباده على العلم بفسادها بعد التصور التام ، ولهذا لا يكاد أحـد من النصارى يعبر عن قولهم بمعنى معقول ، ولا يكاد

اثنين منهم يتفقان على قول واحد ، فانهم يقولون . هو واحد بالذات ، ثلاثة بالأقنوم ، والأقانيم تفسر تارة بالخواص ، وتارة بالصفات ، وتارة بالأشخاص ، ويقولون : ان الاقانيم هي أقنوم الأب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم روح القدس . وكلام النصارى على غاية من الفهاهة والبلادة ، وهم أمة ضالة تائهة حتى قال بعض الفضلاء : لو اجتمع عشرة من علماء النصارى لافترقوا عن أحد عشر مذهباً . والحاصل أنهم لا يقولون : خالق الخلق ثلاثة ، بل واحد بالذات ، والله اعلم . والمقصود هنا أنه ليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين ، مع أن كثيراً من أهل الكلام والنظر والفلسفة ، تعبوا في بيان هذا المطلوب وتقريره ، ومنهم من اعترف بالعجز عن تقرير هذا بالعقل ، وزعم أنه يتلقى من السمع ، والمشهور عند النظار إثباته بدليل التمانع ، وهو دليل صحيح في نفسه ، وهو أنه لو كان للعالم صانعان متكافئان ، فعند اختلافهما ، مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم ، ويريد الآخر تسكينه ، أو يريد (أحدهما) إحياءه ، ويريد الآخر إماتته ، فاما أن يحصل مرادهما ، أو مراد أحدهما ، أو لا يحصل مراد واحد منهما ، والأول ممتنع ، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين ، والثالث ممتنع ، لأنه يستلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون ، ويستلزم أيضاً عجز كل منهما ، والعاجز لا يكون إلهاً ، ولأن المانع من فعل أحدهما ، هو فعل الآخر ، فلو امتنع مرادهما ، لزم كون كل منهما مانعاً للآخر ، وذلك يستلزم كون كل منهما قادراً غير قادر ، لان كونه مانعاً يقتضي القدرة ، وكونه ممنوعاً يقتضي العجز ، وذلك تناقض ، واذا حصل مراد أحدهما دون الآخر ، كان هذا هو الاله القادر ، والآخر عاجزاً لا يصلح للالهية ، وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) الانبياء : ٢٢ لاعتقادهم أن

توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الالهية الذي بينه القرآن ، ودعت اليه الرسل ، وليس الامر كذلك . وقال في موضع آخر : وقد نقلنا أنه ليس في أهل الارض من أثبت للعالم خالقين متماثلين في الصفات والأفعال . بل هذا ممتنع لذاته ، وامتناعه ظاهر في العقول ، بخلاف مايظنه كثير من أهل الكلام والفلسفة ، نعم بعض أهل الضلال يزعم أن ثم خالقاً لبعض العالم ، كالثنوية في الظلمة ، وكالقدرية في أفعال الحيوان ، وكالفلاسفة الدهرية في حركة الأفلاك ، أو حركات النفوس والأجسام الطبيعية ، فان من هؤلاء الفرق الضالة من يثبت أموراً محدثة بدون إحداث الله تعالى إياها ، فهم المشركون في بعض الربوبية ، وكثير من مشركي العرب وغيرهم قد يظن في إلهته شيئاً من هذا ، وأنها تنفعه وتضره بدون أن يخلق الله ذلك ، فلما كان هذا الشرك في الربوبية موجوداً في الناس ، بين القرآن بطلانه بقوله تعالى : (ماتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) المؤمنون : ٩١ والموجود خلاف هذا ، فان العالم مرتبط بعضه ببعض ، ما من مخلوق الا وهو متصل بغيره من المخلوقات ، محتاج اليه ، فالحيوان الواحد والنبات الواحد من أصل ، وذلك الأصل من غيره ، وهلم جرا ، وهو أيضاً مفتقر الى الهواء والماء والتراب ، بل والى أنواع النباتات والحيوانات ، ومفتقر الى أثر الشمس ، والقمر ، والليل ، والنهار ، وغير ذلك ، والفلك مرتبط بعضه ببعض ، والأفلاك مفتقرةبعضها الى بعض ، والعالم العلوي مفتقر الى العالم السفلي ، فلوقدر أن صانع الأرض غير صانع السماء ، وأنه مستغن عنه لايغير أحدهما مصنوع الآخر ، لزم من ذلك أن لا يكون مافي السماء مؤثراً في الارض ، فلا تؤثر الشمس والقمر في الارض ، وان يكون ما يصعد من الأدخنة ،

والأبخرة ، والأغيرة ، لايؤثر في نورالشمس والقمر والهواء، والواقع خلافه ، وتقرير هذا يطول . انتهى كلامه .

وقال الناظم رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا إلا الله لفسدتا) الانبياء : ٢٢ الآية ، قال : فان قوام السموات والارض والخليقة بأن تأله الآله الحق ، فلو كان فيهما آلهة أخرى غير الله لم يكن إلهاً حقاً ، اذ الآله الحق لا شريك له ، ولاسمي له ، ولا مثل له ، فلو تألهت غيره لفسدت كل الفساد بانتفاء مافيه صلاحها بتأله الآله الحق ، كما أنها لا توجد الا باسنادها الى الرب الواحد القهار ، ويستحيل أن تستند في وجودها الى ربين متكافئين ، فكذلك يستحيل أن تستند في تألهها الى إلهين متساويين . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الرب تعالى وكلامه والانفصال عنه

فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل ... قلنا صدقتم وهو ذو إمكان

كتسلسل التأثير في مستقبل ... هل بين ذينك قط من فرقان

والله ما افترقا لدى عقل ولا ... نقل ولا نظر ولا برهان

في سلب إمكان ولا في ضده ... هذي العقول ونحن ذو أذهان

فليأت بالفرقان من هو فارق ... فرقا يبين لصالح الأذهان

وكذاك سوى الجهم بينهما كذا الـ ـعلاف في الانكار والبطلان

ولأجل ذا حكما بحكم باطل قطعاً على الجنـات والنيران

فالجهم أفنى الذات والعلاف للـ ـحركات أفنى قاله الثوران

وأبو علي وابنه والأشعري وبعده ابن الطيب الرباني

وجميع أرباب الكلام الباطل الـ ـمذموم عند أئمة الايمـان

فرقوا وقالوا ذاك فيما لم يزل حق وفي أزل بلا إمكان

قالوا لأجل تناقض الازلي والـ ـاحداث ماهذان يجتمعان

لكن دوام الفعل في مستقبل مافيه محذور من النكران

فانظر الى التلبيس في ذا الفرق تر ويحا على العوران والعميان

ما قال ذو عقل بأن الفرد ذو أزل لذي ذهن ولا اعيان

بل كل فرد فهو مسبوق بفر د قبله ابـدأ بلا حسبان

ونظير هذا كل فرد فهو ملـ ـحوق بفرد بعده حكمان

النوع والآحاد مسبوق وملـ ـحوق وكل فهو منها فان

والنوع لا يفنى أخيراً فهو لا يفنى كذلك اولاً ببيان

وتعاقب الآنات أمر ثابت في الذهن وهو كذاك في الأعيان

أما تعريف التسلسل ، فهو ترتيب أمور غير متناهية . واعلم أن التسلسل نوعان : تسلسل في المؤثرين ، وتسلسل في الآثار ، فاما الأول فهو

محال باتفاق العقلاء ، وأما الثاني ، ففيه قولان للنظار وغيرهم ، وجوازه قول الأثير الأبهري ، والأرموي. فقول الناظم: فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل أي : إن زعمتم أن القول بدوام فاعلية الرب تعالى تسلل ، قلنا : نعم ، وذلك صحيح ، كما جوز ارباب الكلام ، كالأشعري ، وابن الباقلاني ، وغيرهما من الصفاتية القول بذلك في الأبد والمستقبل ، وكذلك أئمة المعتزلة كأبي علي ، وابنه أبي هاشم ، وغيرهما من المعتزلة ، جوزوا ذلك في الأبد ، فألزمهم الناظم القول بجواز التسلسل في الازل كما جوزوه في الأبد، وأما الجهمية، وأبو الهذيل العلاف، فقالوا بامتناع التسلسل في الطرفين: الأزل، والأبد ، لأنهم قالوا : إذا قلنا : كل خلق قبله لا إلى غاية ، وكل خلق بعده لا إلى نهاية ، لزمنا القول بعدم العالم ، وانما قال الجميع بذلك لئلا يبطل عليهم دليل الأكوان الذي استدلوا به على حدوث العالم ، لأن مبناه على امتناع التسلسل ، وسيرد الناظم عليهم هذا القول فيما يأتي . والاشعري : هو أبو الحسن علي بن اسماعيل ابن أبي بشر بن إسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال ابن أبي بردة ابن أبي موسي عبد الله بن قيس الاشعري ، قدم بغداد ، أخذ الفقه عن زكريا بن يحيى الساجي ، وتفقه بابن سريج ، وقد كان معتزلياً ، فتاب بالبصرة فوق المنبر ، وأظهر فضائحهم وقبائحهم ، وذكر له من التصانيف «الموجز» وغيره ، وحكي عن ابن حزم أنه صنف خمسة وخمسين تصنيفاً ، وذكر أن دخله في كل سنة كان سبعة عشر درهماً ، وأنه كان من اكثر الناس دعابة ، وأنه ولد سنة سبعين ومائتين . وقيل : سنة ٢٦٠ ستين ومائتين ، ومات سنة ٣٢٤ أربع وعشرين وثلاثمائة . وقيل : ٣٠[1] سنة . وقيل: سنة بضع وثلاثين ، والله أعلم .

---

(١) أي ثلاثين ومائتين .

قلت : وللحافظ ابن عساكر كتاب « تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الشيخ ابي الحسن الاشعري » مجلد .

وابن الطيب هو أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني القاضي ، رأس المتكلمين على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ، ومن اكثر الناس كلاماً وتصنيفاً في الكلام . يقال : إنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة في مدة طويلة من عمره ، فانتشرت عنه تصانيف كثيرة ، منها كتاب « التبصرة » و « دقائق الحقائق » و « التمهيد » في أصول الفقه و « وشرح الابانة » وغير ذلك من المجاميع الكبار والصغار ، ومن أحسنها كتاب الرد على الباطنية الذي سماه « كشف الأسرار وهتك الأستار » وقد اختلفوا في مذهبه على الفروع . فقيل : شافعي . وقيل مالكي ، حكى ذلك عنه أبو ذر الهروي . وقد قيل : إنه كان يكتب على الفتاوى ، كتبه محمد بن الطيب الحنبلي ، وقد كان في غاية الذكاء والفطنة ، مات في الحجة سنة ٤٠٣ ثلاث واربعمائة .

وأبو علي : هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن يزيد بن ابي السكن الجبائي ، ولد سنة ٢٣٥ خمس وثلاثين ومائتين ، وهو من معتزلة البصرة ، وهو الذي ذلل الكلام وسهله ، وإليه انتهت رئاسة المعتزلة في زمانه ، لا يدافعه أحد عن ذلك ، أخذ عن أبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ، وتوفي سنة ٣٠٣ ثلاث وثلاثمائة ، فدفن بـ(جبى)[1] وله خمس وسبعون مصنفاً .

وابنه أبو هاشم : وهو عبد السلام ابن أبي علي الجبائي ، قدم بغداد سنة ٣١٤ أربع عشرة وثلاثمائة ، وتوفي سنة ٣٢١ إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وكان

---

(١) قرية من قرى بصرى .

ذكياً ، حسن الفهم ، ثاقب الفطنة ، صانعاً للكلام ، مقتدراً عليه ، قيماً به ، له مصنفات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فـــاذا أبيتم ذا وقلتم أول الأنات مفتتح بلا نكران

ما كان ذاك الآن مسبوقاً يرى الا بسلب وجوده الحقان

فيقال ما تعنون بالأنات هل تعنون مدة هذه الازمان

من حين إحداث السموات العلى والأرض والأفلاك والقمران

ونظنكم تعنون ذاك ولم يكن من قبلها شيء من الاكوان

هل جاءكم في ذاك من أثر ومن نص ومن نظر ومن برهان

هذا الكتاب وهذه الآثار والـــمعقول في الفطرات والاذهان

إنا نحاكمكم الى ما شئتم منها فحكم الحق في تبيان

أوليس خلق الكون في الايام كا ن وذاك مأخوذ من القرآن

أو ليس ذلكم الزمان بمدة لحدوث شيء وهو عين زمان

فحقيقة الأزمان نسبة حادث لسواه تلك حقيقة الازمان

واذكر حديث السبق للتقدير والـــتوقيت قبل جميع ذي الاعيان

خمسين ألفاً من سنين عدها الـــمختار سابقة لذي الاكوان

هذا وعرش الرب فوق الماء من قبل السنين بمدة وزمان

يقول الناظم رحمه الله تعالى : فاذا أبيتم ماذكرنا ، وقلتم : ان الأنات لها أول ، ولا يصير ذاك أولاً الا بسلب وجوده ، وإلا لم يكن أولاً ، فنقول : ماتعنون بالأنات ؟ هل تعنون مدة هذه الأزمان ؟ أي : من حين خلق الله السموات ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ؟ والأرض ، وأن عندكم لم يكن قبلها شيء من الأكوان ، أي : من المخلوقات ، فهل عندكم حجة على أنه ليس قبلها شيء ؟ فهاتوا برهانكم على ذاك من الأثر والنظر ، ونحن نحاكمكم الى ماشئتم من ذلك ، ويدل على أن قبلها مخلوقات ، أن الله أخبر في القرآن بأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ، فتلك الأيام قبل وجود السموات والأرض ، والنجوم ، والجبال ، ويدل على ذلك حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : « إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء »[١] وهذا معنى هذه الأبيات التي ذكرها الناظم .

قوله : فحقيقة الأزمان نسبة حادث الخ . أي : أن نفس قدر الفعل هو المسمى بالزمان ، فان الزمان إذا قيل : انه مقدار حركة الشمس أو الفلك ، وأهل الملل متفقون على أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وخلق ذلك من مادة كانت موجودة قبل هذه السموات ، وهو الدخان الذي هو البخار ، كما قال تعالى : (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة . -قال- : وكان عرشه على الماء » . ورواه الترمذي بلفظ « قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارضين بخمسين ألف سنة » وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) فصلت : ٩١ وهذا الدخان هو بخار الماء الذي كان حينئذ موجوداً ، كما جاءت بذلك الآثار عن الصحابة والتابعين ، وكما عليه أهل الكتاب ، وتلك الأيام لم تكن مقدار حركة هذه الشمس وهذا الفلك ، فان هذا مما خلق في تلك الأيام ، بل تلك الأيام مقدرة بحركة أخرى ، وكذلك إذا شق الله هذه السموات ، وأقام القيامة ، وأدخل أهل الجنة الجنة ، قال تعالى : (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) مريم : ٦٢ وقد جاءت الآثار عن النبي ﷺ بأنه تبارك وتعالى يتجلى لعباده المؤمنين يوم الجمعة ، وأن أعلاهم منزلة من يرى الله تعالى كل يوم مرتين ، وليس في الجنة شمس ، ولا قمر ، ولا هناك حركة فلك ، بل ذلك مقدر بحركات ، كما جاء في الآثار أنهم يعرفون ذلك بأنوار تظهر من جهة العرش . هذا تقرير كلام الناظم رحمه الله تعالى ، وقد اختلف الناس في حقيقة الزمان ، فقيل : هو جوهر ليس بجسم ولا جسماني . أي : ليس بجسم ، ولا داخل في الجسم ، فهو قائم بنفسه ، مجرد عن المادة. وقيل : فلك معدل النهار . وقيل : عرض. فقيل : حركة معدل النهار . وقيل : مقدار الحركة المذكورة ، ومنهم من عبر بحركة الفلك ومقدارها . وقيل : إنه مقارنة متجدد موهوم لمتجدد معلوم ، إزالة للايهام من الأول بمقارنته للثاني ، كما في : آتيك عند طلوع الشمس ، وهذا قول المتكلمين ، والأقوال قبله للحكماء. وفي « القاموس » الزمن محركة وكسحاب : العصر ، واسمان لقليل الوقت وكثيرة ، جمع أزمان ، وأزمنة وأزمن . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والناس مختلفون في القلم الذي   كتب القضاء به من الديان

هل كان قبل العرش أو هو بعده   قولان عند أبي العلى الهمذاني

والحق أن العرش قيل لانه   قبل الكتابة كان ذا أركان

وكتابة القلم الشريف تعقبت   إيجاده من غير فصل زمان

لما براه الله قال اكتب كذا   فغدا بأمر الله ذا جريان

فجرى بما هو كائن ابداً الى   يوم المعاد بقدرة الرحمن

أفكان رب العرش جل جلاله   من قبل، ذا عجز وذا نقصان

أم لم يزل ذا قدرة والفعل مقـــدور له أبداً وذو إمكان

قوله : والناس مختلفون الخ . قال شيخ الاسلام : قد ذكرنا أن للسلف في العرش والقلم أيهما خلق قبل الآخر قولين ، كما ذكر ذلك الحافظ أبو العلاء الهمذاني وغيره ، أحدهما : أن القلم خلق أولاً ، كما أطلق ذلك غير واحد ، وهذا هو الذي يفهم في الظاهر من كتب من صنف في الأوائل ، كابن أبي عروبة الحراني ، وأبي القاسم الطبراني ، للحديث الذي رواه أبو داود في « سننه » عن عبادة بن الصامت ؛ وفيه : سمعت رسول الله ﷺ يقول . « أول ماخلق الله القلم ؛ فقال : اكتب » الحديث ...[1] والثاني أن العرش خلق أولاً . قال الامام عثمان بن سعيد الدارمي في مصنفه في

---

(١) رواه ابو داود رقم (٤٧٠٠) ولفظه بتمامه : « ان اول ماخلق الله القلم ، فقال له : اكتب : . قال : رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » ثم قال عبادة بن الصامت لابنه : يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من مات على غير هذا فليس مني » .

« الرد على الجهمية[١] » حدثنا ابن كثير العبدي ، أنبأنا سفيان الثوري حدثنا أبو هاشم ، عن مجاهد عن ابن عباس قال : ان الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً ، فكان أول ماخلق الله القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن ، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه ، وكذلك ذكر الحافظ البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» ؛ لما ذكر بدء الخلق ، ثم ذكر حديث الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن قول الله تعالى : (وكان عرشه على الماء) هود : ٧ على أي شيء كان الماء ؟ قال : على متن الريح .

وروي حديث القاسم ابن أبي بردة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « أول شيء خلقه الله القلم ، وأمره فكتب كل شيء يكون » قال البيهقي : وإنما أراد ـ والله أعلم ـ أول شيء خلقه بعد الماء ، والريح ، والعرش ، والقلم ، وذلك في حديث عمران بن حصين « ثم خلق السموات والأرض » أقول : حديث عمران بن حصين الذي أشار اليه ، هو مارواه البخاري من غير وجه مرفوعاً « كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب في الذكر كل شيء »[٢] ورواه البيهقي كما رواه محمد بن هارون الروياني

---

(١) وقد طبعناه قريباً .

(٢) رواه البخاري في « كتاب التوحيد » باب : « وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم . عن عمران بن حصين رضي الله عنه . وجاء في كتاب « بدء الخلق » بلفظ : « كان الله ولم يكن شيء غيره » وفي رواية غير البخاري « ولم يكن شيء معه » .

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » : وقوله في بعض الكتب في هذا الحديث «كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان » هي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث .

في « مسنده » وعثمان بن سعيد الدارمي ، وغيرهما من حديث الثقات المتفق على ثقتهم ، عن أبي اسحاق الفزاري ، عن الأعمش ، عن جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : « كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، ثم كتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والأرض » وذكر أحاديث وآثاراً . ثم قال ما معناه : فثبت بالنصوص الصحيحة ، أن العرش خلق أولاً . قال ابن كثير : قال قائلون : خلق القلم أولاً . وهذا اختيار ابن جرير ، وابن الجوزي ، وغيرهما . قال ابن جرير : وبعد القلم السحاب الرقيق ، وبعده العرش . واحتجوا بحديث عبادة . والذي عليه الجمهو أن العرش مخلوق قبل ذلك ، كما دل عليه الحديث الذي رواه مسلم في « صحيحه » يعنى حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص الذي تقدم[١] قالوا : وهذا التقدير هو كتابته بالقلم المقادير ، وقد دل هذا الحديث أن ذلك بعد خلق العرش ، فثبت تقدم العرش على القلم الذي كتب به المقادير ، كما ذهب الى ذلك الجماهير ، وحملوا حديث القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فلئن سألت وقلت ما هذا الذي ... أداهم لخلاف ذا التبيان

ولأي شيء لم يقولوا إنـــه ... سبحانه هو دائم الاحسان

فاعلم بأن القوم لما أسسوا ... أصل الكلام عموا عن القرآن

---

(١) ولفظه : « كتب الله مقادير الخلائق قبل ان تخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة - قال - وكان عرشه على الماء » .

وعن الحديث ومقتضى المعقول بل عن فطرة الرحمن والبرهان
وبنوا قواعدهم عليه فقادهم قسراً إلى التعطيل والبهتان
نفي القيام لكل أمر حادث بالرب خوف تسلسل الاعيان
فيسد ذاك عليهم في زعمهم إثبات صانع هذه الاكوان
إذ أثبتوه بكون ذي الأجسام حا دثة فلا تنفك عن حدثان
فاذا تسلسلت الحوادث لم يكن لحدوثها اذ ذاك من برهان
فلاجل ذا قالوا التسلسل باطل والجسم لا يخلو عن الحدثان
فيصح حينئذ حدوث الجسم من هذا الدليل بواضح البرهان
هذي نهايات لأقدام الورى في ذا المقام الضيق الاعطان
فمن الذي يأتي بفتح بيّن ينجي الورى من غمرة الحيران
فالله يجزيه الذي هو أهله من جنة المأوى مع الرضوان

أي : ان سألت أيها الناظر في هذا الكتاب ، وقلت : لم لم يقل المتكلمون بدوام فاعلية الرب تعالى ، وقالوا بوجوب تراخي الأثر ؟ فاعلم أنهم لما أسسوا أصل الكلام ، عموا عن الكتاب والسنة ، وهو أنهم استدلوا على حدوث العالم بدليل الأعراض المشهور ، وأنهم استدلوا على حدوث الاجسام بحدوث الأعراض ، وأن العرض لا يبقى زمانين ، والأعراض حادثة ، وما قامت به الحوادث فهو حادث ، فيلزم حدوث الجسم من هذا الدليل . قالوا : فلو قلنا بقيام أفعال الرب تعالى به ، لزم قيام الحوادث به

ولزم التسلسل . وهو عندهم ممتنع . قالوا : فاذا جوزنا قيام الأفعال بالرب سبحانه ، وأنه لم يزل يفعل شيئاً بعد شيء ، لزم قيام الحوادث به تعالى ، ولزم التسلسل ، وهذا معنى قوله :

فاذا تسلسلت الحوادث لم يكن لحدوثها إذ ذاك من برهان

فلهذا قالوا ببطلان التسلسل ، والتسلسل الباطل انما هو التسلسل في المؤثرين ، وأما التسلسل في الآثار ، فهو جائز .

وقول الناظم رحمه الله تعالى : نفي القيام[1] لكل أمر حادث بالرب . فيه تسامح ، لأن أفعال الرب الاختيارية ليست بحوادث ، وانما هي أفعال اختياريه ، تقوم به بمشيئته وقدرته .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

فاسمع إذاً وافهم فذاك معطل ومشبه وهداك ذو الغفران

هذا الدليل هو الذي أرداهم بل هد كل قواعد القرآن

وهو الدليل الباطل المردود عند أئمة التحقيق والعرفان

ما زال أمر الناس معتدلاً الى أن دار في الاوراق والاذهان

وتمكنت أجزاؤه بقلوبهم فأتت لوازمه الى الايمان

رفعت قواعده وتحت[2] أسه فهوى البناء وخر للأركان

---

(١) قلت ومعنى قيامها به سبحانه، إنما هو قدرته عليها، واعتراض الشارح على الناظم غير وجيه

(٢) في الاصل : ونحت . والتصحيح من مخطوطة المتن. (ابن مانع)

وجنوا على الاسلام كل جناية | إذ سلطوا الاعداء بالعدوان
حملوا بأسلحة المحال فخانهم | ذاك السلاح فما اشتفوا بطعان
وأتى العدو الى سلاحهم فقا | تلهم به في غيبة الفرسان
يامحنة الاسلام والقرآن من | جهد الصديق وبغي ذي طغيان
والله لولا الله ناصر دينه | وكتابه بالحق والبرهان
لتخطفت أعداؤه أرواحنا | ولقطعت منا عرى الايمان
أيكون حقاً ذا الدليل وما اهتدى | خير القرون له محال ذان
وفقتمُ للحق اذ حرموه في | أصل اليقين ومقعد العرفان
وهديتمونا للذي لم يهتدوا | أبداً به واشدة الحرمان
ودخلتمُ للحق من باب وما | دخلوه واعجباً لذا الخذلان
وسلكتمُ طرق الهدى والعلم دو | ن القوم واعجباً لذا البهتان
وعرفتم الرحمن بالاجسام وال | أعراض والحركات والالوان[1]
وهمُ فما عرفوه منها بل من الـ | آيات وهي فغير ذي برهان
الله أكبر أنتم أو هم على | حق وفي غي وفي خسران
دع ذا أليس الله قد أبدى لنا | حق الأدلة وهي في القرآن
متنوعات صرفت وتظاهرت | في كل وجه فهي ذو أفنان

---

(١) في الاصل : الاكوان ، وهو خطأ ، والتصحيح من مخطوطة المتن .

معلومـة للعقل أو مشهودة للحس أو في فطرة الرحمن
أسمعتمُ لدليلكم في بعضها خبراً او احسستم له ببيان
أيكون أصل الدين ما تم الهدى إلا به وبه قوى الايمـان
وسواه ليس بموجب من لم يحط علمـاً به لم ينج من كفران
والله ثم رسوله قد بينـا طرق الهدى في غاية التبيان
فـلأي شيء أعرضا عنه ولم نسـمعه في أثر ولا قرآن
لكن أتانا بعد خير قروننا فظهور أحداث من الشيطان
وعلى لسان الجهم جاء وحزبه من كل صاحب بدعة حيران
ولذلك اشتد النكير عليهمُ من سائر العلماء في البلدان
صاحوا بهم في كل قطر بل رموا في إثرهم بثواقب الشـهبان
عرفوا الذي يفضي إليه قولهم ودليلهم بحقيقة العرفـان
وأخو الجهالة في خفارة جهله والجهل قد ينجي من الكفران

أقول : قد تقدم الكلام في دليل الأكوان مبسوطاً في الفصل الذي أوله : وقضى بأن الله كان معطلاً. عن : شيخ الاسلام وغيره : ونحن نشير الى ذلك بعض الاشارة .

قال شيخ الاسلام في كتاب «العقل والنقل» في الكلام على اصول الدين بعد كلام سبق : وأما ما يدخله بعض الناس في هـذا المسمى من الباطل ، فليس ذلك من أصول الدين ، وان أدخله فيه مثل المسائل والدلائل الفاسدة ،

مثل الاستدلال على حدوث العالم بحدوث الاعراض التي هي صفات الأجسام القائمة بها ، إما الاكوان ، وإما غيرها . وتقرير المقدمات التي يحتاج اليها هذا الدليل من إثبات الاعراض التي هي الصفات أولاً ، أو إثبات بعضها ، كالاكوان التي هي الحركة ، والسكون ، والاجتماع ، والافتراق واثبات حدوثها باثبات إبطال ظهورها بعد الكمون ، وابطال انتقالها من محل الى محل ، ثم اثبات امتناع خلو الجسم ، إما عن كل جنس من أجناس الأعراض باثبات أن الجسم قابل لها ، وان القابل للشيىء لا يخلو عنه وعن ضده ، وإما عن الأكوان وامتناع حوادث لا أول لها . وابعاً : وهو مبني على مقدمتين : إحداهما أن الجسم لا يخلو عن الاعراض باثبات أن الجسم لا يخلو عن الاعراض التي هي الصفات . والثانية : أن ما لا يخلو عن الصفات التي هي الاعراض ، فهو محدث ، لأن الصفات التي هي الأعراض لا تكون الا محدثة ، وقد يفرضون ذلك في بعض الصفات التي هي الأعراض ، كالألوان ، وما لا يخلو عن جنس الحوادث ، فهو حادث ، لامتناع حوادث لا تتناهى ، فهذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمداً ﷺ لم يدع الناس بها الى الاقرار بالخالق ، ونبوة أنبيائه ، ولهذا قد اعترف حذاق أهل الكلام ، كالاشعري وغيره أنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم ، ولا سلف الأمة وأئمتها ، وذكروا أنها محرمة عندهم . بل المحققون على أنها طريقة باطلة ، وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعى بها مطلقاً ، ولهذا تجد من اعتمد عليها في أصول دينه ، فأحد الأمرين لازم له ، اما أن يطلع على ضعفها ، ويقابل بينها وبين أدلة القائلين بقدم العالم فتتكافأ عنده الأدلة ، أو يرجح هذا تارة ، وهذا تارة ، كما هو حال طوائف منهم ، وإما أن يلتزم لأجلها لوازم معلومة الفساد في الشرع والعقل ، كما

التزم جهم لأجلها فناء الجنة والنار ، والتزم لأجلها أبو الهذيل انقطاع حركات أهل الجنة ، والتزم قوم لأجلها كالاشعري وغيره أن الماء ، والهـواء ، والتراب ، والنار ، له طعم ولون وريح ، ونحو ذلك ، والتزم قوم لأجلها وأجل غيرها أن جميع الاعراض كالطعم واللون وغيرهما لايجوز بقاؤها بحال ، لأنهم احتاجوا الى جـواب النقض الوارد عليهم لما أثبتوا الصفات لله مع الاستدلال على حدوث الاجسام بصفاتها ، فقالوا : صفات الأجسام أعراض أي : أنها تعرض فتزول ، بخلاف صفات الله ، فانها باقية ، وأما ما اعتمد عليه طائفة منهم ، من أن العرض لو بقي لم يمكن عدمه ، لأن عدمه ، إما أن يكون باحداث ضد ، أو بفوات شرط ، أو اختيار الفاعل ، وكل ذلك ممتنع ، فهذه العمدة لا يختارها آخرون منهم ، بل يجوزون أن الفاعل المختار ، يعدم الموجود ، كما يحدث المعدوم ، ولايقولون : إن عدم الاجسام لايكون الا بقطع الأعراض عنها ، كما قاله أولئك ، ولا يخلق ضد هو الفناء لا في محل ، كما قاله من قاله من المعتزلة ، وأما جمهور عقلاء بني آدم ، فقالوا : هذه مخالفة للمعلوم بالحس ، والتزم طوائف من أهل الكلام ، من المعتزلة وغيرهم لأجلها نفي صفات الرب مطلقاً ، أو نفي بعضها ، لأن الدال عندهم على حدوث هذه الاشياء هو قيام الصفات بها ، والدليل يجب طرده ، فالتزموا حدوث كل موصوف بصفة قائمة به ، وهو أيضاً في غاية الفساد والضلال ، ولهـذا التزموا القول بخلق القرآن ، وانـكار رؤية الله في الآخرة ، وعلوه على عرشه ، الى امثال ذلك من اللوازم التي التزمها من طرد مقدمات هذه الحجة التي جعلها المعتزلة ومن اتبعهم أصل دينهم ، فهذه داخلة فيما سماه هؤلاء : أصول الدين ، ولكن ليست في الحقيقة من أصول الدين الذي شرعه الله لعباده .

وقال(١) في كلامه على « حديث النزول »(٢) لما تكلم على هذه الطريقة :

أما قولكم : إن هذا الطريق هو الأصل في معرفة دين الاسلام ، ونبوة الرسل ، فهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام فساده ، فانه من المعلوم لكل من علم حال الرسول وأصحابه ، وماجاء به من الايمان والقرآن ، أنه لم يدع الناس بهذه الطريقة أبداً ، ولا تكلم بها أحد من الصحابة ، ولا التابعين لهم باحسان ، فكيف تكون هي أصل الايمان ، والذي جاء بالايمان وأفضل الناس إيماناً لم يتكلموا بها البتة، ولا سلكها منهم أحد، والذين علموا ان هذه طريقة مبتدعة حزبان : حزب ظنوا أنها صحيحة في نفسها لكن أعرض السلف عنها لطول مقدماتها وغموضها ، وما يخاف على سالكها من الشك والتطويل ، وهذا قول جماعة ، كالأشعري في رسالته الى الثغر ، والخطابي والحليمي ، والقاضي ابي يعلى ، وابن عقيل وأبي بكر البيهقي ، وغير هؤلاء . والثاني : قول من يقول : بل هذه الطريقة باطلة في نفسها ، ولهذا ذمها السلف ، وعدلوا عنها . وهذا قول أئمة السلف ، كابن المبارك ، والشافعي ، وأحمد ابن حنبل ، واسحق بن راهويه ، وأبي يوسف ، ومالك بن أنس ، وابن الماجشون عبد العزيز . وغير هؤلاء من السلف . انتهى .

وقال الامام الحافظ أبو عمر بن عبد البر : الذي أقول : إنه اذا نظر الى إسلام أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وسعد ، وسعيد ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وسائر المهاجرين والأنصار ، وجميع الوفود الذين دخلوا في دين

---

(١) أي : شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميه الحراني النمري الدمشقي رحمه الله تعالى .

(٢) وقد قمنا قريباً بطبعه ، بعنوان « شرح حديث النزول » لشيخ الاسلام ابن تيميه .

الله أفواجاً ، علم أن الله عز وجل لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين ، وأعلام النبوة ، ودلائل الوسائل ، لا من قبل حركة وسكون ، ولا من باب الكل والبعض ، ولا من باب كان ويكون ، ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجباً ، وفي الجسم ونفيه ، والتشبيه ونفيه لازماً ، ما أضاعوه ، ولو أضاعوا الواجب لما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم ، ولا أطنب في مدحهم وتعظيمهم ، ولو كان من علمهم مشهوراً ، ومن أخلاقهم معروفاً ، لاستفاض عنهم وشهروا به كما شهروا بالقرآن والروايات . انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الرد على الجهميه المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش اله يعبد ولا فوق السموات اله يصلى له ويسجد ، وبيان فساد قولهم عقلاً ونقلاً ولغة وفطرة .

والله كان وليس شيء غيره	وبرى البرية وهي ذو حدثان
فسل المعطل هل يراها خارجاً	عن ذاته أم فيه حلت ذان
لا بد من إحداهما أو أنها	هي عينه ما ثم موجودان
ما ثم مخلوق وخالقه ومـا	شيء مغاير هـذه الاعيان
لا بد من احدى ثلاث مالها	من رابع خلو عن الروغان
ولذاك قال محقق القوم الذي	رفع القواعد مدعي العرفان

هو عين هذا الكون ليس بغيره ... أنى وليس مباين الاكوان

كلا وليس مجانبا ايضاً لها ... فهو الوجود بعينه وعيان

ان لم يكن فوق الخلائق ربها ... فالقول هذا القول في الميزان

اذ ليس يعقل بعد إلا أنه ... قد حل فيها وهي كالابدان

والروح ذات الحق جل جلاله ... حلت بها كمقالة النصراني

فاحكم على من قال ليس بخارج ... عنها ولا فيها بحكم بيان

بخلافه الوحيين والاجماع والعقل ... الصريح وفطرة الرحمن

فعليه اوقع حد معدوم بلى ... حد المحال بغير ما فرقان

يا للعقول اذا نفيتم مخبراً ... ونقيض حد ذاك في امكان

ان كان نفي دخوله وخروجه ... لا يصدقان معاً لذى امكان

الا على عدم صريح نفيه ... متحقق ببديهة الانسان

أيصح في المعقول يا أهل النهى ... ذاتان لا بالغير قائمتان

ليست تباين منهما ذات لاخرى ... أو تحايثها فيجتمعان

قوله أو تحايثها قال في القاموس حيث كلمة دالة على المكان كحين في الزمان ويثلث آخره . انتهى .

ان كان في الدنيا محال فهو ذا ... فارجع الى المعقول والبرهان

فلئن زعمتم ان ذلك في الذي ... هو قابل من جسم أو جثمان

والرب ليس كذا فنفي دخوله ... وخروجه مما فيه من بطلان

فيقال هذا أولاً من قولكم ... دعوى مجردة بلا برهان

ذاك اصطلاح من فريق فارقوا ... الوحي المبين بحكمة اليونان

احتج الناظم رحمه الله تعالى على بطلان قول الجهمية النفاة لعلو الله سبحانه على خلقه بهذه الحجج القاطعة، والبراهين الساطعة، فقال: والله كان وليس شيء غيره. يشير إلى الحديث الصحيح المرفوع: «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء»[1] يقول إذا كان الله تعالى في الأزل لم يكن معه غيره، وخلق المخلوقات، وهذا معنى قوله: وبرى البرية الخ. فسل المعطل هل خلقها خارجاً عن ذاته المقدسة، أو خلقها في ذاته المقدسة، تعالى عن ذلك، أو هي عينه كما يقوله الوجودية، لعنهم الله تعالى، وهذه قسمة حاصرة، لأن المخلوقات إما أن يكون خلقها في ذاته، أو خارجاً عنها، أو هي عينه، ولا قسم غير هذه الثلاثة، ولذلك قال الناظم: ولذاك قال محقق القوم الذي رفع القواعد، يعني القائلين بوحدة الوجود، فإنهم قالوا: وجود المخلوقات هو عين وجود الخالق، ماثم غير ولا سوى البتة، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، ولهذا قال: إن لم يكن فوق الخلائق ربها الخ. أي: إن لم يكن الرب تعالى فوق خلقه، فالقول هذا القول في الميزان، أي: في العدل والقياس، فانه إذا لم يكن تعالى مبايناً للاكوان ولا محايثاً لها داخلاً فيها، لم يبق الا هذا القول، إذ ليس يعقل إلا هذا، وأن الروح ذات

(١) رواه البخاري في «صحيحه» عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

الحق تعالى حلت بهذا العالم ، كما تقوله النصارى في عيسى عليه السلام .

قوله : فاحكم على من قال : ليس بخارج الخ . هذا الكلام لأبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان ، حكاه عنه الامام أبو بكر ابن فورك في كتاب « المجرد » فيما جمعه من كلام ابن كلاب أنه قال : وأخرج من الخبر والنظر قول من قال : لا هو في العالم ، ولا خارجاً منه ، فنفاه نفياً مستوياً لأنه لو قيل له : صفه بالعدم لما قدر أن يقول أكثر من هذا ، ورد أخبار الله أيضاً ، وقال في ذلك مالا يجوز في نص ولا معقول ، ثم قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو صفوة الله من خلقه ، وخيرته من بريته أعلمهم بالأين ، واستصوب قول القائل : إنه في السماء ، وشهد له بالايمان عند ذلك . وجهم بن صفوان وأصحابه لا يجيزون الأين ويحيلون القول به ، قال : ولو كان خطأ لكان رسول الله ﷺ أحق بالانكار له ، وكان ينبغي أن يقول لها : لاتقولي ذلك فتوهمي أنه محدود ، وأنه في مكان دون مكان ، ولكن قولي : إنه في كل مكان ، لأنه هو الصواب دون ماقلت . كلا فقد أجازه رسول الله ﷺ مع علمه بما فيه ، وانه من الإيمان ، بل الامر الذي يجب به الإيمان لقائله ،ومن أجله شهد لها بالايمان حين قالته ، و كيف يكون الحق في خلاف ذلك والكتاب ناطق بذلك ، وشاهد له ، وقد غرس في نبيه الفطرة ، ومعارف الآدميين من ذلك ما لا شيء أبين منه ، ولا أوكد ، لأنك لاتسأل أحداً من الناس عنه عربياً ولا عجمياً ، ولا مؤمناً ولا كافراً ، فتقول : أين ربك ، إلا قال : في السماء أفصح ، أو أومأ بيده ، أو أشار بطرفه ان كان لايفصح ولا يشير الى غير ذلك ، وما رأينا أحداً إذا عن له دعاء إلا رافعاً يديه إلى السماء ،ولا وجدنا أحداً غير الجهمية يسأل عن ربه فيقول في كل مكان كما يقولون ،وهم يدعون

أنهم أفضل الناس كلهم ، فتاهت العقول ، وسقطت الاخبار ، واهتـــدى جهم وخمسون رجلًا معه ، نعوذ بالله من مضلات الفتن . انتهى كلامه .

قوله : ياللعقول إذا نفيتم مخـــبراً الخ بفتح اللام اسم منادى مجرور باللام ،إذا استغيث اسم منادى وجب كون الحرف يا ، و كونها مذكورة ، وغلب جره بلام واجبة الفتح ، كقول عمر رضي الله عنه : يالله للمسلمين ، معنى كلام الناظم : انكم نفيتم عنه تعالى النقيضين ، وهما لا يجتمعان ولا يرتفعان ، فإذا كان تعالى عندكم لا داخل العالم ولا خارجه ، فهذا حد المعدوم ، لأنه هو الذي لا داخل العالم ولا خارجه ، فهم وصفوا واجب الوجود تعالى بما يمتنـــع معه وجوده ، فضلًا عن وجوبه ، لأن المعدوم لا يوصف إلا إلا بما وصفوا به واجب الوجود تعالى . ثم قال الناظم : فلئن زعمتم أن ذلك في الذي هو قابل الخ . أي : أن هـذا إنما يتأتى في الأجسام التي تقبل أن توصف بذلك ، والرب تعالى ليس بجسم ، فوصفه بأنه لا داخل العالم ولا خارجه ، غير محذور ، فأجابهم الناظم بقوله : فيقال هذا أولاً من قولكم دعوى الخ.. هذه دعوى مجردة عن البرهان ، وإنما هي من اصطلاح فلاسفة اليونان .

قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

والشيء يصدق نفيه عن قابل وسواه في معهود كل لسان

أنسيت نفي الظلم عنه وقولك الـــظلم المحال وليس ذا إمكان

ونسيت نفي النوم والسنة التي ليست لرب العرش في الإمكان

ونسيت نفي الطعم عنه وليس ذا مقبوله والنفي في القرآن

ونسيت نفي ولادة أو زوجة وهما على الرحمن ممتنعـــان
والله قد وصف الجماد بأنـه ميت أصم ومــاله عينان
وكذا نفى عنه الشعور ونطقه والخلق نفيــاً واضح التبيان
هذا وليس لهـــا قبول للذي ينفى ولا من جملة الحيوان

معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى ، أن الشيء يصدق نفيه عن قـابل وغير قابل ، كما في قوله تعالى (لاتأخذه سنة ولا نوم) البقره : ٢٥٥ معناه أن الرب تعالى لايجوز عليه النوم والسنة ، كما نفى الطعم عنه سبحانه في قوله : (وهو يطعم ولا يطعم) الأنعام : ١٤ و كما في قوله تعالى (ومـا خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) الذاريات : ٥٦ ، ٥٧ و كما نفى سبحانه الظلم عن نفسه وهو عندكم محال في حق الرب ، وليس بممكن ، وقد تقدم معنى ذلك في قول الناظم : والظلم عندهم المحال لذاته الخ ، بما يغني عن الاعادة .

قال النّاظم رَحمهُ الله تعالى :

ويقال أيضاً ثانياً لو صح هــذا الشرط كان لما هما ضدان
لا في النقيضين اللذين كلاهما لا يثبتان وليس يرتفعان

يتوقف فهم كلام الناظم على معرفة النقيضين والضدين ، فالنقيضـان هما اللذان لايجتمعان ولا يرتفعان ، كالحركة ، والسكون ، والضدان هما اللذان لايجتمعان وقد يرتفعان ، كالسواد ، والبياض ، فمعنى كلام الناظم أن هذا الشرط لو صح وهو ان النفي لايصح إلا عن القابل ، لـكان ذلك في الضدين ، لا في النقيضين .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ويقال أيضاً نفيكم لقبوله لهما يزيل حقيقة الإمكان
بل ذا كنفي قيامه بالنفس أو بالغير في الفطرات والاذهان
فإذا المعطل قال إن قيامه بالنفس او بالغير ذو بطلان
إذ ليس يقبل واحداً من ذينك الـ أمرين إلا وهو ذو إمكان
جسم يقوم بنفسه أيضاً كذا عرض يقوم بغيره أخوان
في حكم إمكان وليس بواجب ما كان فيه حقيقة الإمكان

أي إذا نفيتم قبوله سبحانه لأن يكون داخل العالم أو خارجه ، فهذا كنفي قيامه بالنفس او بالغير ، فاذا قال المعطل : إن قيامه بنفسه او بغيره باطل ، فعلى هذا يستحيل وجوده تعالى وتقدس . ومعلوم أن الخلو عن النقيضين ممتنع ، كما أن الجمع بين النقيضين ممتنع ، لأنه قد يقال : إن جميع الممتنعات ترجع الى الجمع بين النقيضين .

قال الناظم رحمه الله تعالى في « الصواعق »[١] هذه الحجة العقلية ، وهي الاحتجاج بكون الرب تعالى قائماً بنفسه على كونه مبايناً للعالم ، وذلك ملزوم بكونه فوقه عالياً عليه بالذات ، لما كانت حجة صحيحة لا يمكن مدافعتها ، وكانت مما ناظر بها الكرامية لأبي اسحق الاسفرايني ، فر أبو اسحاق الى كون الرب قائماً بنفسه بالمعنى المعقول ، وقال : لانسلم أنه قائم بنفسه ، إلا بمعنى أنه غني عن المحل ، فجعل قيامه بنفسه وصفاً عدمياً لا ثبوتياً ،

(١) هو « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة »

وهذا لازم لسائر المعطلة النفاة لعلوه . ومن المعلوم أن كون الشيء قائماً بنفسه أبلغ من كونه قائماً بغيره ، وإذا كان قيام العرض بغيره يمتنع ان يكون عدمياً بل وجودياً ، فقيام الشيء بنفسه إحق ان لا يكون أمراً عدمياً بل وجودياً ، وإذا كان قيام المخلوق بنفسه صفة كمال ، وهو مفتقر بالذات الى غيره ، فقيام الغني بذاته بنفسه أَحق وأولى . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فكلا كما ينفي الاله حقيقة ... وكلا كما في نفيه سيان
ما ذا يرد عليه من هو مثله ... في النفي صرفاً إذ هما عدلان
والفرق ليس بممكن لك بعدما ... ضاهيت هذا النفي في البطلان
فو زان هذا النفي ما قد قلته ... حرفاً بحرف أنتما صنوان
والخصم يزعم أن ما هو قابل ... لكليهما فكقابل لمكان
فافرق لنا فرقاً يبين مواقع الـ ... إثبات والتعطيل بالبرهان
أولا فأعط القوس باريها وخـل الفشر عنك وكثرة الهذيان

قال الرضي في « شرح الكافية » قد يقدر نصب الياء في السعة أيضاً وذكر المثل ، فإن « باريها » مفعول أعط ، وهو ساكن الياء ، وهو في هذا تابع للزمخشري في « المفصل » . قال الميداني في أمثاله ؛ أي : استعن على عملك بأهل المعرفة والحذق فيه ، وينشد :

ياباري القوس برياً لست تحسنها ... لا تفسدنها وأعط القوس باريها

قوله : فكلا كما ينفي الإله حقيقة الخ ؛ أي : ان المعطل إذا قال :

إن قيامه تعالى بنفسه او بغيره باطل [1] فقولكم : انه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ، مثله في البطلان ، فكلا كما ينفي الاله حقيقة وكلا كما سواء في نفيه ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في سياق هذا الدليل على وجه آخر

وسل المعطل عن مسائل خمسة ... تردي قواعده من الاركان

قل للمعطل هل تقول إلهنا الـمـ ... ـعبود حقاً خارج الاذهان

فإذا نفى هذا فذاك معطل ... للرب حقاً بالغ الكفران

وإذ أقر به فسله ثانياً ... أتراه غير جميع ذي الاكوان

فاذا نفى هذا وقال بأنه ... هو عينها ما ها هنا غيران

فقد ارتدى بالاتحاد مصرحا ... بالكفر جاحد ربه الرحمن

حاشا النصارى أن يكونوا مثله ... وهم الحمير وعابدو الصلبان

هم خصصوه بالمسيح وأمه ... وأولاء ما صانوه عن حيوان

وإذا أقر بأنه غير الورى ... عبد ومعبود هما شيئان

(١) في الاصل : باطلا ، والصواب الرفع على أنه خبر (أن)

فاسأله هل هذا الورى في ذاته ... أم ذاته فيه هنا أمران

فإذا أقر بواحد من ذينك الـ ... أمرين قبل حده النصراني

ويقول أهلاً بالذي هو مثلنا ... خشداشنا وحبيبنا الحقاني

وإذا نفى الأمرين فاسأله اذاً ... هل ذاته استغنت عن الاكوان

فلذاك قام بنفسه أم قام بالـ ... أعيان كالأعراض والألوان[1]

فاذا أقر وقال بل هو قائم ... بالنفس فاسأله وقل ذاتان؟

بالنفس قائمتان أخبرني هما ... مثلان أو ضدان أو غيران؟

وعلى التقادير الثلاث فإنه ... لولا التباين لم يكن شيئان

ضدين أو مثلين أو غيرين كا ... نا بل هما لا شك متحدان

فلذاك قلنا إنكم باب لمن ... بالاتحاد يقول بل بابان

نقطتم لهمُ وهم خطوا على ... نقط لكم كمعلِّم الصبيان

حاصل هذه الأبيات هو أن الناظم يقول: سل المعطل عن خمس مسائل: الاولى: هل تقول: إن الله تعالى خارج الأذهان، فإن نفى ذلك فقد كفر حقاً بلا شك. والثانية: سله إن أقر بذلك عن المسألة الثانية، وهو أنه، هل هو الأكوان او غيرها؟ فإنه لابد ان يقول: هو الأكوان او غيرها، فاذا قال: هو عين الأكوان فقد قال بالاتحاد، وهو أكفر قول وأشنع مذهب، بل القائل بذلك أكفر من النصارى، لأن النصارى خصصوه بالمسيح وأمه، وهؤلاء عمموه بكل موجود، ولهذا قال الناظم:

(١) في الاصل: الأكوان.

حاشا النصارى ان يكونوا مثله الخ . وإذا أقر المعطل بأنه غير الورى ، فسله ثالثاً : هل هذا الورى في ذاته ، او ذاته فيه ؟ فاذا أقر بواحد من هذين فقد قال بالحلول ، ولهذا قال الناظم :

فاذا أقر بواحد من ذينك الأمـــرين قبل خده النصراني

وقوله : خشداشنا . هذه كلمة تعظيم ، وهي غير عربيـة ، وإن نفى المعطل الأمرين ؛ أي : إن نفى ان ذاته حلت في الورى ، او حل الورى في ذاته ، فاسأله : هل ذاته تعالى استغنت عن الأكوان ولذلك قام بنفسه ، أم قـــام بالأعراض والألوان ؟ وإن أقر وقـــال : بل هو قائم بالنفس ، فاســأله ، وقل : ذاتان قامتا بالنفس ؟ أخبرني : هل هما مثلان او ضدان او غيران ؟ الضدان : هما اللذان لايجتمعان ، وقـــد يرتفعان ، كالسواد ، والبياض . والمثلان : لايجتمعان ويرتفعان ، لتساوي الحقيقة ، كبياض وبياض . والغيران : هما المختلفان . وقيل : هما الموجودان اللذان يمكن أن يفارق أحدهما الآخر بوجه . والخلافان : ما قام أحدهما مقام الآخر ، وسد مسده ، وعمل عمله . وقيل : هما اللذان يشتركان في الصفة اللازمة ، فهما لايجتمعان ، ويرتفعان ، لتساوي الحقيقة ، كبيـــاض وبياض ، كل موجودين غير متفقين في جميع صفات النفس ، والغيران نحو منهما ، والمثلان ضد هما :

وقول الناظم :

وعلى التقـادير الثلاث فانه لولا التباين لم يكن شيئان

أي : لأن الموجودين ، إما ان يكونا ضدين ، او مثلين ، او غيرين ، وعلى جميع هذه التقادير ، فلابد من ثبوت شيئين ، ثم قال : فلذا قلنـا : إنـكم باب لمن يقول بالاتحاد ، بل بابان ، نقطتم لهم ، وهم خطوا على نقط

ا ب كم ؛ أي كما أن معلم الصبيين أولاً ينقط لهم حروف الهجاء ، ثم يكتبها ؛ فكذلك أنتم ومن يقول بالاتحاد ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الإشارة إلى الطرق النقلية الدالة على أن الله سبحانه فوق سمواته على عرشه

ولقد أتى في عشر أنواع من الـ ـمنقول في فوقيـة الرحمن

مع مثلها أيضاً يزيد بواحد ها نحن نسردها بلا كتمان

منها استواء الرب فوق العرش في سبع أتت في محكم القرآن

وكذلك اطردت بلا لام ولو كانت بمعنى اللام في الأذهان

لأتت بها في موضع كي يحمل الـ ـباقي عليها بالبيان الثاني

ونظير ذا إضمارهم في موضع حملاً على المذكور في التبيان

لا يضمرون مع اطراد دون ذكـ ـر المضمر المحذوف دون بيان

بل في محل الحذف يكثر ذكره فإذاهم ألفوه ألف لسان

حذفوه تخفيفاً وإيجازاً فلا يخفى المراد به على الانسان

هذا ومن عشرين وجهاً يبطل التـ ـفسير باستولى لذي العرفان

قد أفردت بمصنف لإمام هـ ـذا الشأن بحر العالم الحراني

هذا هو الدليل الأول من أدلة علو الله سبحانه على عرشه .

قوله : في سبع أتت في محكم القرآن ، وهي قوله تعـــالى في سورة الأعراف (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ وفي سورة يونس (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش) يونس : ٣ وفي سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش) الرعد : ٢ وفي سورة الفرقان (ثم استوى على العرش الرحمن) الفرقان : ٥٩ وفي طه (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وفي سورة السجدة (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) السجدة : ٤ وفي سورة الحديـــد (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مـــا يلج في الأرض وما يخرج منها) الحديد : ٤ الآية .

قوله : وكذلك اطردت بلا لام الخ ... أي : أن لفظة استوى اطردت بلا لام ؛ أي : بلا لام استولى ، فلو كانت بمعنى اللام ، لأتت باللام في بعض المواضع ، كي يحمل الباقي عليها ، كما أنهم يضمرون في موضع ليحمل الباقي عليه في مواضع أخر ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى في « الصواعق المرسلة » في إبطال تفسير الاستواء بالاستيلاء : الوجه الرابع : أن هذا اللفظ قـــد اطرد في القرآن والسنة حيث ورد بلفظ الاستواء ، دون الاستيلاء ، ولو كان معناه استولى ، لـكان استعماله في اكثر موارده كذلك ، فاذا جاء موضع أو موضعان بلفظ استوى حمل على معنى استولى ، لأنه المألوف المعهود ، وأما أن يأتي إلى لفظ قد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد ، فيدعى صرفه في الجميع إلى معنى لم يعهد استعماله فيه ، ففي غاية الفساد ، هذا ولم يكن

في السياق ما يأبى حمله على غير معناه الذي اطرد استعماله فيه ، فكيف وفي السياق ما يأبى ذلك ؟! انتهى .

قوله : هذا ومن عشرين وجهاً يبطل التفسير باستولى الخ ...أي : أن شيخ الاسلام أفرد مصنفاً في تفسير قوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ طه : ٥ وأبطل تفسير الاستواء بالاستيلاء من عشرين وجهاً ، وزاد الناظم وجهاً ، فصارت إحدى وعشرين . وفي « الصواعق المرسلة » رد تفسير الاستواء بالاستيلاء من أربعين وجهاً .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وثانيها صريح علوه ... وله بحكم صريحه لفظان

لفظ العلي ولفظة الأعلى معر ... فة (أتتك هنا)[1] لقصد بيان

إن العلو له بمطلقه على الـ ... ـتعميم والاطلاق بالبرهان

وله العلو من الوجوه جميعها ... ذاتا وقهراً مع علو الشان

لكن نفاة علوه سلبوه إكما ... ل العلو فصار ذا نقصان

حاشاه من إفك النفاة وسلبهم ... فله الكمال المطلق الرباني

وعلوه فوق الخليقة كلها ... فطرت عليه الخلق والثقلان

لا يستطيع معطل تبديلها ... أبداً وذلك سنة الرحمن

---

(١) ما بين القوسين ، زيادة لم تكن في الاصل ، ولا يستقيم الوزن بدونها .

كل إذا ما نابه أمر يرى　　متوجهاً بضرورة الإنسان
نحو العلو فليس يطلب خلفه　　وأمامه أو جانب الإنسان
ونهاية الشبهات تشكيك وتخـميش　　وتغيير على الإيمان
لا يستطيع تعارض المعلوم والـمعقول عند بداية الأذهان
فمن المحال القدح في المعلوم بالشـبهات　　هذا بيّن البطلان
واذا البداية قابلتها هذه الشـبهات لم تحتج إلى بطـلان
شتان بين مقالة أوصى بها　　بعض لبعض أول للثاني
ومقالة فطر الاله عباده　　حقاً عليها ما هما عدلان

هذا هو الدليل الثاني من أدلة علو الله على خلقه ، وحاصل كلام الناظم أن الله تعالى وصف نفسه بالعلو ، وأتى في ذلك لفظان : أحـدهما : لفظ العلي في قوله تعالى (وهو العلي العظيم) البقرة : ٢٥٥ والثاني : لفظ الأعلى كما في قوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى) الأعلى : ١ وذلك لبيان أن العلو مطلقاً له سبحانه ، أي : علو الذات ، وعلو القدر ، وعلو القهر . وأما النفاة ، فلم يثبتوا له سبحانه إلا علو القدر ، وعلو القهر ، ونفوا علو الذات ، تعالى الله عما يقولون . وقد احتج الناظم عليهم بما فطر الله تعالى عليه الخليقـة مسلمها و كافرها ، بل هو شيء فطر الله عليه الثقلين ، ولهذا ترى الخلق مجمعين على ذلك ، فترى من نابه أمر يتوجه نحو العلو ضرورة ، وقـد تقدم ما أورده أبو جعفر الهمداني على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني في ذلك ،

وأنه قال له : يا أستاذ ، أخبرنا عن هذه الضروة التي نجدها في قلوبنا ، ما قال قط عارف ، يا الله : إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، أراد الشيخ أن إقرار الفطر بأن معبودها ومدعوها فوق ، هو أمر ضروري عقلي فطري ، وأنت دليلك في نفي العلو نظري ، والنظري لا يعارض الضروري ، وذلك نحو ما يجيبون به عن هذا القصد الضروري ، مثل قولهم : إن السماء قبلة الدعاء ، ومثل معارضتهم ذلك بوضع الساجد جبهته على الأرض ، ونحو ذلك ، كما أشار الى ذلك الناظم بقوله : ونهاية الشبهات تشكيك وتخميش .

وقوله : وإذا البداية قابلتها هذه الشبهات ؛ أي : أن علو الرب سبحانه فوق خلقه أمر معلوم بالفطرة والبداهة ، فلا يعارض بالنظريات والشبهات ، فأما قولهم : إن السماء قبلة الدعاء ، فقول باطل لم يقله أحد من سلف الأمة ، ولا أنزل الله به من سلطان ، والذي صح أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة ، وقد صرح العلماء بأنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة ، وقد استقبل النبي ﷺ الكعبة في دعائه في مواطن كثيرة ، فمن قال : إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة ، فقد ابتدع في الدين ، وخالف جماعة المسلمين ، وأما ثانياً ، فلأن القبلة ما يستقبله الداعي بوجهه ، كما نستقبل الكعبة في الصلاة ، وما حاذاه الإنسان بيديه أو رأسه مثلاً ، لا يسمى قبلة أصلاً ، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها ، ولم يثبت ذلك في شرع أصلاً ، وأما النقض بوضع الجبهة ، فما أفسده من نقض ! فإن واضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل ، لا أن يميل اليه ، إذ هو تحته ، بل هذا لا يخطر بقلب ساجد . وأيضاً فالساجد في نفس السجود يصرح بأن ربه هو الأعلى سبحانه وتعالى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وثالثها صريح الفوق مـصحوبا بمن وبدونها نوعان

إحداهما هو قابل التأويل والـ أصل الحقيقة وحدها ببيان

فإذا ادعى تأويل ذلك مدع لم تقبل الدعوى بلا برهان

لكنما المجرور ليس بقابل الـتأويل في لغة وعرف لسان

وأصخ لفائدة جليل قدرها تهديك للتحقيق والعرفان

إن الكلام إذا أتى بسياقه يبدي المراد لمن له أذنان

أضحى كنص قاطع لا يقبل التأويل يعرف ذا أولو الأذهان

فسياقه الألفاظ مثل شواهد الـ أحوال إنهما لنا صنوان

إحداهما للعين مشهود بها لكن ذاك لمسمع الإنسان

فإذا أتى التأويل بعد سياقه تبدي المراد أتى على استهجان

وإذا أتى الكتمان بعد شواهد الـ أحوال كان كأقبح الكتمان

فتأمل الألفاظ وانظر ما الذي سيقت له ان كنت ذا عرفان

والفوق وصف ثابت بالذات من كل الوجوه لفاطر الأكوان

لكن نفاة الفوق ماو فوا به جحدوا كمال الفوق للديان

بل فسروه بأن قدر الله أعـــلى لا بفوق الذات للرحمن

قالوا وهذا مثل قول الناس في ذهب يرى من خالص العقيان

هو فوق جنس الفضة البيضاء لا بالذات بل في مقتضى الأثمان

والفوق أنواع ثلاث كلها لله ثابتة بلا نكران

هذا الذي قالوا وفوق القهر والـــفوقية العليا على الأكوان

هذا هو الدليل الثالث من أدلة علو الله تعالى على خلقـه ، وهو صريح الفوق، مصحوباً بـ(من) كما في قوله سبحانه (يخافون ربهم من فوقهم)النحل ٥٠ وأتى صريح الفوق أيضاً غير مصحوب بـ(من). كقوله تعالى : (وهو القاهر فوق عباده) الانعام : ١٨ ، ٦١ وذكر رحمه الله تعالى أن المجرور بـ(من) لا يقبل التأويل أصلاً، وأما غير المجرور بـ(من) فإن ادعى مدع تأويله لم يقبل منه، لأن الأصل الحقيقة، فلا تقبل دعوى المجاز بغير دليل، ولا دليل هناك، وهذا في غاية الظهور.

قوله : وأصخ لفائدة جليل قدرها الخ مضمون هذه الفائدة قد ذكره الناظم في موضع آخر ، فقال : المجاز والتأويل لا يدخل في النصوص ، وإنما يدخل في الظاهر المحتمل له ، وكون اللفظ نصاً يعرف بشيئين : أحدهما عدم احتماله لغير معناه وضعا. والثاني : ما اطرد استعماله على طريقة واحدة في جميع موارده ، فانه نص في معناه ، لا يقبل تأويلا ولا مجازاً ، وإن قدر تطرق ذلك الى بعض أفراده ، وصار بمنزلة خبر التواتر ، لا يتطرق احتمال الكذب إليه ، وان تطرق الى كل واحد بمفرده ، وهذه قاعده نافعة تدل

على خطأ كثير من التأويلات للسمعيات التي اطرد استعمالها في ظاهرها ، وتأويلها والحالة هذه غلط ، فان التأويل إنما يكون لظاهر قد ورد شاذاً مخالفاً لغيره من السمعيات ، فيحتاج إلى تأويله ليوافقها ، وأما إذا اطردت كلها على وتيرة واحدة ، صارت بمنزلة النص وأقوى ، وتأويلها ممتنع . انتهى .

قولـــه :

والفوق وصف ثابت بالذات من كل الوجوه لربنا الرحمن

أي : فوقية الذات ، وفوقيه القدر ، وفوقية القهر ، ثابتة لربنا سبحانه ، لكن المعطلة جحدوا فوقية الذات ، وتأولوها بقولهم : ان هذا مثل قول الناس في الذهب : وإنه فوق الفضة . أي فوقية القدر ، والأمير فوق الوزير . ومعلوم أن هذا مما تنفر منه العقول السليمة ، فان قول القائل ابتداءً : الله خير من عباده ، أو خير من عرشه ، من جنس قوله : الثلج بارد ، والنار حارة ، والشمس أضوء من السراج ، والسماء أعلى من سقف الدار ، ونحو ذلك ، وليس في ذلك أيضاً تمجيد ولا تعظيم لله تعالى ، بل هو من أرذل الكلام ، فكيف يليق حمل الكلام المجيد عليه وهو الذي لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً؟!.

قال النّاظم رَحمهُ الله تعَالى :

فصل

هذا ورابعها عروج الروح والـــ أملاك صاعدة الى الرحمن

ولقد أتى في سورتين كلاهما اشـــتملا على التقدير بالأزمان

في سورة فيها المعارج قدرت خمسين ألفاً كامل الحسبان

وبسجدة التنزيل ألفاً قدرت فلأجل ذا قالوا هما يومان

يوم المعاد بذي المعارج ذكره واليوم في تنزيل في ذا الآن

وكلاهما عندي فيوم واحد وعروجهم فيه الى الديان

فالألف فيه مسافة لنزولهم وصعودهم نحو الرفيع الداني

هذي السماء فإنها قد قدرت خمسين في عشر وذا ضعفان

لكنما الخمسون ألف مسافة الــــسبع الطباق وبعد ذي الأكوان

من عرش رب العالمين إلى الثرى عند الحضيض الاسفل التحتاني

واختار هذا القول في تفسيره الـــبغوي ذاك العالم الرباني

ومجاهد قد قال هذا القول لــكن ابن اسحاق الجليل الشان

قال المسافة بيننا والعرش ذا الــــمقدار في سير من الإنسان

والقول الاول قول عكرمة وقو ل قتادة وهما لنا علمان

واختاره الحسن الرضى ورواه عن بحر العلوم مفسّر القرآن

ويرجح القول الذي قد قاله ساداتنا في فرقهم أمران

إحداهما ما في الصحيح لمانع لزكاته من هذه الأعيان

يكوى بها يوم القيامة ظهره   وجبينه وكذلك الجنبان
خمسون ألفاً قدر ذاك اليوم في   هذا الحديث وذاك ذو تبيان
فالظاهر اليومان في الوجهين يو   م واحد ما ان هما يومان
قالوا وايراد السياق يبين الـ   ـمضون[1] منه بأوضح التبيان
فانظر الى الإضمار ضمن يرونه   ونراه[2] ما تفسيره ببيان
فاليوم بالتفسير أولى من عذا   ب واقع للقرب والجيران
ويكون ذكر عروجهم في هذه الـ   ـدنيا ويوم قيامة الأبدان
فنزولهم أيضاً هنالك ثابت   كنزولهم أيضاً هنا للشان
وعروجهم بعد القضا كعروجهم   أيضاً هنا فلهم إذاً شأنان
ويزول هذا السقف يوم معادنا   فعروجهم للعرش والرحمن
هذا وما نضجت لدي وعلمها الـ   ـموكول بعدُ لمنزل القرآن
وأعوذ بالرحمن من جزم بلا   علم وهذا غاية الإمكان
والله أعلم بالمراد بقوله   ورسوله المبعوث بالفرقان

هذا هو الدليل الرابع من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهو عروج الروح والملائكة إليه تعالى.

قوله : ولقد أتى في سورتين كلاهما الخ .. ففي سورة المعارج قال : (تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) المعارج: ٤

(١) في الاصل : المقصود .   (٢) في الاصل : ورآه

وفي سورة السجدة قال : (يدبر الامر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار ألف سنة مما تعدون) السجدة : ٥ والمراد بالروح هنا جبريل عليه السلام ، يعرج الى الله تعالى . واختلف المفسرون في تفسير الآيتين ، وقد حكى الناظم ذلك الاختلاف ، واختار أنهما يوم واحد ، وأن المراد في آية السجدة من الأرض إلى السماء الدنيا ألف سنة ، مسافة لصعودهم ونزولهم ، وذلك الف سنة ، وأما في سورة (المعارج) فالمعنى أن ذلك مسافة السبع الطباق ، من العرش إلى الثرى ، أي : أسفل الأرض السابعة ، وذكر أن البغوي اختار هذا القول ، وهو قول مجاهد ، والقول الأول قول عكرمة ، وقتاده ، والحسن . وعبارة البغوي في تفسيره ، قال قوله تعالى : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) من سني الدنيا لو صعد غير الملك ، وذلك أنها تصعد من منتهى أمر الله من الأرض السابعة إلى منتهى أمر الله فوق السماء السابعة . وروى ليث عن مجاهد ، أن مقدار هذا خمسين ألف سنة ، وقال محمد بن إسحاق : لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة وقال عكرمة ، وقتادة : وهو يوم القيامة ، وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسين ألف سنة من سني الدنيا ، ليس يعني به أن مقدار طوله هذا دون غيره ، لأن يوم القيامة له أول وليس له آخر ، لأنه يوم محدود ، ولو كان له آخر ، كان منقطعاً . وروي عن أبي طلحة عن ابن عباس قال : يوم القيامة يكون على الكافر مقدار خمسين ألف سنة . ثم روى باسناده عن أبي سعيد الخدري قال : قيل لرسول الله ﷺ عليه وسلم : يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فما أطول هذا اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا »[١] وقيل معناه

(١) رواه أحمد في « مسنده » وفي سنده . دراج أبو السمح ، وشيخه ابو الهيثم ، وهما ضعيفان .

لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله ، لم يفرغ منـه في خمسين الف سنة ،وهذا معنى قول ابن عباس ، ومقاتل . قـال عطاء : ويفرغ الله في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا . انتهى كلام البغوي . واحتج الناظم لما اختاره بما في « الصحيح » عنه ﷺ في عقوبة مانع الزكاة أنها تحمى عليه صفائح من نار فيكوى بها جبينه ، وظهره ، وجنبه كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ... الحديث[١] قوله : وما نضجت لدي الخ ... قال في « القاموس » نضج التمر واللحم نُضجاً ونَضجاً ، أدرك فهو نضيـج ، وناضج ، وأنضجته ، وهو نضيـج الرأي : محكمه . انتهى . يعني الناظم أن هذه المسألة لم تنضج عنده ، ولهذا فوض علمها الى الله سبحانه ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وخامسها صعود كلامنا ... بالطيبات اليه والاحسان

وكذا صعود الباقيات الصالحا ... ت اليه من اعمال ذي الايمان

---

(١) في « الصحيحين » عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بهـا جنبه وجبهته وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما الى الجنة وإما الى النار..»

وكذا صعود تصدق من طيّب أيضاً اليه عند كل أوان
وكذا عروج ملائك قد وكلوا منّا بإعمــال وهم بدلان
فاليه تعرج بكرة وعشية والصبح يجمعهم على القرآن
كي يشهدون ويعرجون[١] اليه بالــ أعمال سبحان العظيم الشان
وكذاك سعي الليل ترفعه الى الــرحمن من قبل النهار الثاني
وكذاك سعي اليوم يرفعه له من قبل ليل حافظ الانسان
وكذاك معراج الرسول اليه حــق ثابت ما فيه من نكران
بل جاوز السبع الطباق وقد دنا منه[٢] الى أن قدرت قوسان
بل عاد من موسى اليه صاعدا خمساً عداد الفرض في الحسبان
وكذاك رفع الروح عيسى المرتضى حقاً اليه جاء في القرآن
وكذاك تصعد روح كل مصدّق لما تفوز بفرقة الأبدان
حقاً اليه كي تفوز بقربــه وتعود يوم العرض للجثمان
وكذا دعا المضطر أيضاً صاعد أبداً اليـــه عند كل أوان
وكذا دعا المظلوم أيضاً صاعد حقاً اليه قاطع الاكوان

هذا هو الدليل الخامس على علو الرب تعالى فوق خلقه ، ذكر الناظم مما يدل على ذلك قوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠ وكذا ذكر صعود الباقيات الصالحات . هذا من القرآن .

---

(١) كان حقه ان يقول : يشهدوا ، ويعرجوا ، بحذف نونهما ، ولكن اثبتهما لضرورة وزن الشعر .

(٢) الصواب ان الدنو كان لجبريل عليه السلام ، دنا من محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس الدنو للرسول صلى الله عليه وسلم نحو ربه ، انظر الصفحة «١٩٩» في هذا الموضوع .

قوله : وكذا صعود تصدق من طيب الخ يشير الى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يصعد الى الله الا الطيب ، فان الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه ، حتى تكون مثل الجبل » متفق عليه .

وحديث أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « الملائكة يتعاقبون[1] فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر ، وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو اعلم بهم : كيف تركتم عبادي ، فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون » متفق عليه .

قوله : وكذلك سعي الليل يرفعه الخ . يشير الى حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النار أو ـ النور ـ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه »[2] رواه مسلم .

وكذلك معراج الرسول الخ . تقدم الكلام في المعراج . وقوله : وكذلك رفع الروح عيسى المرتضى . يشير الى قوله تعالى (بل رفعه الله اليه) النساء : ١٥٨ قوله : وكذلك تصعد روح كل مصدق الخ . يشير الى حديث ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن الميت تحضره الملائكة ، فاذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، أبشري بروح وريحان ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج

---

(١) لقد ورد هذا الحديث في « صحيح البخاري » بعدة ألفاظ منها هذا ، ومنها « يتعاقبون فيكم ملائكة » على لغة بالحارث وهو كذلك في « صحيح مسلم » ومنها : « إن لله ملائكة يتعاقبون » وجاء في « الحلية » بسند صحيح بلفظ « إن الملائكة فيكم يعتقبون » .

(٢) في الاصل : « لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » والتصحيح « من صحيح مسلم » رقم (٢٩٣) .

ثم يعرج بها الى السماء ، فيستفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان فيقال مرحباً بالنفس الطيبة ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها الى السماء التي فيها الله تعـالى » وذكر الحديث . رواه أحمد في « مسنده » والحاكم في « مستدركه » وقال : هو على شرط البخاري ومسلم . ورواه أئمة عن ابن أبي ذئب .

قوله : وكذا دعا المظلوم أيضاً صاعد . عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقو دعوة المظلوم ، فانها تصعد إلى الله كأنها شرارة »[١] قال الذهبي : غريب . وإسناده جيد ، وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مامن حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا ، يرى في أول الصحيفه خيراً وفي آخرها خيراً إلا قال الله لملائكته : أشهدكم أني قد غفرت لعبدي مابين طرفي الصحيفة »[٢] رواه أبو يعلى ، والبزار .

قوله : وقد دنا منـه إلى أن قدرت قوسان . ظاهر كلام الناظم عود الضمير إلى الرب عز وجل ، وأنه هو الذي دنا فتدلى ، وهذا على أحد التفسيرين في الآية[٣] ولكن هذا خلاف ما اختاره في غير هذا الموضع . فانه قال بعـد كلام ذكره : لأن جبريل هو الموصوف بما ذكر من أول السورة الى قوله (ولقد رآه نزلة اخرى ، عند سدرة المنتهى) النجم ١٣-١٤

---

(١) رواه الحاكم ، وقال : رواته متفق على الاحتجاج بهم إلا «عاصم» بن كليب فاحتج به مسلم وحده .

(٢) رواه ابو يعلى في « مسنده » والبزار ، والبيهقي عن أنس بن مالك . وفي سنده (تمام بن نجيح) قال الحافظ في « التقريب » ضعيف .

(٣) الحق ان الضمير في قوله تعالى (ثم دنا فتدلى) يعود على جبريل . انظر التعليق الذي على الصفحة (١٩٩) .

هكذا فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح لعائشة. قالت عائشة رضي الله عنها : سألت رسول الله ﷺ عن هـــذه الآية فقال : « ذاك جبريل ، لم أره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين » رواه مسلم . قال : ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك ، ثم ساق سبعة أوجه دالة على ذلك . قال : وأما ما وقع في البخاري من رواية شريك عن أنس « ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى » فقد تكلم الناس فيه وقالوا : إن شريكا غلط فيه ، وذكر فيــه أموراً منكرة . قال : والدنو والتدلي الذي في حديث شريك غير هــذا ، وجزم ابن كثير بأن الدنو والتدلي الذي في حديث شريك غير الذي في الآية . وقـــال أيضاً في تفسير الذي (دنا فتدلى) إنه جبريل ، هذا هو الصحيح في التفسير ، كما دل عليـــه كلام الصحابة رضي الله عنهم . واختلف في المراد من قوله تعـالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) أي حيث الوتر من القوس ، قاله مجاهد. وقال أبو عبيدة: قاب قوسين ، أي : دار قوسين ، أو أدنى ، أو أقرب . والقاب : ما بين القبضة والسية من القوس. قال الواحدي: هذا قول الجمهور من المفسرين أن المراد بالقوس التي يرمى بها. قال: وهل المراد بها الذراع ، لأنه يقاس بها الشيء؟ قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» : وينبغي أن يكون هذا القول هو الراجح : فقد أخرج ابن مردويه باسناد صحيح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : القاب : القدر ، والقوسان : الذراعان[1] . ويؤيده أنه لو كان المراد به القوس التي يرمى بها ، لم يمثل بذلك ليحتاج الى التنبيه ، فكان يقـال مثلًا: قاب رمح ، أو نحو ذلك . انتهى ، والقاب ، والقيب ، والقاد ، والقيد : المقدار ، ذكر معناه في الصحاح . انتهى .

---

(١) في الاصل : والقوسين : الذراعين .

قال الناظم رحمهُ الله تعالى :

فصل

هذا وسادسها وسابعها النزو ... ل كذلك التنزيل للقرآن

والله أخبرنا بأن كتابه ... تنزيله بالحق والبرهان

أيكون تنزيلاً وليس كلام من ... فوق العباد أذاك ذو إمكان

أيكون تنزيلاً من الرحمن والـ ... ـرحمن ليس مباين الأكوان

وكذا نزول الرب جلاله ... في النصف من ليل وذاك الثاني

من ذاك يسالني فيعطى سؤله ... من ذا يتوب إليَّ من عصيان

فيقول لست بسائل غيري بأحـ ... ـوال العباد أنا العظيم الشان

من ذاك يسألني فأغفر ذنبه ... فأنا الودود الواسع الغفران

من ذا يريد شفاءه من سقمه ... فانا القريب مجيب من ناداني

ذا شأنه سبحانه وبحمده ... حتى يكون الفجر فجراً ثاني

يا قوم ليس نزوله وعلوه ... حقاً لديكم بل هما عدمان

وكذاك ليس يقول شيئاً عندكم ... لا ذا ولا قولاً[1] سواه ثان

كل مجاز لا حقيقة تحته ... أوّل وزد وانقص بلا برهان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الدليل السادس والسابع من أدلة العلو ، وهما التنزيل ، والنزول . قال الله تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز

---

(١) في الاصل : قول .

العليم) غافر : ٢ وقال تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) النحل ١٠٢ وقال تعالى : (تنزيل من حكيم حميد) فصلت : ٤٢ قال الناظم رحمه الله تعالى في « بدائع الفوائد » في الكلام على قوله تعالى: (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) غافر : ٢ إلى قوله : (المصير) غافر : ٣ افتتح الآية بقوله تعالى : (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) والتنزيل يستلزم علو المنزل عند (من) لا تعقل العرب من لغاتها ، بل ولا غيرها من الأمم إلا ذلك . وقد أخبر أن تنزيل الكتاب منه ، فهذا يدل على شيئين : أحدهما : علوه تبارك وتعالى على خلقه . والثاني : أنه هو المتكلم بالكتاب المنزل ، لا غيره ، فانه أخبر أنه منه ، وهذا يقتضي أن يكون منه قولاً . كما أنه منه تنزيلا ، فان غيره لو كان هو المتكلم به ، لكان الكتاب من ذلك الغير ، فان الكلام إنما يضاف الى المتكلم به ، ومثل هذا (ولكن حق القول مني) السجدة : ١٣ ومثله (نزله روح القدس من ربك بالحق) النحل : ١٠٢ ومثله (تنزيل من حكيم حميد) فصلت : ٤٢ فاستمسك بحرف (من) في هذه المواضع ، فانه يقطع شغب المعتزلة والجهمية ، وتأمل كيف قال : تنزيل منه ، ولم يقل : تنزيله ، فتضمنت الآية إثبات علوه ، وكلامه ، وثبوت الرسالة . انتهى المقصود منه .

وقوله : وكذا نزول الرب الخ . يشير الى حديث النزول ، وهو متواتر عن رسول الله ﷺ قال: « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة حين يبقى ثلث الليل ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » أخرجه أصحاب الصحاح ، كالبخاري ، ومسلم ، واخرجه غيرهما . قال الحافظ الذهبي : وقد ألفت أحاديث النزول في جزء ، وذلك متواتر ، أقطع به . قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في « شرح الموطأ » لما تكلم على حديث النزول ، قال : هذا حديث ثابت من جهة النقل ، صحيح

الاسناد ، لايختلف أهل الحديث في صحته ، وهو منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي ﷺ ، وفيه دليل على ان الله عز وجل في السماء على العرش ، من فوق سبع سموات ، كما قاله الجماعة ، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم : إن الله تعالى في كل مكان بذاته المقدسة . قال : والدليل على صحة قول أهـل الحق قول الله تعالى . وذكر بعض الآيات ... الى أن قال : وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج الى اكثر من حكايته ، لأنه اضطرار لم يخالفهم عليه أحد ، ولاأنكره عليهم مسلم . وقـول الناظم : فيقول : لست بسائل غـيري الخ . يشير الى الحديث الذي رواه النسائي ، وابن ماجه ، وغيرهما بسند صحيح ، أنه تعالى يقول : «لا يسأل عن عبادي غيري »

وقوله : ياقوم ليس نزوله وعلوه حقاً لديكم بل هما عدمان ، يعني أن النزول والعلو عندهم باطلين ، فلهذا حرفوا نصوص الفوقية والنزول ، كما روى بعضهم حديث النزول ،(ينزل) بالضم ، وهـذا كما قرأ بعضهم ، (وكلم الله موسى تكليما) النساء : ١٦٤ ونحو ذلك من تحريفهم اللفظ والمعنى . وبعضهم يفسر النزول بنزول الرحمة ، أو نزول ملك أو غـير ذلك . فيقال له : الرحمة التي تثبتها ، إما أن تكون عيناً قائمة بنفسها ، وإما أن تكون صفة قائمة بغيرها ، فان كانت عينا وقد نزلت الى السماء الدنيا ، لم يمكن أن تقول : « من يدعوني فأستجيب له » كما لا يمكن الملك أن يقول ذلك ، وأن كانت صفة من الصفات ، فهي لاتقوم بنفسها ، بل لابد لها من محل ، ثم لا يمكن الصفة أن تقول هـذا الكلام ، او محلها ، ثم اذا نزلت الرحمة الى السماء الدنيا ولم تنزل إلينا ، فأي منفعة في ذلك .

والحاصل كما قال الناظم : إن هذه النصوص عند المعطلة مجاز لا حقيقة،
ولهذا قال عنهم : أول وزد وانقص بلا برهان .

قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

فصل

هــذا وثامنها بسورة غافر هو رفعة الدرجات للرحمن
درجاته مرفوعة كمعارج أيضاً له وكلاهما رفعان
وفعيل فيها ليس معنى فاعل وسيــاقها يأباه ذو التبيان
لكنها مرفوعة درجاته لكمال رفعته على الأكوان
هذا هو القول الصحيح فلا تحد عنه وخذ معناه في القرآن
فنظيرها المبدي لنا تفسيرها في ذي المعارج ليس يفترقان
والروح والأملاك تصعد في معــارجه إليه جل ذو السلطان
ذا رفعة الدرجات حقاً ماهما إلا سواء او هما شبهان
فخذ الكتاب ببعضه بعضا كذا تفسير أهل العلم للقرآن

ذكر الناظم الدليل الثامن على العلو ، وهو رفعة الدرجات . ومعنى رفعة الدرجات ، أن درجاته تعالى مرفوعة ، لكمال رفعته ، وليس رفيع هنا بمعنى رافع ، كما تقوله المعطلة . وأشار الى ذلك بقوله : وفعيل فيها ليس

معنى فاعل . قال ابن كثير في « تفسيره » تحت قوله تعـالى : (رفيع الدرجات ذو العرش) غافر : ١٥ الاية : يقول تعـالى مخبراً عن عظمته و كبريائه ، وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته ، كالسقف لها ، كما قال تعالى (من الله ذي المعارج . تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) المعارج : ٣ ، ٤ وسيأتي إن شاء الله بيان أن هذه مسافة مابين العرش الى الارض السابعة في قول جماعة من السلف والخلف ، وهو الأرجح إن شاء الله . وقد ذكر غير واحد أن العرش من ياقوتة حمراء، اتساع مابين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة، وارتفاعه من الارض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة . وفي حديث الأوعال[١] مايدل على ارتفاعه عن السموات السبع بشيء عظيم . أنتهى .

قوله : فنظيرها المبدي لنا تفسيرها الآيه ، أي : أن هذه الآية الكريمة تفسير آية سورة هي غافر)، وقوله تعالى (تعرج الملائكة والروح اليـه) المعارج : ٤ فالمعنى أن الروح والأملاك تصعد في معارجه اليه تعالى .

قوله : فيخذ الكتاب ببعضه ، أي فسر بعض القرآن ببعض كما هو سبيل أهل العلم والإيمان ، جعلنا الله منهم .

قال النّاظم رَحمهُ الله تعَالى :

فصل

هذا وتاسعها النصوص بأنه ... فوق السماء وذا بلا حسبان

فاستحضر الوحيين وانظر ذاك تلـ ... ـقاه مبيناً واضح التبيان

---

(١) وهو حديث ضعيف ، رواه الترمذي . وابو داود وفي سنده (عبد الله بن عميرة) قال الذهبي : فيه جهالة .

ولسوف نذكر بعض ذلك عن قريـــب كي تقوم شواهد الايمان
واذا أتتك فلا تكن[1] مستوحشاً منها ولا تك عندها بجبان
ليست تدل على انحصار إلهنا عقلاً ولا عرفاً ولا بلسان
إذ أجمع السلف الكرام بأن معـــناها كمعنى فوق بالبرهان
او ان لفظ سمائه يعنى به نفس العلو المطلق الحقان
والرب فيه وليس يحصره من الـــمخلوق شيء ز ذو السلطان
كل الجهات بأسرها عدمية من حقه هو فوقها ببيان
قد بان عنها كلها فهو المحيـــط ولا يحاط بخالق الأكوان
ماذاك ينقم بعد ذو التعطيل في وصف العلو لربنا الرحمن
ايرد ذو عقل سليم قط ذا بعد التصور يا اولي الأذهان
والله مارد امرؤٌ هـــذا بـــغير الجهل او بجمية الشيطان

هذا هو الدليل التاسع على علو الرب سبحانه فوق خلقه ، وهذه[2] نصوص الفوقية من الكتاب والسنة ، كقوله تعـــالى (يخافون ربهم من فوقهم) وقوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) الانعام : ٦١ الاية

وروى الحافظ الذهبي في كتاب « العلو » عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (ثم لآتينهم من بين أيديهم) قـــال : لم يستطيع أن يقول : (من فوقهم) علم أن الله تعالى من فوقهم . وأما الأحاديث ، فعن زينب

---

(١) في الاصل : وإذا أتت في لا تكن . (٢) في الاصل وهي .

بنت جحش أنها كانت تقول للنبي ﷺ : زوجنيك الرحمن من فوق عرشه وفي لفظ البخاري ، كانت تقول : إن الله أنكحني من فوق سبع سموات. وروى البخاري عن انس رضي الله عنه قال : جاء زيد ابن حارثة يشكو ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : «اتق الله الحديث..» وفيه : وكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ ، تقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات . وفي رواية للبخاري عن أنس ، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ ، وكانت تقول إن الله أنكحني في السماء. وعن سعد ابن أبي وقاص ، أن النبي ﷺ قال لسعد ، يعنى ابن معاذ : « لقد حكمت اليوم فيهم - يعنى بني قريظة - بحكم الملك من فوق سبع سموات » قال الذهبي : هذا حديث صحيح . وقد رواه الأموي في المغازي عن ابن عباس ، أن سعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة ، قال له رسول الله ﷺ : « لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع أرقعة »[١] وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ «: بينا أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فاذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة . قال : وذلك قوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) يس : ٥٨ قال : فينظر اليهم ، وينظرون اليه ، فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ماداموا ينظرون اليه ، حتى يحتجب عنهم ، ويبقى نوره » . رواه ابن ماجه ! وعن العباس بن عبد المطلب ، قال : كنا بالبطحاء جلوساً مع رسول الله ﷺ ، فمرت سحابة ، فقال رسول الله ﷺ : «أتدرون ماهذا؟ قلنا السحاب قال: « والمزن» : قلنا والمزن. قال: والعنان. فسكتنا. قال : « هل تدرون كم بين السماء والارض ؟» قلنا: الله ورسوله أعلم . قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء

---

(١) رواه بنحو هذا اللفظ ابن اسحاق من مرسل علقمة بن وقاص . والذي في البخاري : « لقد قضيت بحكم الله - وربما قال : بحكم الملك » .

الى سماء مسيرة خمسمائة ، و كثف كل سماء مسيرة خمسائة سنة ، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض ، والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من أعمـال بني آدم . وعن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ نحوه . أخرجه أبو داود[١] وأخرجه ابن ماجه بلفظ آخر ، ويرويه ابراهيم بن طهمان ، وعمرو بن (أبي) قيس عن سماك وقد حسنه الترمذي[٢] . وأخرجه الحافظ الضياء في « المختارة » وأخرجه الذهبي من طريق آخر ، وفيه : ثم عد سبـع سموات كذلك ، ثم فوق ذلك بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء الى سماء ، وفوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن ما بين سماء الى سماء ، والعرش فوق ذلك ، والله فوق العرش اخرجه الحافظ ابو عبد الله ابن مندة في كتاب « التوحيد » قال الذهبي : قرأ على عمر بن عبد المنعم بـ (عربيل) ، وأنا أسمع عن ابي القاسم الحرستاني ، عن ابي عبد الله الغراوي قال : أنبا أبو بكر بن الحسين البيهقي في كتاب « الأسماء والصفات » له قال : وأنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو سعيد ابن أبي عمر ، وقالا : ثنا محمد ، ثنا هارون بن سليمان ، ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله قال : بين السماء والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماءين خمسمائة عام ، وبين السابعة والكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والكرسي فوق الماء ، والله فوق الكرسي ، ويعلم ما أنتم عليه . رواه بنحوه المسعودي عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل بدل (زر) ، عن عبد الله ، ولفظه : والله فوق ذلك ،

---

(١) رقم (٤٧٢٣) وفي سنده (الوليد بن أبي ثور) قال الحافظ ابن حجر في « التقريب ضعيف . وفيه أيضاً (عبدالله بن عميرة) . قال الحافظ الذهبي في « الميزان » فيه جهالة .

(٢) لم يحسنه الترمذي ، بل قال : هذا حديث غريب .

لا يخفى عليه شيء من أعمالكم . وله طرق[١] . انتهى كلامه .

قوله : ولسوف نذكر بعض ذلك عن قريب الخ .. يشير الى قوله تعالى (أأمنتم من في السماء) الملك : ١٦ والحديث الذي فيه « حتى ينتهى بها الى السماء التي فيها الله » ونحو ذلك. وذكر رحمه الله تعالى أن هذه النصوص لا تدل على انحصار إلهنا تعالى وتقدس ، لا عقلاً ولا عرفاً ، إذ أجمع السلف على أن معناها بمعنى فوق ، وأن لفظ السماء يعني به نفس العلو المطلق ، وسيأتي بسط الكلام في ذلك ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وعاشرها اختصاص البعض من أملاكه بالعند للرحمن

وكذا اختصاص كتاب رحمته بعنـــد الله فوق العرش ذو تبيان

لو لم يكن سبحانه فوق الورى كانوا جميعاً عند ذي السلطان

ويكون عند الله ابليس وجبريـــل هما في العند مستويان

هذا هو الدليل العاشر من أدلة علو الرب تعالى فوق خلقه ، وهو اختصاص بعض المخلوقات بالعندية له سبحانه ، كقوله تعالى (ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته) الأعراف : ٢٠٦ وقوله تعالى : (وله من في السموات والأرض ومن عنده) الأنبياء : ٢٩ الآية . وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده

---

(١) لا تخلو من ضعف

فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي »[١] وفي لفظ عن ابي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق : إن رحمتي سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش » وفي لفظ عن ابي هريرة « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه ، فهو مرفوع فوق العرش ، ان رحمتي تغلب غضبي » وفي لفظ عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه : ان رحمتي تغلب غضبي » فلو لم يكن الله جل وعلا فوق عرشه لما كان لتخصيص بعض الملائكة بالعند معنى ، ولكان إبليس وجبريل في العندية سواء ، نعوذ بالله من ذلك .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وتمام ذاك القول ان محبة الـ ـرحمن غير[٢] ارادة الأكوان

وكلاهما محبوبه ومراده وكلاهما هو عنده سيان

ان قلتم عندية التكوين فالـ ـذاتان عند الله مخلوقان

أو قلتم عندية التقريب تقـ ـريب الحبيب وما هما عدلان

فالحب عندكم المشيئة نفسها وكلاهما في حكمها مثلان

لكن منازعكم يقول بأنها عندية حقاً بلا روغان

جمعت له حب الإله وقربه من ذاته وكرامة الاحسان

والحب وصف وهو غير مشيئة والعند قرب ظاهر التبيان

---

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة . (٢) الاصل : عين .

حاصل هذه الأبيات أن محبة الله تعالى عندكم عين إرادته ، فلا يظهر وجه اختصاص العند بالملائكة ، لأنكم إن قلتم : إن المراد بالعندية التكوين ، فابليس وجبريل كلاهما عند الله مخلوقان مكونان ، فــلا يبقى للتخصيص بالعندية معنى ، وان قلتم : إن المراد بالعندية عندية المحبة ، فهو أيضاً لا يصح بناء على قولكم ، لأن المحبــة عندكم هي المشيئة نفسها ، وجبريل وإبليس في نفس المشيئة متساويان .

قال النّاظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وحادي عشرهن اشارة ... نحو العلو بأصبع وبنان

لله جل جــلاله لا غيره ... إذ ذاك اشراك من الانسان

ولقد أشار رسوله في مجمع الـــحج العظيم بموقف الغفران

نحو السماء بأصبع قد كرمت ... مستشهداً للواحد الرحمن

يارب فاشهد انني بلغتهم ... ويشير نحوهم لقصد بيان

فغدا البنان مرّفعاً ومصوّباً ... صلى عليك الله ذو الغفران

أديت ثم نصحت إذ بلّغتنا ... حق البلاغ الواجب الشكران

هــذا هو الدليل الحادي عشر من أدلة علو الله تعــالى على خلقه ، وهو إشارته ﷺ بأصبعه نحو السماء وينكبها(١) الى الناس ، ويقول : « اللهم اشهد »

(١) في نسخ مسلم التي بين ايدينا « ينكتها » بالتاء وفي بعض نسخ « سنن ابي داود » ينكبها بالباء

كما رواه مسلم في حديث جابر الطويل في خطبته ﷺ يوم عرفة، وفيه: « فقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون » قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت. فقال بأصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكبها إلى الناس: اللهم اشهد » ثلاث مرات.

قوله: ينكبها: يقال: نكب أصبعه: أمالها الى الناس، يريد بذلك أن يشهد الله عليهم، قاله ابن الاثير في غريب « جامع الاصول ».

قوله: ومصوباً. الصوب: المجيء من عل « قاموس ».

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فصل

هذا وثاني عشرها وصف الظهو ... ر له كما قد جاء في القرآن

والظاهر العالي الذي مافوقه ... شيء كما قد قال ذو البرهان

حقاً رسول الله ذا تفسيره ... ولقد رواه مسلم بضمان

فاقبله لاتقبل سواه من التفا ... سير التي قيلت بلا برهان

والشيء حين يتم منه علوه ... فظهوره في غاية التبيان

أو ما ترى هذي السما وعلوها ... وظهورها وكذلك القمران

والعكس أيضاً ثابت فسفوله ... وخفاؤه اذ ذاك مصطحبان

فانظر الى علو المحيط وأخذه صفة الظهور وذاك ذو تبيان

وانظر خفاء المركز الأدنى ووصف السفل فيه وكونه تحتاني

وظهوره سبحانه بالذات مثل علوه فهما له صفتان

لا تجحدنهما جحود الجهم أو صاف الكمال تكون ذا بهتان

وظهوره هو مقتض لعلوه وعلوه لظهوره ببيان

وكذاك قد دخلت هناك الفاء للتسبيب مؤذنة بهذا الشان

فتأملن تفسير أعلم خلقه بصفاته من جاء بالقرآن

إذ قال أنت كذا فليس لضده أبداً اليك تطرق الاتيان

ثبت في « صحيح مسلم » عن النبي ﷺ أنه قال : «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء » وعن مقاتل بن سليمان قال : بلغنا والله أعلم في قوله تعالى : (هو الأول) الحديد : ٣ قال : قبل كل شيء ، والآخر قال : بعد كل شيء ، والظاهر قال : فوق كل شيء ، والباطن ، قال : أقرب من كل شيء .

قوله : والشيء حين يتم منه علوه الخ ... أي : أن الشيء اذا كان في غاية العلو ضوءاً أظهر ما يكون ، والعكس أيضاً ثابت ، أي : كلما سفل الشيء كان في غاية الخفاء ، ثم مثل لذلك بالمحيط والمركز ، فان المحيط لتمام علوه في غاية الظهور ، والمركز لسفوله في غاية الخفاء ، ولهذا قال الناظم : وظهوره سبحانه بالذات مثل علوه ؛ أي : أن ظهوره سبحانه مقتض لعلوه وعلوه مقتض لظهوره .

وقوله : ولذلك قد دخلت هناك الفاء للتسبيب الخ .. يعني الفاء التي في قوله ﷺ « وأنت الظاهر فليس فوقك شيء » يعنى أنها فاء السببية ، والمراد بالمحيط هنا الفلك ، والمركز وسط الأرض .

قال النّاظم :

فصل

هذا وثالث عشرها أخباره ... انا نراه بجنة الحيوان

فسل المعطل هل يرى من تحتنا ... أم عن شمائلنا وعن أيمان

أم خلفنا وأمامنا سبحانه ... أم هل يرى من فوقنا ببيان

ياقوم ما في الأمر شيء غير ذا ... أو أن رؤيته بلا إمكان

إذ رؤية لا في مقابلة من الـرائي محال ليس في الإمكان

ومن ادعى شيئاً سوى ذا كان دعـواه مكابرة على الاذهان

هذا هو الدليل الثالث عشر من أدلة علو الله على خلقه ، وهو رؤيته تعالى في الجنة ، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « بينا أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فاذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة ، فذلك قوله عزوجل : (سلام قولاً من رب رحيم) يس : ٥٨ رواه ابن ماجه في « سننه » . وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أتاني جبريل عليه السلام وفي يده مرآة بيضاء ، فيها نكتة سوداء ، فقلت :

ماهذه ياجبريل ؟ قال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك عز وجل لتكون لك عيداً ، ولقومك من بعـــدك ، تكون أنت الأول ، وتكون اليهود والنصارى من بعدك . فقلت : مالنا فيها ؟ قال : لـكم فيها خير ، فيها ساعة من دعا الله تعالى فيها بخير هو له قسم إلا أعطاه إياه ، أو ليس له يقسم إلا ادخر له ماهو أعظم منه . قلت : ما هذه النكتة السوداء فيها ؟ قال : هي الساعة تقوم يوم الجمعة ، وهو سيد الأيام عندنا ، ونحن ندعوه يوم المزيد في الآخرة . قلت : ولم تدعونه يوم المزيد ؟ قال : ان ربك اتخذ في الجنـــة وادياً أفيـــح من مســـك أبيض ، فاذا كان يوم الجمعـــة ، نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه ، ثم حف الكرسي بمنابر من نور ، ثم جـــاء النبيون ، حتى يجلسوا عليها ، ثم حف المنابر بكراسي من ذهب ، ثم جاء الصديقون والشهداء ، حتى يجلسوا عليها ، ثم جاء أهـــل الجنة حتى يجلسوا على الكثيب ، فيتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا الى وجهه ، ثم يقول : أنا الذي صدقتـــكم وعدي ، وأتممت عليكم نعمتي ، وهذا محـــل كرامتي ويسألونه حتى تنتهي رغبتهم ، فيفتح لهم عند ذلك مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر إلى أوان منصرف الناس من يوم الجمعة ، ثم يصعد على كـ سيه ، ويصعد معه الصديقون والشهداء ، ويرجع أهـــل الغرف إلى غرفهم درة بيضاً لا فصم فيها ولا وصم ، أو ياقوته حمراء ، أو زبرجدة خضراء ، منها غرفها وأبوابها مطردة فيها انهارها ، متدلية فيها ثمارها ، فيها أزواجها وخدمها ، فليسوا الى شيء أحوج منهم الى يوم الجمعة ليزدادوا نظراً الى وجهه ، فلذلك دعي يوم المزيد »[1] قال الذهبي : هـــذا حديث مشهور ، وافر الطرق . أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب « السنة » له عن عبد الأعلى بن حماد النرسي ، عن عمر بن يونس .

---

(١) رواه ابن ابي الدنيا ، والطبراني في « الأوسط » ، وابو يعلى مختصراً ، والبزار .

قال النّاظم رَحمهُ الله تعالى :

ولذاك قال محقق منكم لأُهـــل الاعتزال مقـــالة بأمان
مابيننا خلف وبينكم لدى الـــتحقيق في معنى فيا إخوان
شدوا بأجمعنا لنحمل حملة تذر المجسم في أذل هوان
اذ قال إن إلهنا حقاً يرى يوم المعاد كما يرى القمران
وتصير أبصار العباد نواظراً حقاً اليه رؤية بعيان
لاريب أنهم اذا قالوا بذا لزم العلو لفاطر الأكوان
ويكون فوق العرش جل جلاله فلذاك نحن وحزبهم خصمان
لكننا سلم وأنتم اذ تساعـــدنا على نفي العلو لربنا الرحمن
فعلوه عين المحال وليس فو ق العرش من رب ولاديان
لاتنصبوا معنا الخلاف فماله طعم فنحن وأنتم سلمان
هذا الذي والله مودع كتبهم فانظر ترى يامن له عينان

لما ذكر الناظم أن أهل الجنة يرونه سبحانه وتعالى ، وأن رؤيته تعالى لاتكون إلا من فوق ، وإلا فرؤيته سبحانه محال ، ولهذا قال في هـــذه الأبيات : ولهذا قال محقق منكم لاهل الاعتزال الخ . قوله : منكم . أي : من الاشاعرة ، ولم أقف على تعيين هذا المحقق . وقد قال شيخ الاسلام في كتاب « العقل والنقل » : والمقصود هنا أن نفاة الرؤية من الجهمية والمعتزلة وغـــيرهم اذا قالوا : إثباتها يستلزم أن يكون الله جسماً ، وذلك منتف ،

وادعوا أن العقل دل على المقدمتين ، احتيج حينئذ إلى بيان بطلان المقدمتين أو إحداهما ، فاما أن يبطل نفي التلازم ، أو نفي اللازم ، أو المقدمتان جميعاً ، وهنا افترقت طرق مثبتة الرؤيـة ، فطائفة نازعت في الاولى كالأشعري وأمثاله ، وهو الذي حكاه الاشعري عن أهل الحديث وأصحاب السنة ، وقالوا : لا نسلم أن كل مرئي يجب أن يكون جسماً ، فقالت النفاة : لأن كل مرئي في جهة ، وما كان في جهة فهو جسم ، فافترقت نفاة الجسم على قولين : طائفة قالت : لا نسلم أن كل مرئي يكون في جهة ، فهو جسم ، فادعت نفاة الرؤية أن العلم الضروري حاصل بالمقدمتين ، وأن المنازع فيها مكابر ، وهذا هو البحث المشهور بين المعتزلة والأشعرية ، فلهذ صار الحذاق من متأخري الأشعرية على نفي الرؤية وموافقة المعتزلة ، فاذا أطلقوها موافقة لأهل السنة ، فسروها بما تفسرها به المعتزلة ، وقالوا : النزاع بيننا وبين المعتزلة لفظي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا ورابع عشرها إقرار سا ... ئله بلفظ الأين للرحمن

ولقد رواه أبو رزين بعدما ... سأل الرسول بلفظه بوزان

ورواه تبليغاً له ومقرراً ... لما أقر به بلا نكران

هذا وما كان الجواب جواب من ... لكن جواب اللفظ بالميزان

كلا وليس لمن دخول قط في ... هذا السياق لمن له أذنان

دع ذا فقد قال الرسول بنفسه ... أين الإله لعالم بلسان

والله ما قصد المخاطب غير معـ ... ـناها الذي وضعت له الحقان

والله ما فهم المخاطب غيره ... واللفظ موضوع لقصد بيان

ياقوم لفظ الأين ممتنع على الـ ... ـرحمن عندكم وذو بطلان

ويكاد قائلكم يكفرنا به ... بل قد وهذا غاية العدوان

لفظ صريح جاء عن خير الورى ... قولاً وإقراراً هما نوعان

والله ماكان الرسول بعاجز ... عن لفظ من مع أنها حرفان

والأين أحرفها ثلاث وهي ذو ... لبس ومن في غاية التبيان

والله ما الملكان أفصح منه إذ ... في القبر من رب السما يسلان[١]

ويقول أين الله يعني من فلا ... والله ما اللفظان متحدان

كلا ولا معناهما أيضاً لذي ... لغة ولا شرع ولا إنسان

هذا هو الدليل الرابع عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه .

قوله : ولقد رواه أبو رزين الخ . عن أبي رزين العقيلي قال : قلت : يارسول الله : أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض ؟ قال : كان في عماء مافوقه هواء ، وماتحته هواء ، ثم خلق العرش ، ثم استوى عليه » رواه الترمذي ، وابن ماجة . قال الذهبي : واسناده حسن[٢] رواه إسحق

---

(١) أي يسألان ، وسهل الهمزة لوزن الشعر .

(٢) قال الترمذي فيه : هذا حديث غريب .

ابن راهويه عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد ، وعنده . « ثم كان العرش ، فارتفع على عرشه » وروى حرب عن ابن راهويه « تحته هواء ، وفوقه هواء » يعني السحاب ومن الاحاديث المتواترة ، حديث معاوية ابن الحكم السلمي قال : كانت لي غنم قبل أحد والجوانية . وفيها جارية لي ، فاطلعت ذات يوم ، فاذا الذئب قد ذهب منها بشاة ، وأنا رجل من بني آدم ، فأسفت ، فصككتها ، فأتيت النبي ﷺ ، فذكرت ذلك له فعظم ذلك علي . فقلت : يارسول الله ، أفلا أعتقها ؟ قال : ادعها ، فدعوتها . قال فقال لها : « أين الله ؟ » قالت : في السماء . قال : « من أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله صلى الله عليك وسلم . قال : « اعتقها فانها مؤمنة » هذا حديث صحيح ، رواه جماعة من الثقات ، عن يحيى ابن أبي كثير ، عن هلال ابن أبي ميمونة ، عن عطاء بن يسار ، عن معاوية بن الحكم السلمي . أخرجه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وغير واحد من الأئمة . قال الذهبي : أخبرنا أحمد بن ابراهيم الخطيب ، ومحمد بن أحمد العقيلي ، ومحمد بن المظفر ، قالوا : أنبأنا السخاوي ، أنبأنا السلفي ، أنبأنا الخليل بن عبد الجبار بقزوين أنا علي بن الحسين بن جابر ، أنبأنا محمد بن علي النقاش ، ثنا القاسم بن الليث ، ثنا المعافى بن سليمان ، ثنا فليح بن سليمان ، عن هلال بن علي بن يسار ، عن معاوية بن الحكم السلمي قال : كانت لي غنم ترعى بالعذيب ، فكنت أتعهدها ، وفيها جارية لي سوداء ، فجئتها يوماً ففقدت شاة من خيار الغنم ، فقلت : أين الفلانية ؟ قالت : أكلها الذئب ، فأسفت وأنا من بني آدم ، فضربت وجهها ، ثم ندمت على ما صنعت ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : أضربت وجهها ؟ وعظم ذلك تعظيماً شديداً . فقلت : يارسول الله إن من توبتي أن أعتقها . قال : فائتني بها قبل أن تعتقها ، فجئته

بها . فقال لها : « من ربك ؟ » قالت : الله . قال : « وأين هو ؟ » قالت : في السماء . قال : « فمن أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله . قال : « اعتقها فانها مؤمنة » هذا حديث صحيح : قال الذهبي : وهكذا رأينا كل من يسأل : أين الله ، يبادر ويقول : في السماء ، ففي الخبر مسألتان . إحداهما شرعية . قول المسلم : أين الله . وثانيهما قول المسؤول : في السماء . فمن أنكر هاتين المسألتين ، فإنما ينكر على المصطفى ﷺ . انتهى . وقول الناظم : هذا وما كان الجواب جواب من الخ . أي لأن النفاة أولوا قول النبي ﷺ « أين الله » : يعني : من الله . قال شيخ الاسلام « في العقل والنقل » بعد كلام سبق . وهذا مما يبين أن سؤال السائل ، أين كان ربنا في حديث ابي رزين ، لم يكن هذا السؤال فاسداً عنده ﷺ كسؤال السائل : من خلق الله ، فإنه لم ينه السائل عن ذلك ، ولا أمره بالاستعاذة ، بل النبي ﷺ سأل بذلك لغير واحد فقال له : أين الله ، وهو منزه أن يسأل سؤالاً فاسداً . وسمع الجواب عن ذلك وهو منزه عن أن يقر على جواب فاسد ، لما سئل عن ذلك أجاب . فكان سائلاً به تارة ، ومجيباً عنه أخرى ، ولو كان المقصود مجرد التمييز بين الرب والصنم ، مع علم الرسول ان السؤال والجواب فاسدان ، كان في الأسئلة الصحيحة مايغني غير الرسول ﷺ عن الأسئلة الفاسدة ، فكيف يكون الرسول ﷺ ، فإنه كان يمكن أن يقول : من ربك ، من تعبدين ، كما قال لحصين الخزاعي : ياحصين كم تعبد اليوم إلهاً ، قال : أعبد سبعة آلهة ، ستة في الارض وواحداً في السماء . قال : فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك » قال : الذي في السماء . فقال : « أسلم حتى أعلمك كلمة ، ينفعك الله بها . » فلما أسلم ، سأله عن الدعوه . فقال : « قل : اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي ، رواه أحمد في « المسند » و(رواه) غير أحمد[1] . انتهى .

قوله : ياقوم لفظ الاين ممتنع على الرحمن الخ . أي أنه لايجوز عندهم أن

---

(١) ورواه الترمذي واللفظ له . وقال : هذا حديث حسن غريب .

يقال : أين الله ، ويـكاد قائلـكم يكفرنا به ، بل قد . أي يقارب قائلكم أن يكفرنا به ، بل قد. أي كفرنا به ، وهذا على طريق الاكتفاء . وقد عرفه علماء البديـع بأنه ، هو أن يأتي الشاعر ببيت من الشعر ، وقافيته متعلقة بمحذوف ، فلم يفتقر الى ذكر المحذوف ، لدلالة باقي لفظ البيت عليـــه ، ويكتفي بما هو معلوم في الذهن كقوله : لا أنتهي ، لا أنثني ، لا أرعوي مادمت في قيد الحياة ، ولا إذا ...

وقوله : والله ما كان الرسـول بعاجز عن لفظ من. أي: لو كان مراده بقوله : أين الله . السؤال من الله ، لما كان عاجزاً عن ذلك ، ولفظ (من) حرفان ، ولفظ أين ثلاثة أحرف .

وقوله : والله ماالملكان أفصح منه إذ . أي ما الملـكان اللذان يسألان الميت ، فيقولان : من ربك ومن نبيك؟ ومادينك ؟ بأفصح منه ، أفيقول الرسول ﷺ أين الله ، يعني من الله ، فلا والله ما اللفظان بسواء ، ولا معناهما أيضاً بسواء ، لا في لغة ولا شرع ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وخامس عشرها الاجماع من ... رسل الإله الواحد المنان

فالمرسلون جميعهم مع كتبهم ... قد صرحوا بالفوق للرحمن

وحكى لنا إجماعهم شيخ الورى ... والدين عبد القادر الجيلاني

وأبو الوليد المالكي أيضاً حكى   إجماعهم أعني ابن رشد الثاني (١)

وكذا أبو العباس أيضاً قد حكى   إجماعهم علم الهدى الحراني (٢)

وله اطلاع لم يكن من قبله   لسواه من متكلم بلسان

قال الشيخ الامام شيخ الاسلام سيد الوعاظ ابو محمد عبد القادر ابن أبي صالح الجيلي (٣) في كتاب « الغنية » له : أما معرفة الصانع بالآيات والاختصار ، فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد .. الى أن قال : وهو بجهة العلو مستو على العرش ، محتو على الملك ، محيط علمه بالاشياء ، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان ، بل يقال : إنه في السماء على العرش ، كما قال : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وذكر آيات وأحاديث ... الى أن قال : وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل ، وانه استواء الذات على العرش ، قال : وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ، بلا كيف ، وذكر كلاماً طويلاً .

وقال الناظم : في كتابه « إغاثة اللهفان » قال أبو الوليد ابن رشد في كتاب « الكشف » عن مناهج الأدلة : القول في الجهة ، أما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه ، حتى نفتها المعتزلة ، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الاشاعرة ، كأبي المعالي ، ومن اقتدى بقوله ...

---

(١) وهو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي ، ابو الوليد ، صاحب كتاب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » توفي سنة (٥٩٥) ويلقب بـ (ابن رشد الحفيد) تمييزاً له عن جده (أبي الوليد محمد بن احمد) المتوفي سنة (٥٢٠) هـ .

(٢) هو شيخ الاسلام ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية النميري الحراني الدمشقي .

(٣) وهو المعروف بالجيلاني ، فقيه من فقهــاء الحنابلة ، وهو شيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسي توفي سنة (٥٦١) .

إلى إن قال : والشرائع كلها مبينة على أن الله في السماء ، وأن منها تنزل الملائكة بالوحي الى النبيين ، وأن من السموات أنزلت الكتب ، واليها كان الاسراء بالنبي ﷺ ، وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء ، كما اتفق جميع الشرائع على ذلك ، ثم ذكر تقرير ذلك بالمعقول، وبين بطلان الشبهة التي لأجلها نفتها الجهمية ومن وافقهم ... الى أن قال : فقد ظهر لك من هذا أن أثبات الجهة واجب بالشرع والعقل ، وأن إبطاله ابطال الشرائع كلها . انتهى .

وقال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في بعض أجوبته بعد كلام سبق : مع أن أصل الاستواء على العرش ثابت بالكتاب والسنة ، واتفاق سلف الأمة وأئمة السنة ، بل هو ثابت في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل، فهذا إجماع الرسل الذي نقل شيخ الاسلام رحمه الله تعالى .

قال النّاظم رَحمهُ الله تعالى :

هذا ونقطع نحن أيضاً أنه إجماعهم قطعاً على البرهان

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا باثبات الصفات لخالق الأكوان

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا باثبات الكلام لربنا الرحمن

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا باثبات المعاد لهذه الابدان

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا بتوحيد الإله وماله من ثان

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا باثبات القضاء وما لهم قولان

فالرسل متفقون قطعا في اصول الدين دون شرائع الايمان

كل له شرع ومنهاج وذا ... في الأمر لا التوحيد فافهم ذان
فالدين في التوحيد دين واحد ... لم يختلف منهم عليه اثنان
دين الإله اختاره لعباده ... ولنفسه هو قيم الاديان
فمن المحال بأن يكون لرسله ... في وصفه خبران مختلفان

شرع الناظم رحمه الله في ذكر أشياء مما يقطع بأنها دين الرسل عليهم الصلاة والسلام، وذلك كعلو الله تعالى على خلقه، واثبات صفاته تعالى، وكلامه، وإثبات معاد الأبدان، والتوحيد، وإثبات القضاء والقدر، وذلك مما يقطع به ضرورة، ثم قال: فالرسل متفقون قطعاً في أصول الدين، وذلك بغير شك، وأما شرائعهم فمختلفة، كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) المائده: ٤٨.

قال ابن كثير: قال ابن ابي حاتم: وساق السند الى ابن عباس: (لكل جعلنا منكم شرعة) قال: سبيلاً، وساق أيضاً عن ابن عباس، (منهاجاً) قال: وسنة. وكذا روي عن ابن عباس (شرعة ومنهاجاً)؛ أي: سبيلا وسنة، وكذا روي عن مجاهـــد، وعكرمة، والحسن البصري، وقتاده، والضحاك، والسدي، وأبي اسحاق السبيعي، أنهم قالوا في قوله (شرعة ومنهاجاً)؛ أي: سبيلاً وسنة. وعن ابن عباس أيضاً، ومجاهد، وعطاء الخراساني عكسه؛ أي: سنة وسبيلاً، والأول أنسب، فان الشرعة هي ما يبتدأ فيه إلى الشيء، ومنه يقال: شرع في كذا؛ اي: ابتدأ فيه، وكذا الشريعة، وهي ما يشرع فيها الماء. اما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل، والسنن الطرائق، فتفسير قوله: (شرعة

ومنهاجاً) بالسبيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس ، والله أعلم .
انتهى كلامه .

قوله : في الأمر لا التوحيد الخ ... اي : أن جميع الرسل متفقون في التوحيد ، كما ثبت في « صحيح البخاري » عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال : « نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ، ديننا واحد[1] » يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله ، وضمنه كل كتاب أنزله ، كما قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) الانبياء : ٢٥ وقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) النحل : ٣٦الآية . وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي ، فقد يكون الشيء في الشريعة حراماً ، ثم يحل في الشريعة الأخرى ، وبالعكس ، وخفيفاً فيزداد في الشدة في هذه دون هذه ، وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ، وهـذا معنى قول الناظم : في الأمر لا التوحيد فافهم ذان .

قال النّاظم رحمهُ الله تعَالى :

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا بعد ... ل الله بين طوائف الانسان

وكذاك نقطع أنهم ايضاً دعوا ... للخمس وهي قواعد الايمان

ايماننا بالله ثم برسـله ... وبكتبه وقيامة الابدان

وبجنده وهم الملائكة الألى ... هم رسله لمصالح الأكوان

هذي أصول الدين حقاً لا أصو ... ل الخمس للقاضي هو الهمذاني

(١) رواية البخاري بلفظ « الانبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد ».

تلك الأُصول للاعتزال وكم لها فرع فمنـه الخلق للقرآن

وجحود أوصاف الإله ونفيهم لعلوه والفوق للرحمن

وكذاك نفيهم لرؤيتنا له يوم اللقاء كما يرى القمران

ونفوا قضاء الرب والقدر الذي سبق الكتاب به هما حتمان

من أجل هاتيك الاصول وخلدوا أهل الكبائر في لظى النيران

ولأجلها نفوا الشفاعة فيهمُ ورموا رواة حديثها بطعان

ولأُجلها قالو بأن الله لم يقدر على اصلاح ذي العصيان

ولأُجلها قالوا بأن الله لم يقدر على إيمان ذي الكفران

ولأُجلها حكموا على الرحمن بالـ ـشرع المحال شريعة البهتان

ولأجلها هم يوجبون رعاية لـ ـلأصلح الموجود في الإمكان

حقاً على رب الورى بعقولهم سبحانك اللهم ذا السبحان

أي نقطع أن الرسل دعوا لأصول الايمان الخمسة ، وهي : الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر .

وقوله :

هذي أصول الدين حقاً لا الأصو ل الخمس للقاضي هو الهمداني

أي : أن هذه أصول الدين ، لا الأصول الخمسة للمعتزلة ، وذلك أن أصولهم خمسة يسمونها ، التوحيد ، والعدل ، والمنزلة بين المنزلتين ، وإنفاذ الوعيد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . لكن معنى التوحيد عندهم يتضمن نفي الصفات ، ولهذا سمى ابن التومرت أصحابه الموحدين ، وهذا إنما هو

إلحاد في أسماء الله وآياته ، ومعنى العدل عندهم يتضمن التكذيب بالقدر ، وهو خلق أفعال العباد ، وارادة الكائنات أو القدرة على شيء ، ومنهم من ينكر تقدم العلم بالكتاب ، لكن هذا ليس قول أئمتهم ، وأما المنزلة بين المنزلتين فهي عندهم أن الفاسق لا يسمى مؤمناً بوجه من الوجوه ، كما لا يسمى كافراً ، فنزلوه منزلة بين منزلتين. وانفاذ الوعيد عندهم معناه ان فساق الملة مخلدون في الدار ، لا يخرجون منها بشفاعة ولا غير ذلك كما تقوله الخوارج . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتضمن عندهم جواز الخروج على الأئمة ، وقتالهم بالسيف .

وقول الناظم : تلك الأصول للاعتزال ، وكم لها فرع فمنه الخ أي : ان المعتزلة قالوا بخلق القرآن . ونفوا صفات الله تعالى ، وعلوه على خلقه ، ونفوا رؤيته تعالى في الآخرة ، ونفوا القضاء والقدر ، والشفاعة في عصاة الموحدين ، وقالوا بأن الله لا يقدر على اصلاح العصاة ، ولا يقدر على ايمان الكفار ، وأوجبوا على الله رعاية الأصلح ، ونحو ذلك .

وقوله: للقاضي هو الهمذاني .أي : القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي ، شافعي الفروع ، معتزلي الأصول ، وهو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل أبو الحسين الهمذاني ، قاضي الري وأعمالها ، وكان شيخ المذهب ، وهو مع ذلك شيخ الاعتزال .

قال ابن كثير في « تاريخه »: ومن أجل مصنفاته وأعظمها كتاب « دلائل النبوة » في مجلدين ، أبان فيه عن علم وبصيرة جيدة ، وقد طال عمره ، ورحل الناس اليه من الأقطار ، واستفادوا به ، مات في ذي القعدة سنة ١٥؛ خمس عشرة واربعمائة .

قال الناظم رحمه الله تعالى

فصل

هذا وسادس عشرها اجماع أهل العلم أعني حجة الأزمان
من كل صاحب سنة شهدت له أهل الحديث وعسكر القرآن
لا عبرة بمخالف لهم ولو كانوا عديد الشاء والبعران
إن الذي فوق السموات العلى والعرش وهو مباين الأكوان
هو ربنا سبحانه وبحمده حقاً على العرش استوى الرحمن
فاسمع إذاً أقوالهم واشهد عليهم بعدها بالكفر والايمان
واقرأ تفاسير الأئمة ذاكري الاسناد فهي هداية الحيران

هذا هو الدليل السادس عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه، وهو إجماع العلماء من أهل السنة وأصحاب الحديث. قال:

وانظر الى قول ابن عباس بتفسير استوى ان كنت ذا عرفان

قال البغوي في « تفسيره » المشهور. قال: ابن عباس وأكثر مفسري السلف: استوى الى السماء: ارتفع الى السماء.

وانظر الى أصحابه من بعده كمجاهد ومقاتل حبران

قال البخاري في « صحيحه » باب قوله تعالى (وكان عرشه على الماء) هود: ٧ قال أبو العالية: استوى الى السماء: ارتفع. وقال مجاهد في

استوى : علا على العرش . وروى عبد الله ابن الامـــام أحمد في كتاب « السنة » له عن أبيه عن نوح بن ميمون ، عن بكير بن معروف ، عن مقاتل بن حيان في قوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) المجادلة : ٧ قال : هو على عرشه ، وعلمـــه معهم وروى البيهقي باسناده عن مقاتل بن حيان قال : بلغنا والله اعـــلم في قوله تعالى (هو الاول والآخر) الحديد : ٣ قال: هو الاول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء والباطن أقرب من كل شيء، وانما قربه بعلمه ، وهو فوق عرشه .

وانظر الى الكلبي ايضاً والذي قد قاله من غير ما نكران

روى البيهقي من طريق محمد بن مروان عن الكلبي ، عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله (ثم استوى على العرش) يقول : استقر على العرش

وكذا رفيع التابعي أجلهم ذاك الرياحي العظيم الشان

رفيع بضم الراء مصغراً . هو ابو العالية ، وقد تقدم مانقله البخاري عنه . قال أبو العالية : استوى الى السماء : ارتفع

كم صاحب ألقى اليه علمه فلذاك ما اختلفا[1] عليه اثنان

فليهن من قد سبه إذ لم يوا فق قوله تحريف ذي البهتان

فلهم عبارات عليها أربع قد حصلت للفارس الطعان

وهي استقر وقد علا وكذلك ار تفع الذي ما فيه من نكران

وكذاك قد صعد الذي هو رابع وأبو عبيدة صاحب الشيباني

يختار هذا القول في تفسيره أدرى من الجهمي بالقرآن

---

(١) في الأصل : ما اختلفت .

حكى الفراء عن ابن عباس (ثم استوى) صعد . أبو عبيده : هو معمر ابن المثنى التيمي البصري .

قوله : صاحب الشيباني هو أبو عمرو بن العلاء[١] واسمه اسحق كما ذكر ذلك الذهبي في « تاريخ الاسلام » وقيل : إنما قيل له الشيباني لانقطاعه الى أناس من بني شيبان .

والأشعري يقول تفسير استوى بحقيقة استولى من البهتان

هو قول أهل الاعتزال وقول أتباع لجهم وهو ذو بطلان

في كتبه قد قاله[٢] من موجز وإبانة ومقالة ببيان

أي : أن الأشعري ذكر إبطال تأويل الاستواء بالاستيلاء في كثير من كتبه ، كـ « الموجز » و « الابانة » و « المقالات » قال أبو الحسن الأشعري في كتابه « الابانة في اصول الديانة » له في باب الاستواء :

فان قال قائل : ما تقولون في الاستواء ؟ قيل : نقول له : ان الله مستو على عرشه ، كما قال (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وقال : (اليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٠ وقال : (بل رفعه الله اليه) النساء : ١٥٨ وقال حكاية عن فرعون (وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الاسباب . أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذباً) غافر : ٣٦ كذب موسى في قوله : ان الله فوق السموات وقال عز وجل (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض) الملك : ١٦ فالسموات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السموات وكل ما علا فهو

---

(١) ابو عمرو بن العلاء شيخ ابي عمرو الشيباني فقوله : ابي العلاء سبق قلم .

(٢) في الاصل : قد قال ذا ، والتصحيح من مخطوطة المتن .

سماء، وليس إذا قال: (أأمنتم من في السماء) يعني جميع السموات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا ترى أنه ذكر السموات فقال: (وجعل القمر فيهن نوراً) نوح: ١٦ ولم يرد أنه يملأهن جميعاً. قال: ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله مستو على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، وقد قال قائلون، من المعتزلة، والجهمية، والحرورية: إن معنى استوى: استولى، وملك، وقهر، وإنه تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون على عرشه، كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش وبين الارض السابعة، لأنه قادر على كل شيء، والارض فالله قادر عليها، وعلى الحشوش، وكذا لو كان مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز أن يكون مستوياً على الاشياء كلها، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: ان الله مستو على الأخلية، والحشوش، فبطل أن يكون الاستواء الاستيلاء، وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك، وكتاب «الابانة» من أشهر تصانيف أبي الحسن شهرة، والحافظ ابن عساكر اعتمد عليه، ونسخه بخطه الامام محيي الدين النووي، كذا ذكره الحافظ الذهبي.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وكذلك البغوي أيضاً قد حكا ٥ عنهم بمعالم القرآن

قال الامام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي صاحب «معالم التنزيل» عند قوله تعالى (ثم استوى على العرش) الأعراف: ٥٤ قال الكلبي، ومقاتل: استقر. وقال أبو عبيدة: صعد. ثم قال البغوي: وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء. وأما أهل السنة فيقولون: الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف، يجب الايمان به.

وقال في قوله تعالى (ثم استوى الى السماء) البقرة : ٢٩ قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف : ارتفع الى السماء . وقال في قوله (هل ينظرون الا ان يأتيهم الله) البقرة : ٢١٠ الاولى في هذه الآية وماشا كلها أن يؤمن الانسان بظاهرها ، ويكل علمها الى الله ، ويعتقد أن الله منزه عن سمات الحدوث ، على ذلك مضت أئمة السلف ، وعلماء السنة . وقال في قوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) المجادلة : ٧ أي من سرار ثلاثة إلا هو رابعهم بالعلم . انتهى .

وانظر كلام إمامنا هو مالك قد صح عنه قول ذي إتقان

في الاستواء بأنه المعلوم لكن كيفه خاف على الأذهان

روى البيهقي وابو الشيخ الاصبهاني ، عن يحيى بن يحيى قال : كنا عند مالك بن أنس ، فجاء رجل فقال : يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) ، كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ، ثم قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك الا مبتدعاً . فأمر به أن يخرج . وساق البيهقي باسناد صحيح عن أبي الربيع الرشديني ، عن ابن وهب قال : كنت عند مالك ،فدخل رجل فقال : يا أبا عبدالله (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥، كيف استوى ؟ فأطرق مالك (رأسه) ، وأخذته الرحضاء ، ثم رفع رأسه فقال : الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ، ولا يقال : كيف ، وكيف عنه مرفوع ، وانت صاحب بدعة . أخرجوه . قال الذهبي في كتاب « العلو » بعد ماساق كلام الامام مالك : وهذا قول أهل السنة قاطبة أن كيفية الاستواء لا نعقلها ، بل نجهلها ، وأن استواءه

معلوم، كما اخبر به في كتابه، وانه كما يليق به، لا نعمق، ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً، بل نسكت، ونقف كما وقف السلف، ونعلم يقيناً مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له في صفاته، ولا في استوائه، ولا في نزوله. سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وروى ابن نافع الصدوق سماعه ... منه على التحقيق والاتقان

الله حقاً في السماء وعلمه ... سبحانه حقاً بكل مكان

فانظر الى التفريق بين الذات والمعلوم من ذا العالم الرباني

فالذات خصت بالسماء وانما الـ ... ـمعلوم عم جميع ذي الاكوان

ذا ثابت عن مالك من رده ... فلسوف يلقى مالكاً بهوان

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل في الرد على الجهمية: حدثني أبي، ثنا شريح بن النعمان، عن عبد الله بن نافع قال: قال مالك بن أنس: الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء، فانظر كيف فرق مالك رحمه الله تعالى بين الذات والمعلوم، فخص الذات بالسماء، واما المعلوم فهو عام كل شيء. والمراد بالمعلوم هنا العلم، كما ذكره الناظم رحمه الله تعالى.

وقوله: ذا ثابت عن مالك الخ. يعني بقوله: فلسوف يلقى مالكاً خازن النار، نعوذ بالله من ذلك، ولكن لا يخلو كلامه من مبالغة.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وكذاك قال الترمذي بجامع ... عن بعض أهل العلم والايمان

الله فوق العرش لكن علمه   مع خلقه تفسير ذي ايمان

ذكر الحافظ أبو عيسى الترمذي في «جامعه» لما روى حديث أبي هريرة، وهو خبر منكر «لو أنكم دليتم بحبل إلى الارض السفلى لهبط على الله»[1] فقال: قال أهل العلم: أراد: لهبط على علم الله، وهو على العرش، كما وصف نفسه في كتابه. وقال أبو عيسى إثر ما روى حديث أبي هريرة. «إن الله يقبل الصدقة، ويأخذها بيمينه فيربيها» روت عائشة عن النبي ﷺ نحوه. وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا وما يشبهه من الصفات، ونزول الرب: نثبت هذه الروايات في هذا، ونؤمن به. ولا يتوهم، ولا يقال: كيف هذا؟ روي عن مالك، وابن عيينة، وابن المبارك، أنهم قالوا في هـذه الأحاديث: أمروها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة. وأما الجهمية، فأنكرت هذه الروايات، وقالوا هـذا تشبيه، وفسروها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وانما معنى اليد هاهنا: النعمة، وهذا القول في باب فضل الصدقة من الجامع، وقال نحواً من ذلك أيضاً في تفسير (وقالت اليهود يد الله مغلولة) المـائدة: ٦٤.

وكذاك أوزاعيهم أيضاً حكى   عن سائر العلماء في البلدان

من قرنه والتابعين جميعهم   متوافرين وهم أولو العرفان

إيمانهم بعلوه سبحانه   فوق العباد وفوق ذي الاكوان

روى البيهقي في «الأسماء والصفات» باسناد صحيح عن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: ان الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته. وروى أبو بكر الخلال في كتاب

(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.

« السنة » عن الأوزاعي قال : سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقال أمروها كما جاءت . وروي أيضاً عن الوليد بن مسلم قال: سألت مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والليث بن سعد ، والاوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات فقالوا : أمروها كما جاءت . وفي رواية فقالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف .

وكذاك قال الشافعي حكاه عنـه البيهقي وشيخه الربـاني
حقاً قضى الله الخلافة ربنا فوق السماء لأصدق العبدان
حب الرسول وقائم من بعده بالحق لا فشل ولا متوان
فانظر الى المقضي في ذي الارض لكن في السماء قضاء ذي السلطان
وقضاؤه وصف له لم ينفصل عنه وهـذا واضح البرهان

قال الشافعي رضي الله عنه : خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حق قضاها الله في سمائه ، وجمع عليها قلوب عباده . انتهى . أي : أن المقضي في الارض ، والقضاء في السماء ، وهو فعله سبحانه وتعالى المتضمن لمشيئته وقدرته .

قوله : حكاه عنه البيهقي وشيخه الرباني . مراده بشيخ البيهقي ، الحافظ أبو عبد الله الحاكم رحمهما الله تعالى .

قوله : العبدان جمع عبد ، وقوله : حب الرسول الخ . يعني : أبا بكر الصديق رضي الله عنه . وقال الامام ابن الامـام عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي رضي الله عنـه : حدثنا أبو شعيب ، وأبو ثور عن أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله تعالى قال : القول في السنة التي أنا عليها ،

ورأيت أصحابنا عليها ،أهل الحديث الذين رأيتهم ، وأخذت عنهم ، مثل سفيان ، ومالك وغيرهما : الاقرار بشهادة أن لا إله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء ، وأن الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا كيف شاء .

قال :

وكذلك النعمان قال وبعده — يعقوب والالفاظ للنعمان

من لم يقر بعرشه سبحانه — فوق السماء وفوق كل مكان

ويقر أن الله فوق العرش لا — تخفى عليه هواجس الأذهان

فهو الذي لا شك في تكفيره — لله درك من إمام زمان

هذا الذي في الفقه الاكبر عندهم — وله شروح عدة لبيان

قوله : النعمان . هو الامام عالم العراق ، أبو حنيفة النعمان بن ثابت .

وقوله : يعقوب :هو ابن إبراهيم أبو يوسف القاضي.

قلت : قال في كتاب « الفقه الاكبر » المشهور المروي بالاسناد عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي ، قال : سألت أبا حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربي في السماء، أو في الارض . قال : قد كفر ، لأن الله يقول (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وعرشه فوق سمواته . فقلت : إنه يقول . أقول على العرش استوى ، ولكن قال : لا يدري العرش في السماء أو في الأرض . فقال : إذا أنكر أنه في السماء ، فقد كفر . رواها صاحب الفاروق باسناد عن أبي بكر نصير بن يحيي عن الحكم .

قال الذهبي : وسمعت القاضي الامام تاج الدين عبد الخالق بن علوان

قال سمعت الامام أبا محمد عبدالله بن احمد المقدسي مؤلف «المقنع»(١) رحمه الله ثراه، وجعل الجنة مثواه يقول . بلغني عن ابي حنيفة رحمه الله أنـه قال : من أنكر أن الله عز وجل في السماء فقد كفر .

وانظر مقالة أحمد ونصوصه ... في ذاك تلقاها بلا حسبان

فجميعها قد صرحت بعلوه ... وبالاستوا والفوق للرحمن

وله نصوص واردات لم تقع ... لسواه من فرسان هذا الشان

اذ كان ممتحناً باعداء الحديـــث وشيعة التعطيل والكفران

واذا أردت نصوصه فانظر الى ... ماقد حكى الخلال ذو الاتقان

يعني أن الامام أحمد له من النصوص والكلام في صفات الله تعـــالى وفي كلامه ماليس لغيره من الأئمة ، لأنه كان ممتحناً بالمعطلة والجهمية ، وما جرى عليه من المحنة في ذلك ، والضرب ، مشهور مذكور في الكتب التي صنفت في مناقبه ، كمناقبه للامام ابي اسماعيل الأنصاري ، وللحافظ ابي الفرج ابن الجوزي ، والحافظ ابي بكر البيهقي ، وغـــيرهم ، وكذلك كتب التواريخ .

وقوله : الخلال . هو أحمد بن محمد بن هارون ، أبو بكر الخلال ، كان أحد من صرف عنايته إلى جمع علوم الامام أحمد بن حنبل ، وسافر الى البلاد لأجلها ، وسمعها عالية ونازلة ، وصنف كتاب « الجامع » وهو في عدة مجلدات ، و كتاب « السنة » و كتاب « العلل » لأحمد بن حنبل ، وغير ذلك . قال ابو بكر بن شهرباز : كلنا تبع للخلال ، لأنه لم يسبقنا إلى جمع علم أحمد أحد قبله . قال الخطيب : جمع ـ يعني الخلال ـ علوم أحمد ،

(١) هو المعروف بـ « موفق الدين بن قدامه المقدسي » صاحب « المغني » شرح « مختصر الخرقي » وقد قام المكتب الاسلامي بطبع هذا المختصر .

وطلبها ، وسافر لأجلها ، وكتبها ، وصنفها كتباً ، ولم يكن فيمن ينتحل مذهب أحمد أحد أجمع منـــه لذلك ، توفي في ربيع الأول سنة ٣٢١ احدى وعشرين وثلثمائة ، وقد نيف عن الثمانين . انتهى ملخصاً من « تاريخ الذهبي » وأما نصوص الامام أحمد في ذلك ، فنذكر منها قليلاً من كثير قال يوسف بن موسى القطان شيخ أبي بكر الخلال : قيل لأبي عبد الله : الله فوق السماء السابعة على عرشه ، بائن من خلقه ، وقدرته وعلمـه بكل مكان ؟ قال : نعم هو على عرشه ، ولا يخلو شيء من علمه . وقال أبو طالب أحمد بن حميد : سألت أحمد بن حنبل عن رجل قال : الله معنا وتلا (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) فقال : قد تجهم هـذا ، يأخذون بآخر الاية ، ويدعون أولها ، قرأت عليه (ألم تر أن الله يعلم) المجادلة : ٧ فعلمـه معهم . وقال في سورة ق (ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ق : ١٦ فعلمه معهم . قال المروذي قلت لابي عبد الله : إن رجلاً قال . أقول كما قال الله . (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) أقول هذا ، ولا أجاوزه الى غيره . فقال هذا كلام الجهمية ، بل علمه معهم ، فأول الاية يدل على أنه علمـه . رواه ابن بطة في كتاب « الابانة » عن عمر بن محمد بن رجاء عن محمد بن داود عن المروذي . وقال حنبل ابن اسحق . قيل لأبي عبد الله : ما معنى (وهو معكم) قال : علمه محيط بالكل ، وربنا على العرش بلاحد ولاصفة وكلامه رحمه الله تعالى في هذا كثير شهير ، وفيما ذكرنا كفاية .

وكذاك اسحاق الامام فانه قد قال مافيه هدى الحيران

قال الخلال . أنا المروذي ، قال . قال اسحق بن ابراهيم بن راهويه

قال الله تبارك وتعالى (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ اجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ، ويعلم كل شيء في أسفل الارض السابعة وفي قعور البحار ، ورؤوس الآكام ، وبطون الأودية ، وفي كل موضع ، كما يعلم علم مافي السموات السبع وما فوق العرش ، أحاط بكل شيء علماً فلا تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات البر والبحر الا قد عرف ذلك كله ، وأحصاه ، فلا تعجزه معرفة شيء عن معرفة غيره .

وابن المبارك قال قولاً شافياً إنكاره علم على البهتان
قالوا له ما ذاك نعرف ربنا حقاً به لنكون ذا إيمان
فأجاب نعرفه بوصف علوه فوق السماء مباين الأكوان
وبأنه سبحانه حقا على الـعرش الرفيع فجل ذو السلطان

قال الخلال . ثنا أبو بكر المروذي ، قال : سمعت أبا عبد الله قيل له . روى علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك أنه قيل له : كيف نعرف الله عز وجل ؟ قال : على العرش بحد ، قال : قد بلغني ذلك عنه وأعجبه ، ثم قال أبو عبد الله : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) البقرة : ٢١٠ ثم قال : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ وروى شيخ الاسلام أبو عثمان الصابوني باسناده الثابت عن عبد الله بن المبارك انه قال : نعرف ربنا بأنه فوق سبع سمواته ، بائناً من خلقه ، ولا نقول كما قال الجهمية بأنه ههنا ، وأشار بيده الى الارض.

وهو عبد الله بن المبارك ، أبو عبد الرحمن المروزي ، كان أبوه تركياً مولى لرجل من التجار من بني حنظلة من أهل همدان ، فكان ابن المبارك

إذا قدمها أحسن الى ولد مولاهم ، وكانت أمه خوارزمية ، . ولد سنة ثماني عشرة ومائة ، وسمع اسماعيل ابن أبي خالد ، والأعمش ، وهشام بن عروة وحميد الطويل ؛ وغيرهم من أئمة التابعين ، وحدث عنه خلائق من الناس ، وكان موصوفاً بالحفظ ، والفقه ، والعربية ، والزهد ، والكرم ، والشجاعة وله التصانيف الحسان ، والشعر المتضمن حكماً جمـــة ، وكان كثير الغزو والحج ، وكان له رأس مال نحو أربعمائة ألف تدور بتجارة في البلدان ، فحيث اجتمع بعالم بلدة أحسن إليه . وكان يربو كسبه في كل سنة على مائة الف ينفقها كلها في أهل العلم والعبادة ، وربما أنفق من رأس المال . قال سفيان بن عيينة : نظرت أمر الصحابة ، فما رأيتهم يفضلون عليه إلا بصحبتهم رسول الله ﷺ . وقال اسمعيل بن عياش : ما أعلم على وجـه الأرض مثله ، وما أعلم خصلة (من) الخير إلا وقد جعلها الله في ابن المبارك . ولقـــد حدثني أصحابه أنهم صحبوه من مصر الى مكة ، فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم . وقد قدم مرة الى « الرقة » وبها هارون الرشيد فلما دخلها انجفل الناس يهرعون الى ابن المبارك ، وازدحم الناس حوله ، فأشرفت أم ولد للرشيد من قصر فقالت : ما للناس ؟ فقيل : هذا رجل من علماء خراسان ، يقال له : ابن المبارك ، فقالت المرأة . هذا هو الملك لا ملك هارون الذي يجمع الناس بالسوط والعصا . وقد قال الشيخ أبو عمر ابن عبد البر . أجمع العلماء على قبوله ، وجلالته ، وإمامته ، وعدالتـه . توفي بـ « هيت » في سنة ١٨١ احدى وثمانين ومائة في رمضان عن ثلاث وستين سنة .

وهو الذي قد شجع ابن خزيمة اذ سل سيف الحق والعرفان

وقضى بقتل المنكرين علوه ... بعد استتابتهم من الكفران

وبأنهم يلقون بعد القتل فو ... ق مزابل الميتات والانتان

فشفى الامام العالم الحبر الذي ... يدعى إمام أئمة الأزمان

ولقد حكاه الحاكم العدل الرضى ... في كتبه عنه بــلا نكران

قال شيخ الاسلام أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني في «عقيدته» أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، يعني الحاكم في كتاب «التاريخ» الذي جمعه لأهل نيسابور، وفي كتاب «معرفة أصول الحديث» اللذين جمعهما، ولم يسبق الى مثلهما. قال: سمعت ابا جعفر محمد بن صالح بن هانىء، سمعت الامام أبا بكر محمد بن اسحق ابن خزيمة يقول: من لم يقر أن الله على عرشه قد استوى فوق سبع سمواته، فهو كافر به، حلال الدم، يستتاب، فان تاب والا ضربت عنقه(١) وألقي على بعض المزابل.

وحكى ابن عبد البر في تمهيده ... وكتاب الاستذكار غير جبان

إجماع أهل العلم أن الله فو ... ق العرش لم ينكره ذو إيمان

وأتى هناك بما شفى أهل الهدى ... لكنه مرض على العميان

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في «شرح الموطأ»: لما ذكر حديث النزول قال: هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الاسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو منقول من طرق سوى هــذه من أخبار

---

(١) في الاصل: ضربت عنه.

العدول ، عن النبي ﷺ ، وفيه دليل على أن الله تعالى في السماء على العرش من فوق سبع سموات ، كما قال الجماعة ، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم : إن الله بكل مكان . قال : والدليل على صحة قول أهل الحق قوله عز وجل (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وقوله عز وجل (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٢٤ وقال سبحانه (أأمنتم من في السماء) الملك : ١٦ وقال (اليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٠ وقال : (يخافون ربهم من فوقهم) النحل : ٥ وقال : (يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه) السجدة : ٥ وقال : (تعرج الملائكة والروح اليه) المعارج : ٤ وقال : (وهو القاهر فوق عباده) الأنعام : ١٨، ٦١ وقال لعيسى عليه السلام (اني متوفيك ورافعك إلي) آل عمران : ٥٥ وقال : (بل رفعه الله اليه) النساء : ١٥٨ وقد أخبر الله تعالى في موضعين من كتابه عن فرعون أنه قال : (ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر ٣٦، ٣٧ يعني أظن موسى كاذباً أن له إلهاً في السماء ، هذه الاية تدل على أن موسى كان يقول : إلهي في السماء ، وفرعون يظنه كاذباً . قال : ومن الحجة أيضاً في أنه على العرش فوق السموات السبع أن الموجودين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا أيديهم ووجوهم الى السماء ، ونصبوا أيديهم رافعين لها ، مشيرين بها الى السماء يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى ، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته ، لأنه اضطرار لم يوافقهم عليه أحد ، ولا أنكره عليهم مسلم . وقد قال النبي ﷺ للأمة التي أراد مولاها عتقها وكانت عليه رقبه مؤمنة ، فاختبرها رسول الله ﷺ

بأن قال لها : « أين الله » فأشارت الى السماء . قال : « من أنا » قالت : رسول الله . قال : « اعتقها فانها مؤمنة »[١] فاكتفى رسول الله ﷺ برفعها رأسها الى السماء ، واستغنى بذلك عما سواه قال ابو عمر رضي الله عنه : أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والايمان بها ، وحملها على الحقيقة ، لا على المجاز ، وأما أهل البدع ، الجهمية ، والمعتزلة كلها ، والخوارج ، فكلهم ينكرها ، ولا يحمل منها شيئاً على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقربها مشبه ، وهم عند من أقربها نافون للمعبود ، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ، وهم أئمة الجماعة ، والحمد لله . انتهى كلامه .

وكذا علي الأشعريّ فانـــه في كتبه قد جاء بالتبيان
من موجز وإبانة ومقـــالة ورسائل للثغر ذات بيان
وأتى بتقرير استواء الرب فو ق العرش بالايضاح والبرهان
وأتى بتقرير العلو بأحسن التـــقرير فانظر كتبه بعيان
والله ما قال المجسم مثل ما قـــد قاله ذا العالم الرباني
فارموه ويحكمُ بما ترموا به هذا المجسم يا أولي العدوان
أو لا فقولوا إن ثَمَّ حزازة وتنفس الصعداء من حران
فسلوا الإله شفاء ذا الداء العضا ل مجانب الاسلام والا...

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه في حديث طويل في باب « تحريم الكلام في الصلاة » .

يعني ان الامام أبا الحسن الأشعري قد أوضح في كتبه كـ « الابانة » و « الموجز » و« مقالات الاسلاميين » ورسائله الى الثغر استواء الرب فوق عرشه ، وبرهن على ذلك ، وقرره بأحسن تقرير[١] ، وذلك في كتبه ، فانظرها إن شئت ، وقد تقدم بعض كلامه في ذلك .

قوله : والله ما قال المجسم مثل ما قد قاله ذا العالم الرباني ؛ أي : ما قال المنبوذ عندكم بالتجسيم مثل ما قد قال الأشعري .

قوله : فارموه ويحكم بما ترموا به هذا المجسم الخ ... أي : فشنعوا بمثل ما شنعتم به على اصحاب الحديث الذين هم عندكم مجسمة .

وقوله : بما ترموا به . الأصل : ترمون به ، ولكن حذف النون للوزن .

وقوله : تنفس الصعداء كالبرحاء : تنفس طويل ، قاله في « القاموس » .

وقوله : الداء العضال . قال في « القاموس » داء عضال ، كغراب ، يعني غالب

قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

وانظر الى حرب وإجماع حكى ... لله درك من فتى كرمان

حرب : هو أبو محمد حرب بن إسماعيل الكرماني ، صاحب الامام احمد ، صاحب المسائل المعروفة التي نقلها عن أحمد ، واسحاق ، وغيرهما ، وذكر معها من الآثار عن النبي ﷺ والصحابة وغيرهم ما ذكره ، وهو كتاب كبير ، صنفه على طريقة « الموطأ » ونحوه من المصنفات . قال في آخره في « الجامع » : باب : القول في المذهب ، هذا مذهب أئمة العلم ، وأصحاب الأثر ، وأهل السنة المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها ، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق ، والحجاز ، والشام ، وغيرهم عليها ،

---

(١) في الاصل : بأحسن التقرير .

فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب ، أو طعن فيها ، أو عاب قائلها ؛ فهو مبتدع خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة ، وسبيل الحق ، وهو مذهب أحمد ، واسحق بن ابراهيم بن مخلد ، وعبد الله بن الزبير الحميدي ، وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم ، وذكر الكلام في الايمان والقدر ، والوعيد ، والإمامة ، وما أخبر به الرسول من أشراط الساعة ، وأمر البرزخ والقيامة وغير ذلك .. الى أن قال : وهو سبحانه بائن من خلقه ، لا يخلو من علمه مكان ، ولله عرش ، وللعرش حملة يحملونه ، وله حد ، والله أعلم بحده ، والله على عرشه عز ذكره ، وتعالى جده ، ولا اله غيره ، والله تعالى سميع لا يشك ، بصير لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حليم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ، يقظان لا يسهو ، رقيب لا يغفل ، يتكلم ، ويتحرك ، ويسمع ، ويبصر ، وينظر ، ويقبض ، ويبسط ، ويفرح ، ويحب ، ويكره ، ويبغض ، ويرضى ، ويسخط ، ويغضب ، ويرحم ، ويعفو ، ويغفر ، ويعطي ، ويمنع ، وينزل كل ليله إلى السماء الدنيا كيف شاء ، وكما شاء ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . . . الى أن قال : ولم يزل الله متكلماً ، عالماً ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وانظر الى قول ابن وهب أوحد الـعلماء مثل الشمس في الميزان

ابن وهب : هو الامام عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي المصري صاحب الامام مالك بن أنس ، ولم أقف على كلامه فأحكيه .

وانظر الى ما قال عبد الله في تلك الرسالة مفصحاً ببيان

من أنه سبحانـه وبحمده بالذات فوق العرش والاكوان

قال الامام أبو محمد ابن أبي زيد المغربي القيرواني ، شيخ المالكية في وقته في أول رسالته المشهورة في مذهب الامام مالك : وإنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته ، وانه في كل مكان بعلمه . وذكر ابن أبي زيد أيضاً في كتاب « الفرد » في السنة تقرير العلو ، واستواء الرب على العرش بذاته ، وقرره أتم تقرير . وقال في « مختصر المدونة » : وإنه تعالى فوق عرشه بذاته ، فوق سمواته دون أرضه .

وانظر الى ما قاله الكرخي في   شرح لتصنيف امرىء رباني

وانظر الى الاصل الذي هو شرحه   فهما الهدى للمدد حيران

لم أقف على شرح الكرخي ، ولا أصله فأسوقه .

وانظر الى تفسير عبد ما الذي   فيه من الآثار في ذا الشان

وانظر الى تفسير ذاك الفاضل الثـ   ـبت الرضى المتضلع الرباني

ذاك الامام ابن الامام وشيخه   وأبوه سفيان فرازيّان[1]

يريد التفسير المشهور تأليف الامام الحافظ الثبت أبي محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم ، محمد بن ادريس الرازي رحمهما الله تعالى ؛ وتفسيره المذكور في أربع مجلدات ، والبيت الثاني فيه قلق ، ولم يظهر المراد منه

قوله : وشيخه وأبوه سفيان ، أما أبوه فهو الحافظ أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي الحنظلي . وأما قوله : وأبوه سفيان فلا نعلم ما المراد به . وفي بعض النسخ ، فانظر ذان ، وفي بعضها فرا زيّان .

وانظر الى النسائي في تفسيره   هو عندنا سفر جليل معان

---

(١) في الاصل : فانظر ذان .

النسائي : هو الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، صاحب « السنن »

واقرأ كتاب العرش للعبسي وهـو محمد المولود من عثمان

قال الحافظ أبو جعفر محمد بن عثمان بن محمد بن ابي شيبة العبسي ، محدث الكوفة في وقته ، قال في كتاب « العرش » : وذكروا أن الجهمية يقولون : ليس بين الله وبين خلقه حجاب ، وأنكروا العرش ، وأن يكون الله فوقه ، وقالوا : إنه في كل مكان ، ففسرت العلماء (وهو معكم) الحديد : ٤ يعني علمه ، ثم تواترت الأخبار أن الله تعالى خلق العرش فاستوى عليه ، فهو فوق العرش ، متخلصاً من خلقه ، بائناً منهم انتهى كلامه .

واقرأ لمسند عمه ومصنف أتراهما نجمين بل شمسان

واقرأ كتاب الاستقامة للرضى ذاك ابن أصرم حافظ رباني

واقرأ كتاب الحافظ الثقة الرضى في السنة العليا فتى الشيباني

ذاك ابن أحمد أوحد الحفاظ قد شهدت له الحفاظ بالاتقان

هو الامام الحافظ الثقة عبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى ، و كتابه المشهور في « السنة » نحو مجلد

واقرأ كتاب الاثرم العدل الرضى في السنة الأولى امام زمان

هو ابو بكر أحمد بن محمد بن هانيء ابو بكر الأثرم .

وكذا الامام ابن الامام المرتضى حقاً ابي داود ذي العرفان

تصنيفه نثراً ونظماً واضحاً ... في السنة المثلى هما نجمان

قال الحافظ الذهبي في كتاب « العلو » : أخبرنا أحمد بن عبد الحميد ، أنبانا أبو محمد بن قدامة سنة ثماني عشرة وستمائة ، أخبرتنا فاطمة بنت علي ، أنبأنا علي بن بيان ، أنبأنا الحسين بن علي الطناجيري أنبأنا ابو حفص ابن شاهين. قال : شيخنا أبو بكر عبد الله بن سليمان هذه القصيدة وجعلها محنة .

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ... ولا تك بدعيا لعلك تفلح

ودن بكتاب الله والسنن التي ... أتت عن رسول الله تنجو وتربح

وقل غير مخلوق كلام مليكنا ... بذلك دان الاتقياء وأفصحوا

ولا تقل القرآن خلق قراءة ... فان كلام الله باللفظ يوضح

وقل يتجلى الله للخلق جهرة ... كما البدر لا يخفى وربك أوضح

وليس بمولود وليس بوالد ... وليس له شبه تعالى المسبح

وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا ... بمصداق ما قلنا حديث مصرح

رواه جرير عن مقال محمد ... فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجح

وقل ينزل الجبار في كل ليلة ... بلا كيف جل الواحد المتمدّح

الى طبق الدنيا يمن بفضله ... فتفرج أبواب السماء وتفتح

يقول ألا مستغفر يلق غافراً ... ومستمنح خيراً ورزقاً فيمنح

روى ذاك قوم لا يرد حديثهم ... ألا خاب قوم كذبوهم وقبّحوا

وقل إن خير الناس بعد محمد وزيراه قدما ثم عثمان الارجح

ورابعهم خير البرية بعدهم علي حليف الخير بالخير ممنح

وإنهمُ والرهط لا ريب فيهم على نجب الفردوس بالنور تسرح

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة وعامر فهر والزبير الممدح

وقل خير قول في الصحابة كلهم ولا تك طعاناً تعيب وتجرح

فقد نطق الوحي المبين بفضلهم وفي الفتح آي في الصحابة تمدح

وبالقدر المقدور أيقن فانه دعامة عقد الدين والدين أفيح

ولا تنكرن جهلاً نكيراً ومنكراً ولا الحوض والميزان إنك تنصح

وقل يخرج الله العظيم بفضله من النار أجساداً من الفحم تطرح

على النهر في الفردوس[1] تحيي بمائه كحبة حمل السيل إذ جاء يطفح

وإن رسول الله للخلق شافع وقل في عذاب القبر حق موضح

ولا تكفرن أهل الصلاة وإن عصوا وكلهم يعصي وذو العرش يصفح

ولا تعتقد رأي الخوارج إنه مقال لمن يهواه يردي ويفضح

ولا تك مرجياً لعوباً بدينه ألا انما المرجيّ بالدين يمزح

وقل إنما الإيمان قول ونية وفعل على قول النبي مصرح

وينقص طوراً بالمعاصي وتارة بطاعته ينمي وفي الوزن يرجح

---

(١) في الاصل : في الفردود.

ودع عنك آراء الرجال وقولهم … فقول رسول الله أزكى وأشرح
ولا تك من قوم تلهوا[1] بدينهم … فتطعن في أهل الحديث وتقدح
إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه … فأنت على خير تبيت وتصبح

هذه القصيده متواترة عن ناظمها ، رواها الآجري ، قلت : وقد شرحها أيضاً أبو علي ابن البنا الحنبلي ، وصنف لها شرحاً ، وابو عبد الله ابن بطة في « الابانة » قال ابن ابي داود ، هذا قول أبي ، وقول شيوخنا ، وقول العلماء ممن لم نرهم ، كما بلغنا عنهم ، فمن قال غير ذلك فقد كذب . كان أبو بكر من الحفاظ المبرزين ، ما هو بدون أبيه ، صنف التصانيف ، انتهت اليه رئاسة الحنابلة ببغداد توفي سنة ٣١٦. انتهى كلام الذهبي .

واقرأ كتاب السنة الأولى الذي … أرواه مضطلع من الإيمان
ذاك النبيل ابن النبيل كتابه … أيضا نبيل واضح البرهان

قال الحافظ الامام قاضي أصبهان ، وصاحب التصانيف ، أبو بكر أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم الشيباني : جميع ما في كتابنا كتاب « السنة الكبير » الذي فيه الأبواب من الاخبار التي ذكرنا أنها توجب العلم ، فنحن نؤمن بها لصحتها ، وعدالة ناقليها ، ويجب التسليم لها على ظاهرها ، وترك تكلف الكلام في كيفيتها ، فذكر من ذلك النزول الى السماء الدنيا ، والاستواء على العرش ، سمعت عاتكة بنت أبي بكر هذا الكلام من أبيها ، وكانت فقيهه عالمـــة ، وكان أبوها شيخ الظاهرية بأصبهان ، كما أن شيخهم بالعراق داود بن علي . روى عن أصحاب شعبة ، وحماد بن سلمة ، وقع لنا جملة من تصانيفه ، ومات سنة سبع وثمانين ومائتين (٢٨٧) ، لم يلحق

(١) اي جعلوا دينهم لهواً.

جده أبا عاصم النبيل ، ولحق جده لأمه موسى بن اسماعيل التبوذكي .

وانظر الى قول ابن أسباط الرضى   وانظر الى قول الرضى سفيان

أي سفيان بن عيينه . قال أحمد بن ابراهيم الدورقي : حدثني أحمد بن نصر قال : سألت سفيان بن عيينة وأنا في منزله بعد العتمة ، فجعلت ألح عليه في المسألة فقال : دعني أتنفس ، فقلت : كيف حديث عبد الله عن النبي ﷺ « ان الله يحمل السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع »[1] وحديث « ان قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن »[2] وحديث « ان الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الاسواق » فقال سفيان : هي كما جاءت ، نقر بها ، ونحدث بها بلا كيف .

وانظر الى قول ابن زيد ذاك حمّـــاد وحماد الامام الثاني

حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي أبو اسمعيل البصري مولى آل جرير بن حازم ، وكان جده درهم من سبي سجستان . روى عن أنس ابن سيرين ، وثابت البناني ، وحميد الطويل ، وأبي حازم مسلمة بن دينار ، وعمرو بن دينار ، وأبي جمرة نصر بن عمران الضبعي ، وهشام بن عروة ، ويحي بن سعيد الانصاري ، وهؤلاء كلهم تابعيون في جماعة آخرين . وعنه الاسود بن عامر شاذان ، وسعيد بن منصور ، وسفيان الثوري ، وهو أكبر منه ، وسفيان بن عيينة ، وهو من أقرانه ، وعبد الله بن المبارك ،

---

(١) اخرجه الشيخان .

(٢) رواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه بلفظ « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن » . ورواه احمد في « مسنده » أيضاً .

وعبدالله بن وهب ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وعلي بن المديني ، وو كيع والهيثم بن سهل التستري ، وهو آخر من وروى عنه . قال عبد الرحمن بن مهدي : أئمة الناس في زمانهم أربعة : سفيان الثوري في الكوفة ، ومالك بالحجاز ، والأوزاعي بالشـام ، وحماد بن زيد بالبصرة . وقـال : لم أر أحداً قط أعلم بالسنة ولا بالحديث الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد . وقال مرة : مارأيت بالبصرة أفقه منه . وقال أحمد بن حنبل : حماد بن زيد أحب إلينا من عبد الوارث ، حماد بن زيد من أئمة المسلمين من اهل الدين والاسلام ، وهو أحب الي من حماد بن سلمة . وقـال أحمد بن سعيد الدارمي : سمعت أبا عاصم يقول : مات حماد بن زيد يوم مات ، ولا أعلم له في الاسلام نظيراً فيما أظنه . قال : وسمعته وكان عبد الله بن المبارك ينشد

ايها الطالب علمـا ... إئت حماد بن زيد

فخذ العلم بحـلم ... ثم قيده بقيـد

لا كثور وكجهم ... وكعمرو بن عبيد

مات سنة تسع وستين ومائة[1] ، قاله جماعة ، منهم عارم ، والفلاس. زاد عارم : يوم الجمعة لعشر ليال خلون من رمضان . روى له الأئمة الستة قال عبد الرحمن ابن ابي حاتم الرازي الحافظ في كتاب «الرد على الجهمية ثنا أبي ، ثنا سليمان بن حرب ، سمعت حماد بن زيد يقول . إنما يدورون على أن يقولوا : ليس في السماء اله ، يعنى الجهمية .

قوله : وحماد الامام الثاني ، وهو حماد بن سلمة بن دينار الامام العالم أبو سـلمه البصري ، عن أبي عمران الجوني ، وثابت ، وابن مليك ،

(١) في « تهذيب التهذيب » مات سنة (١٧٩) .

وعبدالله بن كثير ، وخلق . وعنه مالك ، وشعبة ، وسفيان ، وابن مهدي ، وعارم ، وعفان ، وأمم . وكان ثقة ، له أوهام . قال أحمد : هو أعلم الناس بحديث خاله حميد الطويل ، وأثبتهم فيه . وقال ابن معين : هو أعلم الناس بثابت . وقال آخر : إذا رأيت الرجـــل يقع في حماد فاتهمه على الاسلام . قال علي بن المديني : كان عند يحيى بن الضرير عن حماد عشرة آلاف حديث . وقال عمرو بن سلمة : كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألف حديث . وقال ابن المبارك : مارأيت أحداً كان أشبه بمالك الأول من حماد بن زيد . وروى الكوسج عن ابن معين : ثقة . وقال آخر : كان من الابدال ، وعلامة الابدال أن لا يولد لهم ، تزوج سبعين امرأة فلم يولد له قال أبو عمرو الجرمي : مارأيت فقيهاً قط أفصح من عبد الوارث الا حماد ابن سلمة . وقال عفان : رأيت من هـــو أعبد من حماد ، لكن مارأيت أشد مواظبة على الخير ، وقراءة القرآن ، والعمل لله منه ، ولو قلت : انني ما رأيته ضاحكاً قط صدقت ، كان مشغولاً بنفسه ، إما يقرأ ، أو يسبح ، أو يحدث ، أو يصلي . وقال ابن مهدي . لو قيل لحماد : إنك تموت غداً مقـــدر أن يزيد في عمله شيئاً . وقال يونس المؤدب . مات حماد في المسجد ، وهو يصلي . وقال ابن حبان : لم ينصف من جانب حديث حماد ، واحتج بأبي بكر ابن عياش ، وعبد الرحمن بن عبدالله بن دينار ، وكان خزازاً ، من العباد المجابي الدعوة . وقال وهيب : كان حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا . وقال عفان : اختلف أصحابنا في سعيد بن أبي عروبة ، وحماد بن سلمة ، فصرنا الى خالد بن الحارث ، فسألناه فقال : حماد أحسنها حديثاً ، وأثبتهما لزوماً للسنة ، فرجعنا الى يحيى القطان فأخبرناه فقال : أقال لكم : وأحفظها ؟ قلنا : لا . وقال أحمد : ويحيى ثقة . وقال ابن المديني : من

سمعتموه يتكلم في حماد فاتهموه . وقال رجل لعفان : أحدثك عن حماد قال : من حماد ويلك ؟ قال : ابن سلمة . قال : ألا تقول: أمير المؤمنين ؟ مات حماد رحمه الله تعالى سنة ١٦٧ سبع وستين ومائة[١]. انتهى ملخصاً من « الميزان » للذهبي رحمه الله تعالى .

وانظر الى ما قاله علم الهدى　　عثمان ذاك الدارمي الرباني

في نقضه والرد يا لهما كتا　　با سنة وهما لنا علمان

هدمت قواعد فرقة جهمية　　خرت[٢] سقوفهم على الحيطان

أي : وانظر الى ما قاله الامام العلامة عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه المسمى : «رد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد» ، و كتاب « الرد على الجهمية » فانهما كتابان حافلان بنقض شبهات الجهمية ، وقمع أضاليلهم ، وقطع أباطيلهم ، فرحمه الله من إمام .

وانظر الى ما في صحيح محمد　　ذاك البخاري العظيم الشان

من رده ما قاله الجهمي بالنـ　　ـقل الصحيح الواضح البرهان

وانظر الى تلك التراجم ما الذي　　في ضمنها ان كنت ذا عرفان

وانظر الى ما قاله الطبري في الشـ　　ـرح الذي هو عندكم سفران

أعني الفقيه الشافعي اللا　　لكائي المسدد ناصر الايمان

أي : وانظر الى ما قاله أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي الطبري في كتاب « شرح اعتقاد أهل السنة » وهو مجلد ضخم . قال : الامام

---

(١) في الاصل : ١٦٩ ، والتصحيح من « الميزان » للذهبي .

(٢) في الاصل : فخرت .

الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري الشافعي مصنف كتاب « شرح اعتقاد أهل السنه » سياق ما روي في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وإن الله على عرشه . قال الله عز وجل (إليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٠ وقال : (أأ منتم من في السماء) الملك : ١٦ وقال : (وهو القاهر فوق عباده) الأنعام : ١٨، ٦١ فدلت هذه الآيات أنه في السماء ، وعلمه بكل مكان . روي ذلك عن عمر ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وام سلمة : ومن التابعين : ربيعة ، وسليمان التيمي ، ومقاتل بن حيان ، وبه قال مالك ، والثوري ، وأحمد .

وانظر الى ما قاله علم الهدي التيمي في إيضاحه وبيان

ذاك الذي هو صاحب الترغيب والترهيب ممدوح بكل لسان

قال : الامام الحافظ ابو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الطلحي الأصبهاني مصنف « الترغيب والترهيب » ، وقد سئل عن صفات الرب فقال : مذهب مالك ، والثوري ، والاوزاعي ، والشافعي ، وحماد ابن سلمة ، وحماد بن زيد ، وأحمد ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن ابن مهدي ، واسحاق بن راهويه : إن صفات الله التي وصف بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله ، من السمع ، والبصر ، والوجه ، واليدين ، وسائر أوصافه ، إنما هي على ظاهرها المعروف المشهور من غير كيف يتوهم فيها ، ولا تشبيه ، ولا تأويل . قال ابن عيينة : كل شيء وصف الله به نفسه ، فقراءته تفسيره ، ثم قال : أي : هو على ظاهره لا يجوز صرفه الى المجاز بنوع من التأويل . وقال رحمه الله تعالى في كتاب « الحجة » : قال علماء السنة : إن الله عز وجل على عرشه ، بائن من خلقه . وقالت المعتزلة : وهو بذاته

في كل مكان . قال : ورُوي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : (مايكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم) المجادلة ٧ قال : هو على عرشه ، وعلمه في كل مكان . قال : وزعم هؤلاء أن معنى (الرحمن على العرش استوى) طه : ٢٥ أي ملكه ، وأنه لا اختصاص له بالعرش أكثر مما له بالأمكنة ، وهذا إلغاء لتخصيص العرش وتشريفه . قال أهل السنة : استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض على ما ورد به النص ، وليس معناه المماسة ، بل هو مستو على عرشه بلا كيف ، كما أخبر عن نفسه . قال : وزعم هؤلاء أنه لا يجوز الاشارة الى الله بالرؤوس ، والأصابع الى فوق ، فان ذلك يوجب التحديد ، وأجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى ، ونطق بذلك القرآن ، فزعم هؤلاء أن ذلك بمعنى علو الغلبة ، لا علو الذات ، وعند المسلمين أن لله علو الغلبة ، والعلو من سائر وجوه العلو ، لأن صفة العلو صفة مدح ، فثبت أن لله تعالى علو الذات ، وعلو الصفات ، وعلو القهر ، والغلبة . وفي منعهم الاشارة الى الله من جهة الفوق ، خلاف [1] لسائر الملل ، لأن المسلمين وقع منهم الاجماع على الاشارة الى الله من جهة الفوق ، في الدعاء ، والسؤال ، واتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة . وقد أخبر عن فرعون أنه قال : (ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب. أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر: ٣٦، ٣٧ فكان فرعون قد فهم عن موسى أنه كان يثبت إلهاً فوق السماء ، حتى رام بصرحه أن يطلع اليه ، واتهم موسى بالكذب في ذلك ، والجهمية لا تعلم أن الله فوقها بوجود ذاته ، فهم أعجز فهماً من فرعون ، بل وأضل ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه حكم بإيمان الجارية حين قالت : إن الله في السماء ، وحكم الجهمي

---

(١) في الاصل : خلافاً .

يكفر من يقول ذلك . انتهى كلام أبي القاسم رحمه الله تعالى. توفي سنة ٥٣٥

قال الناظم :

وانظر الى ما قالـــه في السنة الكبرى سليمان هو الطبراني

صنف الحافظ الكبير أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي نزيل أصبهان كتاب « السنة » قال فيه : باب ماجاء في استواء الله على عرشه ، بائن من خلقه ، فساق في الباب حديث أبي رزين العقيلي . قلت : يارسول الله ، أين كان ربنا ؟ وحديث عبد الله بن خليفة عن عمر في علو الرب على عرشه ، وحديث الأوعال[1] وأن العرش على ظهورهن ، وأن الله فوقه . وقول مجاهد في المقام المحمود توفي رحمه الله سنة ٣٦٠ ستين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

وانظر الى ما قاله شيخ الهدى يـدعى بطلمنكيهم ذو شان

قال الحافظ الامام أبو عمر أحمد بن محمد بن عبـــد الله الأندلسي الطلمنكي المالكي في كتاب « الوصول الى معرفة الاصول » وهو مجلدان : أجمع المسلمون من أهل السنة ، على أن معنى قوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) الحديد : ٤ ونحو ذلك من القرآن ، انه علمه ، وان الله تعالى فوق السموات بذاته ، مستو على عرشه كيف شاء . وقال أهل السنة في قوله (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ ان الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة ، لا على المجاز ، فقد قال قوم من المعتزلة والجهمية : لايجوز أن يسمى الله عز وجل بهذه الأسماء على الحقيقة ، ويسمى بها المخلوق ، فنفوا عن الله الحقائق

---

(١) رواه الترمذي وقال «هذا حديث غريب» وابو داود رقم (٤٧٢٣) وفي سنده عبد الله بن عميرة ، قال الحافظ الذهبي . فيه جهالة وفيه أيضاً (الوليد بن أبي ثور) قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب» ضعيف .

من أسمائه ، وأثبتوها لخلقه ، فاذا سئلوا : ما الذي حملهم على هذا الزيغ ؟ قالوا : الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه ، قلنا : هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها ، لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه في اللغة لا يشتبه بالتسمية ، وانما تشتبه الأشياء بأنفسها ، أو بهيئات فيها ، كالبياض بالبياض ، والسواد بالسواد ، والطويل بالطويل ، والقصير بالقصير ، ولو كانت الأشياء توجب اشتباهاً ، لاشتبهت الأشياء كلها ، لعموم اسم الشيء لها ، وعموم تسمية الاشياء به ، فنسألهم : أتقولون : إن الله موجود ؟ فان قالوا : نعم . قيل لهم : يلزمكم على دعواكم أن يكون مشبهاً للموجودين ، وإن قالوا : موجود ، ولايوجب وجوده الاشتباه بينه وبين الموجودات . قلنا : فكذلك هو ، حي ، عالم ، قادر ، مريد ، سميع ، بصير ، متكلم . يعني ولا يلزم اشتباهه بمن اتصف بهذه الصفات .

كان الطلمنكي من كبار الحفاظ ، وأئمة القراء بالأندلس ، عاش بضعاً وثمانين سنة ، وتوفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة .

وانظر الى قول الطحاوي الرضى   وأجره من تحريف ذي بهتان

قال الامام عالم الديار المصرية في وقته أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي الحنفي رحمه الله « في العقيدة التي ألفها »[١] (في) ذكر بيان (عقيدة أهل) السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة : أبي حنيفة ، وأبي يوسف ، ومحمد ، رضي الله عنهم : نقول في توحيد الله معتقدين أن الله واحد لا شريك له ، ولا شيء مثله ، مازال بصفاته قديماً قبل خلقه ، وأن القرآن كلام الله ، منه بدا بلا كيفية قولاً ، وأنزله على نبيه وحياً ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً ،

---

(١) وقد قمنا قريباً بطبعها مع شرحها طبعة جيدة محققة .

وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة، ليس بمخلوق، فمن سمعه وزعم أنه كلام البشر فقد كفر، والرؤية لأهل الجنة حق، بغير احاطة، ولا كيفية، وكل مافي ذلك من الصحيح عن رسول الله ﷺ، فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولايثبت قدم الاسلام الا على التسليم والاستسلام، فمن رام ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصحيح الايمان، ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل، ولم يصب التنزيه.. إلى ان قال: والعرش والكرسي حق، كما بين في كتابه، وهو مستغن عن العرش، ومادونه محيط بكل شيء، وفوقه. انتهى.

وكذلك القاضي أبو بكر هو ابـــن الباقلاني قائد الفرسان
قد قال في تمهيده ورسائل والشرح مافيه جلي بيان
في بعضها حقاً على العرش استوى لكنه استولى على الأكوان
وأتى بتقرير العلو وأبطل الـــلام التي زيدت على القرآن
من أوجه شتى وذا في كتبه باد لمن كانت له عينان

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني الأشعري في كتابه «التمهيد في أصول الدين» وهو من أشهر كتبه: فان قال قائل: فهل تقولون: إنه في كل مكان؟ قيل: معاذ الله، بل هو مستو على عرشه، كما أخبر في كتابه. فقال: (الرحمن على العرش استوى) طه: ٥ وقال: (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) الملك: ١٦ ولو كان في كل مكان، لكان في جوف الأنسان، وفي فمه، وفي الحشوش، والمواضع القذرة التي يرغب عن ذكرها، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. ثم قـــال

تعالى : (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) الزخرف : ٨٤ المراد انه إله عند أهل السماء ، وإله عند أهل الأرض ، كما يقال : فلان سيد مطاع في المصرين ؛ أي : عند أهلهما ، وليس يعنون أن ذات المذكور بالحجاز ، وبالعراق موجودة .

وقوله : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) النحل : ١٢٨ يعني بالحفظ والنصر والتأييد ، ولم يرد أن ذاته معهم تعالى ، وقوله : (إنني معكما أسمع وأرى) طه : ٤٦ محمول على هذا التأويل .

وقوله : (مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) المجادلة : ٧ إنه عالم بهم ، وبما خفي من سرهم ونجواهم ، وهذا إنما يستعمل كما ورد به القرآن ، فلا يجوز أن يقال قياساً على هذا : إن الله بالقيروان ، ومدينة السلام ، ودمشق ، وإنه مع الثور ، والحمار ، وإنه مع الفساق ، ومع المصعدين الى حلوان ، قياساً على قوله : (إن الله مع الذين اتقوا) النحل : ١٢٨ فوجب التأويل على ما وصفنا ، ولايجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلاؤه ، كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق

لأن الاستيلاء هو القدرة والقهر ، والله تعالى لم يزل قادراً قاهراً .

وقوله : (ثم استوى) : يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن ، فبطل ما قالوه . وقال في كتاب « الذب عن أبي الحسن الأشعري » كذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله ﷺ في صفات الله ، إذا صح من إثبات اليدين ، والوجه ، والعينين . ونقول : إنه يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام ، وإنه ينزل الى السماء الدنيا ، وإنه مستو على عرشه ... الى أن

قال : وقد بينا دين الأئمة وأهل السنة ، أن هـــذه الصفات تمر كما جاءت ، بغير تكييف ، ولا تحديد ، ولا تجنيس ، ولا تصوير ، كما روي عن الزهري وعن مالك في الاستواء،فمن تجاوز هذا فقد تعدى ، وابتدع ، وضل .

قال الحافظ الذهبي : فهذا نفس هذا الامام ، وأين مثله في تبحره ، وذكائه وبصره بالملل والنحل ، فلقد امتلأ الوجـــود بقوم لايدرون ما السلف ، ولا يعرفون الا السلب ، ونفي الصفات وردها ، صم بـــكم غتم عجم ، يدعون الى العقل ، ولايكونون على النقل ، فانا لله وانا إليه راجعون .

مات القاضي أبو بكر رحمه الله في سنة ثلاث وأربعمائة وهو في عشر السبعين ، وقد سارت بمصنفاته الركبان

وانظر الى قول ابن كلاّب وما   يقضي بـــه لمعطل الرحمن
أُخوج من النقل الصحيح وعقله   من قال قول الزور والبهتان
ليس الإله بداخل في خلقه   أو خارج من جملة الاكوان

قد تقدم نقل كلام ابن كلاب بما يغني عن الاعادة .

وانظر الى ما قاله الطبري في الـــتفسير والتهذيب قول معان
وانظر الى ما قاله في سورة الأعـــراف مع طه ومع سبحان

أي وانظر الى ما قاله الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطـــبري في « تفسيره » وفي« تهذيب الآثار » قال الذهبي في كتاب « العلو » : أخبرنا أبو الفضل أحمد بن هبة الله بن عساكر ، أنبأ زين الأمناء الحسن بن محمد ، أنبأ أبو القاسم الأسدي ، أنبأنا أبو القاسم ابن أبي العلاء ، أنبأ عبد الرحمن ابن

أبي نصر ، أنبأ أبو سعيد الدينوري مستملي محمد بن جرير ، قال : قرىء على أبي جعفر محمد بن جرير الطبري وأنا أسمع في عقيدته ، قال : وحسب امرىء أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى ، فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر . انتهى . «تفسير ابن جرير» مشحون بأقوال السلف على الاثبات ، نقل في قوله تعالى (ثم استوى الى السماء) البقرة : ٢٩ عن الربيع بن أنس (استوى) : بمعنى ارتفع ، ونقـــل في تفسير (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ في المواضع كلها ؛ أي : علا وارتفع . وقد روى قول مجاهد ، ثم قال : ليس في فرق الاسلام من ينكر هذا ، لا من يقر أن الله فوق العرش ، ولا من ينكره من الجهمية ونحوهم . وقال في كتاب «التبصير في معالم الدين» : القول فيما أدرك علمه من الصفات خبراً ، وذلك نحو اخباره عز وجل أنه سميع بصير ، وأن له يدين بقوله : (بل يداه مبسوطتان) المائدة : ٦٤ وأن له وجهاً بقوله : (ويبقى وجه ربك) الرحمن : ٢٧ وان له قدماً بقول النبي ﷺ « حتى يضع الرب فيها قدمه »[1] وأنه يضحك بقوله : « لقي الله وهو يضحك إليه »[2] وأنه يهبط الى سماء الدنيا ، لخبر

---

(١) رواه البخاري في « صحيحه » عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يلقى في النار وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع قدمه فتقول : قط قط » ورواه أحمد ومسلم عن انس ايضاً بلفظ « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول : هل من مزيد ، حتى حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فينزوي بعضها الى بعض وتقول: قط قط ».

(٢) روى البخاري في « صحيحه » عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد ».

رسول الله ﷺ بذلك[١] وأن له أصبعاً بقول رسوله : « ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن »[٢] فان هـــذه المعاني التي وصفت ، ونظائرها مما وصف الله به نفسه ورسوله ، مالا يثبت حقيقة علمه بالفكر والروية ، لانكفر بالجهل بها أحداً الا بعد انتهائها اليه . أخرج هذا الكلام لابن جرير القاضي أبو يعلى في كتاب « إبطال التأويل » له. وقال في قوله عز وجل : (وقـال فرعون ياهامان ابن لي صرحـاً لعلي أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر . ٣٦ ، ٣٧ يقول : وإني لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويدعي أن له رباً في السماء أرسله إلينا . توفي ابن جرير رحمه الله سنة ٣١٠ عشر وثلاثمائة .

وانظر الى ماقاله البغوي في تفسيره والشرح بالاحسان في سورة الأعراف عند الاستوا فيها وفي الأولى من القرآن

قال الامام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره عند قوله تعالى (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ قـــال الكلبي

---

(١) أخرج الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » .

(٢) رواه أحمد ، وابن ماجه ، والحاكم وقال : صحيح ، وأقره الذهبي . وقال الحافظ العراقي : وسنده جيـد . ورواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم مصرف القلوب ، صرف قلوبنا على طاعتك » .

ومقاتل: استقر. وقال ابو عبيدة: صعد. وأولت المعـتزلة الاستواء بالاستيلاء. وأما أهل السنة، فيقولون: الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف، يجب الايمان به. وقال في قوله (ثم استوى إلى السماء) البقرة: ٢٩: قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: ارتفع إلى السماء. وقال في قوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) البقرة: ٢١٠ الأولى في هذه الآية، وماشاكلها، أن يؤمن الانسان بظاهرها، ويكل علمها الى الله، ويعتقد أن الله منزه عن سمات الحـدث، على ذلك مضت السلف؛ وعلماء السنة. وقال في قوله: (مايكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم) المجادلة: ٧؛ أي: من سرار ثلاثة إلا هو رابعهم بالعلم.

كان محيي السنة من كبار أئمة مذهب الشافعية، وهو الحسين بن مسعود ابن محمد أبو محمد البغوي صاحب «التفسير» و «شرح السنة» و «التهذيب» في الفقة و «الجمع بين الصحيحين» و «المصابيح» في الصحاح والحسان، وغير ذلك. تفقه على القاضي حسين، وبرع في هذه العلوم، وكان علامة زمانه فيها، وكان ديناً، ورعاً، زاهداً، عابداً صالحاً. توفي في شوال سنة ٥١٦ ست عشرة وخمسمائة. وقيل: سنة عشر.

وانظر الى ما قاله ذو سنة   وقراءة ذاك الامام الداني

قال الحافظ امام القراء أبو عمرو، عثمان بن سعيد[١] الداني صاحب «التيسير» في أرجوزته التي في عقود الديانة.

كلم موسى عبده تكليما   ولم يزل مدبراً حكيما

كلامه وقوله قديم   وهو فوق عرشه عظيم

---

(١) في الاصل: سعد، وهو خطأ.

والقول في كتابه المفضل | بأنه كلامه المنزل
على رسوله النبي الصادق | ليس بمخلوق ولا بخالق

توفي الداني رحمه الله في شوال سنة ٤٤٤ أربع واربعين وأربعمائة ، بـ « دانية » من الاندلس ، ومشى السلطان أمام نعشه.

وكذاك سنة الاصبهاني أبي الـ | شيخ الرضى المستل من حيان

قال محدث أصبهان ـ مع الطبراني ـ أبو محمد ابن حيان رحمه الله في كتاب « العظمة » له : ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه ، وعظم خلقهما وعلو الرب فوق عرشه ، ثم ساق جملة من الاحاديث في ذلك. أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري ، صاحب المصنفات السائرة ، ويعرف بأبي الشيخ . ولد سنة أربع وسبعين ومائتين ، وسمع في سنة أربع وثمانين وهلم جرا ، وكتب العالي والنازل ، ولقي الكبار ، وسمع من جده لأمه الزاهد محمود بن الفرج ، وابراهيم بن سعدان ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن حفص الهمداني ، رئيس أصبهان ، وأبي بكر ابن أبي عاصم ، وأبي يعلى الموصلي ، وأبي عروبة الحراني ، وكان مع سعة علمه وغزارة حفظه ، صالحاً ، خيراً ، قانتاً لله ، صدوقاً ، حدث عنه أبو بكر ، أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي ، وأبو بكر ابن مردويه ، وأبو سعيد الماليني ، وأبو نعيم ، والفضل بن محمد القاشاني ، وأبوطاهر بن عبدالرحيم الكاتب ، وخلق كثير . قال ابن مردويه : ثقة مأمون ، صنف « التفسير » ، والكتب الكثيرة في الأحكام ، وغير ذلك . وقال أبو بكر الخطيب : كان حافظاً ، ثبتاً ، متقناً . وروي عن بعض العلماء قال : ما دخلت على الطبراني إلا وهو يمزح أو يضحك ، وما دخلت على ابي الشيخ إلا وهو يصلي . قال أبونعيم :

كان أحد الاعلام صنف «الأحكام» و«التفسير»، وكان يفيد عن الشيوخ، ويصنف لهم ستين سنة، وكان ثقة. قال الذهبي: وله كتاب «السنة» وكتاب «فضائل الأعمال» و «السنة الكبير» وكان إماماً في الحديث، رفيع الاسناد. توفي سنة ٣٦٩ تسع وستين وثلاثمائة وهو في عشر المائة.

وانظر ما قاله ابن سريج ذاك البحر الخضم الشافعي الثاني

سريج: بضم السين وفتح الراء وبعدها ياء ثم جيم، وهو أبو العباس، أحمد بن عمر بن سريج، فقيه العراق. قال أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني: سألت أيدك الله بيان ماصح لدي من مذهب السلف، وصالحي الخلف في الصفات، فاستخرت الله تعالى، وأجبت بجواب الفقيه أحمد بن عمر بن سريج رحمه الله، وقد سئل عن هذا، ذكره أبو سعيد عبد الواحد بن محمد الفقيه، قال: سمعت بعض شيوخنا يقول: سئل ابن سريج رحمه الله عن صفات الله تعالى، فقال: حرام على العقول أن تمثل الله، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الالباب أن تصفه إلا بما وصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله، وقد صح عند جميع أهل الديانة والسنة إلى زماننا هذا، أن جميع الآي، والأخبار الصادقة عن رسول الله ﷺ، يجب على المسلمين الايمان بكل واحد منه كما ورد، وأن السؤال عن معانيها بدعة، والجواب كفر وزندقة، مثل قوله: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) البقرة: ٢١٠ وقوله: (الرحمن على العرش استوى) طه: ٥ (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر: ٢٢ ونظائرها مما نطق به القرآن، كالفوقية، والنفس، واليدين، والسمع، والبصر، وصعود الكلم اليه، والضحك، والتعجب، والنزول.. الى أن قال: اعتقادنا فيه وفي

الآي المتشابه في القرآن ، أن نقبلها ، ولا نردها ، ولا نتأولها بتأويل المخالفين ، ولا نحملها على تشبيه المشبهين ، ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية ، ونسلم الخبر الظاهر والآية الظاهر تنزيلها .

كان ابن سريج اليه المنتهى في معرفة المذهب ؛ بحيث أنه كان (يفضل) على جميع أصحاب الشافعي حتى على المزني . قال الامام أبو اسحاق صاحب « التنبيه » سمعت أبا الحسن الشيرجي يقول : إن فهرست كتب أبي العباس تشتمل على أربعمائة مصنف ، وكان العلامة أبو حامد الاسفراييني يقول : نحن نجري مع أبي العباس في ظواهر الفقه دون الدقاق توفي سنة ٣٠٦ ست وثلاثمائة رحمه الله تعالى .

وانظر الى ما قاله علم الهدى — أعني أبا الخير الرضى النعمان

وكتابه في الفقه وهو بيانه — يبدي مكانته من الايمان

قال الناظم في « الجيوش الاسلامية »[1] له كتاب لطيف في السنة على مذهب أهل الحديث ، صرح فيه في مسألة الفوقية ، والعلو ، والاستواء حقيقة ، وتكلم الله عز وجل بهذا القرآن العربي المسموع بالآذان حقيقة ، وأن جبريل عليه السلام سمعه من الله سبحانه حقيقة ، وصرح فيه باثبات الصفات الخبرية ، واحتج لذلك ونصره ، وصرح بمخالفة الجهمية والنفاة .

وانظر الى السنن التي قد صنف العلماء بالآثار والقرآن

زادت على المائتين منها مفرد — أوفى من الخمسين في الحسبان

---

(١) هو كتاب « اجتماع الجيوش الاسلامية في غزو المعطلة والجهمية » للناظم ابن القيم رحمه الله تعالى.

منها لأحمد عدة موجودة فينا رسائله الى الاخوان

واللائي في ضمن التصانيف التي شهرت فلم تحتج الى حسبان

فكثيرة جداً فمن يك راغباً فيها يجد فيها هدى الحيوان

أصحابها هم حافظو الاسلام لا أصحاب جهم حافظو الكفران

وهم النجوم لكل عبد سائر يبغي الإله وجنة الحيوان

وسواهم والله قطاع الطريـــق أئمة تدعو الى النيران

مافي الذين حكيت عنهم آنفاً من حنبلي واحد بضمان

بل كلهم والله شيعة أحمد فأصوله وأصولهم سيان

أقول : في كلامه نظر ، فان عبد الله ابن أبي داود ، والأثرم ، والخلال ، وعبدالله ابن الامام أحمد ، وحرب الكرماني ، كلهم معدودون من الحنابلة ، والأصحاب يذكرونهم في «طبقات الحنابلة» وهو رحمه الله قد حكى كلام المذكورين . وهؤلاء وان لم يكونوا متبعين للامام أحمد على سبيل التقليد الصرف ، فهم يعدون في الحنابلة ، والله أعلم .

قوله :

منها لأحمد عدة موجودة فينا رسائله الى الاخوان

منها رسالته الى مسدد بن مسرهد وغيرها ، وهي مذكورة في « مناقب الامام أحمد » لابن الجوزي .

وبذاك في كتب لهم قد صرحوا وأخو العماية ماله عينان

أتظنهم لفظيـــة جهليـــة ... مثل الحمير تقاد بالارسان

حاشوهمُ من ذاك بل والله هم ... أهل العقول وصحة الاذهان

فانظر الى تقريرهم لعلوه ... بالنقل والمعقول والبرهان

عقلان عقل بالنصوص مؤيد ... ومؤيد بالمنطق اليونان

والله ما استويا ولن يتلاقيا ... حتى تشيب مفارق الغربان

أفتقذفون أولاء بل أضعافهم ... من سادة العلماء كل زمان

بالجهل والتشبيه والتجسيم والــ ... ـتبديع والتضليل والبهتان

ياقومنا ألله في إسلامكم ... لا تفسدوه بنخوة الشيطان

ياقومنا اعتبروا بمصرع من خلا ... من قبلكم في هذه الأُزمان

لم يغن عنهم كذبهم ومحالهم ... وقتالهم بالزور والبهتان

كلا ولا التدليس والتلبيس عـ ... ـند الناس والحكام والسلطان

وبدالهم عند انكشاف غطائهم ... مالم يكن للقوم في حسبان

وبدالهم عند انكشاف حقائق الـ ... ـايمان أنهم على البطلان

ما عندهم والله غير شكاية ... فأْتوا بعلم وانطقوا ببيان

مايشتكي الا الذي هو عاجز ... فاشكوا لنعذركم الى القرآن

ثم اسمعوا ماذا الذي يقضى لكم ... وعليكمُ فالحق في الفرقان

لبّستم معني النصوص وقولنا   فغدا لكم للحق تلبيسان

من حرّف النص الصريح فكيف لا   يأتي بتحريف على الانسان

ياقوم والله العظيم أساتمُ   بأئمة الاسلام ظن الشان

ما ذنبهم ونبيهم قد قال ما   قالوا كذاك منزل الفرقان

ما الذنب الا للنصوص لديكم   إذ جسمت بل شبهت صنفان

ما ذنب من قد قال مانطقت به   من غير تحريف ولا عدوان

هذا كما قال الخبيث لصحبه   كلب الروافض أخبث الحيوان

لما أفاضوا في حديث الرفض عند القبر لاتخشون من إنسان

ياقوم أصل بلائكم ومصابكم   من صاحب القبر الذي تريان

كم قدم ابن أبي قحافة بل غدا   يثني عليه ثناء ذي شكران

ويقول في مرض الوفاة يؤمكم   عني أُبو بكر بلا روغان

ويظل يمنع من إمامة غيره   حتى يرى في صورة الغضبان

ويقول لو كنت الخليل لواحد   في الناس كان هو الخليل الداني

لكنه الأخ والرفيق وصاحبي   وله علينا منة الاحسان

ويقول للصديق يوم الغار لا   تحزن فنحن ثلاثة لا اثنان

الله ثالثنا وتلك فضيلة   ما حازها إلا فتى عثمان

ياقوم ما ذنب النواصب بعد ذا　　لم يدهكم الا كبير الشان
فتفرقت تلك الروافض كلهم　　قد أُطبقت أسنانه الشفتان
وكذلك الجهمي ذاك رضيعهم　　فهما رضيعا كفرهم بلبان
ثوبان قد نسجا على المنوال يا　　عريان لا تلبس فما ثوبـان
والله شـــر منهما فهما على　　أهل الضلالة والشقا علمـان

أقول : لم أقف على تعيين هذا الرافضي الذي قال هذا القول ، والمعنى أن هذا الرافضي قال لأصحابه لما أفاضوا في حديثهم عند القبر المكرم ﷺ : ياقوم أصل بلائكم ومصابكم من صاحب هذا القبر ، لأنه كم قدم ابن أبي قحافة ، يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، ويثني عليه ، ويقول في مرض موته : يؤمكم أبو بكر ، ويمنع من إمامة عمر رضي الله عنه ، ويقول : « لو كنت متخذاً من أهل الأرض» خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً[1] ويقول للصديق يوم الغار « لاتحزن إن الله معنا»[2] وتلك فضيلة ماحازها إلا فتى عثمان ، يعني أبا بكر رضي الله عنه ، فانه عبد الله بن عثمان ، فيقول ذلك الرافضي لأصحابه : ماذنب النواصب بعد هذا ؛ أي : فان الرسول ﷺ هو الذي قدم أبا بكر ، فلا لوم على النواصب .

قوله : النواصب . قال في « القاموس » : النواصب ، والناصبة وأهـل النصب : المتدينون ببغضة علي رضي الله عنه ، لأنهم نصبوا له ، أي : عادوه

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » بلفظ « لو كنت متخذاً من أهل الارض خليلا ، لاتخذت ابن ابي قحافة خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الله ».

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » في باب : مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر . وجاء في « الصحيحين » و « مسند أحمد » ان أبا بكر قـــال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الغار : لو أن أحدكم نظر تحت قدميه لأبصرنا . فقال : «ماظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما » .

قولـــه :

وكذلك الجهمي ذاك رضيعهم   فهما رضيعا كفرهم بلبان

رضع أمه كسمع وضرب رضعاً، ويحرك، ورضاعاً ورضاعة، ويكسران، ورضعاً، ككتف : امتص ثديها ، قاله في «القاموس» واللبان بكسر اللام.

قال الأعلم : هو للآدميين . واللبن لغيرهم ، وقد يكون جمع لبن في هـذا الموضع . قال ابن السكيت : يقال : هو أخوه بلبان أمه ، ولا يقال : بلبن أمه ، انمـــا اللبن الذي يشرب . انتهى ؛ أي : فعلى زعم الجهمي لا ذنب للمجسمة ، اذ قالوا بالنصوص الدالة على الاستواء ، والنزول ، والمجيء والصفات ، كالوجه ، واليدين ، والقدرة ، والارادة ، والرضى ، والسخط والحب وغيرها مما تقدم .

قوله : أبو قحافة ، قال في «القاموس» : (وسيل) قحاف كغراب : (جراف[١]) . وبنو قحافة : بطن من خثعم ، وأبو قحافة : عثمان بن عامر ؛ صحابي ، والد الصديق رضي الله عنهما .

فصل

هذا وسابع عشرها أخباره   سبحانه في محكم القرآن

عن عبده موسى الكليم وحربه   فرعون ذي التكذيب والطغيان

تكذيبه موسى الكليم بقوله   الله ربي في السما نبـــاني

---

(١) أي جارف .

ومن المصائب قولهم إن اعتقا ... د الفوق من فرعون ذي الكفران

فاذا اعتقدتم ذا فأشياع له ... أنتم وذا من أعظم البهتان

فاسمع اذاً من ذا الذي أولى بفر ... عون المعطل جاحد الرحمن

وانظر الى ما جاء في القصص التي ... تحكي مقال امامهم ببيان

والله قد جعل الضلالة قدوة ... بأئمة تدعو الى النيران

فامام كل معطل في نفيه ... فرعون مع نمرود مع هامان

طلب الصعود الى السماء مكذباً ... موسى ورام الصرح بالبنيان

بل قال موسى كاذب في زعمه ... فوق السماء الرب ذو السلطان

فابنوا لي الصرح الرفيع لعلني ... أرقى اليه بحيلة الانسان

وأظن موسى كاذباً في قوله ... الله فوق العرش ذو سلطان

وكذاك كذبه بأن إلهه ... ناداه بالتكليم دون عيان

هو أنكر التكليم والفوقية الـ ... ـعليا كقول الجهم ذي صفوان

فمن الذي أولى بفرعون اذاً ... منا ومنكم بعد ذا التبيان

هذا هو الدليل السابع عشر من أدلة علو الله على خلقه ، وهو أنه سبحانه أخبر عن عبده موسى الكليم ، وعدوه فرعون ، أن فرعون اللعين كذب موسى في قوله : ربي في السماء ، وأنه بنى الصرح ، ورام الصعود الى السماء ، وقال : (ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب . أسباب

السموات فأطلع الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٦ ، ٣٧ في قوله : إن الله في السماء . وقد قال ابو الحسن الاشعري في « الابانة » لما ذكر بعض الآيات الدالة على علو الله تعالى على عرشه ، قال : وقال تعالى حكاية عن فرعون (ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الاسباب . أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٦ ، ٣٧ كذب موسى في قوله : إن الله فوق السموات . انتهى كلامه .

قوله : ومن المصائب قولهم : إن اعتقاد الفوق من فرعون ذي الكفران الخ ... أي : من المصائب قول النفاة : إن اعتقاد العلو هو مذهب فرعون ، فاذا اعتقدتموه فأنتم أشياع له ، وعلى مذهبه ، كما قال بعضهم في تفسير قوله : (وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٧ فيما يقول من أن له رباً في السماء ، وما قال موسى له ذلك قط ، ولكنه لما قال له : (وما رب العالمين) الشعراء : ٢٣ قال موسى (رب السموات والأرض) الشعراء : ٢٤ ظن باعتقاده الباطل أنه لما لم ير في الأرض ، أنه في السماء ، فرام الصعود الى السماء لرؤية إله موسى . انتهى .

ثم بين الناظم وجه أولويتهم بفرعون ، وأن مذهبه جحد العلو ، فانه طلب الصعود الى السماء مكذباً لموسى ، ورام بناء الصرح وقال : أظن موسى كاذباً في زعمه : إن الله فوق السماء ، وكذلك كذب فرعون موسى عليه السلام في قوله : إن الله تعالى ناداه وكلمه ، فكان مذهبه إنكار التكليم والفوقيه ، كقول جهم وأتباعه ، فقد تبين الآن من هو أولى بفرعون ، وان المعطلة أولى به في كل حالة ، والله اعلم .

قال النَّاظِم :

يا قوم والله العظيم لقولنا ألف تدل عليه بل ألفان

عقلاً ونقلاً مع صريح الفطرة الـ أولى وذوق حلاوة الايمان

كل يدل بأنه سبحانه فوق السماء مباين الأكوان

أترون أنا تاركو ذا كله لجعاجع التعطيل والهذيان

يا قوم ما أنتم على شيء الى أن ترجعوا للوحي بالاذعان

وتحكّموه في الجليل ودقه تحكيم تسليم مع الرضوان

قد أقسم الله العظيم بنفسه قسماً يبين حقيقة الايمان

أن ليس يؤمن من يكون محكما غير الرسول الواضح البرهان

بل ليس يؤمن غير من قد حكّم الـ وحيين حسب فذاك ذو ايمان

هذا وما ذاك المحكّم مؤمناً إن كان ذا حرج وضيق بطان

هذا وليس بمؤمن حتى يسـ لم للذي يقضي به الوحيان

يا قوم بالله العظيم نشدتكم وبحرمة الايمان والقرآن

هل حدثتْكم قط أنفسكم بذا فسلوا نفوسكمُ عن الايمان

لكن رب العالمين وجنده ورسوله المبعوث بالقرآن

هم يشهدون بأنكم أعداء من ذا شأنه ابداً بكل زمان

ولأي شيء كان أحمد خصمكم أعني ابن حنبل الرضى الشيباني

ولأي شيء كان بعد خصومكم ... أهل الحديث وعسكر القرآن

ولأي شيء كان أيضاً خصمكم ... شيخ الوجود العالم الحراني

أعني أبا العباس ناصر سنة الـ ... ـمختار قامع سنة الشيطان

والله لم يك ذنبه شيئاً سوى ... تجريـده لحقيقة الايمان

إذجرد التوحيد عن شرك كذا ... تجريـده للوحي عن بهتان

فتجرد المقصود عن قصد له ... فلذاك لم ينضف الى انسان

مـا منهمُ أحد دعـا لمقالة ... غير الحديث ومقتضى الفرقان

فالقوم لم يدعوا الى غير الهدى ... ودعوتم أنتم لرأي فـلان

شتان بين الدعوتين فحسبكم ... يا قوم ما بكمُ من الخذلان

قالوا لنا لمـا دعوناهم الى ... هذا مقـالة ذي هوى ملآن

ذهبت مقادير الشيوخ وحرمة الـ ... ـعلماء بـل عبرتهم العينـان

وتركتمُ أقوالهم هدراً وما ... أصغت اليها منكم أذنان

لكن حفظنا نحن حرمتهم ولم ... نعد الذي قالوه قدر بنان

ياقوم والله العظيم كذبتمُ ... وأتيتمُ بالزور والبهتـان

ونسبتم العلماء للأمر الذي ... هم منه أهل براءة وأمـان

والله ما أوصوكم أن تتركوا ... قول الرسول لقولهم بلسان

كلا ولا في كتبهم هذا بلا   بالعكس أوصوكم بلا كتمان
إذ قد أحاط العلم منهم أنهم   ليسوا بمعصومين بالبرهان
كلا وما منهم أحاط بكل ما   قد قاله المبعوث بالقرآن
فلذاك أوصوكم بأن لا تجعلوا   أقوالهم كالنص في الميزان
لكن زنوها بالنصوص فان توا   فقها فتلك صحيحة الأوزان
لكنكم قدمتم أقوالهم   أبداً على النص العظيم الشان
والله لا لوصية العلماء نفـ   ـذتم ولا لوصية الرحمن
وركبتم الجهلين ثم تركتم النـ   ـصين مع ظلم ومع عدوان
قلنا لكم فتعلّموا قلتم أما   نحن الأئمة فاضلو الأزمان
من أين والعلماء أنتم فاستحوا   أين النجوم من الثرى التحتاني
لم يشبه العلماء الا أنتم   أشبهتم العلماء في الأذقان
والله لا علم ولا دين ولا   عقل ولا بمروءة الانسان
عاملتم العلماء حين دعوكمُ   للحق بل بالبغي والعدوان
إن أنتم الا الذباب اذا رأى   طعماً فيالمساقط الذبان
واذا رأى فزعاً تطاير قلبه   مثل البغاث يساق بالعقبان
وإذا دعوناكم الى البرهان كا   ن جوابكم جهلاً بلا برهان

نحن المقلدة الألى ألفوا كذا آباءهم في سالف الأزمان

قلنا فكيف تكفّرون ومالكم علم بتكفير ولا ايمان

اذ أجمع العلماء أن مقلداً للناس كالأعمى هما أخوان

والعلم معرفة الهدى بدليله ماذاك والتقليد مستويان

حرنا بكم والله لا أنتم مع العلماء تنقادون للبرهان

كلا ولا متعلمون فمن ترى تدعوه نحسبكم من الثيران

لكنها والله أنفع منكم للارض في حرث وفي دوران

نالت بهم خيراً ونالت منكم المعهود من بغي ومن عدوان

فمن الذي خير وأنفع للورى أنتم أم الثيران بالبرهان؟

شرع الناظم رحمه الله في ذكر الأدلة الدالة على ثبوت العلو اجمالاً، فقال: ياقوم والله العظيم لقولنا الخ.. أي أن الدلائل الدالة على علوه تعالى على خلقه، ومباينته لهم، من المعقول والمنقول والفطرة، ألف دليل، بل ألفا دليل، وذلك ظاهر بحمد الله لمن تتبعه. ثم شرع في بيان وجوب تحكيم الرسول ﷺ في الدق والجل، والتسليم له، والرضى بحكمه، كما قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيم شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء: ٦٥ قال الناظم رحمه الله في تفسير هذه الآية: أقسم سبحانه بأجل مقسم به، وهو نفسه عز وجل، على أنه لا يثبت لهم الايمان، ولا يكونون من أهله حتى يحكموا رسوله

ﷺ في جميع موارد النزاع ، في جميع أبواب الدين ، فان لفظة (ما) من صيغ العموم ، ولم يقتصر على ذلك حتى ضم اليه انشراح صدورهم بحكمه ، بحيث لايجدون في أنفسهم حرجاً ، وهو الضيق والحصر من حكمه ، بل يقبلون حكمه بالانشراح ، ويقابلونه بالقبول ، لا يأخذونه عن اغماض ، ويشربونه على قذى ، فإن هذا مناف للايمان ، بل لا بد أن يكون أخذه بقبول ورضى وانشراح ، ومتى أراد العبد شاهداً فلينظر في حاله ، ويطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه ، أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار ومادونها ، بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ، فسبحان الله ، كم من حزازة في نفوس كثير من النصوص ، وبودهم أن لوترد، وكم من حرارة في أكبادهم منها ، وكم من شجى في حلوقهم من موردها ، ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم اليه قوله : (ويسلموا تسليما) النساء : ٦٥ فذكر الفعل مؤكداً له بالمصدر القائم مقام ذكره مرتين ، وهو الخضوع والانقياد لما حكم به طوعاً ورضى وتسليماً ، لاقهراً ومصابرة ، كما يسلم المقهور لمن قهره كرهاً ، بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيء اليه ، يعلم أن سعادته وفلاحه في تسليمه .انتهى

قوله : ولأي شيء كان أيضاً خصمكم شيخ الوجود الخ . يعني شيخ الاسلام أبا العباس ابن تيمية رحمه الله ، ثم أقسم أنه لا ذنب له سوى تجريده لحقيقة الايمان .

قوله : إذ جرد التوحيد عن شرك الخ ؛ أي : أنه رحمه الله جرد التوحيد عن الشرك ، وجرد الوحي عن البهتان والكذب ، و كذلك سائر العلماء الربانيين لم يدعوا إلى اتباع غير الهدى ، وأما أنتم فدعوتم الى الآراء

المتناقضة، والأقوال المتهافتة، وهي أقوال الرجال التي ماأنزل الله بها من سلطان.

قوله: ونسبتم العلماء الأمر الذي الخ. أي: أن العلماء رحمهم الله، كالأئمة الأربعة وغيرهم، أوصوكم باتباع الكتاب والسنة، وترك أقوالهم إذا خالفت كتاب الله وسنة رسوله، كما قال الشافعي رحمه الله: أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد.

وروى البيهقي في «السنن» عن الشافعي أنه قال: إذا قلت قولاً وكان عن النبي ﷺ خلاف قولي، فما يصح من حديث رسول الله ﷺ أولى، فلا تقلدوني.

وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ، فقولوا بسنة رسول الله ﷺ، ودعوا ماقلت. وتواتر عنه أنه قال: إذا صح الحديث بخلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط.

وقال مالك: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله ﷺ.

وقال أبو حنيفة: اذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ، فعلى الرأس والعين، واذا جاء عن الصحابة، فعلى الرأس والعين، واذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال.

وفي «روضة العلماء» سئل أبوحنيفة: اذا قلت قولاً و كتاب الله يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لكتاب الله. قيل: اذا كان قول رسول الله يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لخبر الرسول الله ﷺ. قيل: اذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لقول الصحابة.

وقال ابو طالب عن الامام احمد. وقيل له: إن قوماً يدعون الحديث

ويذهبون الى رأي سفيان ، فقال : أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الاسناد وصحته ، يدعونه ويذهبون الى رأي سفيان وغيره . قال الله : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) النور : ٦٣ أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الكفر . قال الله تعالى : (والفتنة أكبر من القتل) البقرة : ٢١٧ فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ ، وتغلبهم أهواؤهم الى الرأي . ذكر ذلك شيخ الاسلام .

وقال الامام أحمد رضي الله عنه : لاتقلدوني ، ولاتقلدوا مالكاً ، والثوري ، والاوزاعي ، ولكن تعلموا كما تعلمنا .

قوله : اذ أجمع العلماء أن مقلدا الخ . قد نقل هذا الاجماع الحافظ أبو عمر بن عبد البر .

قوله : مثل البغاث . قال الفراء : بغاث الطير ، بفتح الباء وضمها وكسرها : شرارها ومالا يصيد منها ، ثم قيل : هو جمع بغاثة ، وهي اسم للذكر والانثى ، مثل نعامة ، ونعام . وقيل : هو فرد ، وجمعه : بغثان ، كغزال ، وغزلان ، قاله في « مختار الصحاح » . والعقبان ، جمع عقاب بضم العين : طائر معروف .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وثامن عشرها تنزيهه ... سبحانه عن موجب النقصان

وعن العيوب وموجب التمثيل والـ ... ـتشبيه جل الله ذو السلطان

ولذاك نزه نفسه سبحانه عن أن يكون له شريك ثان

أو أن يكون له ظهير في الورى سبحانه عن إفك ذي بهتان

أو أن يوالي خلقه سبحانه من حاجة أو ذلة وهوان

أو أن يكون لديه أصلا شافع الا باذن الواحد المنان

وكذاك نزه نفسه عن والد وكذاك عن ولد هما نسبان

وكذاك نزه نفسه عن زوجة وكذاك عن كفء يكون مدان

ولقد أتى التنزيه عما لم يقل كي لا يدور بخاطر الانسان

فانظر الى التنزيه عن طعم ولم ينسب اليه قط من انسان

وكذلك التنزيه عن موت وعن نوم وعن سنة وعن غشيان

وكذلك التنزيه عن نسيانه والرب لم ينسب الى نسيان

وكذلك التنزيه عن ظلم وفي الـ أفعال عن عبث وعن بطلان

وكذلك التنزيه عن تعب وعن عجز ينافي قدرة الرحمن

هذا هو الدليل الثامن عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه، وهو أنه سبحانه نزه نفسه عن موجب النقصان، وعما يوجب التمثيل والتشبيه، ونزه سبحانه نفسه عن الشركة، وعن أن يكون له ظهير في الورى، أو أن يشفع عنده أحد الا باذنه، أو ان يوالي خلقه من حاجة أو ذلة، وكذا نزه نفسه سبحانه عن الوالد والولد، والزوجة، والكفء، وكذا نزه

نفسه سبحانه عما لم يقل ، أي : نزه نفسه سبحانه عن اشياء لم يقلها أحد فيه تعالى ، كالطعم ، والموت ، والنوم ، والسنة ، والغشيان ، والنسيان ، والظلم والتعب ، والعجز ، فاذا كان سبحانه قد نزه نفسه عما يوجب النقص مما قيل وما لم يقل ، ومعلوم أن القول بعلو الله تعالى على خلقه ومباينته لهم ، قد طبقت شرق البلاد وغربها ، فلأي شيء لم ينزه نفسه سبحانه عنها في القرآن؟! وكذا لم ينزه الرسول ربه سبحانه عنها في السنة ، بل دائماً يبدي سبحانه في القرآن إثباتها بأنواع الادلة ، وكذا رسوله ﷺ ، لاسيما وتلك المقالة عند المعطلة ، كعبادة الأوثان ، أو كقول المثلثة عباد الصليب ، وهم النصارى ، فلأي شيء لم يحذر الله تعالى خلقه عنها ، وينزه نفسه عنها كما نزه نفسه عما يوجب النقص او التشبيه والتمثيل .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد حكى الرحمن قولاً قاله ... فنحاص ذو البهتان والكفران

إن الإله هو الفقير ونحن أصـحاب الغنى ذو الجد والامكان

ولذاك أضحى ربنا مستقرضاً ... أموالنا سبحان ذي الاحسان

أما قصة فنحاص المذكورة فهي على ماحكى ابن إسحاق في « سيرته » قال: دخل أبو بكر بيت المدراس على يهود ، فوجد منهم ناساً كثيراً كانوا قد اجتمعوا الى رجل منهم ، يقال له : فنحاص ، وكان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر من أحبارهم ، يقال له : أشيع . فقال أبو بكر لفنحاص : ويلك يافنحاص ، أسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله ، قد جاءكم بالحق من عند الله ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والانجيل ، فقـال فنحاص

لأبي بكر: والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من فقر، وانه لفقير، وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا، وإنا عنه لأغنياء، وما هو بغني، ولو كان غنياً عنا مااستقرضنا أموالنا، كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنياً عنا، ما أعطانا الربا. قال: فغضب أبو بكر، فضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً، وقال: والذي نفسي بيده: لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت رأسك أي عدو الله، فذهب فنحاص الى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، انظر ما صنع بي صاحبك. فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر، « ما حملك على ما صنعت ؟ » فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن عدو الله قد قال قولاً عظيماً، انه زعم أن الله فقير وهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غضبت مما قال، وضربت وجهه، فجحد ذلك فنحاص وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص رداً عليه، وتصديقاً لأبي بكر: (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق) آل عمران: ١٨١ وأنزل الله في أبي بكر وما بلغه في ذلك من الغضب: (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامـــور) آل عمران: ١٨٦ ثم قال في فنحاص وأحبار يهود (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون. لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) آل عمران: ١٧٨، ١٨٨ يعني فنحاص وأشيع وأشباهها من الاحبـــار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا. أي: يقول الناس: علماء وليسوا بأهل علم، لم يحملوهم على هدى وحق، ويحبون ان يقول الناس: قد فعلوا.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وحكى مقالة قائل من قومه ‏ ‏ ‏ ان العزير ابن من الرحمن

هذا وما القولان قط مقالة ‏ ‏ ‏ منصورة في موضع وزمان

يعني أن الله سبحانه قد حكى قول اليهود: إن عزير ابن الله، كما قال تعالى: (وقالت اليهود عزير ابن الله) التوبة : ٣٠ وحكى مقالة فنحاص لعنه الله، وما القولان منصورين، فلو كانت المقالة المذكورة وهي اثبات علو الله تعالى على خلقه باطلا لحكاها الله سبحانه، ونهى عنها، لاسيما وتلك المقالة عند المعطلة كعبدة الاوثان، أو كمقالة المثلثة عباد الصليب، ولم تزل المعطلة ينبزون المثبتة بالالقاب القبيحة، ويرمونهم بالعظائم والبهت والكذب الفاحش. وقد حكى الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب، في «طبقات الحنابلة» في ترجمة شيخ الاسلام، أبي اسماعيل عبد الله بن محمد الانصاري قال : قال ابن طاهر : وسمعت بعض أصحابنا بـ «هراة» يقولون . لما قدم السلطان ألب أرسلان «هراة» في بعض قدماته، اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه، ودخلوا على الشيخ ابي اسماعيل الأنصاري، وسلموا عليه، وقالوا : قد ورد السلطان ونحن عزم أن نخرج ونسلم عليه، فأحببنا أن نبدأ بالسلام على الشيخ الامام، ثم نخرج (الى) هنا، وقد تواطؤوا على أن تملوا معهم صنماً صغيراً من صفر وجعلوه في المحراب، تحت سجادة الشيخ، وخرجوا وخرج الشيخ من ذلك الموضع الى خلوته، ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الانصاري، وقالوا: إنه مجسم، وإنه يترك في محرابه صنما. يقول : إن الله عز وجل على صورته، وإن يبعث السلطان الآن اليه، يجد الصنم في قبلة مسجده. فعظم ذلك على السلطان، وبعث غلاماً ومعه جماعة

ودخلوا الدار، وقصدوا المحراب ، وأخذوا الصنم من تحت السجادة ، ورجع الغلام بالصنم ، فوضعه بين يدي السلطان ، فبعث السلطان بغلمان فأحضروا الانصاري ، فلما دخلوا رأى شيوخ البلد جلوساً ، ورأى ذلك الصنم بين يدي السلطان مطروحاً ، والسلطان قد اشتد غضبه ، فقال له السلطان : ماهذا؟ قال : هذا صنم يعمل من الصفر ، شبه اللعبة ، فقال : لست عن هذا أسألك. فقال : عما ذا يسأل السلطان ؟ قال : إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا ، وإنك تقول : إن الله عز وجل على صورته . فقال الانصاري : سبحانك هذا بهتان عظيم ، بصوت جهوري وصولة ، فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه ، فأمر به فأخرج إلى داره مكرماً ، وقال لهم : تصدقوني القصة أو أفعل بكم وأفعل ، وذكر تهديداً عظيماً . فقالوا : نحن في يد هذا الرجل في بلية من استيلائه علينا بالعامة ، وأردنا أن نقطع شره عنا. فأمر بهم ، ووكل بكل واحد منهم ، فلم يرجع الى منزله ، حتى كتب بخطه مبلغاً عظيماً من المال ، يؤديه إلى خزانة السلطان ، جناية لما فعلوه ، وسلموا بأرواحهم ، بعد الهوان العظيم . انتهى . وكذلك شيخ الاسلام ابن تيمية فلا يخفى ماافتروه عليه ، ورموه به من الإفك ، وجعلوه يقول بالتجسيم وحاشاه ، وذكر ابن بطوطة في رحلته المشهورة . قال : وكان دخولي لبعلبك ، عشية النهار ، وخرجت منها بالغدو لفرط اشتياقي إلى دمشق ، وصلت يوم الخميس ، التاسع من شهر رمضان المعظم ، عام ست وعشرين وسبعمائة إلى مدينة دمشق الشام ، فنزلت فيها بمدرسة المالكية المعروفة ب(الشرابيشية) . ....الى أن قال : وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة ، تقي الدين بن تيمية كبير الشام ، يتكلم في الفنون .. الى أن قال : فحضرته يوم الجمعة ، وهو يعظ الناس ، على منبر الجامع ، ويذكرهم ، فكان من جملة كلامه أن قال :

إن الله ينزل إلى سماء الدنيا ، كنزولي هذا . ونزل درجة من المنبر . فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء.. الى آخر ماهذا به ابن بطوطة. أقول: وأغوثاه بالله من هذا المكذب . الذي لم يخف الله كاذبه ، ولم يستحي مفتريه ، وفي الحديث : « اذا لم تستح فاصنع ماشئت »[1] ووضوح هذا الكذب ، أظهر من أن يحتاج إلى الاطناب ، والله حسيب هذا المفتري الكذاب ، فانه ذكر أنه دخل دمشق في ٩ رمضان سنة ٧٢٦ وشيخ الاسلام ابن تيمية اذ ذاك قد حبس في القلعة ، كما ذكر ذلك العلماء الثقات ، كتلميذه الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، والحافظ ابي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب في « طبقات الحنابلة » قال في ترجمة الشيخ من « طبقاته » المذكورة: مكث الشيخ في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين ، الى ذي القعدة سنة ثمان وعشرين ، وزاد ابن عبد الهادي أنه دخلها في سادس شعبان ، فانظر الى هذا المفتري ، يذكر أنه حضره وهو يعظ الناس على منبر الجامع . فياليت شعري ، هل انتقل منبر الجامع إلى داخل قلعة دمشق ، والحال أن الشيخ رحمه الله لما دخل القلعة المذكورة في التاريخ المذكور لم يخرج منها إلا على النعش، وكذا ذكر الحافظ عماد الدين بن كثير في «تاريخه». قال: وفي يوم الاثنين بعد العصر ، السادس من شعبان سنة ٧٢٦ اعتقل الشيخ تقي الدين بن تيمية بقلعة دمشق . حضر إليه من جهة نائب السلطنة مشد الاوقاف ، وابن الخطير ، أحد الحجاب ، وأخبراه أن مرسوم السلطان حضر

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» عن ابي مسعود عقبة بن عمرو الانصاري البدري رضي الله عنه ، ولفظه بتمامه « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت ».

بذلك ، وأحضر إليه معها مركوباً ، وأظهر السرور بذلك ، وقال : أنا كنت منتظراً لذلك ، وفيـــه خير كثير ، وركبوا جميعاً من داره الى باب القلعة ، وأخليت له قاعة ، وأجري اليها الماء ، ورسم له بالاقامة فيها . وكان معه اخوه زين الدين يخدمه باذن السلطان ، ورسم بما يقوم بكفايته . انتهى كلامه . فانظر كلام تلامذته وغيرهم ، من العارفين بحاله ، أهـــل الورع والأمانة والديانة ، يتضح لك كذب ، هذا المغربي عامله الله بما يستحق ، والله أعلم . وكم كذبوا عليه ، وبهتوه وقولوه اشياء هو بريء منها ، والأمر كما قال تلميذه الناظم :

فالبهت عندكم رخيص سعره ... حثوا بلا كيل ولا ميزان

ولله در القائل :

إن كان إثبات الصفات لديكمُ ... فيما أتى مستوجبـــاً لومي

وأصير تيمياً بذلك عندكم ... فالمســلمون جميعهم تيمي

وكذا كذبوا على غيره من علماء الاثبات رحمهم الله تعالى وعفا عنهم .

قال الناظم رحمه الله :

لكن مقالة كونه فوق الورى ... والعرش وهو مباين الأكوان

قد طبّقت شرق البلاد وغربها ... وغدت مقررة لذي الأذهان

فلأي شيء لم ينزه نفســـه ... سبحانه في محكم القرآن

عن ذي المقالة مع تفاقم أمرها ... وظهورها في سائر الأديان

بل دائماً يبدي لنا إثباتها ويعيده بأدلة التبيان
لا سيما تلك المقالة عندكم مقرونة بعبادة الأوثان
أو أنها كمقالة لمثلث عبد الصليب المشرك النصراني
إذ كان جسماً كل موصوف بها ليس الإله منزل الفرقان
فالعابدون لمن على العرش استوى بالذات ليسوا عابدي الديان
لكنهم عباد أوثان لدى هذا المعطل جاحد الرحمن
ولذاك قد جعل المعطل كفرهم هو مقتضى المعقول والبرهان
هذا رأيناه بكتبهم ولم نكذب عليكم فعل ذي البهتان
ولأي شيء لم يحذر خلقه عنها وهذا شأنها ببيان
هذا وليس فسادها بمبين حتى يحال لنا على الأذهان
ولذاك قد شهدت أفاضلكم لها بظهورها الوهم في الانسان
وخفاء ما قالوه من نفي على الأذهان بل تحتاج للبرهان

مضمون هذه الأبيات، أن القول بعلو الله تعالى على خلقه، صرحت به الكتب الإلهية كالتوراة والإنجيل، وكذا الفرقان يبدي إثباتها، ويعيده بجميع أنواع الأدلة، فلو كان هذا كفراً، كما زعمت المعطلة، لنهى عنها القرآن، لأنها عند المعطلة كالشرك، وعبادة الأوثان. وهذا أظهر من الشمس لمن له عينان[1]، ونعوذ بالله من الخذلان. قوله: ولذاك قد شهدت

(١) في الاصل: عينا

أفاضلكم الخ أي أفاضل النفاة قد شهدوا بظهور مقـــالة الإثبات، في الكتاب والسنة، وخفاء ما قالوا من النفي، كما قال السعـد التفتازاني في «شرح المقاصد» فإن قيل: إذا كان الدين الحق نفي الحيز والجهة، فما بال الكتب السماوية، والأحاديث النبوية، مشعرة في مواضـع لاتحصى بثبوت ذلك من غير أن يقع في موضع منها تصريح بنفي ذلك وتحقيق؟! كذا كما كررت الدلالة على وجود الصانع، ووحدته، وعلمه، وقدرته، وحقيقة المعاد، وحشر الأجساد في عدة مواضع، وأكدت غاية التأكيد، مع أن هذا أيضاً حقيق بغاية التأكيد والتحقيق، لما تقرر في فطرة العقلاء ـ مع اختلاف الأديان، والآراء في التوحيد ـ إلى العلو عند الدعاء ورفع الأيدي إلى السماء، ثم أجاب عن ذلك التفتازاني بما يظهر ضعفه من أول وهلة، وكذا ذكر ذلك غيره.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فصل

هذا وتاسع عشرها إلزام ذي التــعطيل أفســد لازم ببيان
وفساد لازم قوله هو مقتض لفساد ذاك القول بالبرهان
فسل المعطل عن ثلاث مسائل تقضي على التعطيل بالبطلان
ماذا تقول أكان يعرف ربه هذا الرسول حقيقة العرفان
أم لا وهل كانت نصيحته لنا كل النصيحة ليس بالخوان

أم لا وهل حاز البلاغة كلها فاللفظ والمعنى له طوعان

فإذا انتهت هذي الثلاثه فيه كا ملة مبرأة من النقصان

فلأي شيىء عاش فينا كاتما للنفي والتعطيل في الأزمان

بل مفصحاً بالضد منه حقيقية الـ إفصاح موضحة بكل بيان

ولأي شيىء لم يصرح بالذي صرحتم في ربنا الرحمن

ألعجزه عن ذاك أم تقصيره في النصح أم لخفاء هذا الشان؟

حاشاه بل ذا وصفكم يا أمة التعطيل لا المبعوث بالقرآن

هذا هو الدليل التاسع عشر، من أدلة علو الله تعالى على خلقه، وحاصله أن الناظم سأل عن ثلاث مسائل، وكلها مسلمة عند المنازعين. وهو أن تسأل المعطل: هل تقول: إن الرسول ﷺ يعرف ربه؟ فبالضرورة يقول: نعم، ثم سله: هل كان في غاية النصح؟ فلا بد أن يقول: نعم. ثم سله. هل حاز البلاغة كلها؟ فلا بد أن يقول: نعم. فإذا أقر بهذه الثلاثة، فقل له: فلأي شيء عاش منذ أرسله الله تعالى الى أن توفي صلوات الله وسلامه عليه وهو يفصح بالإثبات، ويعيد فيه في كل محضر ومجمع؟ ولأي شيء كتم النفي والتعطيل، ولأي شيء لم يصرح بما صرحتم به في ربنا تعالى؟ وهل كان عاجزاً عن أن يقول: استولى، وينزل أمره أو ملك، ويقول: (من الله) موضع، (أين الله)، فلازم قولكم عدم معرفة الرسول بربه، أو عدم النصح، أو عدم البلاغة، وهذا اللازم من أفسد اللوازم وأبطلها، فيدل على فساد لازمه وبطلانه، لأن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم.

قال النّاظم رحمه الله تعالى:

ولأي شيىء كان يذكر ضد ذا ... في كل مجتمع وكل زمان
أتراه أصبح عاجزاً عن قوله استولى وينزل أمره وفلان
ويقول أين الله يعني من بلفـــظ الأين هل هذا من التبيان
والله ما قال الأئمـة كل ما ... قد قاله من غير ما كتمان
لكن لأن عقول أهل زمانهم ... ضاقت بحمل دقائق الايمان
وغدت بصائرهم كخفاش أتى ... ضوء النهار فكف عن طيران
حتى اذا ما الليل جاء ظلامه ... أبصرته يسعى بكل مكان
وكذا عقولكم لو استشعرتم ... ياقوم كالحشرات والفئران
أنست بايحاش الظلام وماله ... بمطالع الأنوار قط يدان

الخفاش معروف، تقدم، تعريفه. والحشرات. قال في «القاموس» الهوام، أو الدواب الصغار، كالحشرة محركة فيهما. انتهى. والفئران جمع فأر بالهمز، وهو حيوان معروف، يعني الناظم رحمه الله تعالى أن هؤلاء المعطلة ضاقت عقولهم عن حمل دقائق الايمان، فصاروا كالحشرات والخفاش التي لا تسعى الا بالليل، فان هؤلاء المعطلة لم تحمل عقولهم ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مما وصف الرب تعالى به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، فصار ذلك لبصائر المعطلة، كالنهار لأبصار الخفاش والحشرات ونحوها، نعوذ بالله من عمى البصائر.

قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

لو كان حقاً مايقول معطل لعلوه وصفاتــه الرحمن
لزمتكم شنع ثلاث فارتؤوا أو خلة منهن أو ثنتان
تقديمهم في العلم أو في نصحهم أو في البيان أذاك ذو إمكان
إن كان ما قد قلتمُ حقاً فقد ضل الورى بالوحي والقرآن
إذ فيهما ضد الذي قلتم وما ضدان في المعقول يجتمعان
بل كان أولى أن يعطل منهما ويحال في علم وفي عرفان
أما على جهم وجعد أو على النـ ـظام أوذي المذهب اليونان
وكذاك أتباع لهم فقع الفلا صم وبكم تابعو العميان
وكذاك أفراخ القرامطة الأُلى قد جاهزوا بعداوة الرحمن
كالحاكمية والأُلى وألوهم كأبي سعيد ثم آل سنان
وكذا ابن سينا والنصير نصير أهل الشرك والتكذيب والكفران
وكذاك أفراخ المجوس وشبههم والصائبين وكل ذي بهتان
إخوان ابليس اللعين وجنده لا مرحباً بعساكر الشيطان
أفمن حوالته على التنزيل والـ ـوحي المبين ومحكم القرآن
كمحير أضحت حوالته على أمثاله أم كيف يستويان؟!

أم كيف يشعر تائه بمصابه والقلب قد جعلت له قفلان

قفل من الجهل المركب فوقه قفل التعصب كيف ينفتحان

ومفاتح الاقفال في يد من له التصريف سبحان العظيم الشان

فاسأله فتح القفل مجتهداً على الـ أسنان إن الفتح بالاسنان

أي : إن كان حقاً ما تقوله المعطلة لعلو الرب وصفاته ، لزمتهم ثلاث شناعات .

وقوله . فارتؤوا ؛ أي : اطلبوا رأياً تخلصون به من هذه الشنع ، لأن الكتاب والسنة ضد لما قالوه ، والضدان لايجتمعان ، فكان الكتاب والسنة على هذا سبباً لاضلال الناس ، فكان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم ، ويحالون في العلم والعرفان على جهم ، وجعد ، والنظام ، وحكماء اليونان ، والقرامطة ونحوهم ، وهذا معنى ماذكره شيخ الاسلام في مقدمة «الحموية» قال : فلو كان الحق فيما يقول هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة من هـذه العبارات ونحوها دون مايفهم من الكتاب والسنة ، إما نصاً ، وإما ظاهراً ، فكيف يجوز على الله ، ثم على رسوله ، ثم على خير الامة ، أنهم يتكلمون دائماً بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ، ثم الحق الذي يجب اعتقاده أن لا يبوحوا به قط ولا يدلون عليه قط لا نصاً ، ولا ظاهراً ، حتى يجيء أنباط الفرس ، والروس ، وفروخ اليهود ، والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف ، أو كل فاضل ، أن يعتقدها ، لئن كان مايقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون ، هو الاعتقاد الواجب ، وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم ، وأن

يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم مادل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً ،
لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير ،
بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين ، فان حقيقة
الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معاشر العباد لاتطلبون معرفة الله ،
وما يستحقه من الصفات نفياً واثباتاً ، لامن الكتاب ، ولامن السنة ،
ولا من طريق سلف الأمة ، ولكن انظروا أنتم ، فما وجدتموه مستحقاً
له من الصفات ، فصفوه به ، سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة ، أو لم
يكن ، ومالم تجدوه مستحقاً له في عقولكم ، فلا تصفوه به ، ثم هم هنا
فريقان ، أكثرهم يقولون : ما لم تثبته عقولكم فانفوه ، ومنهم من يقول :
بل توقفوا فيه ، وما نفاه قياس عقولكم الذي انتم فيه مختلفون ومضطربون
اختلافاً أكثر من جميع اختلاف (الناس) على وجه الارض ، فانفوه ، واليه عند
التنازع فارجعوا ، فانه الحق الذي تعبدتكم به ، وما كان مذكوراً في
الكتاب والسنة مما يخالف مقاييس عقولكم ، أو يثبت مالم تدركه عقولكم
على طريقة أكثرهم ، فاعلموا أني أمتحنتكم بتنزيله ، لا لتأخذوا الهدى منه ،
لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ، ووحشي الألفاظ ، وغرائب
الكلام ، أو أن تسكتوا عنه مفوضين علمه الى الله ، مع طي دلالته على
شيء من الصفات ، وهذا حقيقة الامر على رأي هؤلاء المتكلمين ، وهذا
كلام رأيته قد صرح بمعناه طائفة منهم ، وهو لازم لجماعتهم لزوماً لا محيد
عنه ، ومضمونه أن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله ، وأن الرسول
معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله ، وأن الناس عند التنازع
لايردون ما تنازعوا فيه الى الله والرسول ، بل الى مثل ما كانوا عليه في
الجاهلية ، أو إلى مثل من يتحاكم اليه من لا يؤمن بالأنبياء ، كالبراهمة ،

والفلاسفة ، وهم المشركون ، والمجوس ، وبعض الصابئين . وان كان هذا الرد لايزيد الأمر إلا شدة ، ولا يرتفع الخلاف به ، اذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا اليهم ، وقد أمروا أن يكفروا بهم .

وقوله : فقع الفلا : قال في « القاموس » الفقع ويكسر: البيضاء الرخوة من الكمأة ، جمع ، كعنبة . ويقال للذليل : هو أذل من فقع بقرقرة ، لأنه لا يمتنع على من اجتناه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل .

قوله : أفراخ . قال في « القاموس » : الفرخ : ولد الطائر ، وكل صغير من الحيوان والنبات ، جمع أفرخ ، وأفراخ ، وفراخ ، وفروخ ، وأفرخة ، وفرخان ، والرجل الذليل المطرود . انتهى .

قوله : والحاكمية . هم شيعة الحاكم العبيدي المعتقدون فيه الالهية ، وهو أبو علي منصور بن نزار العزيز بالله ، ابن معد المعز لدين الله العبيدي ، لأتباعه فيه من الاعتقادات الخبيثة ، ما تصم عنه الآذان ، ويقضي على معتقده بالزور والبهتان . وقد ذكر طرفاً من ذلك الحافظ الذهبي ، والحافظ ابن كثير في « تاريخهما » وغيرهما ، والامام أبو شامة في كتاب « الروضتين في أخبار الدولتين » . وأبوسعيد هو الحسن بن بهرام القرمطي رئيس القرامطة . قال الشيخ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري في تاريخه الكبير المسمى بـ « الكامل » قال : في هذه السنة ، يعني سنة ثمان وسبعين ومائتين ، تحرك قوم بسواد الكوفة يعرفون بالقرامطة . ثم بسط القول في ابتداء أمرهم . وحاصله أن رجلاً أظهر العبادة والزهد والتقشف ، وكان يسف الخوص ، ويأكل من كسبه ، كان يدعو الناس إلى إمام من أهل البيت رضي الله عنهم ، وأقام على ذلك مدة ، فاستجاب له خلق كثير ، وجرت له أحوال ، أوجبت له حسن الاعتقاد فيه ، وانتشر

ذكرهم بسواد الكوفة . ثم قال ابن الأثير بعد هذا : في سنة ست وثمانين ومائتين ، وفي هذه السنة ظهر رجل من القرامطة ، يعرف بأبي سعيد الجنابي بالبحرين ، واجتمع إليه ناس كثير من الاعراب ، والقرامطة . وقوي أمره فقتل من حوله من أهل تلك القرى . وكان أبو سعيد المذكور يبيع الناس الطعام ، ويحسب لهم بيعهم . ثم عظم أمرهم ، وقربوا من نواحي البصرة ، فجهز إليهم الخليفة المقتدر بالله جيشاً ، فقاتلهم مقدمه العباس بن عمرو الغنوي فتواقعوا وقعة شديدة ، وانهزم أصحاب العباس ، وأسر العباس ، وكان ذلك في آخر شعبان من سنة سبع وثمانين ، فيما بين البصرة والبحرين . وقتل أبو سعيد الأسرى ، وأحرقهم واستبقى العباس ، ثم أطلقه بعد أيام ، وقال له : امض إلى صاحبك ، وعرفه ما رأيت . فدخل بغداد في شهر رمضان من السنة ، وحضر بين يدي المقتدر ، فخلع عليه . ثم إن القرامطة دخلوا بلاد الشام ، في سنة تسع وثمانين ومائتين ، وجرت بين الطائفتين وقعات يطول شرحها . ثم قتل ابو سعيد المذكور في سنة إحدى وثلاثمائة . قتله خادم له في الحمام ، وقام مقامه ولده أبو طاهر سليمان ابن ابي سعيد ، ولما قتل أبوه أبو سعيد ، كان قد استولى على هجر والقطيف والطائف ، وسائر بلاد البحرين . وفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، في شهر ربيع الآخر منها ، قصد أبو طاهر وعسكره البصرة وملكها بغير قتال ، بل صعدوا إليها بليل بسلالم الشعر ، فلما حصلوا بها وأحسوا بهم ، ثاروا اليهم فقتلوا متولي البلد ، ووضعوا السيف في الناس ، فهربوا منهم . وأقام أبو طاهر سبعة عشر يوماً يحمل منهم الاموال ، ثم عاد الى بلده ، ولم يزالوا يعيثون في البلاد ، ويكثرون فيها الفساد ، من القتل والسبي والنهب والحريق إلى سنة سبع عشرة وثلاثمائة . فحج الناس فيها ، وسلموا في طريقهم ،

تم وافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية . فنهبوا أمـوال الحاج ، وقتلوهم حتى في المسجد الحرام ، وفي البيت نفسه ، وقلع الحجر الاسود ، وأنفذه الى هجر ، فخرج إليه أمير مكة في جماعة من الاشراف ، فقاتلوهم فقتلهم أجمعين ، وقلع باب الكعبة ، وأصعد رجـلًا ليقلع المـيزاب ، فسقط فمات ، فطرح القتلى في بئر زمزم ، ودفن الباقين في المسجد الحرام من غير كفن ، ولا غسل ولا صلاة على أحـد منهم ، وأخذ كسوة البيت ، فقسمها في اصحابه ، ونهب دور أهـل مكة . ثم ذكر ابن الأثـير في سنـة ستين وثلاثمائة أن القرامطة وصلوا إلى دمشق ، فملكوها وقتلوا جعفر بن فلاح نائب المصريين ، ثم بلغ عسكر القرامطة إلى عـين شمس ، وهي على باب القاهرة ، وظهروا عليهم . ثم انتصر أهل مصر عليهم ، فرجعوا عنهم . انتهى .

قال ابن خلـكان : وعلى الجملة . فالذي فعلوه في الاسـلام ، لم يفعله أحـد قبلهم ولا بعدهم من المسلمين ، وملكوا كثـيراً من بلاد العـراق والحجاز وبلاد الشرق وبلاد الشام إلى باب مصر ، ولما أخذوا الحجر تركوه عندهم في هجر ، وقتل أبو طاهر المذكور في سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة . والقرمطي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة . والقرمطة في اللغة : تقارب الشيء بعضه من بعض . يقال : خط مقرمط ، ومشي مقرمط إذا كان كذلك[١] وكان أبو سعيد المذكور قصيراً ، مجتمع الخلق ، أسمر كريه المنظر ، فلذلك قيل له : قرمطي . وقدذكر القاضي أبو بكر الباقلاني فصلًا طويلًا من أحوالهم في كتاب « كشف أسرار الباطنية » . وأما الجنابي فإنه بفتح الجيم وتشديد النون وبعد الالف باء موحده ، وهذه النسبة إلى جنابة ، وهي بلدة من اعمـال فارس ، متصلة بالبحرين عند سـيراف ، والقرامطة منها فنسبوا اليها . انتهى كلام ابن خـلكان رحمه الله تعالى .

---

(١) أي إذا كان فيه مقاربة الخطو .

قوله : ثم آل سنان ، هو البصري الذي كان بحصون الاسماعيلية بالشام ، وكان يقول : قد رفعت عنهم الصوم ، والصلاة ، والحج ، والزكاة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وخاتم هذه العشرين وجـــهاً وهو أقربها الى الأذهان

سرد النصوص فانها قد نوعت طرق الأدلة في أتم بيـــان

والنظم يمنعني من استيفائها وسياقـــة الألفاظ بالميزان

فأشير بعض إشارة لمواضع منها وأين البحر من خلجان ؟

فاذكر نصوص الاستواء فانها في سبـــع آيات من القرآن

واذكر نصوص الفوق أيضاً في ثلا ث قد غدت معلومة التبيان

واذكر نصوص علوه في خمسة معلومة برئت من النقصان

واذكر نصوصاً في الكتاب تضمنت تنزيله من ربنـــا الرحمن

فتضمنت أصلين قام عليهما الـــ اسلام والايمان كالبنيان

كون الكتاب كلامه سبحانه وعلوه من فوق كل مكان

وعدداها سبعون حين تعدأو زادت على السبعين في الحسبان

هـذا هو الدليل العشرون من أدلة علو الله تعـالى على خلقـه ، وهي

النصوص الدالة على ذلك من الكتاب العزيز.

قوله : فاذكر نصوص الاستواء الخ . تقدم ذكر آيات الاستواء .

قوله : واذكر نصوص الفوق أيضاً في ثلاث الخ . وهي قوله تعالى : (يخافون ربهم من فوقهم) النحل : ٥٠ وقوله تعالى : (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) الانعام : ١٨ .

وقوله سبحانه : (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) الانعام : ٦١ الآية .

قوله : واذكر نصوص علوه في خمسة الخ . وهي قوله تعالى في آية الكرسي (وهو العلي العظيم) البقرة : ٢٥٥ وفي الرعد : ٩ (وهو الكبير المتعال) وقوله في الشورى : ٤ (وهو العلي العظيم) وقوله تعالى في سورة غافر : ١٢ (فالحكم لله العلي الكبير) وقوله تعالى في سورة سبح : ١ (سبح اسم ربك الاعلى) .

قوله : واذكر نصوصاً في الكتاب الخ . تقدم الكلام في ذلك بما أغنى عن إعادته .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر نصوصاً ضمنت رفعاً ومعـراجاً وإصعاداً الى الديان

هي خمسة معلومـة بالعد والـحسبان فاطلبها من القرآن

وهي قوله تعالى عن عيسى عليه السلام : (بل رفعه الله اليه) النساء : ١٥٨ وقوله في سورة سأل : ٤ (تعرج الملائكة والروح اليه) وقوله في سورة السجدة : ٥ (ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) .

وقوله تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠
وقوله تعالى عن عيسى (إني متوفيك ورافعك إلي) آل عمران : ٥٥

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد أتى في سورة الملك التي   تنجي لقاريها من النيران
نصان إن الله فوق سمائه   عند المحرِّف ما هما نصان

قوله في سورة الملك الخ . روى أحمد ، والحاكم ، وأبو داود ، عن أبي هريرة مرفوعاً قال : « سورة القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له وهي (تبارك الذي بيده الملك) »[١] وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة (تبارك) » الاية : أخرجه الطبراني في « الاوسط » وابن مردويه ، والضياء في « المختارة »[٢] والنصان : هما قوله تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور) الملك : ١٦ (أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) الملك : ١٧ الاية ، لأن (في) بمعنى (على) أو المراد بذلك مطلق العلو في الآيتين ، كما هو مبسوط في موضعه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد أتى التخصيص بالعند الذي   قلنا بسبع بل أتى بثمان

---

(١) رواه أحمد ، والترمذي ، وابو داود ، و النسائي وابن ماجه ، وسنده حسن .

(٢) أورده الحافظ السيوطي في « الجامع الصغير » بلفظ « سورة من القرآن ماهي الا ثلاثون آية ، خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة » . رواه الطبراني في « الاوسط » والضياء عن انس بن مالك . قال المناوي في شرحه : قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح . وقال ابن حجر : حديث صحيح .

منها صريح موضعان بسورة الـــ أعراف ثم الانبيــاء الثاني
فتدبر النصين وانظر ما الذي لسواه ليست تقتضي النصان
وبسورة التحريم أيضاً ثالث بادي الظهور لمن لـــه أذنان
ولديه في مزّمّل قد بيّنت نفس المراد وقيّــدت ببيان
لاتنقص البـــاقي فما لمعطل من راحة فيها ولا تبيان

في سورة الاعراف ١٨٧ (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لايجليها لوقتها الا هو) الى قوله (قل انما علمها عند الله) (ان الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادتـــه ويسبحونه وله يسجدون) الاعراف : ٢٠٦ وفي الأنبياء : ١٩ (وله من في السموات والأرض ومن عنده) الايه. وفي سورة التحريم : ١١ (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة) الاية. وفي سورة المزمل : ٢٠ (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) وفي سورة القمر : ٥٥ (في مقعد صدق عند مليك مقتدر)

قوله : لاتنقص الباقي. هو بالصاد المهملة، أي : لا تنقص المواضع السبعة التي ذكرها الناظم، لانه لم يذكر الا بعضها، والله أعلم.

قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

وبسورة الشورى وفي مزّمّل سر عظيم شأنه ذو شان
في ذكر تفطير السماء فمن يرد علماً به فهو القريب الداني
لم يسمح المتأخرون بنقله جنباً وضعفاً عنه في الايمان

بل قاله المتقدمون فوارس الـ إسلام هم أمراء هذا الشان
ومحمد بن جرير الطبري في تفسيره حكيت به القولان

يعني قوله تعالى في سورة الشورى : ٥ (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض) الاية وقوله تعالى في سورة المزمل : ١٧ ، ١٨ (فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيبا . السماء منفطر به) الاية

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

هذا وحاديها وعشرين الذي قد جاء في الأخبار والقرآن
إتيان رب العرش جل جلاله ومجيئه للفصل بالميزان
فانظر الى التقسيم والتنويع في الـقرآن تلفيه صريح ببيان
ان المجيء لذاته لا أمره كلا ولا ملك عظيم الشان
إذ ذانك الأمران قد ذكرا وبيـنهما مجيء الرب ذي الغفران
والله ما احتمل المجيء سوى مجيء الذات بعد تبين البرهان
من أين يأتي يا أولي المعقول إن كنتم ذوي عقل مع العرفان
من فوقنا أو تحتنا (وأمامنا)[1] أو عن شمائلنا وعن أيمان

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في الاصل ، ولا في غيره ولا يستقيم الوزن بدونها.

والله لا يأتيهمُ من تحتهم أبداً تعالى الله ذو السلطان
كلا ولا من خلفهم وأمامهم وعن الشمائل أو عن الأيمان
والله لا يأتيهمُ الا من الـــ علو الذي هو فوق كل مكان

هذا هو الدليل الحادي والعشرون من أدلة علو الله تعالى على خلقه، وهو إتيان رب العرش جل جلاله ومجيئه الذي جاء في القرآن، والاحاديث. قال الله تعالى: (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر: ٢٢ وقال (هل ينظرون إلا أن تـأتيهم الملائكة أو يأتي ربـك أو يأتي بعض آيات ربك) الانعـام: ١٥٨ وقال تعالى (هل ينظرون الى أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) البقرة: ٢١٠ الاية ويؤخذ من القرآن أن المجيء لذاته، لا أمره، ولا ملك، كما في قوله تعالى (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) الانعام: ١٥٨ لأن المعطلة يفسرون المجيء والاتيان بمجيء أمره، او ملك. والمجيء في الاية وهي قوله تعالى (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة) الانعام: ١٥٨ لا يحتمل غير مجيء الرب بذاته تعالى، لأن مجيء الملائكة قد تقدم، ومجيء الأمر ـ وهو بعض الآيات ـ تأخر، ومجيء الرب بينهما، فلا يحتمل ذلك غير مجيء الرب سبحانه.

قال شيخ الاسلام أبو عثمان الصابوني في « عقيدته »: ويثبت اصحاب الحديث نزول الرب كل ليلة الى السماء الدنيا من غـير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل، ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ

وينتهون فيه اليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد على ظاهره، ويكلون علمه الى الله سبحانه وتعالى، وكذلك يثبتون ما أنزله الله في كتابه من ذكر المجيء والاتيان المذكورين في قوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) البقرة: ٢١٠ وقوله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر: ٢٢ قال: وأخبرنا ابوبكر بن زكريا، سمعت أبا حامد ابن الشرقي، سمعت حمدان السلمي وأبا داود الخفاف، قالا: سمعنا اسحاق ابن ابراهيم الحنظلي يقول: قال لي الأمير أبو عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب، هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ «ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا»[1] كيف ينزل؟ قال: قلت: أعز الله الأمير، لا يقال لأمر الرب: كيف، إنما ينزل بلا كيف، قال: وسمعت أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا زكريا يحيى بن ابراهيم العنبري، سمعت ابراهيم ابن أبي طالب، سمعت أحمد بن سعيد بن ابراهيم أبا عبد الله الرباطي يقول: حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم، وحضر اسحاق ابن إبراهيم، فسئل عن حديث النزول، أصحيح هو؟ قال: نعم. فقال له بعض قواد عبد الله: يا أبا عبد الله، تزعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم قال: كيف ينزل؟ قال اسحاق: أثبته فوق. فقال: أثبته فوق. فقال اسحاق: قال الله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر: ٢٢ فقال الأمير عبد الله: هذا يوم القيامة. فقال اسحاق: أعز الله الأمير، من يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟ وقال أبو عثمان: قرأت في رسالة أبي

---

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بكر الاسماعيلي إلى أهل جيلان : إن الله ينزل الى السماء الدنيا[١] على ما صح به الخبر عن النبي ﷺ . وقد قال الله عز وجل (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) البقرة : ٢١٠ وقال : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ تؤمن بذلك كله على ماجاء بلا كيف ، فلو شاء سبحانه أن يبين كيف ذلك فعل ، فانتهينا الى ما أحكمه ، و كفينا عن الذي تشابه ، إذ كنا قد أمرنا به في قوله (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب) آل عمران : ٧. انتهى . فاذاً قد ثبت مجيء الرب تعالى وإتيانه من الكتاب والسنة ، فمعلوم انه لا يأتي الا من فوق ، تعالى الله عما يصفه به الجاحدون والمعطلون علواً كبيراً .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الإشارة إلى ذلك من السُّنة

واذكر حديثاً في الصحيح تضمنت ... كلماته تكذيب ذي البهتان

---

(١) يشير بذلك الى الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة . « ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا . . » .

لما قضى الله الخليقة ربنـــا كتبت يداه كتاب ذي الاحسان

وكتابه هو عنده وضع على الـعرش المجيد الثابت الأركان

إني أنا الرحمن تسبق رحمتي غضبي وذاك لرأفتي وحناني

يشير الى حديث ابي الزناد عن الاعـرج عن ابي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الله كتب كتاباً قبل ان يخلق الخلق : إن رحمتي سبقت غضبي ، فهو عنده فوق العرش » اخرجه البخاري ومسلم ، وذكره الذهبي في كتاب « العلو » بلفظ آخر عن ابي هريرة قال : قـال رسول الله ﷺ » : لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش : ان رحمتي سبقت غضبي » قال : ولفظ حديث الثوري عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة رفعه « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو مرفوع فوق العرش : ان رحمتي تغلب غضبي » وفي حديث صفوان بن عيسى ، ثنا ابن عجلان عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه : ان رحمتي تغلب غضبي » .

قال النّاظم رَحمهُ الله تعالى :

ولقد أشار نبينا في خطبة نحو السماء بأصبع وبنان

مستشهداً رب السموات العلى ليرى ويسمع قوله الثقلان

أتراه أمسى للسما مستشهداً أم للذي هو فوق ذي الأكوان

يعني حديث جابر في خطبته ﷺ يوم عرفة ، وقد تقدم[1] .

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن جابر في باب « حجة النبي صلى الله عليه وسلم »

قال الناظم:

ولقد أتى في رقية المرضى عن الهادي المبين أتم ما تبيان
نص بأن الله فوق سمائه فأسمعه إن سمحت لك الأذنان

يشير الى حديث ابي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اشتكى منكم شيئاً أو اشتكى أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء، فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا، وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل علينا رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ» أخرجه ابو داود في «سننه»[(١)].

قال الناظم رحمه الله تعالى:

ولقد أتى خبر رواه عمه العباس صنو أبيه ذو الاحسان
إن السموات العلى من فوقها الكرسي عليه العرش للرحمن
والله فوق العرش يبصر خلقه فانظره إن سمحت لك العينان

يشير الى حديث الأوعال: وهو حديث العباس بن عبد المطلب، قال: كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ، فمرت بهم سحابة فنظر اليها فقال: «ماتسمون هذه؟» قالوا: السحاب. قال: «والمزن؟» قالوا: والمزن. قال: «والعنان؟» قالوا: والعنان. قال: «هل تدرون مابعد ما بين السماء والارض؟» قالوا: لا ندري. قال: «إن بعد ما بينهما إما واحدة، أو اثنتان، أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك،

---

(١) رقم (٣٨٩٢) وفي سنده زيادة بن محمد الانصاري. قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب» منكر الحديث: وأخرجه النسائي ايضاً.

حتى عد سبع سموات ، ثم فوق السماء السابعة ، بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال ، بين أظلافهم وركبهم مثل مابين سماء الى سماء ، ثم على ظهورهم العرش ، بين أسفله وأعلاه مثل مابين سماء الى سماء ، ثم الله تعالى فوق ذلك » رواه ابو داود (١) وابن ماجه وله طرق (٢) .

قوله : صنو أبيه . قال ابن الاعرابي : الصنو : المثل ، أراد مثل أبيه . وقيل في قوله تعالى (صنوان وغير صنوان) الرعد : ٤ أن يكون الاصل واحداً ، وفيه النخلتان ، والثلاث ، والاربع .

قال النّاظم رَحمهُ الله تعالى :

واذكر حديث حصين بن المنذر (٣) الثـقة الرضى أعني أبا عمران
إذ قال ربي في السماء لرغبتي ولرهبتي أدعوه كل أوان
فأقره الهادي البشير ولم يقل أنت المجسم قائل بمكان
حيّزت بل جهّيت بل شبّهت بل جسّمت لست بعارف الرحمن
هذي مقالتهم لمن قد قال ما قد قاله حقاً أبو عمران
فالله يأخذ حقه منهم ومن أتباعهم فالحق للرحمن

(١) رقم (٤٧٢٣) وفي سنده (الوليد ابن ابي ثور) قال الحافظ ابن حجر عنه في « التقريب » : ضعيف . وفيه ايضاً (عبد الله بن عميرة) قال الحافظ الذهبي في « الميزان » : فيه جهالة .

(٢) وكلها لا تخلو من مقال .

(٣) هو ابن عبيد (ابن مانع)

يعني حديث حصين بن المنذر الخزاعي . وهو ما رواه عمران بن خالد ابن طليق ، حدثني أبي عن أبيه عن جده قال : اختلفت قريش الى حصين والد عمران ، فقالوا : إن هذا الرجل يذكر آلهتنا ، فنحب أن تكلمه وتعظه، فمشوا الى قريب من باب النبي ﷺ . فجلسوا ، ودخل حصين ، فلما رآه النبي ﷺ قال : « أوسعو للشيخ » فأوسعوا له ، وعمران وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون ، فقال حصين : ماهذا الذي بلغنا عنك؟ إنك تشتم آلهتنا ، وتذكرهم ، وقد كان أبوك حصينة وخيراً . « فقال ياحصين : كم إلهاً تعبد اليوم؟ » قال : سبعة ، ستة في الأرض ، وإلهاً في السماء . قال : « فإذا أصابك الضر فمن تدعو ؟ » قال : الذي في السماء . قال : « فاذا هلك المال فمن تدعو ؟ » ، قال : الذي في السماء . قال : « فيستجيب لك وحده وتشركهم معه ؟ » . قال : رضيته في الشكر أو كلمة نحوها - أم تخاف أن يغلب عليك؟ قال : ولا واحدة من هاتين، وعرفت أني لم أكلم مثله . فقال ياحصين : اسلم تسلم ... وذكر الحديث . أخرجه ابن خزيمة في كتاب « التوحيد »[١] .

وقول الناظم : حيزت الخ . أي : اذا قلت بما قال حصين بن المنذر قالوا : حيزت . أي : قلت بأن الله في حيز . وجهيت . أي قلت بأن الله تعالى في جهة . وشبهت . أي : قلت بما يقتضي التشبيه . وجسمت . أي : قلت بأن الله تعالى جسم ، تعالى الله عن ذلك .

قال الناظم رحمه الله :

واذكر شهادته لمن قد قال ربـي في السما بحقيقة الايمان

وشهادة العدل المعطل للذي قد قال ذا بحقيقة الكفران

---

(١) ورواه الترمذي بأخصر منه ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

واحكم بأيهما تشاء وإنني لا راك تقبل شاهد البطلان
ان كنت من أتباع جهم صاحب التـــعطيل والبهتان والعدوان

يشير الى حديث الجارية[١] وقد تقدم ببعض ألفاظه . قال الناظم :

واذكر حديثاً لابن اسحاق الرضى ذاك الصدوق الحافظ الرباني
في قصة استسقائهم يستشفعو ن الى الرسول بربه المنان
فاستعظم المختار ذاك وقال شأ ن الله رب العرش أعظم شان
الله فوق العرش فوق سمائه سبحان ذي الملكوت والسلطان
ولعرشه منه أطيط مثل ما قد أط رحل الراكب العجلان
لله ما لقي ابن اسحاق من الـــجهمي إذ يرميه بالعدوان
ويظل يمدحه اذا كان الذي يروي يوافق مذهب الطعان
كم قد رأينا منهم أمثال ذا فالحكم لله العليّ الشـــان
هذا هو التطفيف لا التطفيف في ذرع ولا كيل ولا ميزان

يعني الناظم حديث ابن اسحاق . وقد رواه الذهبي في كتاب « العلو » فقال : اخبرنا التاج عبد الخالق ، وبنت عمه ست الاهل ، قالا : أنبأنا البهاء عبد الرحمن بن ابراهيم ، أنبا عبد المغيث بن زهـــير ، أنبأنا أبو العز ابن

(١) رواه مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي في باب « تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من اباحته »

كادش ، أنبأنا أبو طالب محمد بن علي ، أنبأنا أبو الحسن الدارقطني ، ثنا يحيى بن صاعد ، ثنا محمد بن يزيد أخي كرخويه ، ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبي ، سمعت ابن اسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة عن جبير عن أبيه عن جده قال : أتى رسول الله ﷺ اعرابي ، فقال : يارسول الله جهدت الانفس وضاع العيال ، وهنكت الانعام ، ونهكت الاموال ، فاستسق الله لنا ، فانا لنستشفع بالله عليك ، وبك على الله . فقال : ويحك ، أتدري ما تقول ؟ ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك ، ويحك أتدري ما الله ؟ إن عرشه لعلى سمواته ،وأرضه هكذا ،قال: وأرانا وهب بيده هكذا ،وقال : مثل القبة ، وانه ليئط أطيط الرحـــل بالراكب »(١) قال الذهبي : هذا حديث غريب جداً ، وابن اسحاق حجة في المغازي إذا أسند ، وله مناكير وعجائب ، فالله أعلم هل قال رسول الله ﷺ هذا ، أم لا ؟ والله عزوجل ليس كمثله شيء . جل جلاله ، وتقدست أسماؤه ولا اله غيره. والاطيط الواقع بذات العرش ، من جنس الأطيط الحاصل في الرحل ، فذاك صفة للرحل والعرش ، ومعاذ الله أن نعده صفة لله عز وجل .ثم لفظ (الأطيط) لم يأت به نص ثابت . وقولنا في هذه الاحاديث : إننا نؤمن بما صح منها ، وما اتفق السلف على إقراره وإمراره ، فأما ما في اسناده مقـــال ، أو اختلف العلماء في قبوله أو تأويله ، فإننا لانتعرض له بتقرير ، بل نرويه في الجملة ، ونبين حاله ، وهذا الحديث انما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله تعالى فوق عرشه مما يوافق آيات الكتاب .

---

(١) اسناده ضعيف . فيه عنعنة محمد بن إسحاق ، ولايصح في أطيط العرش حديث .

قال الناظم رحمه الله :

واذكر حديث نزوله نصف الدجى ... في ثلث ليل آخر أو ثان

فنزول رب ليس فوق سمائه ... في العقل ممتنع وفي القرآن

تقدم سياق حديث النزول . وقول الناظم : فنزول رب ليس فوق سمائه الخ . هذا نحو ما ذكر شيخ الاسلام في كلامه على حديث النزول[١] قال : سئل بعض أئمة نفاة العلو عن النزول ، فقال . ينزل أمره . فقال له السائل : فممن ينزل ؟ ما عندك فوق العرش شيء . فممن ينزل الأمر من العدم المحض ؟ فبهت .

قال الناظم رحمه الله :

واذكر حديث الصادق ابن رواحة ... في شأن جارية لدى الغشيان

فيه الشهادة أن عرش الله فو ... ق الماء خارج هذه الأكوان

والله فوق العرش جل جلاله ... سبحانه عن نفي ذي البهتان

ذكر ابن عبد البر في استيعابه ... هذا وصححه بلا نكران

قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب « الاستيعاب » : روينا من وجوه صحاح أن عبد الله بن رواحة مشى ليلة إلى أمة له ، فنالها ، فرأته امرأته فلامته ، فجحدها . فقالت له : إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن ، فان الجنب لا يقرأ القرآن ، فقال :

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا

---

(١) وقد قمنا بطبعه بعنوان « شرح حديث النزول » لشيخ الاسلام ابن تيمية .

وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا

قالت امرأته: صدق الله(١)، وكذبت عيني، وكانت لا تحفظ القرآن، ولا تقرؤه.

قال الناظم رحمه الله:

وحديث معراج الرسول فثابت وهو الصريح بغاية التبيان

وإلى إله العرش كان عروجه لم يختلف من صحبه رجلان

تقدم الكلام على المعراج بما أغنى عن إعادته، والله أعلم.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

واذكر بقصة خندق حكماً جرى لقريظة من سعدِ الرباني

شهد الرسول بأن حكم إلهنا من فوق سبع وفقه بوزان

قال الشيخ موفق الدين بن قدامة: قرأ على عبد الله بن منصور وأنا أسمع: أخبركم أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار، أنبأ محمد بن عبد الواحد، أنبأ أبو بكر بن شاذان، أنبأ أبو عبد الله المغلس، ثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: حدثني ابي، ثنا محمد بن اسحاق، عن معبد بن كعب بن مالك، أن سعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة قال له رسول الله ﷺ «لقد حكمت فيهم حكماً حكم الله به من فوق سبعة أرقعة» وأصل القصة في «الصحيحين»(٢).

قال الناظم رحمه الله تعالى:

واذكر حديثاً للبراء رواه أصحاب المسانيد منهم الشيباني

---

(٢) في الاصل: آمنت بالله، والتصحيح من «الاستيعاب» لابن عبد البر.

(٢) الذي في «الصحيحين» بلفظ: «قضيت فيهم بحكم الملك» ورواية أخرى حكمت فيهم بحكم الله عز وجل».

وأبو عوانة ثم حاكمنا الرضى　　وأبو نعيم الحافظ الرباني

قد صححوه وفيه نص ظاهر　　مالم يحرفه أولو العدوان

في شأن روح العبد عند وداعها　　وفراقها لمساكن الأبدان

فتظل تصعد في سماء فوقها　　أخرى إلى خلاّقها الرحمن

حتى تصير إلى سماء ربها　　فيها وهذا نصه بأمان

تقدم الحديث ببعض طرقه ، والله اعلم .

قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

واذكر حديثاً في الصحيح وفيه تحـذيرٌ لذات البعل من هجران

من سخْطِ رب في السماء على التي　　هجرت بلا ذنب ولا عدوان

يشير الى حديث ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو المرأة الى فراشها فتأبى عليه الا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى » اخرجه البخاري و مسلم (١) .

قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

واذكر حديثاً قد رواه جابر　　فيه الشفاء لطالب الايمان

في شأن أهل الجنة العليا وما　　يلقون من فضل ومن إحسان

بيناهمُ في عيشهم ونعيمهم　　وإذا بنور ساطع الغشيان

لكنهم رفعوا اليه رؤوسهم　　فاذا هو الرحمن ذو الغفران

---

(١) واللفظ لمسلم .

فيسلم الجبار جل جلاله حقاً عليهم وهو ذو الاحسان

قد تقدم حديث جابر.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

واذكر حديثاً قد رواه الشافعي طريقه فيه أبو اليقظان

في فضل يوم الجمعة اليوم الذي بالفضل قد شهدت له النصان

يوم استواء الرب جل جلاله حقاً على العرش العظيم الشان

هذا الحديث ساقه الذهبي في كتاب «العلو» فقال: أخبرنا أحمد بن عبد المنعم القزويني، أنبأ محمد بن سعيد ببغداد، وأنبأ علي بن محمد وجماعة قالوا: أنبأ ابن الزبيدي.

ح[1] وأنبأ التاج أبو محمد المغربي، أنبأ عبد الله بن أحمد الفقيه ببعلبك، قالوا: أنبأ أبو زرعة، أنبأ مكي بن منصور أبو بكر الحيري، ثنا أبو العباس الأصم.

ح وأنبأ محمد بن الحسين، أنبأ ابن رفاعة، أنبأ الخلعي، أنبأ أبو العباس ابن الحاج الاسبيلي، حدثنا أبو الفوارس أحمد بن محمد الصابوني إملاء قالا: ثنا الربيع بن سليمان، ثنا الشافعي، أنبأ ابراهيم بن محمد، حدثني موسى بن عبدة، حدثني أبو الازهر معاوية بن اسحاق بن طلحة، عن عبيدالله بن عمير[2] أنه سمع أنس بن مالك يقول: أتى جبريل بمرآة

---

(١) هذا الرمز (ح) يعني ان الاسناد تحول الى اشخاص آخرين.

(٢) في الاصل: عبد الله بن عبيد بن عمير، والتصحيح من «مسند الامام الشافعي».

بيضاء فيها وكتة(١) سوداء الى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «ماهذه ؟» قال: هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك، والناس لكم فيها تبع، اليهود والنصارى، لكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو (الله) بخير الا استجيب له، وهو عندنا يوم المزيد. فقال النبي ﷺ: «وما يوم المزيد ؟» قال: ان ربك اتخذ في الجنة واديا أفيح فيه كثب من مسك، فاذا كان يوم القيامة أنزل الله فيه من شاء من الملائكة، وحوله الصديقون والشهداء، فيجلسون من ورائهم على تلك الكتب، فيقول الله تعالى: أنا ربكم، قد صدقتكم وعدي، فسلوني أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك الرضى. فيقول: رضيت عنكم، ولكم ماشئتم، ولدي مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة، لما يعطيهم ربهم من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربك على العرش، وفيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة» إبراهيم وموسى ضعفا، أخرجه الامام محمد بن ادريس في «مسنده»(٢) وقد اخرجه الدارقطني من طريق حمزة ابن واصل المنقري، عن قتادة، عن أنس، ومن طريق عنبسة الرازي عن أبي اليقظان عثمان بن عمير عن انس. (وأخرجه عثمان بن سعيد الدرامي قال: حدثنا هشام بن خالد الدمشقي وكان ثقة، ثنا)(٣) محمد بن شعيب بن

---

(١) في الأصل: نكتة، والتصحيح من «مسند الشافعي» والوكتة: أثر في شيء كالنقطة من غير لونه والجمع وكت.

(٢) ورواه الطبراني في الاوسط، والبزار، وأبو يعلى مختصراً، وللحافظ ابن عساكر جزء سماه «القول في جملة الاسانيد الواردة في حديث يوم المزيد» قال فيه: ان لهذا الحديث عن أنس عدة طرق في جميعها مقال، وقد تكلم عليه الهيثمي في «مجمع الزوائد» في فضل يوم الجمعة، وباب صفة الجنة، فليراجع.

(٣) مابين القوسين بياض في الاصل: استدركناه من كتاب «الرد على الجهمية» لابي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، وقد طبعناه قريبا.

نشابور عن عمر مولى غفره عن أنس . وأخرجه القاضي أبو أحمد العسال في كتاب « المعرفة » له، عن رجاله : عن جرير بن عبد الحميد، عن ليث ابن أبي سليم ، عن عثمان بن أبي حميد ، وهو أبو اليقظان ، عن أنس . ورواه من طريق سلام بن سليمان عن شعبة واسرائيل وورقاء ، عن ليث أيضاً ، وساقه الدار قطني من رواية شجاع بن الوليد عن زياد بن خيثمة عن عثمان بن ابي سليمان عن أنس . والظاهر أن عثمان أبو اليقظان . وحدث به الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن سالم بن عبد الله عن أنس بن مالك ، وهذه طرق يعضد بعضها بعضاً . رزقنا الله وإياكم لذة النظر الى وجهه الكريم . انتهى كلام الذهبي .

قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

واذكر مقالته الست امين من ... فوق السماء الواحد المنان

واذكر حديث ابي رزين ثم سقه بطوله كم فيه من عرفان

والله ما المعطل بسماعه ... أبداً قوى إلا على النكران

فأصول دين نبينا فيه أتت ... في غاية الايضاح والتبيان

وبطوله قد ساقه ابن إمامنا ... في سنّة والحافظ الطبراني

وكذا أبو بكر بتاريخ له ... وأبوه ذاك زهير الرباني

يشير بقوله : ألست أمين الخ الى حديث ابي سعيد الخدري قال : بعث علي من اليمن الى رسول الله ﷺ بذهبة في أديم مقروظ(١) لم تحصل من

---

(١) في الأصل : مقروض ، و تصحيح من « صحيح مسلم » .

ترابها ، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة ، بين زيد الخير ، والأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، وعلقمة بن علاثة ،أو عامر بن الطفيل ، شك عمارة ، فوجد من ذلك بعض أصحابه والأنصار وغيرهم . فقال رسول الله ﷺ : ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء[٢] صباحاً ومساء... » الحديث. رواه البخاري ومسلم . وحديث أبي رزين ، ساقه الذهبي في كتاب « العلو » فقال : حديث سمعناه من أحمد بن هبة الله ، وجماعة ، عن محمد بن عبد الواحد ، ثنا اسماعيل بن علي ، أنا محمد بن علي النحوي ، أنا أبو بكر ابن المقري ، ثنا عبدان بن أحمد ، ثنا عمر بن موسى ، ثنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حدس ، عن أبي رزين العقيلي ، قال : قلت : يارسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض ؟ قال : « كان في عماء ، ما فوقه هواء وما تحته هواء ، ثم خلق العرش ، ثم استوى عليه » رواه الترمذي وابن ماجه ، واسناده حسن وقد رواه شعبة وغيره عن يعلى ، وقالوا : عدس بدل حدس ، ورواه اسحاق ابن راهويه ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث . عن حماد . وعنده : « ثم كان العرش فارتفع على عرشه » وروى حرب عن ابن راهويه « تحته هواء وفوقه هواء » يعني السحاب . وقال ابو عبيد : العماء : الغمام . وقال الحسن ابن عمران الحنظلي الهروي : سمعت ابا الهيثم خالد بن يزيد الرازي يقول : أخطأ أبو عبيد ، إنما العما مقصور ، ولا يدرى أين كان الرب ، يعني قبل خلق العرش . ويروى عن أبي رزين حديث طويل باسنادين مدنيين في الباب ، لكنه ضعيف . انتهى كلام الذهبي .

---

(١) في الاصل : خبر من السماء . والتصحيح من « صحيح مسلم » .

قلت هذا كلام الذهبي، وقد ساقه بتمامه الناظم في كتاب «الهدي»
وقال: هذا حديث كبير، جليل الشأن، ينادي جلالته وفخامته وعظمته
على أنه قد خرج من مشكاة النبوة... إلى أن قال: ولم يطعن أحد فيه، وفي
أحد من رواته، فممن رواه الامام بن الامام أبو عبد الرحمن، عبد الله بن
أحمد بن حنبل في «مسند أبيه» وفي كتاب «السنة» ومنهم الحافظ
الجليل أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل في كتاب «السنة»
له، والحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد الغسال في كتاب «المعرفة»، وحافظ
زمانه أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، والحافظ أبو محمد عبد الله بن
محمد بن حيان أبو الشيخ الاصبهاني في كتاب «السنة» وحافظ عصره
أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، وجماعة من الحفاظ يطول ذكرهم.
قال ابن منده: روى هذا الحديث محمد بن اسحاق الصغاني، وعبد الله
ابن أحمد بن حنبل وغيرهما. وقد رواه بالعراق بمجمع من العلماء وأهل
الدين جماعة من الأئمة، منهم أبو زرعة الرازي، وأبو حاتم، وأبو عبد الله
محمد بن اسماعيل، ولم ينكره أحد، ولم يتكلم في اسناده، بل رووه على
سبيل القبول والتسليم، ولا ينكر هذا الحديث الى جاهل، أو مخالف
للكتاب والسنة. هذا كلام أبي عبد الله بن منده. انتهى كلام الناظم ملخصاً

قوله: وبطوله قد ساقه ابن إمامنا. أي: ساقه عبد الله ابن الامام
أحمد في كتاب «السنة» له.

قوله: وكذا أبو بكر بتاريخ له. أي: أبو بكر ابن أبي خيثمة في
تاريخه» وأبوه زهير بن حرب.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واذكر كلام مجاهد في قوله أقم الصلاة وتلك في سبحان
في ذكر تفسير المقام لأحمد ما قيل ذا بالرأي والحسبان
ان كان تجسيماً فان مجاهداً هو شيخهم بل شيخه الفوقاني
ولقد أتى ذكر الجلوس به وفي أثر رواه جعفر الربـــاني
أعني ابن عم نبينا وبغيره أيضاً أتى والحق ذو تبيان

قد تقدم ذكر كلام مجاهد في ذلك ، وبسطنا الكلام فيه بما أغنى عن الاعادة.

قال الناظم رحمه الله تعالى

والدار قطني الامام يثبت الـ آثار في ذا الباب غير جبـان
وله قصيد ضمنت هذا وفيـ ـها لست للمروي ذا نكران
وجرت لذلك فتنة في وقته من فرقة التعطيل والعدوان
والله ناصر دينه وكتابـه ورسوله في سائر الأزمان
لكن بمحنة حزبه من حربه ذا حكمة مذ كانت الفتان

قال الذهبي في كتاب « العلو » : كان العلامة الحافظ ابو الحسن علي بن عمر ، نادرة العصر ، وفرد الجهابذة ، ختم به هذا الشـأن ، فما صنف كتاب « الرؤية » وكتاب « الصفات » وكان اليه المنتهي في السنة ومذاهب السلف ، وهو القائل : ما أنبأني أحمد بن سلامة عن يحيى بن بوش ، أنبا بن كادش ، أنشدنا أبو طالب العشاري ، أنشدنا الدارقطني رحمه الله تعالى :

حديث الشفاعة في أحمد الى أحمد المصطفى نسنده

وأمـا حديث باقعاده على العرش أيضاً فلا نجحده

أمرّوا الحديث على وجهه ولا تدخلوا فيه ما يفسده

توفي الدارقطني رحمه الله سنة خمس وثمانين وثلاثمائة . انتهى كلام الذهبي

ولم أقف على المحنة التي ذكرها الناظم رحمه الله تعـالى ، وهي التي جرت للدارقطني علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن دينار بن عبد الله

أبو الحسن الدارقطني الحافظ الكبير ، أستاذ هذه الصناعة في زمانه ، وقبلها بمدة ، وبعدها الى زماننا هذا ، سمع الكثير ، وجمع وصنف ، وألف وأجاد وأفاد ، وأحسن النظر والتعليل والاعتقاد والانتقاد . وكان فريد عصره ، ونسيج وحده ، وإمام دهره في اسماء الرجال وصناعة التعليل ، والجرح والتعديل ، وحسن التصنيف والتأليف والترصيف ، واتساع الرواية ، والاطلاع التام في الدراية ، له كتاب « السير » المشهور ، من أحسن المصنفات في بابه ، لم يسبق الى مثله ، ولا يلحق في شكله إلا من استمد من بحره وعمل كعمله ، وله كتاب « العلل » بين فيه الصواب من الزلل ، والمتصل من المرسـل ، والمنقطع والمعضل . وكتاب « الافراد » الذي لا يفهمه ـ فضلاً عن أن ينظمه ـ الا هو من الحفاظ الافراد ، والأئمة النقاد ، والجهابذة الجياد ، وله غير ذلك من المصنفات التي هي كالعقود في الاجياد . قال ابن الجوزي : وقد اجتمع فيه مـع معرفة الحديث ، العلم بالقرا آت ، والنحو ، والفقه ، والشعر ، مع الامامة والعدالة ، وصحة العقيدة ، وقد كانت وفاته يوم الثلاثاء السابع من

ذي القعدة سنة ٣٨٥ وله من العمر تسع وسبعون سنة ودفن من الغد بقربة معروف الكرخي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وقد اقتصرت على يسير من كثير فائت للعد والحسبان

ما كل هذا قابل التأويل بالتحريف فاستحيوا من الرحمن

★ ★ ★

تم - بعون الله وتوفيقه - الجزء الأول

من كتاب « شرح الكافية الشافية للانتصار للفرقة الناجية »

ويليه

الجزء الثاني

وأوله : فصل في جناية التأويل على ما جاء به الرسول والفرق بين المردود فيه والمقبول .

الفهرس

٣ مقدمة الناشر

٧ ترجمة الناظم الامام ابن القيم لعالم لم يذكر اسمه بقلم الشيخ محمد بن مانع

١٧ ترجمه الشارح بقلم الشيخ محمد بن المانع .

٣ مقدمة الشارح .

٥ ترجمة الناظم ابن القيم للشارح .

١٠ الكلام على البسملة والابتداء بها .

١٣ الكلام على « الرحمن الرحيم » ومعناهما.

١٦ الكلام على الحمد لغة واصطلاحاً .

١٧ الكلام على المخلوق وأنه لا بد له من خالق .

١٩ الكلام على شهادة ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله .

٢١ معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

٢٢ معنى الرحمة .

٢٩ فصل في أن القرآن غير مخلوق.

٣٣ فصل في عشرة أمثلة مضروبة للمعطل والمشبه والموحد .

٣٥ الكلام على (أما بعد) .

٣٧ حكم المباهلة .

٣٧ فصل : حكم المحبة ثابت الاركان .

٣٨ تعريف الركن .

٤٥ ترجمة جهم بن صفوان .

٤٧ الكلام على الجهمية وعقائدهم الفاسدة .
٥٥ ترجمة خالد بن عبد الله القسري .
٥٦ ترجمة الجعد بن درهم .
٥٨ أفعال العباد عند الجهمية .
٦١ الناس في أفعال العباد على ثلاثة أقوال : طرفان ووسط .
٦٤ قول الاتحادية في كلام الله .
٦٥ فصل في أن الجهمية نفت حكمة الله في خلقه .
٦٦ لأهل السنة في تعليل أفعال الله وأحكامه قولان .
٦٧ إجماع أهل السنة على أن الله تعالى موصوف بالحكمة .
٦٩ الكلام على الاسم والمسمى والتسمية والفرق بينها .
٧١ معنى القضاء لغة وشرعاً .
٧٢ طريقة المتكلمين وأتباعهم في إثبات الصانع وحدوث العالم .
٨٣ قول الجهمية بفناء الجنة والنار خلافاً لأهل السنة .
٨٣ كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني في الجهمية .
٨٤ ترجمة أبي الهذيل العلاف .
٨٥ قول المتكلمين في انعدام الجواهر وإعادتها ، وتفرق الأجزاء واجتماعها
٨٧ إنكار الفلاسفة المعاد والرد عليهم من الكتاب والسنة .
٩٠ بعض علامات قيام الساعة .
٩٦ مالا يطرأ عليه الفناء في المخلوقات .
٩٨ الكلام على الروح هل هي داخل البدن أو خارجه ، والرد على المخالفين لأهل الحق في ذلك .
١٠٠ تقسيم الأرواح الى ثلاثة أقسام .

١٠١ الكلام على أرواح الشهداء وأين تكون .
١٠٧ فساد قول من يقول بأن الروح عرض من الاعراض .
١١١ الكلام في خلق الأفعال .
١١٢ كلام الجبرية في خلق الأفعال .
١١٦ العبد ليس بفاعل بالاختيار عند الجبرية .
١١٨ مخالفة الجبرية لما ثبت بالنصوص الصحيحة .
١١٩ بطلان قول الجهمية بحدوث اسماء الرب تعالى .
١٢٠ تحذير الأئمة من بدع الجهمية .
١٢١ فصل في مقدمة نافعة قبل التحكيم .
١٢٢ وصية نافعة ومقدمة جامعة قبل الشروع في المحاكمة بين الطوائف .
١٢٣ حكم شعرية في مدح العلم المؤيد بالكتاب والسنة النبوية .
١٢٤ تعريف الهمج والرعاع .
١٢٥ تعريف الجهل المركب والبسيط .
١٢٥ تعريف الصراط لغة وشرعاً .
١٢٦ الطريق الموصلة الى الله تعالى واحدة .
١٢٨ معنى الهجرة الى الله ورسوله .
١٣٠ معنى الصبر الجميل والهجر الجميل والصفح الجميل .
١٣١ الحكم الكوني القدري والحكم الديني الأمري الشرعي .
١٣٣ فصل في أول عقد مجلس التحكيم .
١٣٧ المحاكمة بين الطوائف .
١٣٧ ذكر مقالة الوجودية والاتحادية الذين هم شر الطوائف وأصولهم .
١٣٨ كشف حقائق الاتحادية .

١٤٠ ما تضمنه كتاب الفصوص من الأقوال الباطلة .
١٤٣ الكلام على العفيف التلمساني وأتباعه وما في أشعارهم من الحلول .
١٤٥ كلام العلماء في الاتحاديين .
١٤٨ كلام العلماء في كتاب الفصوص .
١٥٠ بيان حكم ما في الفصوص من الاعتقادات الفاسـد للشيخ أبي زكريا الاقصرائي الحنفي .
١٥٠ قصيدة في بيان بطلان الفصوص .
١٥٦ معنى حديث : « الدين النصيحة » والقصد منه .
١٥٨ التحذير من كتاب الفصوص ومافيه .
١٥٩ أول من أنكر على الفصوص سلطان العلماء العز بن عبد السلام وتبعه العلماء الأعلام .
١٦١ كلام بعض العلماء في الفصوص .
١٦٤ الكلام على كتاب «الانسان الكامل» للجليلي وما فيه من الطامات
١٦٥ الرد على من ادعى ايمان فرعون كابن عربي وغيره .
١٦٥ ردود العلماء على الفصوص .
١٦٦ ترجمة ابن عربي الطائي صاحب الفصوص .
١٦٩ كلام العلماء الكبار في ابن عربي صاحب الفصوص .
١٧٤ منظومة شرف الدين المقري الشافعي في الرد على الفصوص (٩٧) بيتاً من أصل قصيدة طويلة .
١٨١ ترجمة ابن سبعين ومافي أقواله من الطامات .
١٨٣ ترجمة العفيف التلمساني وذكر أباطيله .
١٨٥ فصل في قدوم ركب آخر — وهم النجارية وأقوالهم الفاسدة .

١٨٧ فصل في قدوم ركب آخر ـ ذكر عقيدة الأشاعرة .
١٨٩ ترجمة أبي المعالي الجويني إمام الحرمين .
١٩٤ فصل في قدوم ركب آخر ـ أقروا بما دل عليه الكتاب والسنة .
١٩٥ ذكر حديث معراج النبي ﷺ .
١٩٩ التحقيق في قوله تعالى (ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى).
١٩٩ الكلام على صعود روح المؤمن بعد الموت وما فيها من الأحاديث.
٢٠١ اقرار أهل السنة بالديان وصفاته والرد على مخالفيهم .
٢٠٤ اتفاق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به، وأن كلامه غير مخلوق .
٢٠٧ الكلام على صفة العلم القائمة بذاته تعالى .
٢٠٨ أدب الطرق الكلامية في القرآن .
٢٠٩ بحث هام : عشرون دليلاً على أن أخبار الآحاد تفيد العلم للحافظ ابن القيم من كتاب «الصواعق المرسلة على الجهميه والمعطلة».
٢٢٠ بعض أحاديث الآحاد التي تلقتها الأمة بالقبول .
٢٢١ لم يكن بين السلف نزاع في أن أحاديث الآحاد تفيد العلم .
٢٢١ مذهب العلماء الكبار من الخلف في أن أحاديث الآحاد تفيد العلم .
٢٢٢ لا تجتمع الأمة الإسلامية على ضلالة .
٢٢٣ الاجماع فيما أجمع عليه السلف من الصحابة والتابعين .
٢٢٥ إثبات الكلام لله تعالى والأدلة على ذلك .
٢٢٦ ما ورد من الأخبار في إثبات لفظ الصوت .
٢٢٩ إثبات الصوت والحرف في كلام الله سبحانه من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل .
٢٣٤ لا يصح في أطيط العرش حديث .

٢٣٥ إثبات ما جاء من صفات الله تعالى في القرآن والسنة من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

٢٤٠ ترجمة جنكيزخان طاغية التتر وما فعل بالديار الإسلامية

٢٤٤ ترجمة ابن سينا .

٢٤٥ ترجمة النصير الطوسي .

٢٤٨ ترجمة سنان البصري .

٢٤٩ الكلام على رسائل اخوان الصفا .

٢٤٩ ترجمة الفارابي .

٢٥٠ الجهمية على ثلاث درجات .

٢٥٢ فصل في قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن .

٢٥٤ مذهب سلف الأمة وأئمتها وإثبات صفات الله التي جاء بها القرآن والسنة بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل .

٢٥٥ الكلام في القدر ، والتوسط فيه بين الجبرية والنفاة.

٢٥٦ النصوص الواردة في القدر.

٢٦٠ الكلام على اسم الله الأعظم .

٢٦١ الله تعالى ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله

٢٦٢ إثبات صفة الكلام لله تعالى .

٢٦٦ الدليل على أن كلام الله تعالى غير مخلوق .

٢٦٨ مذهب السلف وأئمة المحدثين أن كلام الله تعالى غير مخلوق

٢٧٠ الرد على من قال بأن القرآن عبارة عن المعنى واستشهادهم ببيت الأخطل

إن الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

٢٧٢ غلط النصارى في معنى الكلام ونفيهم للصفات .
٢٧٥ اتفاق أهل السنة والجماعة على أن القرآن منزل واختلافهم في معنى الإنزال . .
٢٧٨ فصل في مجامع طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن
٢٨٠ قول الكرامية في القرآن .
٢٨١ أشياء يتعين التنبيه عليها بالنسبة للقرآن .
٢٨٦ اختلاف القائلين بالكلام النفسي في الحروف .
٢٨٧ فصل في مذهب الاقترانيةوهم السالمية ومن وافقهم .
٢٨٩ فصل في مذاهب القائلين بأن القرآن متعلق بالمشيئة والارادة والرد عليهم .
٢٩٣ تقسيم الجهمية الى أقسام.
٢٩٥ ثلاثة أقوال للجهمية في تسمية الله تعالى متكلماً .
٢٩٦ قدماء المعتزلة لم يذهبوا الى خلق القرآن.
٢٩٦ كلام الحافظ اللالكائي فيمن يقول بخلق القرآن .
٢٩٧ فصل في مذهب الكرامية في كلام الله تعالى .
٣٠٢ فصل في ذكر مذهب أهل الحديث في كلام الله تعالى .
٣٠٨ أسرار بعض الحروف في القرآن .
٣١٠ فصل في إلزام المعطلة النافين لصفة الكلام بنفي الرسالة .
٣١١ فصل في إلزامهم التشبه للرب بالجماد الناقص اذا انتفت صفة الكلام
٣١٣ فصل في إلزامهم بالقول بأن كلام الخلق حقه وباطله عين كلام الله سبحانه .
٣١٥ فصل في التفريق بين الخلق والأمر .

٣١٧ فصل في التفريق بين ما يضاف الى الرب تعالى من الأوصاف والاعيان

٣٢٠ ترجمة ابن حزم الاندلسي .

٣٢٢ أقوال الناس في القرآن .

٣٢٥ الكلام على القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو واختلاف الناس فيه .

٣٢٩ رد الامام أحمد بن حنبل والبخاري على من قال : لفظي بالقرآن مخلوق ومحنتهما بسبب ذلك .

٣٣٣ فصل في مقالات الفلاسفة والقرامطة في كلام الرب جل جلاله .

٣٣٩ فصل في مقالات طوائف الاتحادية في كلام الله سبحانه .

٤٤١ كلام الجهمية في كلام الله تعالى وفساده .

٣٤٤ تنازع الناس في الأفعال اللازمة المضافة الى الله سبحانه وتعالى وكلام السلف والمتأخرين في ذلك .

٣٥٢ الأمر والتكوين وصف كمال لله تعالى .

٣٥٤ كان الله ولا شيء معه .

٣٥٩ معنى إن العالم ممكن عند ابن سينا ، ومخالفته لسلفه الفلاسفة .

٣٦١ ردابن رشد على ابن سينا .

٣٦٢ مافعله النصير الطوسي مع هولاكو ملك التتار بالمسلمين في بغداد

٣٦٥ دليل التمانع المشهور عند المتكلمين .

٣٦٨ فصل في اعتراض بعض الطوائف على القول بدوام فاعلية الرب تعالى وكلامه والانفصال عنه .

٣٦٩ تعريف التسلسل وتقسيمه .

٣٧٠ ترجمة أبي الحسن الأشعري .

٣٧١ ترجمة أبي بكر الباقلاني .

٣٧١ ترجمة أبي علي الجبائي .

٣٧٣ كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة .

٣٧٥ اختلاف الناس في العرش والقلم وأيهما خلق أول .

٣٨٢ الكلام على دليل الاكوان .

٣٨٥ فصل في الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش إله يعبد ولا فوق السموات إله يصلى له ويسجد ، وبيان فساد قولهم عقلاً ونقلاً ولغة وفطرة .

٣٨٧ كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء .

٣٨٨ إن الله تعالى في السماء كما وصف نفسه ووصفه به رسوله .

٣٨٩ حد المعدوم أنه لا داخل العالم ولا خارجه .

٣٩٠ تعريف النقيضين والضدين .

٣٩٣ فصل في سياق أدلة المعطل من خمسة وجوه .

٣٩٥ تعريف الضدين والمثلين والغيرين .

٣٩٦ فصل في الاشارة الى الطرق النقلية الدالة على أن الله سبحانه فوق سمواته على عرشه .

٣٩٧ الدليل الأول من أدلة علو الله تعالى على عرشه .

٣٩٧ كلام ابن القيم في ابطال أن يكون الاستيلاء بمعنى الاستواء .

٣٩٩ الدليل الثاني من أدلة علو الله على خلقه .

٤٠٢ الدليل الثالث من أدلة علو الله على خلقه وهو صريح الفوق مصحوباً بكلمة (من)

٤٠٣ فوقية الذات وفوقية القدر وفوقية القهر .

٤٠٥ الدليل الرابع من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهو عروج الروح والملائكة إليه .

٤٠٨ الدليل الخامس على علو الله تعالى فوق خلقه (اليه يصعد الكلم

والعمل الصالح يرفعه) .

٤١٠ التفسير الحق في قوله تعالى (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) .

٤١١ تعريف القاب لغة .

٤١٢ الدليل السادس والسابع من أدلة علو الله على خلقه وهما النزول والتنزيل .

٤١٣ ثبوت حديث نزول الله تعالى الى السماء الدنيا من جهة النقل والاسناد

٤١٥ الدليل الثامن على العلو وهو رفعة الدرجات . ومعنى رفع الدرجات .

٤١٧ الدليل التاسع على علو الله تعالى وذكر النصوص الواردة في ذلك .

٤١٩ ضعف حديث الأوعال .

٤٢٠ الدليل العاشر على العلو اختصاص بعض المخلوقات بالعندية له سبحانه

٤٢١ قول الله تعالى في الحديث وهو فوق العرش : ان رحمتي سبقت غضبي

٤٢٢ الدليل الحادي عشر على العلو إشارته ﷺ بأصبعه نحو السماء وينكتها الى الناس .

٤٢٤ الدليل الثاني عشر على العلو قوله ﷺ : « وأنت الظاهر فليس فوقك شيء » .

٤٢٥ الدليل الثالث عشر من أدلة العلو وهو رؤيته تعالى في الجنة .

٤٢٩ الدليل الرابع عشر من أدلة العلو حديث « العماء » وحديث الجارية .

٤٣٢ الدليل الخامس عشر اجماع الرسل في كتبهم بالفوقية .

٤٣٥ ذكر اشياء مما يقطع بأنها دين الرسل عليهم السلام ، كعلو الله على خلقه .

٤٣٧ دعوة الرسل إلى أركان الايمان الخمسة .
٤٣٩ الدليل السادس عشر من أدلة العلو إجماع العلماء من أهل السنة وأصحاب الحديث .
٤٣٩ معنى قوله تعالى (استوى على العرش) وأقوال العلماء فيه .
٤٣٩ قول عبد الله بن عباس في الاستواء .
٤٣٩ قول التابعين في الاستواء .
٤٤١ قول الأشعري في الاستواء .
٤٤٢ قول البغوي في الاستواء .
٤٤٣ قول مالك في الاستواء .
٤٤٥ قول الترمذي في الاستواء .
٤٤٥ قول الاوزاعي وغيره في الفوقية .
٤٤٧ قول الشافعي وأبي حنيفة في الفوقية والاستواء .
٤٤٨ قول أحمد بن حنبل في الفوقية والاستواء .
٤٤٨ ترجمة الخلال .
٤٥٠ قول اسحاق بن راهويه في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)
٤٥٠ قول عبد الله بن المبارك في الاستواء .
٤٥١ ترجمة عبد الله بن المبارك .
٤٥١ قول ابن خزيمة في الفوقية .
٤٥١ قول ابن عبد البر في حديث : «ينزل ربنا تبارك وتعالى الى السماء ودليل الفوقيه فيه وفي أمثاله .
٤٥٥ ترجمة حرب الكرماني وقوله في الفوقية وقول غيره من الأئمة .
٤٥٩ قصيدة أبي بكر عبد الله بن أبي داود في معتقد أهل السنة والجماعة

٤٦١ قول الحافظ الاصبهاني في كتاب السنة في الاستواء على العرش والنزول من السماء .
٤٦٢ قول سفيان بن عيينة في اثبات الصفات كما جاءت .
٤٦٢ ترجمة حماد بن زيد .
٤٦٣ ترجمة حماد بن سلمة .
٤٦٥ قول أبي القاسم اللالكائي في اثبات النصوص الواردة في الكتاب والسنة كما جاءت .
٤٦٦ قول أبي الشيخ الأصبهاني مصنف «الترغيب والترهيب» في اثبات الصفات كما جاءت .
٤٦٨ ترجمة الطبراني وقوله في الاستواء على العرش .
٤٦٨ قول الحافظ الطلمنكي في الصفات والاستواء .
٤٦٩ قول الامام الطحاوي في عقيدة أهل السنة والجماعة .
٤٧٠ قول أبي بكر الباقلاني في الاستواء على العرش وحقيقته .
٤٧٢ قول محمد بن جرير الطبري في الاستواء وغيره من الصفات .
٤٧٤ قول محيي السنة البغوي في الاستواء على العرش ومعناه .
٤٧٥ قول أبي عمرو الداني في الاستواء .
٤٧٦ ترجمة أبي الشيخ الأصبهاني وقوله في الاستواء
٤٧٧ ترجمة ابن سريج وكلامه في صفات الله عز وجل واستوائه على عرشه .
٤٧٨ قول الامام أبي حنيفة في الصفات .
٤٨٠ تقرير أهل السنة للعلو بالنقل والعقل .
٤٨٢ بعض خصائص أبي بكر الصديق .
٤٨٣ تعريف النواصب .

٤٨٣ الفرق بين اللبن واللبان .
٤٨٣ فصل : الدليل السابع عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه
٤٨٦ الأدلة النقلية والعقلية تفيد بأن الله تعالى فوق السماء .
٤٨٩ وجوب تحكيم الرسول ﷺ في الدق والجل والتسليم له والرضى بحكمه .
٤٩١ وصية الأئمة الأربعة لأتباعهم باتباعهم الكتاب والسنة وترك أقوالهم إذا خالفتهما .
٤٩٢ فصل : الدليل الثامن عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه .
٤٩٤ قصة أبي بكر الصديق مع فنحاص اليهودي الذي طعن في صفات الله
٤٩٦ افتراء اليهود وادعاؤهم أن لله ولداً .
٤٩٦ افتراء بعض الأقران على شيخ الإسلام أبي اسماعيل الهروي ووشايتهم عليه عند السلطان (ألب أرسلان) .
٤٩٧ افتراء في رحلة ابن بطوطة على شيخ الاسلام ابن تيمية واتهامه بالتجسيم .
٥٠٠ القول بعلو الله تعالى على خلقه صرحت به الكتب الإلهية .
٥٠٠ فصل : الدليل التاسع عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه .
٥٠٣ تشبيه المعطلة بالخفاش والحشرات في عدم رؤيتهم النور .
٥٠٤ ما يلزم المعطلة من الشناعات في نفيهم لعلو الله تعالى .
٥٠٧ معنى فقع (الفلا) لغة.
٥٠٧ ترجمة الحسن بن بهرام رئيس القرامطة .
٥٠٧ تعريف الحاكمية شيعة الحاكم بأمر الله .
٥١٠ فصل : الدليل العشرون من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهي النصوص الدالة على ذلك من القرآن الكريم .

٥١٤ فصل : الدليل الحادي والعشرون من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهو إتيان رب العرش جل جلاله ومجيئه الذي جاء في القرآن والسنة
٥١٥ اثبات أهل الحديث نزول الرب كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل .
٥١٧ فصل : في الاشارة الى علو الله تعالى على خلقه من السنة .
٥١٨ حديث : «ان الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق فهو عنده فوق العرش»
٥١٩ حديث الأوعال والكلام عليه .
٥٢١ حديث حصين الخزاعي والد عمران بن الحصين ودعوته الى الاسلام .
٥٢٣ الكلام على حديث أطيط العرش وبيان أنه لا يصح في أطيط العرش حديث .
٥٢٥ من أدلة علو الله تعالى على خلقه عروج الرسول ﷺ الى السموات
٥٢٨ حديث يوم المزيد وكلام العلماء فيه .
٥٣٠ حديث : « أنا أمين من في السماء » .
٥٣٠ حديث : « كان الله في عماء » ومعنى العماء .
٥٣١ رأي العلماء في حديث « كان الله في عماء » .
٥٣٢ ترجمة الحافظ الدارقطني .

☐ ★ ☐ ★ ☐ ★

رقم المستعير	تاريخ الرد	رقم المستعير	تاريخ الرد
١٠١٠٤	٢٢/١٢/٢٤		